

# الخلفاء الراشدين

من كتاب البداية والنهاية للحافظ ابن كثير

( ١١ - ٤١ هـ )

رثبه وقرّبه وخرجه زُجْره وضمّه وضمّه أعلانه

د. محمد بن صاميل الشامي

أستاذ التاريخ الإسلامي - جامعة أم القرى

دار الكتب والوثائق القومية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ  
تمت الطبعة الأولى لهذا الكتاب في  
٢٠٠٨م / ١٤٢٩هـ

مدار الوطن للنشر - الرياض

هاتف: ٤٧٩٢-٤٢ (٥ خطوط) فاكس: (٤٧٢٣٩٤) - ص.ب: ٣٣١٠

فروع السويدية: هاتف: ٤٢٦٧١٧٧ - فاكس: ٤٢٦٧٣٧٧

المنطقة الغربية: ٥٠٤١٤٣١٩٨ - المنطقة الشرقية والرياض: ٥٠٣١٩٣٢٦٨

المنطقة الشمالية والقصيم: ٥٠٤١٣٠٧٢٨ - المنطقة الجنوبية: ٥٠٤١٣٠٧٢٧

التوزيع البحري: ٥٠٦٤٣٢٨٠٤ - ٢٨٣١٤٥٣ التسويق والعارض الخارجية: ٥٠٦٤٩٥٢٢٥

Pop@dar-alwatan.com

البريد الإلكتروني:

www.madar-alwatan.com

موقعنا على الإنترنت:

# الْخُلُقَاءُ لِلرَّشِيدِ وَكَأْسِهَا

مِنْ كِتَابِ الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ لِلْحَافِظِ ابْنِ كَثِيرٍ

( ١١ - ٤١ هـ )

رَتَّبَهُ وَهَدَيْتَهُ وَخَرَّجَ زُجُودَهُ وَضَبَطَ أَعْلَامَهُ

د. مُحَمَّدُ بْنُ صَامِلِ الشَّامِيِّ

أُجْتَاذَ النَّاسِخِ الْإِسْلَامِيِّ - جَامِعَةُ أُمِّ الْقُرَى

مَدْرَسَةُ الْوَلَدِ لِلنَّشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وإمام المتقين نبينا محمد بن عبدالله وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد . . .  
فإن تاريخ الإمام الحافظ ابن كثير الموسوم بكتاب «البداية والنهاية» من كتب التاريخ الجامعة، وهو صورة عن ثقافة مؤلفه، الحافظ، المحدث، المفسر، المؤرخ، وقد جمع في هذا الكتاب علومًا كثيرة، وبحث مسائل متعددة، ودخل في تخصصات مختلفة، فحقق وناقش، واعترض، واستدل بنفس العالم الذي ينشد الحق ويجمع الأدلة ويوازن بينها.

وإني بحكم التخصص أرجع إلى هذا الكتاب كثيرًا، وأطلب من طلابي الرجوع له وخاصة في تاريخ صدر الإسلام، لكن شكا البعض منهم طول الكتاب واستطراده، وتجزئه الموضوعات والحوادث فيه بحسب وقوعها، فإنه قد سار في ترتيب الكتاب على النظام الحولي بحسب السنوات الهجرية مما يجعل بعض الحوادث التاريخية مجزأة بحسب سنين وقوعها، وطلاب هذا الزمان ضعفت همم الكثير منهم، وقلَّ صبرهم على العلم والبحث في مسأله، يريدون كل شيء جاهزًا قريب التناول.

ورغبة في تيسير الاستفادة من هذه الموسوعة وتقريب فوائدها استخرت الله في ترتيب وتهذيب كتاب «البداية والنهاية» للحافظ ابن

كثير رحمه الله .

والتهذيب والترتيب منهج سلكه أهل العلم، وهو أحد أغراض التأليف التي نصّوا عليها، ورأيت أن أبدأ بعصر الخلفاء الراشدين لمسيس الحاجة إليه خاصة في التدريس الجامعي، ولربط طلاب الجامعة بكتب السلف وتعويدهم على أساليبها<sup>(١)</sup>.

وقد قدمت بين يدي ذلك بيان منهجي في التهذيب، ثم ترجمة موجزة للحافظ ابن كثير، وبيان منهجه ومصادره في كتاب «البداية والنهاية» على سبيل الإجمال.

والله أسأل أن ينفع بهذا التهذيب كما نفع بأصله والحمد لله رب

العالمين .

د. محمد بن صامل السلمي

مكة المكرمة

(١) سبق نشرها في أربعة أجزاء، وصدرت تباعاً ابتداءً من عام ١٤١٨هـ، ثم رأيت جمع الأجزاء الأربعة في مجلد واحد في هذه الطبعة.

## منهج الترتيب والتهديب وعملي فيه

المنهج الذي سلكه الحافظ ابن كثير في ترتيب كتابه ابتداء من السنة الأولى من الهجرة النبوية، هو الترتيب الحولي للحوادث التاريخية، وهو منهج سلكه قبله خليفة بن خياط، والإمام الطبري، والمؤرخ ابن الأثير مع تعديل يسير<sup>(١)</sup>، والإمام ابن الجوزي، وغيرهم وهو منهج في الترتيب له فوائد، كما أن له سلبيات.

وقد سلكت في تهذيب كتاب «البداية والنهاية» الأمور التالية:

١ - الترتيب الموضوعي، فقد جعلت خلافة كل واحد من الخلفاء الراشدين في عدد من الفصول بحسب الموضوعات الجامعة لكل فصل، فعقدت فصلاً في ترجمته وفضائله، وآخر في استخلافه، وثالثاً في الفتوحات في عصره.. وهكذا.

وبهذا جمعت الموضوعات المتشابهة إلى بعض من مواطن متفرقة من الكتاب، وجعلت لها عناوين وأحلت في الهامش إلى مواضعها في الأصل؛ وذلك لتيسير مراجعة الأصل.

٢ - حذفت الاستطرادات، والأحاديث الضعيفة، والروايات والقصص التي في متونها شذوذ أو ألفاظ منكرة، كما حذفت التراجم للأعلام التي يذكرها في نهاية كل سنة لكون ذلك ألصق بكتب الطبقات والتراجم والرجال.

(١) وهو أنه جمع أخبار الحادثة الواحدة إذا كانت في أكثر من سنة في مكان واحد، وقد أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه «الكامل في التاريخ» (٤/١).

- ٣ - خرجت الأحاديث والآثار من مصادرها، وقابلتها مع تلك المصادر لتصحيحها وضبطها.
- ٤ - ضبطت الأعلام والألفاظ المحتاجة إلى ضبط وعرفت الأماكن من كتب البلدان وضبطتها، وشرحت الغريب من كتب اللغة.
- ٥ - حافظت على عبارة المصنف ولم أغير منها شيئاً، سوى مواطن يسيرة جداً لغرض ربط العبارات والجمل بعد حذف الاستطرادات، أو جمع المتشابه في موضع واحد.
- ٦ - جميع طبعات الكتاب - وهي كثيرة - مصورة عن الطبعة الأولى الصادرة سنة (١٣٥١هـ / ١٩٣٢م) عن المطبعة السلفية، ومطبعة السعادة، ومكتبة الخانجي بمصر، أو مطبوعة عنها، ولم يرجع الناشرون للطبعات التالية إلى مخطوطات الكتاب، ولذلك وقع فيها جميعاً تصحيف وسقط كثير<sup>(١)</sup>، وقد اتضح لي ذلك من خلال مقارنة النصوص بمصادرها، ولهذا ألزمت نفسي بمراجعة جميع نصوص الكتاب على مصادر المصنف وصحتها على ذلك، ولم أشأ أن أثقل حواشي الكتاب ببيان التصحيف في كل موطن واكتفيت بذكر نماذج يسيرة.

(١) صدر في عام (١٤١٨هـ) الموافق (١٩٩٨م) طبعة محققة عن دار هجر بالقاهرة، وبإشراف: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ولم أطلع عليها إلا بعد إصدار الأجزاء الثلاثة الأولى. وقد رجعت لها في خلافة علي وابنه الحسن رضي الله عنهما، وخلافة علي واقعة فيها من ص (٤١١) الجزء العاشر وحتى ص (١٤٢) من الجزء الحادي عشر، وترجمة الحسن واقعة من ص (١٨١-٢١٢) من الجزء الحادي عشر.



٧ - إذا قلت في الأصل كذا . . . ، فالمراد كتاب «البداية والنهاية» طبعة دار الفكر في بيروت، ما عدا خلافة علي وابنه الحسن رضي الله عنهما فقد اعتمدت الطبعة المحققة الصادرة عن دار هجر.

٨ - بالنسبة لفضائل الخلفاء فإن الحافظ ابن كثير رحمه الله قد ذكر جملة صالحة منها، بعضها في الصحيحين، وبعضها في السنن والمسانيد والمصنفات، وفيها الصحيح والحسن والضعيف .  
وقد رأيت في هذا التهذيب من باب الاختصار الاكتفاء بما في صحيح البخاري سواء ذكره المصنف أو لم يذكره . وقد أشرت إلى ذلك في موطنه .

٩ - وضعت عناوين للفصول والمباحث والفقرات، جامعة لمعانيها ومقربة لها .

١٠ - جعلت هذا التهذيب في أربعة أبواب :

الباب الأول : عن الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه .  
والباب الثاني : عن الخليفة الثاني الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

والباب الثالث : عن خلافة ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه . وقد جاء في صورة مرضية - إن شاء الله - جلت موضوع الفتنة وما صاحبها من أهواء وعلل ونوازع لنوابت الضلال وأهل الإفساد، الذين سعوا مبكرين في تشويه الحوادث التاريخية، والتزيد في الأخبار، واختراع أمور لا واقع لها، حتى تشوه تاريخ الصحابة، وصعب على الكثير من القراء، بل والباحثين إدراك الصورة الحقيقية للوقائع والأحداث .  
والإمام ابن كثير - رحمه الله - من العلماء الثقات، والأئمة المتيقظين

الذين لا يقبلون كلما وجدوا في المصنفات السابقة، ولا يكتفون بمحاكاتها كما يفعل البعض، ولكنه يوجه سهام النقد، ويوازن بين الأخبار، ويعدّد المصادر وينوعها، مصادر تاريخية، ومصادر من السنة، وأخرى من كتب العقيدة، وهكذا حتى يستطيع أن يصل إلى الحقيقة كاملة.

ونظرًا لأهمية وحساسية موضوعات هذا الباب، فقد بذلت جهدًا مضاعفًا في تحقيق النصوص وتخريجها والتعليق عليها، وكذا في التبويب والترتيب مما سهل على القارئ إدراك الصورة الواقعية لأحداث هذه الفترة ومجرياتها، وتوضح له براءة عثمان - رضي الله عنه - وجميع الصحابة من المشاركة في الأحداث والوقائع التي أدت إلى الفتنة، وتجلية موقف عثمان - رضي الله عنه - وبطولته وفدائيته الفذة في وقاية الأمة وصيانتها عن سفك الدماء، وتقديم روحه الطاهرة دون دماء الأمة وأرواحها، مع ما تقدم من أعماله الصالحة، في الجهاد، والبذل في سبيل الله، وحفظ كتاب الله من التبديل والتحريف يوم أن كتب المصاحف العثمانية، بمشورة الصحابة رضي الله عنهم.

فرحم الله الخليفة عثمان بن عفان ورضي الله عنه، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير ما جازى وليًا من أوليائه.

هذا وقد ألحقت بآخر الباب نصًا طويلاً من كتاب الشريعة للإمام الأجزري يفسر أسباب ظهور الفتنة وموقف الصحابة رضي الله عنهم من ترك قتال الثائرين على عثمان.

وملاحقًا آخر عن نتائج دراسة علمية (أكاديمية) متخصصة في موضوع الفتنة ومقتل عثمان رضي الله عنه، وقد سلك الباحث في دراسته تلك منهج المحدثين في نقد الروايات المتعلقة بموضوعه،

ووصل إلى نتائج جيدة ومطمئنة .

والباب الرابع : مخصص لخلافة الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقد ألحقت أيام ابنه الحسن رضي الله عنه حتى اصطلح مع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما أوائل عام (٤١هـ) والمسمى عام الجماعة الأول ، حيث فرحت الأمة بهذا الاجتماع وتحقق للحسن منقبة عظيمة في جمع الأمة والإصلاح بينها ، وهو ما أخبر عنه رسول الله ﷺ ومدح الحسن بن علي به ، وأيام الحسن متممة لمدة الخلافة الراشدة الواردة في الحديث : «خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك من يشاء»<sup>(١)</sup> .

وقد تولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة بمبايعة الأمة له ، بعد مقتل الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ، في ذي الحجة سنة (٣٥هـ) ، ظلماً وعدواناً من أهل الزيف والفساد ، وقد نشأ عن فعلهم هذا وترتب عليه عددٌ من المشكلات التي واجهت الخليفة الجديد ، حتى توقف جهاد الكفار ، وشُغِلت الأمة بنفسها سنوات ، ووقع القتال بينها ، وهي فتنة عظيمة ، وبليةً ابتليت بها الأمة ، ولكنها والله الحمد خرجت منها قوية متماسكة ، وعادت إلى سيرتها الأولى في الجهاد والدعوة ، والانسياح في أرض الله ؛ لهداية الخلق ، ودعوتهم إلى دين الحق .

لقد كان لتلك الفتنة آثاراً عميقة لا تزال أنواعٌ منها باقية إلى اليوم ، فخرج الفرق - الخوارج والشيعة والمرجئة والمعتزلة . . . إلخ - كان

(١) رواه أبو داود والترمذي ، وقد صححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم (٤٦٠) .

من توابع تلك الفتنة، فلم تعد الوحدة الفكرية شاملة لكل الأمة كما كانت قبل وقوع الفتنة، ثم بعد زمن انعكس هذا على الوحدة السياسية والجغرافية في الواقع، فظهرت في العصر العباسي الثاني الدويلات الطائفية ذات الاتجاهات الفكرية.

ولهذا فإن موضوعات هذا الباب تتسم بكثيرٍ من المشكلات التي تحتاج إلى بيانٍ ومعالجة، حيث كثرت الروايات المدسوسة والتي تشوه الواقع التاريخي للجيل الأول، مستغلةً مثل تلك الأحداث المؤسفة، والفتن التي يقودها الرعاع والسفهاء، ولا يحكمها أهل العلم العقلاء، ولا يتضح الموقف فيها إلا بعد انقضائها.

وقد ذكر الحافظ ابن كثير رواياتٍ عدّة يسندها إلى مصادرها، وقد ينقد بعضها، ويترك البعض الآخر اكتفاءً بالإسناد، أو متابعةً لما ذكره من قبله من أئمة التاريخ، أمثال ابن جرير الطبري، وابن الجوزي، وهما إمامان جليلان غير أنّ منهنجهما في التأليف يقوم على التقميش<sup>(١)</sup>.

ومع هذا فإن ابن كثير قد بذل جهداً مشكوراً في نقد الأخبار والروايات، والرجوع إلى مصادرٍ أوثق في المنهج من كتب المؤرخين، وهي كتب السنة من أمثال: الكتب الستة، ومسند الإمام أحمد، والسنن الكبرى للبيهقي، ودلائل النبوة له، ممّا جعل لكتابه شمولاً في المصادر، وميزةً في النقد على طريقة المحدثين.

وقد أخذتني إعداد هذا الباب وقتاً طويلاً، وجهداً كبيراً، حتى

(١) التقميش: هو الذي يقوم على جمع الأقوال والروايات من غير تمييز لصحتها من سقيمها.

خرج بهذه الصورة، التي أرجو أن تكون معينةً للدارسين والباحثين في تجلية واقع تلك الفترة من تاريخنا الإسلامي المجيد، وبيان المواقف الصحيحة لذلك الجيل الفريد في التاريخ من أصحاب رسول الله ﷺ، الذين اختارهم الله لصحبة نبيه، وحمل رسالته، ونشرها في الخافقين، وقد زبأهم أعظم مربٍّ في التاريخ، محمد بن عبد الله خاتم رسل الله ﷺ على قول الحق والعمل به، وعلى الصبر والثبات في المحن، وتعاقب الفتن، فأعادوا الأمة إلى وحدتها واستقامتها، وأبانوا بأقوالهم وأعمالهم منهج التعامل في مثل تلك المشكلات والفتن، التي تقع بين المسلمين، وكيف السبيل إلى حلها ومعالجة آثارها، مقتبسين ذلك من نور النبوة، ورحمة الإسلام وعدله حتى مع المخالفين والمعادين.

وهؤلاء الصحابة رضي الله عنهم لهم فضلٌ على الأمة، ولهم حقٌّ واجب الرعاية، واحترامهم والترضي عنهم هو من رعاية حق النبي ﷺ، الذي أثنى عليهم، ونهى عن سبهم، وأمر بحفظه في أصحابه رضي الله عنهم، فلا بد من العناية بتاريخهم، ورد عادية المعتدين عليهم، والواقعين فيهم، أو في بعضهم، وحمل ما ثبت وقوعه من بعضهم على أحسن المحامل، والاعتقاد بأنهم أفضل الناس بعد النبيين، والافتداء بهديهم، ونشر فضائلهم، والكف عما شجر بينهم، مع اعتقاد أنهم ليسوا معصومين من الخطأ، لكنهم أسرع الناس أوبة للحق وتذكراً لله، ورغبة فيما عنده، وبعداً عن زخارف الدنيا وشهواتها، كما أنَّ لهم من السوابق مع رسول الله ﷺ، والمشاهد العظيمة، وفضل الصحبة لخير الرسل ﷺ، ما يكون مكفراً لما قد يقع من أحدهم من خطأ محض، أمَّا الخطأ في الاجتهاد فأمرٌ معفوٌّ عنه لهم ولغيرهم، بل يثاب المجتهد على اجتهاده.

## الإمام الحافظ ابن كثير وكتابه «البداية والنهاية»

هو الإمام الحافظ الحجة المؤرخ الثقة، عماد الدين أبو الفداء: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، البصري، الدمشقي، الشافعي. ولد بقرية «مجدل» من أعمال بصرى سنة (٧٠٠هـ)، وتوفي والده وهو ابن ثلاث سنين، وكان والده خطيب القرية، وإسماعيل بن كثير هو أصغر ولد أبيه، وسُمِّيَ على اسم أخيه الأكبر إسماعيل الذي توفي وهو يطلب العلم بدمشق قبل ولادة مؤرخنا، وقد انتقل ابن كثير إلى دمشق سنة (٧٠٧هـ)، وبدأ طلب العلم على يدي شقيقه عبدالوهاب<sup>(١)</sup>، وقد حفظ القرآن، واعتنى بالحديث، والتفسير، والفقه، والتاريخ، وتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ)، ولازمه وأحبّه، وكانت له به خصوصية واتباع ودفاع عنه حتى أوذى وامتنح بسبب ذلك<sup>(٢)</sup>. وأفادته تلك الصحبة أعظم الفوائد، في علمه، وتقوية خلقه، وتربية شخصيته المستقلة الممتازة، ولذلك كان مستقل الرأي، يدور مع الدليل حيث دار، لا يتعصب لمذهبه ولا لغيره، وكتبه العظيمة شاهدة بذلك<sup>(٣)</sup> فهو داعية إلى السنة والعمل بها، ومحارب للبدعة والتعصب المذهبي.

ومن شيوخه الكبار غير ابن تيمية: علم الدين القاسم بن محمد

(١) «البداية والنهاية» (١٤٢/٣١).

(٢) «شذرات الذهب» (٦/٢٣٢).

(٣) أحمد شاكر، «مقدمة عمدة التفسير» (١/٢٨).

البرزالي (ت: ٧٣٩هـ)، وأبو الحجاج يوسف بن الزكي المزني (ت: ٧٤٢هـ)، وشمس الدين أحمد بن محمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ).

وقد أثنى عليه أهل العلم في عصره وبعده. فقال الذهبي: «الإمام الفقيه المحدث الأوحد البارِع، فقيه متفنن، ومحدث متقن، ومفسر نقال»<sup>(١)</sup>.

وقال تلميذه ابن حجي: «كان أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث، وأعرفهم بتخريجها ورجالها، وصحيحها وسقيمها، وكان يستحضر كثيراً من التفسير والتاريخ، قليل النسيان، جيد الفهم صحيح الدين»<sup>(٢)</sup>.

وقال العلامة العيني: «انتهى إليه علم التاريخ والحديث والتفسير»<sup>(٣)</sup>.  
وقال ابن حبيب: «واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهت إليه رئاسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير»<sup>(٤)</sup>.

ومن أشهر مؤلفاته تفسير القرآن العظيم، وجامع المسانيد والسنن، والتكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل، وقد جمع فيه بين كتابي تهذيب الكمال للمزي، وميزان الاعتدال للذهبي، مع زيادات في الجرح والتعديل، وكتاب «البداية والنهاية»، وهو موسوعة شاملة في التاريخ، وقد جعله في أقسام عدة:

القسم الأول: عن المخلوقات، «العرش والكرسي، والسموات والأرض وما فيهن وما بينهن من الملائكة والجان والشياطين» ثم عن

(١) «المعجم المختص» ص (٧٤).

(٢) النعيمي، «الدارس في أخبار المدارس» (١/٣٦-٣٧).

(٣) «النجوم الزاهرة» (١١/١٢٣).

(٤) «شذرات الذهب» (٦/٢٣١).

خلق آدم عليه السلام، ووصل ذلك بالحديث عن الأنبياء والرسل عليهم السلام إلى زمن عيسى بن مريم عليه السلام، وذكر من عاصروهم من الأمم، ومواقف من بعثوا إليه منهم، وبيان نهاية كل أمة من تلك الأمم. وبهذا ينتهي القسم الأول من الكتاب.

والقسم الثاني: كتاب أخبار الماضين من بني إسرائيل وغيرهم إلى آخر زمن الفترة سوى أيام العرب وجاهليتهم يبدأ من (١٠٢/٢) حسب النسخة المطبوعة بدار الفكر في بيروت سنة (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).

والقسم الثالث: كتاب أخبار العرب، يبدأ من (١٥٦/٢) وينتهي بزواج عبدالله بن عبدالمطلب من آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ. والقسم الرابع: كتاب سيرة رسول الله ﷺ، يبدأ (٢٥٢/٢) وقد فصل في موضوعات السيرة النبوية، وأطال النفس فيها، وجعلها في أقسام هي:

١- المبتدأ من ولادة رسول الله ﷺ حتى مبعثه.

٢- المبعث حتى الهجرة.

٣- الغزوات والسرايا والوفود وحجة الوداع حتى مرضه ووفاته، واتبع الترتيب الحولي اعتبارًا من السنة الأولى من الهجرة، ثم ترجمة موجزة للنبي ﷺ وبيان زوجاته، وكتابه، وحرصه، وملابسه... إلخ، ثم ختم الحديث عن سيرة النبي ﷺ بموضوعات من متعلقات السيرة النبوية هي: «كتاب الشمائل» (١١/٦)، ثم كتاب «دلائل النبوة» (٦/٦٥)، ثم تحدث عن الفضائل والخصائص (٦/٢٥٧).

والقسم الخامس: كتاب تاريخ الإسلام الأول من الحوادث الواقعة في الزمان، ووفيات المشاهير والأعيان.



وقد رتبته على السنين، وابتدأ بالسنة الحادية عشرة من الهجرة (٣٠١/٦)، وطريقته في هذا القسم أنه يورد الحوادث والوقائع في كل سنة، ثم يختم ذلك بذكر وفيات المشاهير والأعيان في تلك السنة، ويترجم لأكثرهم، وبعضهم يذكر وفاته فقط، وقد سار على هذا المنهج إلى آخر الكتاب ووقف عند سنة (٧٦٨هـ) أي قبل وفاته بست سنوات.

والقسم السادس: كتاب الفتن والملاحم الواقعة في آخر الزمان، وأشراط الساعة، والبعث والنشور، وصفة النار والجنة.

ولم يطبع هذا القسم مع الكتاب، وإنما طبع مستقلاً باسم: النهاية في الفتن والملاحم، مع أنه قد نص عليه في مقدمة الكتاب<sup>(١)</sup>، وأعاد ذكره بعد نهاية حديثه عن السيرة النبوية<sup>(٢)</sup>، وإليه الإشارة في اسم الكتاب «... والنهاية».

#### منهجه ومصادره:

لقد اعتمد الحافظ ابن كثير في كتابه: ما ورد في الكتاب والسنة والآثار والأخبار المقبولة عند العلماء ورثة الأنبياء الآخذين من مشكاة النبوة المصطفوية المحمدية<sup>(٣)</sup>.

قال: «ولسنا نذكر من الإسرائيليات، إلا ما أذن الشرع في نقله، مما لا يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهو القسم الذي لا يصدق ولا يكذب، مما فيه بسط لمختصر عندنا، أو تسمية لمبهم ورد به شرعنا

(١) «البداية والنهاية» (٦/١). لكن في طبعة دار هجر بالقاهرة تحقيق د. عبدالله التركي طبع هذا القسم مع الكتاب.

(٢) المصدر السابق (٦/٣٠٠).

(٣) المصدر السابق (٦/١).

مما لا فائدة في تعيينه لنا، فنذكره على سبيل التحلي به لا على سبيل الاحتياج إليه، والاعتماد عليه، وإنما الاعتماد والاستناد على كتاب الله وسنة رسوله، وما صح نقله أو حسن، وما كان فيه ضعف نبينه<sup>(١)</sup>. هذا منهجه في السيرة النبوية وما قبلها من أخبار الأنبياء، وكذلك في القسم الأخير «الفتن والملاحم» وهو الاعتماد على القرآن الكريم وما ورد في تفسيره مرفوعاً أو موقوفاً، وما وردت به السنة الصحيحة والحسنة، ويذكر ما فيه ضعف، ولكنه ينبه عليه غالباً، ويتميز منهجه بأنه يسوق الأحاديث والآثار بأسانيدھا، ليتضح للقاريء والباحث أمرھا، ويقرب عليه نقدها، ولا يذكر من الإسرائيليات إلا النوع المأذون في روايته، وما عداه فلا يذكره إلا على سبيل الإنكار له.

وقد انتقد رحمه الله من يستوعب نقل الإسرائيليات من علماء الأمة فقال: «ولسنا نحذو حذوهم، ولا ننحو نحوهم، ولا نذكر منها إلا القليل على سبيل الاختصار، ونبين ما فيه من حق، مما وافق ما عندنا، وما خالفه فوقع فيه الإنكار»<sup>(٢)</sup>.

فمصادره في القسم الأول هي:

- القرآن الكريم، وكتب التفسير بالمأثور، وأسباب النزول.
- السنة المروية عن النبي ﷺ في الصحاح والسنن والمسانيد، والجوامع.
- الآثار المروية عن الصحابة والتابعين.

(١) المصدر السابق (٦/١).

(٢) المصدر السابق (٦/١).

- الكتب السابقة مثل: التوراة والإنجيل، لكنه ينتقي من تلك الكتب - كما ذكر غير مرة - ما أُذِنَ لنا في روايته على لسان رسول الله ﷺ: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(١)</sup>.

ومن مصادره في قسم السيرة النبوية: كتب المغازي والدلائل، خاصة مغازي ابن إسحاق، وموسى بن عقبة، ودلائل النبوة لأبي نعيم، ودلائل النبوة للبيهقي.

ونظرًا لسعة اطلاعه، وكثرة محفوظة من السنة النبوية فإنه قد استوعب أكثر ما في الصحاح والسنن والمسانيد والمصنفات، وكتب التفسير بالمأثور مما له علاقة بموضوعات السيرة النبوية.

أما مصادره في تاريخ الحوادث والوفيات فهي كتب التواريخ السابقة له، وخاصة كتاب تاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)، والمنتظم لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، وكتاب الكامل لابن الأثير (٦٣٠هـ). واعتمد في العصرين الأيوبي والمملوكي على المؤرخين المعاصرين لهما مثل: كتاب مرآة الزمان في تاريخ الأعيان لسبط الجوزي (ت: ٦٥٤هـ)، وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية لأبي شامة عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت: ٦٦٥هـ)، وكتاب الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير لابن أنجب المعروف بابن الساعي (ت: ٦٧٤هـ)، وكتاب وفيات

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء (٤٩٦/٦ مع فتح الباري).

الأعيان وأنباء أبناء الزمان للقاضي ابن خلكان (ت: ٦٨١هـ)، وكتاب قطب الدين اليونيني (ت: ٧٣٦هـ) الذي ذيل به على مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي، وكتاب المقتفى في التاريخ وهو ذيل على تاريخ أبي شامة لعلم الدين القاسم البرزالي (ت: ٧٣٩هـ)<sup>(١)</sup>.

كما أنه استفاد من كتاب تاريخ الإسلام لشيخه الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) خاصة في الوفيات والتراجم، واستفاد في تاريخ الفترة التي عاشها من مشاهداته، ومن مشايخه، ومن الوثائق التي اطلع عليها، وقد كانت له عناية خاصة بأخبار شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية ومناظراته وجهاده ومواقفه.

وثقافة ابن كثير الواسعة في العلوم الشرعية، واستقامة عقيدته وفكره ووجهته السنية، واضحة المعالم من خلال كتابه. وهو نقاده لا مجرد نقال، يتخير النصوص والمواد التاريخية بعناية، ويلخص ويرتب، وينقد الأسانيد والمتون، ويعترض على الأقوال الخاطئة، ويذكر رأيه بكل وضوح، وقد ينساق أحياناً وراء من سبقه من المؤلفين فيذكر ما قالوا مع عدم قناعته بكثير منه<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: مسعود الرحمن الندوي، «ابن كثير كمؤرخ» ص (١١٦-١٢١) و (١٣٦-١٣٩).

(٢) «البداية والنهاية» (٢٠٢/٨).

الباب الأول  
خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه  
(١١-١٣هـ)

## الفصل الأول

### ترجمته<sup>(١)</sup>

نسبه:

أبوبكر الصديق اسمه: عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر<sup>(٢)</sup> القرشي التيمي، يلتقي نسبه مع النبي ﷺ في مرة بن كعب بن لؤي. وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم<sup>(٣)</sup> فهو تيمي الأب والأم.

يكنى والده بأبي قحافة، وكان الصديق يسمى في الجاهلية عتيقاً. وذكر الطبري<sup>(٤)</sup> من طريق ابن لهيعة أن أولاد أبي قحافة ثلاثة هم: عتيق، «أبوبكر»، ومُعْتَق، وعُتَيْق «مصغراً».

صفته:

كان رجلاً نحيفاً، خفيف اللحم أبيض<sup>(٥)</sup>، وقالت عائشة في وصفه: رجل أبيض، نحيف، خفيف العارضين، أجناً «لا يستمسك

(١) لم يترجم ابن كثير للصديق وإنما أحال في كتاب البداية والنهاية (١٨/٧) على كتاب ألفه في ترجمته وسيرته وأيامه ما روى من الحديث وما روي عنه من الأحكام، ولم أقف على ذلك الكتاب، فجمعت موجزًا في ترجمته من «طبقات ابن سعد»، و«تاريخ الطبري»، و«صحيح البخاري»، وهي من مصادر ابن كثير.

(٢) «طبقات ابن سعد» (٣/١٦٩)، و«تاريخ الطبري» (٣/٤٢٥).

(٣) المصدران السابقان.

(٤) «تاريخ الطبري» (٣/٤٥).

(٥) طبقات ابن سعد (٣/١٨٨).

إزاره يسترخي عن حقويه»، معروق الوجه، غائر العينين، ناتيء الجبهة، عاري الأشاجع، وكان يخضب لحيته بالحناء والكتم<sup>(١)</sup>. هذه صفة خلقه، أما خلقه رضي الله عنه فقد كان كريماً، شجاعاً، ثابتاً، ذا رأي سديد في المواقف العظام، سمحاً، صبوراً، قوي العزيمة، فقيهاً، عالماً بالأنساب والأخبار، شديد التوكل على الله والثقة بوعده، ورعاً متباعدًا عن الشبهات، زاهدًا في الدنيا راغبًا فيما عند الله، إلفاً مؤلفاً رضي الله عنه وأرضاه. وسيأتي في فضائله ما يدل على هذه الأخلاق الكريمة.

إسلامه:

كان أبو بكر الصديق أول الرجال إسلامًا، وسبقته خديجة، وكان علي رضي الله عنه أول الصبيان إسلامًا، وكذا زيد بن حارثة أول الموالي إسلامًا، وكان إسلام أبي بكر أعظم منفعة للإسلام والمسلمين من إسلام غيره، لمكانته وجدّه في الدعوة<sup>(٢)</sup> حيث أسلم بإسلامه عدد كثير من المشاهير مثل: عبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيدالله.

وقد كان يوم أسلم عنده أربعون ألف درهم أنفقها في سبيل الله<sup>(٣)</sup>. وأعتق عددًا من العبيد المستضعفين الذين كانوا يعذبون في سبيل الله مثل بلال رضي الله عنه، وقد لازم رسول الله ﷺ في مكة، وكان صاحبه في الغار، وفي الهجرة، ثم في المدينة، وحضر مشاهدته كلها بدرًا وأحدًا والخندق والفتح وحنين وتبوك.

(١) المصدر السابق (١/١٨٨)، وقريبًا منه ما في الطبري (٣/٥٢٤).

(٢) راجع: «البداية والنهاية» (٣/٢٦-٣٢).

(٣) «طبقات ابن سعد» (٣/١٧٢).

### زوجاته وأولاده<sup>(١)</sup>؛

- \* تزوج أبوبكر في الجاهلية قُتَيْلَةَ بنت عبدالعزى بن عبد بن أسعد؛ فولدت له: عبدالله، وأسماء.
  - \* وتزوج أم رُومَانَ بنت عامر بن عويمر بن ذُهَل بن دهمان، من كنانة؛ فولدت له: عبدالرحمن، وعائشة.
  - \* وتزوج أسماء بنت عُمَيْس بن مَعَد بن تيم الخثعمية، وكانت قبله عند جعفر بن أبي طالب؛ فولدت من أبي بكر: محمد بن أبي بكر، وكان ذلك في حجة الوداع في ميقات ذي الحليفة.
  - \* وتزوج حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير، من بني الحارث بن الخرج.
- وكان أبوبكر قد نزل على خارجة لما قدم المدينة مهاجرًا فتزوج ابنته، ولم يزل فيهم بالسُّنْح<sup>(٢)</sup> حتى توفي رسول الله ﷺ وولي الخلافة؛ فولدت له: أمّ كلثوم بعد وفاته رضي الله عنه.

(١) انظر: «طبقات ابن سعد» (٣/١٦٩، ١٧٤)، و«تاريخ الطبري» (٣/٤٢٦).

(٢) اسم موضع بعوالي المدينة، وهي منازل بني الحارث بن الخزرج «معجم البلدان» (٣/٢٦٥).



## بعض فضائله ومناقبه

فضائل الصديق رضي الله عنه كثيرة وقد روت كتب السنة، وكتب التراجم والتواريخ، الجم الغفير منها، ولكن سأقتصر هنا على ما ذكره الإمام الحافظ أبو عبد الله البخاري في صحيحه من مناقب الصديق في كتاب فضائل الصحابة<sup>(١)</sup>.

صاحب رسول الله في الغار، وفي الهجرة:

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا نَصْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا...﴾ الآية [التوبة: ٤٠].

قالت عائشة، وأبوسعيد، وابن عباس رضي الله عنهم، كان أبو بكر مع النبي ﷺ في الغار.

١- عن البراء بن عازب قال: «اشترى أبو بكر رضي الله عنه من عازب رحلاً بثلاثة عشر درهماً، فقال أبو بكر لعازب: مر البراء فليحمل إلي رحلي، فقال عازب: لا، حتى تحدثنا كيف صنعت أنت ورسول الله ﷺ حين خرجتما من مكة والمشركون يطلبونكم.

قال: ارتحلنا من مكة فأحيينا - أو سرينا - ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة، فرميت ببصري هل أرى من ظل فأوي إليه، فإذا صخرة أتيتها، فنظرت بقية ظل لها فسويته، ثم فرشت للنبي ﷺ فيه، ثم قلت له: اضطجع يا نبي الله، فاضطجع النبي ﷺ ثم انطلقت

(١) انظر: صحيح البخاري (٤/١٨٩-١٩٧)، طبعة استانبول، سنة (١٩٧٩م).

أنظر ما حولي: هل أرى من الطلب أحدًا؟ فإذا أنا براعي غنم يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها الذي أردناه، فسألته فقلت له: لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من قريش سماه فعرفته، فقلت له: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم. قلت: فهل أنت حالب لنا؟ قال: نعم. فأمرته فاعتقل شاة من غنمه، ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته أن ينفض كفيه فقال هكذا، ضرب إحدى كفيه بالأخرى فحلب لي كُثبة من لبن، وقد جعلت لرسول الله ﷺ إداوة على فمها خرقة، فصببت على اللبن حتى برد أسفله، فانطلقت به إلى النبي ﷺ، فوافقته قد استيقظ، فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرب حتى رضيت، ثم قلت: قد آن الرحيل يا رسول الله ﷺ، قال: بلى، فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا أحد منهم غير سراقه بن مالك بن جعشم على فرس له، فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله، فقال: لا تحزن، إن الله معنا.

٢- عن أنس عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما!! .  
أبو بكر أعلم الصحابة:

٣- عن أبي سعيد الخدري قال: خطب رسول الله ﷺ في الناس وقال: «إن الله خير عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختر ذلك العبد ما عند الله، قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله عن عبدٍ خيراً، فكان رسول الله ﷺ هو المُخَيَّر وكان أبو بكر أعلمنا. فقال رسول الله ﷺ: إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، لو كنت متخذًا خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته.»

وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ مات وأبوبكر بالسنح - قال إسماعيل: يعني بالعالية - فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ، قالت وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذلك، وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبوبكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله فقال: بأبي أنت وأمي، طبت حيًا وميتًا، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتين أبدًا. ثم خرج فقال: أيها الحالف، على رسلك. فلما تكلم أبوبكر جلس عمر. فحمد الله أبوبكر وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر]، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران]، قال: فنشج الناس ليكون، قال: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبوبكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم، فأسكته أبوبكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت إلا أني قد هيأت كلامًا أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبوبكر. ثم تكلم أبوبكر فتكلم أبلغ الناس، فقا في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء. فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير. فقال أبوبكر: لا، ولكننا الأمراء وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب دارًا وأعربهم أحسابًا، فبأيعوا عمر أو أبا عبيدة، فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس.

٤- عن عائشة رضي الله عنها قالت: «شخص بصر النبي ﷺ ثم قال: في الرفيق الأعلى «ثلاثاً» وقص الحديث. قالت: فما كان من خطبتهما خطبة إلا نفع الله بها، لقد خوف عمرُ الناس وإن فيهم لنفاقاً فردهم الله بذلك، ثم لقد بَصَرَ أبوبكر الناس الهدى، وعرفهم الحق الذي عليهم، وخرجوا به يتلون ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ إلى: ﴿ الشَّاكِرِينَ ﴾».

أبوبكر أفضل الصحابة:

٥- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نُحَيِّرُ بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم.

٦- وعن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خيرٌ بعد رسول الله ﷺ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر. وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين.

منزلته عند رسول الله:

٧- وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر، ولكن أخي وصاحبي».

٨- وعن عبد الله بن أبي مليكة قال: كتب أهل الكوفة إلى ابن الزبير في الجد<sup>(١)</sup> فقال: أما الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «لو كنت متخذاً من هذه الأمة خليلاً لاتخذته» أنزله أبا. يعني أبا بكر.

٩- عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «سدوا الأبواب إلا باب أبي

بكر».

(١) يعني ميراثه.

١٠- عن محمد بن جبير بن معطم عن أبيه قال: أتت امرأة النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك - كأنها تقول: الموت - قال ﷺ: «إن لم تجديني فأتي أبابكر».

١١- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «كنت جالسًا عند النبي ﷺ، إذ أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه حتى أبدى ركبته، فقال النبي ﷺ: «أما صاحبكم فقد غامر، فسَلَّم وقال: يا رسول الله، إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى عليّ، فأقبلت إليك. فقال: يغفر الله لك يا أبابكر؟ «ثلاثًا»، ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى النبي ﷺ، فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم «مرتين»، فقال النبي ﷺ: إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟ «مرتين». فما أودى بعدها». قدم إسلامه وملازمته رسول الله:

١٢- عن وبرة بن عبد الرحمن عن همام قال سمعت عمارًا يقول: «رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر». أحب الناس إلى رسول الله:

١٣- عن أبي عثمان قال: حدثني عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة. فقلت من الرجال؟ قال: أبوها، قلت: ثم من؟ قال: عمر بن الخطاب، فعد رجالاً.

قوة إيمان أبي بكر وصدقه:

١٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي، فالتفت إليه الذئب فقال: من لها يوم السبع، يوم ليس لها راع غيري؟ وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها، فالتفت إليه فكلمته فقالت: إني لم أخلق لهذا، ولكني خلقت للحرث. فقال الناس: سبحان الله، قال النبي ﷺ: «فإني أو من بذلك وأبوبكر وعمر بن الخطاب. رضي الله عنهما».

١٥- عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة. فقال أبوبكر: إن أحد شقي ثوبي يسترخي، إلا أن أتعاهد ذلك منه. فقال رسول الله ﷺ: إنك لست تصنع ذلك خيلاء».

همة الصديق العالية:

١٦- عن أبي هريرة قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعى من أبواب - يعني الجنة - يا عبد الله هذا خير. فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام وباب الريان. فقال أبوبكر: ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة. وقال: هل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر».

بركة الصديق وآل بيته:

١٧- عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء - أو بذات الجيش - انقطع عِقدُ لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وقام الناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فأتى الناس أبابكر فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ وبالناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء فجاء أبوبكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء. قالت: فعاتبني وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فنام رسول الله حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ [النساء: ٤٣]، فقال أسيد بن الحضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر فقالت عائشة: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته».

تبشيره بالجنة:

١٨- عن سعيد بن المسيب قال: أخبرني أبو موسى الأشعري أنه توضأ في بيته ثم خرج فقلت: لألزم من رسول الله ﷺ ولأكونن معه يومي هذا، قال: فجاء المسجد فسأل عن النبي ﷺ فقالوا: خرج ووجهه هنا، فخرجت على أثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس وتوسط قفها وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر، فسلمت عليه ثم انصرفت فجلست عند الباب فقلت: لأكونن بواب رسول الله ﷺ، فجاء أبوبكر فدفع الباب، فقلت من هذا؟ فقال: أبوبكر، فقلت: على رسلك، ثم ذهبت

فقلت: يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن، فقال: ائذن له وبشره بالجنة، فأقبلت حتى قلت لأبي بكر: ادخل ورسول الله يبشرك بالجنة. فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القُفِّ ودلَّى رجله في البئر كما صنع النبي ﷺ وكشف عن ساقيه... الحديث.

١٩- عن قتادة أن أنس بن مالك رضي الله عنهم: «أن النبي ﷺ صعد أحدًا وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال: اثبت أحد، فإن عليك نبي وصديق وشهيدان». مدافعتة عن رسول الله:

٢٠- عن عروة بن الزبير قال: سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ قال: رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه فخنقه بها خنقًا شديدًا، فجاء أبو بكر حتى دفعه فقال: ﴿أَنْقَتُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّكَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]. أعماله رضي الله عنه:

كان الصديق رضي الله عنه أول الرجال إسلامًا، ثم لازم رسول الله ﷺ طيلة حياته في مكة والمدنة فهو صاحبه ومستشاره ووزيره، وقد أسلم على يد الصديق عدد من كبار الصحابة أمثال: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيدالله<sup>(١)</sup>.

ووقف إلى جانب رسول الله في كل موقف، ودافع عنه بنفسه

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (١/٣١٧).



وأعتق عددًا من العبيد الذين كانوا يعذبون على إسلامهم، مثل: بلال، وعامر بن فهيرة، وأمّ عُبَيْس، وزَيْنِيرة، والنهدية، وابنتها، وجارية بني مؤمّل<sup>(١)</sup>.

وصحب رسول الله في الهجرة، وحضر كافة المشاهد معه: بدر، وأحد، والخندق، والحديبية، والفتح، وحنين، وتبوك وغيرها من المشاهد العظام.

وبعد توليه الخلافة تحمّل كامل مسؤوليات الدولة الإسلامية والخلافة بعد رسول الله ﷺ فكان أبرز أعماله:

- ١- الأمر بتجهيز رسول الله ﷺ ودفنه.
- ٢- تنفيذ جيش أسامة الذي جهزه رسول الله ﷺ قبل وفاته كما سيأتي تفصيله.
- ٣- جمع الصحابة على رأي واحد في مواجهة الردة، والاستعداد لذلك بكل الوسائل، ثم إرسال الجيوش لقتال المرتدين في عقر دارهم.
- ٤- جمع القرآن الكريم:

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: وفي سنة (١٢هـ) أمر الصديق زيد بن ثابت، أن يجمع القرآن من اللّخاف، والعُسب، وصدور الرجال، وذلك بعدما استحر القتل في القراء يوم اليمامة، كما ثبت به الحديث في صحيح البخاري. قال البخاري: باب جمع القرآن ثم ساق إسناده إلى ابن

(١) المصدر نفسه (١/٣٩٣).

(٢) البداية والنهاية (٦/٣٥٣).

شهاب عن عبيد بن السَّبَّاق، أن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أرسل إليَّ أبو بكر الصديق رضي الله عنه مقتل أهل اليمامة، فإذا عمرُ بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى إن استحرَّ القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمرَ بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف نعمل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خيرٌ. فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك رأي عمر.

قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن.

قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خيرٌ، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

فتتبع القرآن أجمعه من العُسْب، واللخاف، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ حتى خاتمة براءة. فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها<sup>(١)</sup>.

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، حديث ٤٩٨٦.

ثم قال البخاري: قال ابن شهاب، واخبرني خارجة بن زيد بن ثابت، سمع زيد بن ثابت قال: فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (آية ٢٣) فألحقناها في سورتها في المصحف<sup>(١)</sup>.

٥- بعث الجيوش لنشر دين الله إلى من يليهم من أهل فارس والشام تنفيذاً لقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَتَنِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة] كما سيأتي تفصيله في الفصل الرابع.  
قَضَاتِهِ وَكُتَابِهِ وَعُقَالِهِ عَلَى الصَّدَقَاتِ:

لما استخلف الصديق رضي الله عنه وكان رجلاً يكسب من تجارته ذهب إلى السوق كما كان يفعل قبل الخلافة، فلقيه عمر بن الخطاب وأبوعبيدة فقالا له: إن هذا أمر لا يصلح وقد تحملت ما تحملت، فقال الصديق: فمن أين أطعم عيالي؟ قالوا له: انطلق حتى نفرض لك شيئاً، فانطلق معهما ففرضوا له كل يوم شطر شاة وما كسوه في الرأس والبطن، وقال عمر: إليّ القضاء. وقال أبوعبيدة: وإليّ الفيء. قال عمر: فلقد كان يأتي عليّ الشهر ما يختصم إليّ فيه اثنان<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر نفسه ح رقم ٤٩٨٨. قال ابن حجر في الفتح ١٢/٩، وأبوخزيمة الأنصاري المذكور في الحديث الأول هو غير خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين.

(٢) ابن سعد، «الطبقات الكبرى» (٣/١٨٤) بإسناد رجاله ثقات إلا أنه مرسل. وذكر روايات أخرى تشهد له. وقول عمر: إليّ القضاء، وأبوعبيدة: إليّ الفيء، له شاهد، أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (١/٨٧). وقال الحافظ في «الفتح» =

وكان يكتب له زيد بن ثابت، وعثمان بن عفان، ويكتب له من حضر.

وكان عامله على مكة: عتاب بن أسيد، وعلى الطائف: عثمان بن أبي العاص، وعلى صنعاء: المهاجر بن أبي أمية، وعلى حضرموت: زياد بن لييد، وعلى خولان: يعلى بن أمية، وعلى زبيد ورمع<sup>(١)</sup>: أبو موسى الأشعري، وعلى الجند<sup>(٢)</sup>: معاذ بن جبل، وعلى البحرين: العلاء بن الحضرمي، وبعث جرير بن عبدالله البجلي إلى نجران، وبعث عبدالله بن ثور أحد بني الغوث إلى ناحية جرش<sup>(٣)</sup>، وبعث عياض بن غنم الفهري إلى دومة الجندل، وكان بالشام أبو عبيدة، وشرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص كل رجل منهم على جند، وعليهم خالد بن الوليد<sup>(٤)</sup>.

ولم يتخذ بيت مال مستقل وإنما كان حجرة في منزله بالسنع، ولما قال له الصحابة، ألا تتخذ حارساً؟ قال: لا يُخَافُ عليه إن عليه قفلاً. ثم لما انتقل إلى داره التي بجوار المسجد النبوي نقل بيت المال معه،

= (١٢٩/١٣) سنده قوي. ومعنى ماكسوه أي فاوضوه.

(١) رمع: بكسر أوله وفتح ثانيه اسم، واد في اليمن بجوار وادي زبيد، وفي أسفل رمع موضع الماء الذي كان يسمى غسان. «معجم البلدان» (٦٨/٣).

(٢) الجند: بالتحريك، هو أحد مخاليف اليمن وكان مقر الوالي به. «معجم البلدان» (١٦٩/٢).

(٣) جرش: بضم أوله وفتح ثانيه، من مخاليف اليمن من جهة مكة وكانت مدينة عظيمة وولاية واسعة. «معجم البلدان» (١٢٦/٢).

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» (٤٢٦/٣) وما بعدها.

ولما توفي جاء عمر بالأمناء ففتحوا بيت المال فلم يجدوا فيه شيئاً<sup>(١)</sup>.  
وفاته وعمره:

قال الحافظ ابن كثير<sup>(٢)</sup>: «كانت وفاة الصديق رضي الله عنه في يوم الإثنين عشية، وقيل: بعد المغرب «ليلة الثلاثاء»، ودفن من ليلته وذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، بعد أن مرض خمسة عشر يوماً، وكان عمر بن الخطاب يصلي عنه فيها بالمسلمين، وفي أثناء هذا المرض عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب، وكان الذي كتب العهد عثمان بن عفان، وقرىء على المسلمين فأقروا به وسمعوا له وأطاعوا<sup>(٣)</sup>».

فكانت خلافة الصديق سنتين وثلاثة أشهر<sup>(٤)</sup>، وكان عمره يوم توفي ثلاثاً وستين سنة<sup>(٥)</sup>، للسن الذي توفي فيه رسول الله ﷺ، وقد جمع الله بينهما في الثربة، كما جمع بينهما في الحياة فرضي الله عنه وأرضاه». اهـ.

وقد أوصى رضي الله عنه بخميس ماله وقال: آخذ من مالي ما أخذه الله من فيء المسلمين<sup>(٦)</sup>.

(١) «طبقات ابن سعد» (٣/٢٠٣).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/١٨).

(٣) «طبقات ابن سعد» (٣/٣٠٢)، و«تاريخ الطبري» (٣/٤٢٠).

(٤) انظر: «طبقات ابن سعد» (٣/٢٠٢)، و«تاريخ الطبري» (٣/٣٢٠)، وقد زاد في مدة خلافته عشر ليال، وكان ابن كثير حذف الليالي. وقد ذكر ابن سعد أقوالاً أخرى.

(٥) قال ابن سعد: وهو مجمع عليه (٣/٢٠٢).

(٦) «طبقات ابن سعد» (٣/١٩٤).

ولما اشتد به المرض قيل له: ألا ندعو لك الطبيب؟ فقال: قد رأيته فقال: إني فعّال لما أريد<sup>(١)</sup>.

وكان سبب مرضه ووفاته، أنه أكل هو والحارث - الطبيب المشهور - من خزيرة<sup>(٢)</sup> أهديت لأبي بكر فقال الحارث لأبي بكر: ارفع يدك يا خليفة رسول الله، والله إن فيها لسم سنة فرقع يده. ولم يزالا عليّين حتى ماتا بعد سنة<sup>(٣)</sup>.

وقيل: اغتسل في يوم بارد فأصابته حمى مات منها.

وكان في مرضه يتمثل بهذا البيت:

لا تزال تنعي حبيبًا حتى تكونه وقد يرجو الفتى الرجا يموت دونه<sup>(٤)</sup>  
وفي نزع الموت قالت ابنته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها  
متمثلة بهذا البيت:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر  
فنظر إليها كالغضبان وقال: ليس كذلك يا أم المؤمنين، ولكن:  
﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾<sup>(٥)</sup> (سورة ق).

وقال في وصيته لعائشة: إني لا أعلم عند أبي بكر من هذا المال شيئًا غير هذه اللقحة، وغير هذا الغلام الصيقل، كان يعمل سيوف

(١) المصدر السابق (٣/١٩٨).

(٢) هي اللحم الغائب، الذي مضى عليه يوم، يخلط مع الدقيق بعد أن يمتاط طبخًا.  
«اللسان» (٤/٢٣٧).

(٣) «الطبقات الكبرى» (٣/١٩٨).

(٤) المصدر نفسه (٣/١٩٨).

(٥) المصدر نفسه (٣/١٩٦).

المسلمين ويخدمنا، فإذا مت فادفعيه إلى عمر فلما دفعته إلى عمر قال: رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده<sup>(١)</sup>.

ودخل عليه سلمان الفارسي فقال: «يا خليفة رسول الله: اعهد إلي فإني لا أراك تعهد إلي بعد يومي هذا، قال: أجل. يا سلمان: إنها ستكون فتوح فلا أعرفن ما كان من حظك منها ما جعلت في بطنك أو ألقيت على ظهرك، واعلم أنه من صلى الصلوات الخمس فإنه يصبح في ذمة الله ويمسي في ذمة الله، فلا تقتلن أحداً من أهل ذمة الله فيطلبك الله بذمته، فيكبك الله على وجهك في النار»<sup>(٢)</sup>.

وذكر ابن سعد بإسناده عن القاسم بن محمد قال: كُفّن أبو بكر في ريطتين، ريطرة بيضاء، وريطة ممصرة، وقال: الحي أحوج إلى الكسوة من الميت، إنما هو لما يخرج من أنفه وفيه<sup>(٣)</sup>.

ودفن رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ في الحجرة، وصلى عليه عمر بن الخطاب، وكان قد أمره النبي ﷺ على الحج سنة تسع من الهجرة وكانت أول حجة في الإسلام، ثم حج رسول الله ﷺ سنة عشر حجة الوداع، ولما استُخلف أبو بكر استعمل عمر على الحج سنة أحد عشر ثم حج من قابل<sup>(٤)</sup>.

(١) المصدر نفسه (١٩٢/٣) بإسناد صحيح.

(٢) المصدر نفسه (١٩٣/٣) بإسناد لا بأس به.

(٣) المصدر نفسه (٢٠٤/٣) بإسناد صحيح. وذكر روايات أخرى حول ذلك.

(٤) المصدر نفسه (١٧٧/٣).

## الفصل الثاني استخلافه رضي الله عنه



## خطبة رسول الله ﷺ قبل وفاته بخمسة أيام<sup>(١)</sup>

خطب عليه الصلاة والسلام في يوم الخميس قبل أن يُقبض - عليه السلام - بخمسة أيام خطبة عظيمة بين فيها فضل الصديق من سائر الصحابة مع ما كان قد نص عليه أن يؤم الصحابة أجمعين مع حضورهم كلهم، ولعل خطبته هذه كانت عوضاً عما أراد أن يكتبه في الكتاب، وقد اغتسل عليه السلام بين يدي هذه الخطبة الكريمة ثم خرج فصلى بالناس ثم خطبهم.

فكان أول ما ذكر بعد حمد الله والثناء عليه ذكر أصحاب أحد فاستغفر لهم ودعا لهم. ثم قال: «يا معشر المهاجرين إنكم أصبحتم تزيدون، والأنصار على هيئتها لا تزيد وإنهم عييتي التي أويت إليها، فأكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئهم». ثم قال عليه السلام: «أيها الناس إن عبداً من عباد الله قد خيره الله بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله، ففهمها أبو بكر رضي الله عنه من بين الناس فبكى. وقال: بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا وأموالنا. فقال رسول الله ﷺ: على رسلك يا أبا بكر؟ انظروا إلى هذه الأبواب الشارعة في المسجد فسدوها إلا ما كان من بيت أبي بكر فإنني لا أعلم أحداً عندي أفضل في الصحبة منه»<sup>(٢)</sup>.

(١) «البداية والنهاية» (٥/٢٢٨-٢٣٠) طبعة دار الفكر.

(٢) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٧/١٧٧) من حديث يونس بن بكير عن أبي إسحاق عن أيوب بن بشير. وقال عقبه: وهذا وإن كان مرسلًا ففيه ما في حديث ابن عباس من تاريخ هذه الخطبة وأنها كانت بعدما اغتسل، ليعهد إلى الناس، =

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو عامر ثنا فليح عن سالم أبي النضر عن بسر بن سعيد عن أبي سعيد قال: خطب رسول الله الناس فقال: «إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله قال: فبكى أبوبكر، قال: فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله عن عبد، فكان رسول الله هو المخير وكان أبوبكر أعلمنا به.

فقال رسول الله: «إن من أمن الناس عليّ في صحبته وماله أبوبكر، لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبابكر خليلاً، ولكن خُلة الإسلام ومودته، لا يبقى في المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر»<sup>(١)</sup>، وهكذا رواه البخاري من حديث أبي عامر العقدي به<sup>(٢)</sup>.

وقد رواه البخاري أيضاً من حديث عبدالرحمن بن سليمان بن حنظلة بن الغسيل عن عكرمة عن ابن عباس: أن رسول الله خرج في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه بعصابة دسماً ملتحقاً بملحفة على منكبيه فجلس على المنبر فذكر الخطبة، وذكر فيها الوصاة بالأنصار إلى أن قال: فكان آخر مجلس جلس فيه رسول الله ﷺ حتى قبض - يعني آخر خطبة خطبها عليه السلام -<sup>(٣)</sup>.

وينعى نفسه إليهم. وقال ابن كثير (٢٢٩/٥): «هذا مرسل وله شواهد كثيرة».

(١) «مسند أحمد» (١٨/٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الفضائل، باب: سد الأبواب... (١٢/٧ من فتح الباري).

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة (٦/٦٢٨ من فتح الباري).

ذكر أمره عليه السلام أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يصلي بالصحابة أجمعين مع حضورهم كلهم وخروجه عليه السلام فصلى وراءه مقتدياً به في بعض الصلوات<sup>(١)</sup>؛

قال الإمام أحمد: ثنا يعقوب ثنا أبي عن ابن إسحاق قال: وقال ابن شهاب الزهري: حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أبيه عن عبدالله بن زَمْعَةَ بن الأسود بن المطلب بن أسد قال: لما استُعِزَّ<sup>(٢)</sup> برسول الله وأنا عنده في نفر من المسلمين، دعا بلال للصلاة، فقال: مروا من يصلي بالناس، قال: فخرجت فإذا عمر في الناس، وكان أبو بكر غائبا فقلت: قم يا عمر فصل بالناس، قال: فقام فلما كبر عمر سمع رسول الله ﷺ صوته وكان عمر رجلاً مِجْهَرًا، فقال رسول الله: فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون. قال: فبعث إلى أبي بكر فجاء بعد ما صلى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس. وقال: عبدالله بن زمعة. قال لي عمر: ويحك ماذا صنعت يا ابن زَمْعَةَ؟ والله ما ظننت حين أمرتني إلا أن رسول الله ﷺ أمرني بذلك، ولولا ذلك ما صليت. قال: قلت: والله ما أمرني رسول الله، ولكن حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة<sup>(٣)</sup>. وهكذا رواه أبو داود من حديث ابن إسحاق حدثني الزهري<sup>(٤)</sup>. ورواه يونس بن

(١) «البداية والنهاية» (٥/٢٣١-٢٣٦).

(٢) استعز: أي غلبة المرض حتى عجز عن القيام.

(٣) «مسند أحمد» (٤/٣٢٢). وهو في سيرة ابن هشام ٣٠٣/٤.

(٤) أبو داود، «السنن»، كتاب السنة، باب: في استخلاف أبي بكر (٥/٤٧) حديث

رقم (٤٦٦٠).

بكبير عن ابن إسحاق حدثني يعقوب بن عتبة عن أبي بكر بن عبدالرحمن عن عبدالله بن زمعة فذكره<sup>(١)</sup>.

وقال أبو داود: ثنا أحمد بن صالح ثنا ابن أبي فديك حدثني موسى ابن يعقوب عن عبدالرحمن بن إسحاق عن ابن شهاب عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة أن عبدالله بن زمعة أخبره بهذا الخبر. قال: لما سمع النبي ﷺ صوت عمر، قال ابن زمعة: خرج النبي ﷺ حتى أطلع رأسه من حجرته ثم قال: لا، لا، لا، يصلي للناس ابن أبي قحافة، يقول ذلك مغضباً<sup>(٢)</sup>.

وقال البخاري: ثنا عمر بن حفص ثنا أبي ثنا الأعمش عن إبراهيم. قال الأسود كنا عند عائشة فذكرنا المواظبة على الصلاة والمواظبة لها. قالت: لما مرض النبي ﷺ مرضه الذي مات فيه فحضرت الصلاة فأذن بلال. فقال: «مروا أبابكر فليصل بالناس، فليل له: إن أبابكر رجل أسيف إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس، وأعاد، فأعادوا له، فأعاد الثالثة، فقال: إنكن صواحب يوسف، مروا أبابكر فليصل بالناس. فخرج أبوبكر فوجد النبي ﷺ في نفسه خفة فخرج يهادى بين رجلين كأنني أنظر إلى رجلية تخطان من الوجع، فأراد أبوبكر أن يتأخر فأوماً إليه النبي ﷺ أن مكانك. ثم أتني به حتى جلس إلى جنبه.

قيل للأعمش: فكان النبي ﷺ يصلي وأبوبكر يصلي بصلاته

(١) «السيرة النبوية» (٢/٦٥٢).

(٢) «السنن» (٥/٤٨) حديث رقم (٤٦٦١).

والناس يصلون بصلاة أبي بكر . فقال برأسه : نعم<sup>(١)</sup> .  
 وفي الصحيحين من حديث عبد الملك بن عمير عن أبي بردة عن  
 أبي موسى عن أبيه . قال : مرض رسول الله ﷺ فقال : «مروا بأبأبكر  
 فليصل بالناس . فقالت عائشة : يا رسول الله إن أبأبكر رجل رقيق متى  
 يقيم مقامك لا يستطيع يصلي بالناس . قال : فقال : مروا بأبأبكر يصل  
 بالناس فإنكن صواحب يوسف» قال : فصلّى أبوبكر حياة الرسول ﷺ<sup>(٢)</sup> .  
 وقال الإمام أحمد : ثنا عبدالرحمن بن مهدي أنبأنا زائدة عن  
 موسى بن أبي عائشة عن عبيدالله بن عبدالله . قال : دخلتُ على عائشة  
 فقلت : ألا تحدثيني عن مرض رسول الله ﷺ فقالت : بلى ، أثقل برسول  
 الله ﷺ وجعه فقال : أصلى الناس؟ قلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول  
 الله . فقال : صبوا لي ماء في المخضب<sup>(٣)</sup> ، ففعلنا ، قالت : فاغتسل ثم  
 ذهب لينوء فأغمي عليه ، ثم أفاق ، فقال : أصلى الناس؟ قلنا : لا ، هم  
 ينتظرونك يا رسول الله . قال : ضعوا لي ماء في المخضب ، ففعلنا  
 فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ، ثم أفاق فقال : أصلى الناس؟ قلنا :  
 لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله ، قالت : والناس عكوف في المسجد  
 ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر بأن  
 يصلي بالناس ، وكان أبوبكر رجلاً رقيقاً . فقال : يا عمر صل بالناس ،

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب حد المريض أن يشهد الجماعة (١/١٦١) ،  
 طبعة تركيا .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة (٢/١٦٤)  
 من فتح الباري ، وصحيح مسلم برقم (١٠١) من كتاب الصلاة (١/٣١٦) .

(٣) المخضب : الإناء الذي يغتسل فيه .

فقال: أنت أحق بذلك، فصلى بهم تلك الأيام، ثم إن رسول الله ﷺ وجد خفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر فلما رآه أبوبكر ذهب ليتأخر، فأوما إليه أن لا يتأخر، وأمرهما فأجلساه إلى جنبه فجعل أبوبكر يصلي قائمًا ورسول الله ﷺ قاعدًا، قال عبيدالله: فدخلت على ابن عباس فقلت: ألا أعرض عليك ما حدثتني عائشة عن مرض رسول الله، قال: هات، فحدثته فما أنكر منه شيئًا غير أنه قال: سمت لك الرجل الذي كان مع العباس؟ قلت: لا، قال: هو علي<sup>(١)</sup>.

قال البخاري في صحيحه: حدثنا أبو اليمان أنبأنا شعيب عن الزهري أخبرني أنس بن مالك - وكان تبع النبي ﷺ وخدمه وصحبه - أن أبابكر كان يصلي لهم في وجع النبي ﷺ الذي توفي فيه حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة فكشف النبي ﷺ ستر الحجرة ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، تبسم يضحك، فهممنا أن نفتتن من الفرخ برؤية النبي ﷺ، ونكص أبوبكر على عقبه ليصل الصف، وظن أن النبي ﷺ خارج إلى الصلاة فأشار إلينا ﷺ: أن أتموا صلاتكم وأرخى الستر، فتوفي من يومه<sup>(٢)</sup>.

ثم قال البخاري: ثنا أبو معمر ثنا عبدالوارث ثنا عبدالعزيز عن أنس بن مالك. قال: لم يخرج النبي ﷺ ثلاثًا فأقيمت الصلاة فذهب

(١) مسند أحمد (٢٢٩/٢١) من «الفتح الرباني». وانظر: صحيح مسلم برقم (٩٠) من كتاب الصلاة (٣١١/١)، وصحيح البخاري، باب حَدِّ المريض أن يشهد الجماعة (١٦١/١)، طبعة تركيا.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة حديث رقم (٦٨٠) كما أخرج في مواضع أخرى.

أبو بكر يتقدم، فقال: نبي الله عليكم بالحجاب فرفعه، فلما وضح وجه النبي ﷺ ما رأينا منظرًا كان أعجب إلينا من وجه النبي ﷺ حين وضح لنا. فأومأ النبي ﷺ بيده إلى أبي بكر أن يتقدم وأرخى النبي ﷺ الحجاب فلم يُقدّر عليه حتى مات ﷺ<sup>(١)</sup> ورواه مسلم<sup>(٢)</sup> من حديث عبد الصمد بن عبد الوارث عن أبيه به.

فهذا أوضح دليل على أنه عليه السلام لم يصل يوم الاثنين صلاة الصبح مع الناس، وأنه كان قد انقطع عنهم لم يخرج إليهم ثلاثًا، فعلى هذا يكون آخر صلاة صلاها معهم الظهر من يوم الخميس، كما جاء مصرحًا به في حديث عائشة المتقدم، لا يوم السبت، ولا يوم الأحد، كما حكاه البيهقي عن مغازي موسى بن عقبة وهو ضعيف<sup>(٣)</sup>، ولما قدّمنا من خطبته بعدها، ولأنه انقطع عنهم يوم الجمعة، والسبت، والأحد، وهذه ثلاثة أيام كوامل. فيكون مجموع ما صلى بهم أبو بكر قبل وفاة النبي ﷺ تسع عشرة صلاة.

وقال الزهري عن أبي بكر بن أبي سبرة<sup>(٤)</sup> أن أبا بكر صلى بهم سبع عشرة صلاة. وقال غيره: عشرين صلاة فإله أعلم، ثم بدا لهم وجهه الكريم صبيحة يوم الإثنين فودعهم بنظرة كادوا يفتنون بها، ثم كان ذلك آخر عهد جمهورهم به، والمقصود أن رسول الله قدّم أبا بكر الصديق

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة حديث رقم (٦٨١).

(٢) صحيح مسلم برقم (١٠٠) من كتاب الصلاة (١/٣١٥).

(٣) انظر: «دلائل النبوة» (٧/١٩٣).

(٤) أبو بكر بن أبي سبرة متروك.

إمامًا للصحابة كلهم في الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام العملية .  
قال الشيخ أبو الحسن الأشعري: «وتقديمه له أمر معلوم بالضرورة من دين الإسلام، وتقديمه له دليل على أنه أعلم الصحابة وأقرؤهم، لما ثبت في الخبر المتفق على صحته بين العلماء، أن رسول الله ﷺ قال: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأكبرهم سنًا، فإن كانوا في السن سواء فأقدمهم مسلمًا»<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير: وهذا من كلام الأشعري رحمه الله مما ينبغي أن يكتب بماء الذهب. ثم اجتمعت هذه الصفات كلها في الصديق رضي الله عنه وأرضاه، وصلاة الرسول ﷺ خلفه في بعض الصلوات كما قدمنا بذلك الروايات الصحيحة لا ينافي ما روى في الصحيح أن أبا بكر أتم به عليه السلام<sup>(٢)</sup> لأن ذلك في صلاة أخرى كما نص على ذلك الشافعي وغيره من الأئمة رحمهم الله عز وجل .  
شبهة وردها<sup>(٣)</sup>؟

قال البخاري: ثنا قتيبة ثنا سفيان عن سليمان الأحول عن سعيد ابن جبير، قال: قال ابن عباس: يوم الخميس وما يوم الخميس، اشتد

(١) انظر: «رسالة الإبانة» ص (٦٧) فقد ذكر نحو هذا الكلام. والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة، حديث رقم (٦٧٢)، وله شاهد في صحيح البخاري من حديث مالك بن الحويرث، كتاب الأذان، باب إذا استووا في القراءة فليؤمهم أكبرهم (٢/١٧٠ من فتح الباري).

(٢) انظر ما تقدم قريبًا ص (٤٤).

(٣) «البداية والنهاية» (٥/٢٢٧-٢٢٨).



برسول الله ﷺ وجعه .

فقال: أئتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا - ولا ينبغي عند نبي تنازع - فقالوا: ما شأنه يهجر استفهموه، فذهبوا يردون عليه، فقال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه، فأوصاهم بثلاث. قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها<sup>(١)</sup>، ورواه البخاري في موضع آخر، ومسلم من حديث سفيان بن عيينة<sup>(٢)</sup>، وقد أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه من حديث معمر ويونس عن الزهري به<sup>(٣)</sup>. وهذا الحديث مما قد توهم به بعض الأغبياء من أهل البدع من الشيعة وغيرهم كل مدع أنه كان يريد أن يكتب في ذلك الكتاب ما يرمون إليه من مقالاتهم، وهذا هو التمسك بالمتشابه، وترك المحكم، وأهل السنة يأخذون بالمحكم، ويردون ما تشابه إليه، وهذه طريقة الراسخين في العلم كما وصفهم الله عز وجل في كتابه، وهذا الموضوع مما زلّ فيه أقدم كثير من أهل الضلالات، وأما أهل السنة فليس لهم مذهب إلا اتباع الحق يدورون معه كيفما دار، وهذا الذي كان يريد عليه الصلاة والسلام أن يكتبه قد جاء في الأحاديث الصحيحة التصريح بكشف المراد منه، فإنه قد قال الإمام أحمد: حدثنا مؤمل ثنا نافع يعني ابن عمر ثنا ابن أبي

- (١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض رسول الله ووفاته (٨/١٣٢ من الفتح).  
 (٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب جوائز الوفد (٦/١٧٠ من الفتح)، وصحيح مسلم، كتاب الوصية حديث رقم (١٦٣٧).  
 (٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم (١/٢٠٨ من الفتح)، وكتاب المغازي، باب مرض رسول الله (٨/١٣٢ من الفتح).

مليكة عن عائشة قالت: لما كان وجع رسول الله ﷺ الذي قبض فيه قال: «ادعوا لي أبابكر وابنه لكي لا يطمع في أمر أبي بكر طامع، ولا يتمناه متمن. ثم قال: ياأبي الله ذلك والمؤمنون» مرتين. قالت عائشة: فأبى الله ذلك والمؤمنون «إلا أن يكون أبي، فكان أبي» انفرد به أحمد من هذا الوجه<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري عن يحيى بن يحيى عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد عن عائشة. قالت: قال رسول الله: «لقد هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه، فأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى متمنون، فقال: ياأبي الله - أو يدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون»<sup>(٢)</sup>.

وفي صحيح البخاري ومسلم من حديث إبراهيم بن سعد عن أبيه عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه. قال: أتت امرأة إلى رسول الله ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، فقالت: رأيت أن جئت ولم أجدك - كأنها تقول: الموت - قال: «إن لم تجديني فأتي أبابكر»<sup>(٣)</sup>. والظاهر والله أعلم أنها إنما قالت ذلك له عليه السلام في مرضه الذي مات فيه صلوات الله وسلامه عليه.

(١) ما بين القوسين ساقط من الأصل (٢٢٨/٥) واستدرك من مسند أحمد (١٠٦/٦)، وأخرجه من وجه آخر (٤٧/٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الفضائل، باب فضائل أبي بكر (١٧/٧ من الفتح)، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل برقم (٢٣٨٦).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف (٣٠٥/١٣ من الفتح)، وهو في مسلم من حديث الزهري عن عروة عن عائشة به نحوه برقم (٢٣٨٧).

وفاة رسول الله ﷺ وأثر ذلك على المؤمنين<sup>(١)</sup>.

قال الإمام أحمد: حدثنا بهز ثنا حماد بن سلمة أنبأنا أبو عمران الجوني عن يزيد بن بابنوس. قال: ذهبت أنا وصاحب لي إلى عائشة فاستأذنا عليها، فألقت لنا وسادة وجذبت إليها الحجاب، فقال صاحبي: يا أم المؤمنين ما تقولين في العراك؟ قالت: وما العراك؟ فضربت منكب صاحبي، قالت: مه، أذيت أخاك. ثم قالت: ما العراك؟ المحيض! قولوا ما قال الله في المحيض. ثم قالت: كان رسول الله يتوشحني وينال من رأسي وبينني وبينه ثوب وأنا حائض. ثم قالت: كان رسول الله ﷺ إذا مرَّ بيابي مما يلقي الكلمة ينفعني الله بها، فمرَّ ذات يوم فلم يقل شيئاً، ثم مرَّ فلم يقل شيئاً، مرتين أو ثلاثاً، فقلت: يا جارية ضعي لي وسادة على الباب، وعصبت رأسي فمرَّ بي. فقال: يا عائشة ما شأنك؟ فقلت: أشتكى رأسي. فقال: أنا وارأساه، فذهب فلم يلبث إلا يسيراً حتى جيء به محمولاً في كساء فدخل عليّ وبعث إلى النساء فقال: إني قد اشتكيت وإني لا أستطيع أن أدور بينكن فأذن لي فلاكن عند عائشة، فكنت أمرضه ولم أمرض أحداً قبله، فبينما رأسه ذات يوم على منكبي إذ مال رأسه نحو رأسي فظننت أنه يريد من رأسي حاجة، فخرجت من فيه نقطة باردة فوقعت على نُقرة نحري فاقشعر لها جلدي، فظننت أن غشي عليه، فسجَّيته ثوباً. فجاء عمر والمغيرة بن شعبة، فاستأذنا، فأذنت لهما، وجذبت إليّ الحجاب فنظر عمر إليه فقال: واغشياه ما أشد غشي رسول الله ﷺ، ثم قام، فلما دنوا من الباب

(١) البداية والنهاية (٥/٢٤١-٢٤٢).

قال المغيرة: يا عمر، مات رسول الله ﷺ، فقال: كذبت، بل أنت رجل تحوسنك فتنة، إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفني الله المنافقين. قالت: ثم جاء أبوبكر، فرفعتُ الحجاب فنظر إليه فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، مات رسول الله ﷺ ثم أتاه من قبل رأسه، فحدر فاهُ فقَبِلَ جبهته، ثم قال: وانبياه، ثم رفع رأسه فحدر فاه وقَبِلَ جبهته ثم قال: واصفياه، ثم رفع رأسه وحدر فاه وقَبِلَ جبهته، وقال: واخليلاه، مات رسول الله ﷺ، وخرج إلى المسجد وعمر يخطب الناس ويتكلم ويقول: إن رسول الله لا يموت حتى يفني الله المنافقين.

فتكلم أبوبكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر] حتى فرغ من الآية، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ﴾ [آل عمران: ١٤٤] حتى فرغ من الآية ثم قال: فمن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات. فقال عمر: أو أنها في كتاب الله؟ ما شعرت أنها في كتاب الله، ثم قال عمر: يا أيها الناس هذا أبوبكر، وهو ذو شيبة المسلمين فبايعوه فبايعوه<sup>(١)</sup>، وقد روى أبوداود، والترمذي في الشمائل من حديث مرحوم ابن عبدالعزيز العطار عن أبي عمران الجوني به ببعضه<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: «الفتح الرباني» (٢٢٣/٢١).

(٢) «سنن أبي داود» برقم (٢١٣٧) (٦٠٢/٢) بإسناده عن مرحوم العطار عن أبي عمران الجوني به مختصراً. و«مختصر الشمائل المحمدية» للترمذي ص (١٩٦) حديث رقم (٣٢٨) ببعضه، وقال الشيخ الألباني: «حديث حسن». وانظر: «الطبقات الكبرى» (٢٦٧/٢).

وقال الحافظ البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو بكر بن إسحاق أخبرنا أحمد بن إبراهيم بن ملحان ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عُقَيْل عن ابن شهاب أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة أخبرته: أن أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه بالسُّنْحِ حَى نَزَلَ فَدْخَلَ الْمَسْجِدَ فَلَمْ يَكَلِّمْ النَّاسَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فِيمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مَسْجِيٌّ بِبَرْدِ حَبْرَةَ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، ثُمَّ أَكْبَأَ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ، ثُمَّ بَكَى. ثُمَّ قَالَ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَا يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَيْكَ مَوْتَيْنِ أَبَدًا، أَمَا الْمَوْتَةُ الَّتِي كَتَبْتَ عَلَيْكَ فَقَدْ مَتَّهَا<sup>(١)</sup>.

قال الزهري: وحدثني أبو سلمة عن ابن عباس أن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس. فقال: اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس. فقال: اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس. فتشهد أبو بكر فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال: أما بعد فمن كان منكم يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أُنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. قال: فوالله لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم فما سُمِعَ بِشَرِّ مِنَ النَّاسِ إِلَّا يَتْلُوهَا<sup>(٢)</sup>.

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه من طريق يحيى بن بكير به (٨/١٤٥ من الفتح) حديث رقم ٤٤٥٢. وانظر: «دلائل النبوة» للبيهقي (٧/٢١٥).

(٢) صحيح البخاري (٨/١٤٥ من الفتح) حديث رقم ٤٤٥٤. وانظر: «دلائل النبوة» للبيهقي (٧/٢١٦).

تَنْبِيْهٌ (١)؛

ذكر الواقدي عن شيوخه قالوا: ولما سُكِّ في موت النبي ﷺ فقال بعضهم: مات، وقال بعضهم: لم يمت، وضعت أسماء بنت عميس يدها بين كتفي رسول ﷺ. فقالت: قد توفي رسول الله ﷺ، وقد رفع الخاتم من بين كتفيه، فكان هذا الذي عُرف به موته، هكذا أورده الحافظ البيهقي في كتابه «دلائل النبوة»<sup>(٢)</sup> من طريق الواقدي، وهو ضعيف، وشيوخه لم يسمون، ثم هو منقطع بكل حال، ومخالف لما صح، وفيه غرابة شديدة وهو رفع الخاتم.

وقد ذكر الواقدي وغيره في الوفاة أخبارًا كثيرة فيها نكارات وغرابة شديدة أضربنا عن أكثرها صفحًا لضعف أسانيدنا ونكارة متونها ولا سيما ما يورده كثير من القصاص المتأخرين وغيرهم، فكثير منه موضوع لا محالة، وفي الأحاديث الصحيحة والحسنة المروية في الكتب المشهورة عُنية عن الأكاذيب وما لا يعرف سنده.

ذكر أمور مهمة وقعت بعد وفاته ﷺ وقبل دفنه<sup>(٣)</sup>؟

ومن أعظمها وأجلها وأيمنها بركة على الإسلام وأهله بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنها، وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام لما مات كان الصديق رضي الله عنه قد صلى بالمسلمين صلاة الصبح، وكان إذ ذاك قد أفاق رسول الله ﷺ إفاقة من غمرة ما كان فيه من الوجد، وكشف ستر الحُجْرة، ونظر إلى المسلمين وهم صفوف في الصلاة خلف أبي

(١) «البداية والنهاية» (٥/٢٤٣).

(٢) انظر: (٧/٢١٩).

(٣) «البداية والنهاية» (٥/٢٤٤).

بكر فأعجبه ذلك وتبسم صلوات الله وسلامه عليه حتى همّ المسلمون أن يتركوا ما هم فيه من الصلاة لفرحهم به، وحتى أراد أبو بكر أن يتأخر ليصل الصف، فأشار إليهم أن يمكثوا كما هم، وأرخى الستارة، وكان آخر العهد به عليه السلام. فلما انصرف أبو بكر رضي الله عنه من الصلاة دخل عليه، وقال لعائشة: ما أرى رسول الله ﷺ إلا أقلع عنه الوجد، وهذا يوم بنت خارجة، يعني إحدى زوجتيه وكانت ساكنة بالسُّنْح شرقي المدينة، فركب على فرس له وذهب إلى منزله، وتوفي رسول الله ﷺ حين اشتد الضُّحَى من ذلك اليوم.

فلما مات واختلف الصحابة فيما بينهم، فمن قائل يقول: مات رسول الله ﷺ، ومن قائل يقول: لم يمّت، فذهب سالم بن عبيد<sup>(١)</sup> وراء الصديق إلى السنح فاعلمه بموت رسول الله ﷺ، فجاء الصديق من منزله حين بلغه الخبر، فدخل على رسول الله ﷺ منزله، وكشف الغطاء عن وجهه وقَبَله وتحقق أنه قد مات، وخرج إلى الناس فخطبهم إلى جانب المنبر وبيّن لهم وفاة رسول الله ﷺ كما قَدَمنا، وأزاح الجدل، وأزال الإشكال، ورجع الناس كلهم إليه.

مسألة مهمة:

وقعت شبهة لبعض الأنصار، وقام في أذهان بعضهم جواز استخلاف خليفة من الأنصار، وتوسّط بعضهم بين أن يكون أمير من المهاجرين وأمير من الأنصار، حتى بيّن لهم الصديق أن الخلافة لا تكون إلا في قريش، فرجعوا إليه وأجمعوا عليه كما سنبينه وننبه عليه.

(١) سالم بن عبيد الأشجعي من أهل الصفة. انظر ترجمته في «الإصابة» (٣/١٠).

قصة سقيفة بني ساعدة وحديث عمر الصحيح في بيانها<sup>(١)</sup>

قال الإمام أحمد: ثنا إسحاق بن عيسى الطباع ثنا مالك بن أنس حدثني ابن شهاب عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود أن ابن عباس أخبره أن عبدالرحمن بن عوف رجع إلى رحله - قال ابن عباس: وكنت أقرىء عبدالرحمن بن عوف فوجدني وأنا انتظره - وذلك بمنى في آخر حجة حجها عمر بن الخطاب فقال عبدالرحمن بن عوف: إن رجلاً أتى عمر بن الخطاب فقال: إن فلاناً يقول لو قد مات عمر بايعت فلاناً، فقال عمر: إني قائم العشية إن شاء الله في الناس فمحذرههم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغصبوهم أمرهم. قال عبدالرحمن فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل فإن الموسم يجمع رَعاع الناس وغوغاءهم وأنهم يغلبون على مجلسك إن قمت في الناس، فأخشى أن تقول مقالة يطير بها أولئك، فلا يعوها ولا يضعوها مواضعها، ولكن حتى تقدم المدينة، فإنها دار الهجرة والسُّنة، وتخلص بعلماء الناس وأشرافهم، فتقول ما قلت متمكناً، فيعون مقالتك، ويضعوها مواضعها، قال عمر: لئن قدمت المدينة صالحاً لأكلمن بها الناس في أول مقام أقومه، فلما قدمنا المدينة في عقب ذي الحجة، وكان يوم الجمعة عجلتُ الرواح صَكَّة الأعمى - قلت لمالك: وما صَكَّةُ الأعمى؟ قال: إنه لا يبالي أي ساعة خرج، لا يعرف الحرَّ والبرد أو نحو هذا - فوجدت سعيد بن زيد عند ركن المنبر الأيمن قد سبقني فجلست حذاءه تحكُّ ركبتي ركبته فلم أنشب أن طلع عمر، فلما رأيته قلتُ: ليقولنَّ العشية على هذا المنبر

(١) البداية والنهاية (٥/٢٤٥-٢٤٧).



مقالة ما قالها عليه أحد قبله . قال : فأنكر سعيد بن زيد ذلك ، وقال : ما عَسَيْتَ أن يقول ما لم يقل أحد؟ فجلس عمر على المنبر ، فلما سكت المؤذن قام ، فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد : أيها الناس ، فإنني قائل مقالة وقد قُدِّر لي أن أقولها لا أدري لعلها بين يدي أجلي ، فمن وعائها وعقلها فليحدِّث بها حيث انتهت به راحلته ، ومن لم يَعِها فلا أُحِلُّ له أن يكذب عليّ ، إن الله بعث محمداً بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعينناها ، ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، فأخشى أن طال بالناس زمان أن يقول قائل : لا نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة قد أنزلها الله عزوجل . فالرجم في كتاب الله حَقٌّ على من زنا إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة ، أو كان الحَبْلُ<sup>(١)</sup> أو الاعتراف ، ألا وإنا قد كنا نقرأ : لا ترغبوا عن آبائكم فإن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم . ألا وإن رسول الله ﷺ قال : « لا تطروني كما أطري عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبدالله فقولوا : عبدالله ورسوله » .

وقد بلغني أن قائلاً منكم يقول : لو قد مات عمر بايعتُ فلاناً ، فلا يَغْتَرَّ امرؤ أن يقول : إن بيعة أبي بكر كانت فَلْتَةً فتمت . ألا وإنها كانت كذلك إلا أن الله وقى شرها ، وليس فيكم اليوم من تُقَطَّعُ إليه الأعناق مثل أبي بكر ، وأنه كان من خبرنا حين توفي رسول الله ﷺ أن علياً والزبير ومن كان معهما تخلفوا في بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وتخلفتُ

(١) الحبل : بفتح المهملة والموحدة ، أي : حبل من الزنا ، وفي رواية معمر : الحمل (فتح الباري (١٢/١٤٨) .

عنها الأنصار بأجمعها في سقيفة بني ساعدة، واجتمع المهاجرون إلي أبي بكر، فقلت له: يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا رجلاً صالحاً فذكر لنا الذي صنع القوم، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلت: نريد إخواننا من الأنصار، فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين، فقلت: والله لنأتينهم، فانطلقنا حتى جئناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا هم مجتمعون وإذا بين ظهرانيهم رجل مُرْمَلٌ. فقلت: من هذا؟ قالوا: سعد بن عبادة. فقلت: ما له؟ قالوا: وَجِعٌ. فلما جلسنا قام خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله، وقال: أما بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط نبينا وقد دَفَّتْ دافّة منكم تريدون أن تختزلونا من أصلنا وتَحْضُنُونَا من الأمر، فلما سكت أردتُ أن أتكلم، وقد كنتُ زورْتُ مقالةً أعجبتني، أردتُ أن أقولها بين يدي أبي بكر، وكنتُ أداري منه بعض الحَدِّ، وهو كان أحلمَ مني وأوقر، فقال أبو بكر: على رسلك، فكرهت أن أغضبه، وكان أعلمَ مني وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قالها في بديهته وأفضل، حتى سكت. فقال: أما بعد، فما ذكرتم من خير فأنتم أهله، وما تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيتُ لكم أحدَ هذين الرجلين، أيهما شئتم، وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح، فلم أكره مما قال غيرها، وكان والله أن أقدم فتضربَ عنقي لا يُقَرِّبُنِي ذلك إلى أئم أحبُّ إليّ من أن أتأمّر على قوم فيهم أبو بكر، إلا أن تغير نفسي عند الموت. فقال قائل من الأنصار: أنا جُدَيْلُهَا المَحْكُوكُ، وَعُدَيْقُهَا المَرَجَّبُ، منا أمير، ومنكم أمير يا معشر

قريش . فقلت لمالك : ما يعني أنا جُذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب ؟ قال : كأنه يقول : أنا داهيتها ، قال : فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى خشينا الاختلاف ، فقلتُ : أبسط يدك يا أبكر ، فبسط يده فبايعته ، وبايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار ، ونزونا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم : قتلتم سعدًا ، فقلتُ : قتل الله سعدًا . قال عمر : أما والله ما وجدنا فيما حضرنا أمرًا هو أقوى من مبايعة أبي بكر خَشِينا إن فارقنا القومَ ولم تكن بيعةٌ أن يُحدِثُوا بعدنا بيعةً ، فإما أن نتابعهم على ما لا نرضى ، وإما أن نخالفهم فيكون فساد ، فمن بايع أميرًا عن غير مشورة المسلمين فلا بيعة له ، ولا بيعة للذي بايعه ، تَغَرَّةٌ أن يُقتلَا .

قال مالك : فأخبرني ابن شهاب عن عروة : أن الرجلين اللذين لقياهما : عويم بن مسعدة ، ومَعْنُ بن عدي . قال ابن شهاب : وأخبرني سعيد بن المسيب أن الذي قال : أنا جُذيلها المحكك ، وعُذيقها المرجب هو الحُبَاب بن المنذر<sup>(١)</sup> . وقد أخرج هذا الحديث الجماعة في كتبهم<sup>(٢)</sup> من طرق عن مالك وغيره عن الزهري به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا معاوية عن عمرو ثنا زائدة ثنا عاصم ح وحدثني حسين بن علي عن زائدة عن عاصم عن زرّ عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : لما قُبِض رسول الله ﷺ . قالت الأنصار : منا أمير ومنكم

(١) المسند (٣٢٣/١) تحقيق : أحمد شاكر .

(٢) انظر : صحيح البخاري ، كتاب الحدود ، باب رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت . من حديث ابن عباس ، حديث رقم ٦٨٣٠ ، وانظر : فتح الباري (١٢/١٤٤) ، ومسلم ، كتاب الحدود ، حديث رقم (١٦٩١) مختصرًا ، و«السنن الكبرى» للنسائي ، كتاب الرجم ، باب رقم (٤) حديث رقم (٧١٥٣) حتى (١٧٦٠) (٤/٢٧٣-٢٧٥) .

أمير، فأتاهم عمر فقال: يا معشر الأنصار أستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبابكر أن يؤم الناس؟ فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبابكر. فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبابكر<sup>(١)</sup>. ورواه النسائي عن إسحاق بن راهويه وهناد بن السري عن حسين بن علي الجعفي عن زائدة به<sup>(٢)</sup>. . .  
وقد روى عن عمر بن الخطاب من طريق محمد بن إسحاق عن عبدالله بن أبي بكر عن الزهري عن عبيدالله بن عبدالله عن ابن عباس عن عمر أنه قال: قلت: يا معشر المسلمين إن أولى الناس بأمر نبي الله ﷺ ثاني اثنين إذ هما في الغار، أبوبكر السباق المّسن، ثم أخذت بيده وبدرني رجل من الأنصار فضرب على يده قبل أن أضرب على يده، ثم ضربت على يده، وتتابع الناس<sup>(٣)</sup>. وقد روى محمد بن سعد<sup>(٤)</sup> عن القاسم بن محمد فذكر نحواً من هذه القصة، وسَمّى هذا الرجل الذي بايع الصديق قبل عمر بن الخطاب. فقال: هو بشير بن سعد والد النعمان.

اعتراف سعد بن عبادة بصحة ما قاله الصديق يوم السقيفة<sup>(٥)</sup>؟

قال الإمام أحمد: ثنا عفان حدثنا أبو عوانة عن داود بن عبدالله الأودي عن حميد بن عبدالرحمن قال: توفي رسول الله ﷺ وأبوبكر رضي الله عنه في طائفة من المدينة. قال: فجاء فكشف عن وجهه

(١) «المسند» (٢١٣/١) تحقيق: أحمد شاكر، وقال: إسناده صحيح.  
(٢) «السنن الكبرى»، كتاب الإمامة والجماعة، باب رقم (١) حديث رقم (٨٥٣) (٢٧٩/١).

(٣) راجع: «سيرة ابن هشام» (٤١٢/٤).

(٤) «الطبقات الكبرى» (١٨٢/٣) لكنه مرسل.

(٥) «البداية والنهاية» (٥٤٧/٥).

فقبله، وقال: فذاك أبي وأمي ما أطيبك حيًا وميتًا، مات محمد ورب الكعبة. فذكر الحديث. فانطلق أبو بكر وعمر يتقاودان حتى أتوهم فتكلم أبو بكر فلم يترك شيئًا أنزل في الأنصار ولا ذكره رسول الله من شأنهم إلا ذكره وقال: لقد علمتم أن رسول الله ﷺ قال: «لو سلك الناس واديًا وسلكت الأنصار واديًا سلكت وادي الأنصار»، ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال - وأنت قاعد - : «قريش ولاة هذا الأمر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم» فقال له سعد: صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عيَّاش ثنا الوليد بن مسلم أخبرني يزيد بن سعيد بن ذي عَصْوَان العنسي، عن عبد الملك بن عمير اللخمي، عن رافع الطائي - رفيق أبي بكر الصديق في غزوة السلاسل -، قال: وسألته عما قيل من بيعتهم. فقال، وهو يحدثه عما تقاولت به الأنصار وما كَلَّمهم به وما كَلَّم به عَمْرُ بن الخطاب الأنصار، وما ذكَّروهم به من إمامتي إياهم بأمر رسول الله ﷺ في مرضه، فبايعوني لذلك وقبِلتُها منهم، وتخوفتُ أن تكون فتنة بعدها رَدَّة<sup>(٢)</sup>. وهذا إسناد جيد قوي.

ومعنى هذا أنه رضي الله عنه إنما قبِل الإمامة تخوفًا أن تقع فتنة أربى من تركه قبولها رضي الله عنه وأرضاه. وكان هذا في بقية يوم الاثنين، فلما كان الغد صبيحة الثلاثاء اجتمع الناس في المسجد فتممت

(١) انظر: «الفتح الرباني» (٦٢/٢٣) وهو مرسل حسن كما قال شيخ الإسلام في منهاج السنة (٥٣٦/١)، وصححه الألباني بشواهد في «السلسلة الصحيحة» برقم (١١٥٦).

(٢) «المسند» (٨/١) برقم (٤٢) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

البيعة من المهاجرين والأنصار قاطبة، وكان ذلك قبل تجهيز رسول الله ﷺ تسليماً.

### بيعة الصديق في المسجد<sup>(١)</sup>؟

قال البخاري: أنبأنا إبراهيم بن موسى، ثنا هشام، عن معمر، عن الزهري، أخبرني أنس بن مالك أنه سمع خطبة عمر الآخرة حين جلس على المنبر، وذلك الغد من يوم تُوِّفِي رسول الله ﷺ فتشهد وأبو بكر صامت لا يتكلم، قال: كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يذُبُرنا - يريد بذلك أن يكون آخِرهم - فإن يُكُ محمدٌ قد مات فإن الله قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به بما هدى الله محمدًا ﷺ، وإن أبا بكر صاحبُ رسولِ الله ﷺ وثاني اثنين، وأنه أولى المسلمين بأموركم، فقوموا فبايعوه. وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة، وكانت بيعة العامة على المنبر. قال الزهري عن أنس بن مالك: سمعت عمر يقول يومئذ لأبي بكر: اصعد المنبر! فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه الناس عامة<sup>(٢)</sup>.

### خطبة أبي بكر<sup>(٣)</sup>؟

قال محمد بن إسحاق: حدثني الزهري قال: حدثني أنس بن مالك قال: لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر. فبايع الناسُ أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة، ثم تكلم

(١) «البداية والنهاية» (٢٤٨/٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف (٢٠٦/١٣ من فتح الباري) حديث رقم ٧٢١٩.

(٣) «البداية والنهاية» (٢٤٨/٥).

أبوبكر: فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله. ثم قال: أما بعد، أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوتي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى أخذ منه الحق إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله<sup>(١)</sup>، وهذا إسناد صحيح، وقوله رضي الله عنه: وليت عليكم ولست بخيركم، من باب الهضم والتواضع، فإنهم مجمعون على أنه أفضلهم وخيرهم رضي الله عنه.

بيعة الزبير وعلي رضي الله عنهما<sup>(٢)</sup>؟

قال الحافظ أبوبكر البيهقي: أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الحافظ الإسفراييني، حدثنا أبو علي الحسين بن علي الحافظ، حدثنا أبوبكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، وإبراهيم بن أبي طالب، قالوا: حدثنا بندار بن بشار<sup>(٣)</sup>، حدثنا أبو هشام المخزومي، حدثنا وهيب، حدثنا داود بن أبي هند، حدثنا أبونضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: قبض رسول الله ﷺ واجتمع الناس في دار سعد بن عباد وفيهم أبوبكر وعمر، قال: فقام خطيب الأنصار فقال: أتعلمون أن رسول الله كان من

(١) ابن هشام، «السيرة النبوية» (٤/٤١٣-٤١٤) تحقيق: همام سعيد ومحمد أبو صعيك.

(٢) «البداية والنهاية» (٥/٢٤٨) و(٦/٣٠٢).

(٣) وقع في الأصل (٥/٢٤٨) تصحيف في الأسماء، وجرى إصلاحه من «سنن

البيهقي».

المهاجرين وخليفته من المهاجرين، ونحن أنصار رسول الله ونحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره، قال: فقام عمر بن الخطاب فقال: صدق قائلكم، أما لو قلت غير هذا لم نبايعكم، وأخذ بيد أبي بكر، وقال: هذا صاحبكم فبايعوه، فبايعه عمر وبايعه المهاجرون والأنصار، قال: فصعد أبو بكر المنبر فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير. قال: فدعا بالزبير فجاء، فقال: قلت ابن عمه رسول الله ﷺ وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ، فقام فبايعه. ثم نظر في وجوه القوم فلم ير عليًا فدعا بعلي بن أبي طالب فجاء فقال: قلت ابن عم رسول الله ﷺ وختنه على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين. قال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فبايعه. هذا أو معناه. وقال: أبو علي الحافظ: سمعتُ محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: جاءني مسلم بن الحجاج، فسألني عن هذا الحديث فكتبته له في رقعة وقرأته عليه، فقال: هذا حديث يسوى بدنة. فقلت: يسوى بدنة؟! بل هو يسوى بدنة<sup>(١)</sup>!

فائدة جليلة<sup>(٢)</sup>

وفي هذا الخبر فائدة جليلة وهي مبايعة علي بن أبي طالب، إما

(١) «السنن الكبرى» (١٤٣/٨)، كتاب قتال أهل البغي، باب الأئمة من قریش. وانظر: «تاريخ دمشق» (٦٦٩/٩). وقد جاءت العبارة عند ابن كثير (٢٤٩/٥) هكذا: «وهذا حديث يسوى بدنة بل يسوى بدرة»، وجرى تصحيحه حسب الرواية في «سنن البيهقي»، والبدنة الواحدة من الإبل، والبدرة إناء تحفظ به النقود من الذهب والفضة.

(٢) «البداية والنهاية» (٢٤٩/٥).



في أول يوم، أو في اليوم الثاني من الوفاة، وهذا حق، فإن علي بن أبي طالب لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه، وخرج معه إلى ذي القصة لما خرج الصديق شاهراً سيفه يريد قتال أهل الردة، ولكن لما حصل من فاطمة رضي الله عنها عتب على الصديق بسبب ما كانت متوهمة من أنها تستحق ميراث رسول الله ﷺ ولم تعلم بما أخبر به الصديق رضي الله عنه. أن رسول الله قال: «لا نورث ما تركنا فهو صدقة» فحجبها وغيرها من أزواجه وعمه عن الميراث بهذا النص الصريح، فسألته أن ينظر علي في صدقة الأرض التي بخير وفدك، فلم يجبها إلى ذلك، لأنه رأى أن حقاً عليه أن يقوم في جميع ما كان يتولاه رسول الله ﷺ. وهو الصادق، البار، الراشد، التابع للحق رضي الله عنه، فحصل لها - وهي امرأة من البشر ليست بواجبة العصمة - عتبٌ وتغضبٌ ولم تكلم الصديق حتى ماتت، واحتاج علي أن يراعي خاطرها بعض الشيء، فلما ماتت بعد ستة أشهر من وفاة أبيها ﷺ، رأى علي أن يجدد البيعة مع أبي بكر رضي الله عنه، مع ما تقدم له من البيعة قبل دفن رسول الله ﷺ. ويزيد ذلك صحة قول موسى بن عقبة في مغازيه عن سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف، حدثني أبي، قال: ثم خطب أبو بكر واعتذر إلى الناس وقال: ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة، ولا سألتها في سر ولا علانية، فقبل المهاجرون مقالته، وقال علي والزبير: ما غضبنا إلا لأننا أخرنا عن المشورة، وإنا نرى أن أبا بكر أحق الناس بها، إنه لصاحب الغار، وإنا لنعرف شرفه وخبره، ولقد أمره رسول الله ﷺ أن يصلي بالناس وهو حي. إسناد جيد والله الحمد والمنة.

## إجماع الصحابة على اختيار الصديق وبيعته بالخلافة من غير نص

ومن تأمل ما ذكرناه ظهر له إجماع الصحابة المهاجرين منهم والأنصار على تقديم أبي بكر، وظهر برهان قوله عليه السلام: «يأبى الله والمؤمنون إلا أبابكر». وظهر له أن رسول الله ﷺ لم ينص على الخلافة عينا لأحد من الناس، لا لأبي بكر كما قد زعمه طائفة من أهل السنة، ولا لعلي كما يقوله طائفة من الرافضة، ولكن أشار إشارة قوية يفهمها كل ذي لب وعقل إلى الصديق.

الأدلة على أن رسول الله ﷺ لم يستخلف أحدا بعينه<sup>(١)</sup>؛

١- ثبت في الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن ابن عمر: أن عمر بن الخطاب لما طعن قيل له ألا تستخلف يا أمير المؤمنين؟ فقال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني - يعني أبابكر - وإن أترك فقد ترك من هو خير مني - يعني رسول الله - قال ابن عمر: فعرفت حين ذكر رسول الله ﷺ أنه غير مستخلف<sup>(٢)</sup>.

٢- وقال سفيان الثوري، عن الأسود بن قيس، عن عمرو بن سفيان. قال: لما ظهر علي على الناس يوم الجمل قال: يا أيها الناس

(١) ذكر هذه الأدلة الحافظ البيهقي في «دلائل النبوة» (٧/٢٢١-٢٣٠). وانظر: البداية (٥/٢٥٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف (١٣/٢٠٥ من الفتح)، ومسلم كتاب الإمارة، باب الاستخلاف (٣/١٤٥٤).

إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئاً، حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر فأقام واستقام حتى مضى لسبيله، ثم إن أبا بكر رأى من الرأي أن يستخلف عمر، فأقام، واستقام، حتى مضى لسبيله - أو قال: حتى ضرب الدين بجرانه - إلى آخره<sup>(١)</sup>.

٣- وقال الحافظ البيهقي، أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا أبو بكر محمد بن أحمد المزكي بمرو، ثنا عبد الله بن روح المدائني، ثنا شبابة بن سوار، ثنا شعيب بن ميمون، عن حصين بن عبد الرحمن، عن الشعبي، عن أبي وائل قال: قيل لعلي بن أبي طالب، ألا تستخلف علينا؟ فقال: ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم<sup>(٢)</sup>. إسناده جيد ولم يخرجوه.

٤- ما ذكره البخاري من حديث الزهري عن عبد الله بن كعب بن مالك عن ابن عباس: أن عباساً وعلياً لما خرجا من عند رسول الله ﷺ فقال رجل: كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: علي: أصبح بحمد الله بارئاً. فقال العباس: إنك والله عبد العصى بعد ثلاث، إني لأعرف في وجوه بني هاشم الموت، وإني لأرى في وجه رسول الله الموت، فاذهب بنا إليه فنسأله فيمن هذا الأمر؟ فإن كان فينا عرفناه، وإن كان في غيرنا أمرناه فوصّاه بنا. فقال علي: إني لا أسأله ذلك، والله إن منعناها

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٧/٢٢٣).

(٢) «دلائل النبوة» (٧/٢٢٣) وقال عقبه: «شاهده في الحديث الثابت عن علي رضي الله عنه» ثم ساق الحديث الآتي بسنده.

لا يعطيناها الناس بعده أبدًا<sup>(١)</sup>. وقد رواه محمد بن إسحاق عن الزهري به فذكره. وقال فيه: فدخلا عليه يوم قبض ﷺ فذكره. وقال في آخره: فتوفي رسول الله ﷺ حين اشتد الضحى من ذلك اليوم<sup>(٢)</sup>.  
قال ابن كثير: فهذا يكون في يوم الإثنين يوم الوفاة، فدل على أنه عليه السلام توفي عن غير وصية في الإمارة.

٥- وفي الصحيحين من حديث الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه. قال: خطبنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: من زعم أن عندنا شيئاً نقرؤه ليس في كتاب الله وهذه الصحيفة - لصحيفة معلقة في قراب سيفه، فيها أسنان الإبل، وأشياء من الجراحات - فقد كذب<sup>(٣)</sup>.  
الرد على الرافضة<sup>(٤)</sup>؛

وهذا الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما عن علي رضي الله عنه، يرد على فرقة الرافضة، في زعمهم أن رسول الله ﷺ أوصى إليه بالخلافة، ولو كان الأمر كما زعموا لما رد ذلك أحد من الصحابة، فإنهم كانوا أطوع لله ولرسوله في حياته وبعد وفاته من أن يفتاتوا عليه فيقدموا غير من قدمه ويؤخروا من قدمه بنصه، حاشا وكلا، ومن ظن بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك فقد نسبهم بإجمعهم إلى الفجور

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ووفاته (٨/١٤٢ من الفتح).

(٢) «سيرة ابن هشام» (٢/٦٥٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب ذمة المسلمين (٦/٢٧٣ من الفتح)، وصحيح مسلم، كتاب الحج، حديث رقم (١٣٧٠)، وأبوداود في المناسك (٢/٢١٦)، ومسنند أحمد (٢/٤٤) وقال أحمد شاكر: «إسناده صحيح».

(٤) «البداية والنهاية» (٥/٢٥٢).

والتواطىء على معاندة الرسول ﷺ ومضاداتهم في حكمه ونصّه .  
ثم لو كان مع علي بن أبي طالب رضي الله نص فلم لم يحتج به  
على الصحابة لإثبات إمارته عليهم وإمامته لهم؟ فإن لم يقدر على تنفيذ  
ما معه من النص فهو عاجز، والعاجز لا يصلح للإمارة، وإن كان يقدر  
ولم يفعله فهو خائن، والخائن الفاسق مسلوب معزول عن الإمارة، وإن  
لم يعلم بوجود النص فهو جاهل، وحاشاه من ذلك كله .

الرد على الطَّرِيقِية والقُصَّاص<sup>(١)</sup>؛

وفي هذا الحديث الثابت في الصحيحين عن علي الذي قدّمناه ردُّ  
على متقولة كثير من الطَّرِيقِية والقُصَّاص الجهلة في دعواهم أن النبي ﷺ  
أوصى إلى علي بأشياء كثيرة يسوقونها مطولة، يا علي: أفعَل كذا، يا  
علي: لا تفعل كذا، يا علي: من فعل كذا وكذا كان كذا وكذا، بألفاظ  
ركيكة ومعاني أكثرها سخيفة وكثير منها صُحُفِيَّة لا تساوي تسويد  
الصحيفة والله أعلم<sup>(٢)</sup> .

(١) «البداية والنهاية» (٥/٢٥٢) .

(٢) أشار الحافظ البيهقي في «دلائل النبوة» (٧/٢٢٩) إلى بعضها وقال: «إنه حديث  
موضوع وهو من رواية حماد بن عمرو التُّصَيْبِي، وهو كذاب يضع الحديث» .

ما حصل من فاطمة وزوجها علي رضي الله عنهما بسبب ميراث النبي<sup>(١)</sup>؟  
قال البخاري: باب قول رسول الله: «لا نورث، ما تركنا صدقة»  
حدثنا عبد الله بن محمد، ثنا هشام، أنبأنا معمر عن الزهري عن عروة عن  
عائشة: أن فاطمة والعباس أتيا أبابكر رضي الله عنه يلتمسان ميراثهما  
من رسول الله ﷺ وهما حينئذ يطلبان أرضه من فذك، وسهمه من خيبر.  
فقال لهما أبوبكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا نُورثُ، ما تركنا  
صدقة»، إنما يأكل آل محمد من هذا المال». قال أبوبكر: والله لا أدع  
أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيه إلا صنعته، قال: فهجرته فاطمة فلم  
تكلمه حتى ماتت<sup>(٢)</sup>.

وقد روى البخاري هذا الحديث مطولاً في كتاب المغازي من  
صحيحه<sup>(٣)</sup>.

استرضاء أبي بكر فاطمة قبل وفاتها<sup>(٤)</sup>؟

روى الحافظ البيهقي عن الشعبي قال: لما مرضت فاطمة أتاها  
أبوبكر الصديق فاستأذن عليها، فقال علي: يا فاطمة هذا أبوبكر يستأذن  
عليك؟ فقالت: أتحب أن آذن له؟ قال: نعم! فأذنت له فدخل عليها

(١) «البداية والنهاية» (٥/٢٨٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الفرائض (١٢/٥ من الفتح).

وفذك: قرية بجوار خيبر أفاءها الله على رسوله من غير قتال. «معجم البلدان»  
(٤/٢٣٨).

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (٧/٤٩٣ من الفتح)  
حديث رقم ٤٢٤٠، ٤٢٤١.

(٤) «البداية والنهاية» (٥/٢٨٩).

يترضاها فقال : والله ما تركتُ الدارَ والمالَ والأهلَ والعشيرةَ إلا ابتغاءَ مرضاةِ الله ، ومرضاةِ رسوله ، ومرضاتكم أهل البيت ، ثم ترضاها حتى رضيت<sup>(١)</sup> ، وهذا إسناد جيد قوي ، والظاهر أن عامر الشعبي سمعه من علي ، أو ممن سمعه من علي .

تجديد عليّ البيعة لأبي بكر بعد موت فاطمة رضي الله عنها<sup>(٢)</sup> ؟

روى البخاري ومسلم وأبوداود والنسائي من طرق متعددة عن الزهري عن عروة عن عائشة مبايعة علي لأبي بكر بعد وفاة زوجته فاطمة فهذه البيعة التي وقعت من علي ، لأبي بكر رضي الله بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها ، بيعة مؤكدة للصلح الذي وقع بينهما - في موضوع التركة - وهي ثانية للبيعة التي ذكرناها أولاً يوم السقيفة كما رواه ابن خزيمة ، وصححه مسلم بن الحجاج ، ولم يكن علي مجانباً لأبي بكر هذه الستة الأشهر ، بل كان يصلي وراءه ويحضر عنده للمشورة ، وركب معه إلى ذي القصة كما سيأتي .

وفي صحيح البخاري أن أبا بكر رضي الله صلى العصر بعد وفاة رسول الله ﷺ بليالٍ ، ثم خرج من المسجد فوجد الحسن بن علي يلعب مع الغلمان ، فاحتمله على كاهله وجعل يقول : يا بأبي شُبّه النبي ، ليس شبيهاً بعليّ . وعليّ يضحك<sup>(٣)</sup> .

ولكن لما وقعت هذه البيعة الثانية اعتقد بعض الرواة أن علياً لم يبايع قبلها فنفي ذلك ، والمثبتُ مقدّم على النافي كما هو مقرر ، والله

(١) «دلائل النبوة» (٧/٢٨١) .

(٢) البداية والنهاية» (٥/٢٨٩) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، حديث رقم (٣٧٥٠) .

أعلم . وأما تغضب فاطمة رضي الله عنها وأرضاها على أبي بكر رضي الله عنه فما أدري ما وجهه؟ فإن كان لمنعه إياها ما سألته من الميراث، فقد اعتذر إليها بعذر يجب قبوله، وهو ما رواه عن أبيها رسول الله ﷺ أنه قال: «لا نورث، ما تركنا صدقة». وهي ممن تنقاد لنص الشارع الذي خفي عليها قبل سؤالها الميراث كما خفي على أزواج النبي ﷺ حتى أخبرت عن عائشة بذلك، ووافقتها عليه، وليس يُظنّ بفاطمة رضي الله عنها أنها اتهمت الصديق رضي الله عنه فيما أخبرها به، حاشاها وحاشاه من ذلك، كيف وقد وافقه على رواية هذا الحديث عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والعباس بن عبدالمطلب، وعبدالرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وأبوهريرة، وعائشة رضي الله عنهم أجمعين. ولو تفرد بروايته الصديق رضي الله عنه لوجب على جميع أهل الأرض قبول روايته والانقياد له في ذلك.



## الفصل الثالث

### حركة الردة والقضاء عليها

## خطبة للصديق بعد البيعة ودفن رسول الله ﷺ (١)

قال سيف بن عمر التميمي، عن أبي ضمرة، عن أبيه، عن عاصم بن عدي قال: نادى منادي أبي بكر من الغد من متوفى رسول الله ﷺ ليتمم بعث أسامة، ألا لا يبقين بالمدينة أحد من جيش أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجُرف<sup>(٢)</sup>، وأقام أبو بكر في الناس فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس إنما أنا مثلكم وإني لا أدري لعلكم ستكلفوني ما كان رسول الله ﷺ يطيق، إن الله اصطفى محمدًا على العالمين، وعصمه من الآفات، وإنما أنا متبع ولست مبتدع، فإن استقمت فتابعوني، وإن زغت فقوموني، وإن رسول الله ﷺ قبض وليس أحد من هذه الأمة يطلبه بمظلمة، ضربة سوط فما دونها، ألا وإن لي شيطانًا يعتريني فإذا أتاني فاجتنبوني لا أوثر في أشعاركم وأبشاركم، وإنكم تغدون وتروحون في أجل قد غُيبَ عنكم علمه، وإن استطعتم أن لا يمضي إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، وسابقوا في مهل آجالكم، من قبل أن تُسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال، فإن قومًا نسوا آجالهم وجعلوا أعمالهم بعدهم، فإياكم أن تكونوا أمثالهم، الجِدَّ الجِدَّ، النجاة النجاة، فإن وراءكم طالبًا حثيثًا، أجلًا مرَّةً سريعًا، إحذروا الموت، واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان،

(١) «البداية والنهاية» (٦/٣٠٣).

(٢) الجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام. ياقوت، «معجم البلدان» (٢/١٢٨).

ولا تغبطوا الأحياء إلا بما تغبطون به الأموات<sup>(١)</sup>.  
تنفيذ جيش أسامة<sup>(٢)</sup>؟

كان رسول الله ﷺ قد أمر أسامة بالمسير إلى تخوم البلقاء من الشام، حيث قُتل زيد بن حارثة، وجعفر، وابن رواحة، فخرجوا إلى الجرف فخيّموا به، وكان بينهم عمر بن الخطاب<sup>(٣)</sup>، ويقال أبوبكر الصديق، فاستنّاه رسول الله ﷺ منهم للصلاة، فلما ثقل رسول الله ﷺ أقاموا هنالك، فلما مات رسول الله عظم الخطب، واشتد الحال، ونجم النفاق بالمدينة، وارتد من ارتد من أحياء العرب حول المدينة، وامتنع آخرون من أداء الزكاة إلى الصديق، ولم يبق للجمعة مقام في بلد سوى مكة والمدينة، وكانت جُواتًا من البحرين أول قرية أقامت الجمعة

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٣/٢٢٤).

(٢) «البداية والنهاية» (٦/٣٠٤).

(٣) ذكر الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٨/١٥٢) أن ابن تيمية في كتابه «الرد على ابن المطهز» قد أنكر أن يكون أبوبكر وعمر قد اكتبا في جيش أسامة. وعند مراجعة «منهاج السنة» لابن تيمية، عند كلامه على هذه المسألة (٤/٢٧٦) وما بعدها وجدته يستثني الصديق فقط، ويقول: بأنه لم يكتب في جيش أسامة؛ لأن النبي عقد الراية لأسامة بعد مرضه ﷺ، وقبل وفاته بأيام وهو قد أمره بالصلاة في مسجده.

وقال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/٢٢٢) وقد انتدب كثير من الكبار من المهاجرين الأولين والأنصار في جيشه فكان من أكبرهم عمر بن الخطاب، ومن قال إن أبابكر فيهم فقد غلط فإن رسول الله ﷺ اشتد به المرض وجيش أسامة مخيم بالجرف، وقد أمر النبي ﷺ أبابكر أن يصلي بالناس، فكيف يكون في الجيش وهو إمام المسلمين بإذن رسول رب العالمين، ولو فرض أنه كان قد انتدب فقد استثناه الشارع من بينهم بالنص.

بعد رجوع الناس إلى الحق كما في صحيح البخاري<sup>(١)</sup>.  
وقد كانت ثقيف بالطائف ثبتوا على الإسلام، لم يغيروا، ولا ارتدوا، والمقصود أنه لما وقعت هذه الأمور أشار كثير من الناس على الصديق أن لا يُنفذ جيش أسامة لاحتياجه إليه فيما هو أهم، لأن ما جهز بسببه في حال السلامة، وكان من جملة من أشار بذلك عمر بن الخطاب، فامتنع الصديق من ذلك، وأبى أشد الإباء، إلا أن ينفذ جيش أسامة، وقال: والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ، ولو أن الطير تخطفنا، والسباع من حول المدينة، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهز جيش أسامة»، وأمر الحرس يگونون حول المدينة.  
روى سيف بن عمر عن أبي ضمرة وأبي عمر وغيرهما عن الحسن البصري: أن أبا بكر لما صمم على تجهيز جيش أسامة قال بعض الأنصار لعمر: قل له فليؤمر علينا غير أسامة، فذكر له عمر ذلك، فيقال إنه أخذ بلحيته وقال: ثكلتك أمك يا بن الخطاب، أوامر غير أمير رسول الله ﷺ؟ ثم نهض بنفسه إلى الجرف فاستعرض جيش أسامة، وأمرهم بالمسير، وسار معهم ماشيًا، وأسامة راكبًا، وعبدالرحمن بن عوف يقود براحلة الصديق، فقال أسامة: يا خليفة رسول الله، إما أن تركب وإما أن أنزل، فقال: والله لست بنازل ولست براكب، ثم استطلق الصديق من أسامة عمر بن الخطاب - وكان مكتئبًا في جيشه - فأطلقه له، فلهذا كان عمر لا يلقاه بعد ذلك إلا قال: السلام عليك أيها الأمير<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن (٣٧٩/٢) من الفتح).

(٢) انظر: «تاريخ الطبري» (٢٢٦/٣).

فكان خروجه في ذلك الوقت من أكبر المصالح والحالة تلك، فسازروا لا يمرون بحي من أحياء العرب إلا أربعوا منهم، وقالوا: ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة، فغابوا أربعين يوماً ويقال سبعين يوماً، ثم أتوا سالمين غانمين.

تصدي الصديق لقتال أهل الردة ومانعي الزكاة<sup>(١)</sup>!

عن القاسم بن محمد وعمرة عن عائشة قالت: لما قبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب قاطبة وأشرب النفاق، والله لقد نزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها، وصار أصحاب محمد ﷺ كأنهم معزى مطيرة في حش في ليلة باردة، بأرض مسبعة، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بحظها وغنائها في الإسلام، ثم ذكرت عمر فقالت: من رأى عمر علم أنه خلق غناء للإسلام، كان والله أحوذياً نسيج وحده قد أعد للأمور أقرانها<sup>(٢)</sup>.

قال ابن هشام: وحدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم، أن أكثر أهل مكة لما توفي رسول الله ﷺ همّوا بالرجوع عن الإسلام، وأرادوا ذلك، حتى خافهم عتاب بن أسيد، فتواري، فقام سهيل بن عمرو، فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ، وقال: إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة فمن رابنا ضربنا عنقه، فتراجع الناس، وكفوا عما همّوا به، فظهر عتاب بن أسيد. فهذا المقام الذي أراد رسول الله ﷺ في قوله لعمر بن الخطاب - يعني حين أشار بقلع ثنيته حين وقع في الأسارى يوم

(١) «البداية والنهاية» (٥/٢٨٩) و(٦/٣١١) وما بعدها.

(٢) «المصنف لابن أبي شيبة» (١٤/٥٧٢) من طريق عبدالرحمن بن أبي عون عن القاسم بن محمد، بنحوه.

بدر - إنه عسى أن يقوم مقامًا لا تَدُمُّنَّه<sup>(١)</sup>.

وانحاز إلى مسيلمة الكذاب، بنوحنيفة وخلق كثير باليمامة. واجتمعت على طليحة الأسدي، بنوأسد، وطيء، وبشر كثير، وادعى النبوة، كما ادعاهها مسيلمة الكذاب، وعظم الخطب واشتدت الحال، ونفذ الصديق جيش أسامة، فقلّ الجند عند الصديق، فطمعت كثير من الأعراب في المدينة وراموا أن يهجموا على أمراء الحرس الذين جعلهم الصديق على أنقاب المدينة، وهم: علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيدالله، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالرحمن بن عوف، وعبدالله بن مسعود. وجعلت وفود العرب تقدم المدينة، يقرون بالصلاة ويمتنعون من أداء الزكاة، ومنهم من أقرّ بها ولكن امتنع من دفعها إلى الصديق، وذُكر أن منهم احتج بقوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠٣] قالوا: فلسنا ندفع زكاتنا إلا إلى من صلواته سكن لنا. وأنشد بعضهم:

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا فواعجبا ما بال مُلْكِ أبي بكر<sup>(٢)</sup>

وقد تكلم الصحابة مع الصديق في أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم. ثم هم بعد ذلك يزكون، فامتنع الصديق من ذلك وأباه.

وقد روى الجماعة في كتبهم سوى ابن ماجه عن أبي هريرة أن

(١) ابن هشام، «السيرة النبوية» (٢/٦٤٩)، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/٤٣٢) «الطبقة الرابعة».

(٢) البيت في «تاريخ الطبري» (٣/٢٤٦) منسوبًا لعبدالله الليثي ضمن أبيات أخرى، وفيه اختلاف يسير.

عمر بن الخطاب قال لأبي بكر: علام تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها؟» فقال أبو بكر: والله لو منعوني عناقاً، وفي رواية: عقلاً، كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعها، إن الزكاة حق المال، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، قال عمر: فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق<sup>(١)</sup>. قلت: وقد قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥] وثبت في الصحيحين: «بني الإسلام على خمس؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»<sup>(٢)</sup>.

وقد روى الحافظ ابن عساكر من طريقين عن شبابة بن سَوَّار: ثنا عيسى بن يزيد المدني، حدثني صالح بن كيسان، قال: لما كانت الردة قام أبو بكر في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: الحمد لله الذي هدى فكفى، وأعطى فأغنى، وإن الله بعث محمداً ﷺ، والعلم شريد، والإسلام غريب طريد، قد رث حبله، وخلق عهده، وضل أهله منه،

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب استتابة المرتدين، باب قتل من أبي قبول الفرائض (٢٧٥/١٢ من الفتح) ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، حديث رقم (٢٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي بني الإسلام على خمس، من حدث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما (٤٩/١ من فتح الباري)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام، حديث رقم (١٦).

ومقت الله أهل الكتاب فلا يعطيهم خيراً لخيرِ عندهم، ولا يصرف عنهم شراً لشر عندهم، قد غيروا كتابهم، وألحقوا فيه ما ليس منه، والعرب الأميون صِفْرُ من الله لا يعبدونه ولا يدعونه، أجهدُهم عيشاً، وأضلُّهم ديناً، في طَلَبِ من الأرضِ فَيَّةُ السَّحَابِ؛ فجمعهم الله بمحمد، وجعلهم الأمة الوسطى، نصرهم بمن اتبعهم، ونصرهم على غيرهم، حتى قبض الله نبيه ﷺ؛ فركب منهم الشيطان مركبه الذي أنزله الله عنه، وأخذ بأيديهم، وبغى هلكتهم ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦] إن من حولكم من العرب منعوا شاتهم وبعيرهم، ولم يكونوا في دينهم - وإن رجعوا إليه - أزهد منهم يومهم هذا، ولم تكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا، على ما قد تقدم من بركة نبيكم ﷺ، وقد وكلكم إلى المولى الكافي، الذي وجدته ضالاً فهداه، وعائلاً فأغناه ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، والله لا أدعُ أن أقاتل على أمر الله حتى يُنجز الله وَعَدَهُ، ويفي لنا عَهْدَهُ، ويُقتل من قُتِلَ مِنَّا شهيداً من أهل الجنة، ويبقى من بقي مِنَّا خليفته وذريته في أرضه، قضاء الله الحق، وقوله الذي لا خُلِفَ له ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ [النور: ٥٥] ثم نزل (١).

وقال الحسن وقتادة وغيرهما في قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ ﴾ [المائدة: ٥٤]، قالوا: المراد

(١) «تاريخ دمشق» (٦٩٢/٩).



بذلك أبوبكر وأصحابه، في قتالهم المرتدين، وما نعي الزكاة<sup>(١)</sup>.  
انتشار الردة:

وقال محمد بن إسحاق: ارتدت العرب عند وفاة رسول الله ﷺ ما خلا أهل المسجدين، مكة والمدينة، وارتدت أسد، وغطفان، وعليهم طليحة بن خويلد الأسدي الكاهن، وارتدت كِنْدَةَ ومن يليها، وعليهم الأشعث بن قيس الكِنْدِي، وارتدت مُذْحِج ومن يليها، وعليهم الأسود بن كعب بن قيس العَنَسِي الكاهن، وارتدت ربيعة مع المعرور بن النعمان بن المنذر، وكانت بنو حنيفة مقيمة على أمرها مع مسيلمة بن حبيب الكذاب، وارتدت سُليم مع الفجاءة، واسمه إياس<sup>(٢)</sup> بن عبدالله بن عبدالميل، وارتدت بنو تميم مع سجاح الكاهنة<sup>(٣)</sup>.

وقال القاسم بن محمد: اجتمعت أسد وغطفان وطيء على طليحة الأسدي، وبعثوا وفوداً إلى المدينة، فنزلوا على وجوه الناس فأنزلوهم إلا العباس، فحملوا بهم إلى أبي بكر، على أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة، فعزم الله لأبي بكر على الحق، وقال: لو منعوني عقلاً لجاهدتهم، فردهم فرجعوا إلى عشائرتهم، فأخبروا بقله أهل المدينة، وطَمَعُوهم فيها، فجعل أبوبكر الحرس على أنقاب المدينة، وألزم أهل المدينة بحضور المسجد وقال: إن الأرض كافرة، وقد رأى وفدهم منكم قلة، وإنكم لا تدرن ليلاً يأتون أم نهاراً، وأدناهم منكم على بريد، وقد كان القوم يؤملون أن نقبل منهم ونوادعهم وقد أبينا عليهم،

(١) «تفسير الطبري» (٦/٢٨٢-٢٨٣).

(٢) في الأصل: «أنس»، والتصحيح من «تاريخ الطبري» (٣/٢٦٤).

(٣) انظر نحوه في «تاريخ الطبري» (٣/٢٦٤).

فاستعدّوا وأعدّوا، فما لبثوا إلا ثلاثاً حتى طرّقوا المدينة غارة، وخلفوا نصفهم بذي حُسيّ ليكونوا ردةً لهم، وأرسل الحرسُ إلى أبي بكر يخبرونه بالغارة، فبعث إليهم: أن ألزموا مكانكم، وخرج أبو بكر في أهل المسجد على النواضح إليهم، فانفش العدو، وأتبعهم المسلمون على إبلهم، حتى بلغوا ذا حُسي فخرج عليهم الرّدءُ فالتقوا مع الجمع فكان الفتح<sup>(١)</sup>.

غزو الصديق للمرتدين حول المدينة<sup>(٢)</sup>؛

وفي جمادى الآخرة من سنة إحدى عشرة ركب الصديق في أهل المدينة وأمراء الأنقاب، إلى من حول المدينة من الأعراب الذين أغاروا عليها، فلما تواجه هو وأعداؤه من بني عبّس، وبني مُرّة، وذُبْيَان، ومن تأشب معهم من بني كنانة، وأمدهم طليحة بابن أخيه<sup>(٣)</sup> حِبَال، فلما تواجه القوم كانوا قد صنعوا مكيدة وهي أنهم عمدوا إلى أنحاء<sup>(٤)</sup> فنفخوها ثم أرسلوها من رؤوس الجبال، فلما رأتها إبل أصحاب الصديق نفرت وذهبت كل مذهب، فلم يملكوا من أمرها شيئاً إلى الليل، وحتى رجعت إلى المدينة، فلما وقع ما وقع ظن القوم بالمسلمين الوهن، وبعثوا إلى عشائرهم من نواحي آخر، فاجتمعوا، وبات أبو بكر رضي الله عنه قائماً ليله يعبىء الناس، ثم خرج على تعبئة

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٢٤٤/٣).

(٢) «البداية والنهاية» (٣١٣/٦).

(٣) في الأصل: «بابنه»، والتصحيح من «تاريخ الطبري» (١٨٦/٣، ٢٤٤).

(٤) التّحي: هو الزق ينفخ بالهواء ثم يُدْهده فيحدث صوتاً تنفر منه الإبل. انظر:

«اللسان» (٣١١/١٥).

من آخر الليل، وعلى ميمنته النعمان بن مُقَرَّن، وعلى الميسرة أخوه عبدالله بن مُقَرَّن، وعلى الساقة أخوهما سويد بن مقرن، فما طلع الفجر إلا وهم والعدو في صعيد واحد، فما سمعوا للمسلمين حسًا ولا همسًا، حتى وضعوا فيهم سيوفهم، فما طلعت الشمس حتى ولّوهم الأدبار، وغلبوهم على عامة ظُهرهم، واتبعهم أبوبكر حتى نزل بذي القَصَّة<sup>(١)</sup>، وكان أول الفتح، وذَلَّ بها المشركون، وعزَّ بها المسلمون، وكانت بنو ذُبَيان وعَبَس قد وثبوا على من فيهم من المسلمين فقتلوهم، وفعل مَنْ وراءهم كفعلهم، فحلف أبوبكر ليقتلن من كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة، فكانت هذه الواقعة من أكبر العون على نصر الإسلام وأهله، وذلك أنه عزَّ المسلمون في كل قبيلة، وذَلَّ الكفار في كل قبيلة، ورجع أبوبكر إلى المدينة مؤيدًا منصورًا، سالمًا غانمًا<sup>(٢)</sup>.

وبعد عودة الصديق للمدينة جاءته في ليلة واحدة صدقات عدي بن حاتم، وصفوان، والزبرقان بن بدر، إحداها في أول الليل، والثانية في أوسطه، والثالثة في آخره، وقدم بكل واحدة منهن بشير من أمراء الأنقاب، فكان الذي بَشَّر بصفوان، سعد بن أبي وقاص، والذي بَشَّر بالزبرقان، عبدالرحمن بن عوف، والذي بَشَّر بعدي بن حاتم، عبدالله بن مسعود، ويقال: أبوقتادة الأنصاري رضي الله عنه، وذلك على رأس ستين ليلة من متوفى رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>.

(١) ذوالقَصَّة: موضع على بريد من المدينة تلقاء نجد، خرج إليه الصديق فعقد الألوية وقطع الجنود لقتال المرتدين. ياقوت، «معجم البلدان» (٤/٣٦٦).

(٢) «تاريخ الطبري» (٣/٢٤٦).

(٣) المصدر نفسه (٣/٢٤٧)، وصفوان المذكور هنا: هو صفوان بن صفوان بن أسيد =

رجوع جيش أسامة وخروج الصديق مرة أخرى<sup>(١)</sup>!

قدم أسامة بن زيد بعد تلك الأحداث بليال، فاستخلفه أبوبكر على المدينة، وأمرهم أن يُرِيحُوا ظَهْرَهُمْ، ثم ركب أبوبكر في الذين كانوا معه، في الوقعة المتقدمة، فقال له المسلمون: لو رجعت إلى المدينة وأرسلت رجلاً، فقال: والله لا أفعل، ولأواسينكم بنفسي، فخرج في تعبته، والنعمان، وعبدالله، وسويد، بنو مُقَرَّن على ما كانوا عليه، حتى نزل على أهل الرَبْذَةَ بالأبرق، وهناك جماعة من بني عبس وذبيان، وطائفة من بني كِنَانَةَ، فاقتتلوا فهزم الله المشركين، وأخذ الشاعرُ الحُطَيْثَةُ أسيراً، فطارت بنوعبس وبنوبكر، وأقام أبوبكر على الأبرق<sup>(٢)</sup> أياماً وقد غلب بني ذبيان على البلاد، وقال: حرام على بني ذبيان أن يتملكوا هذه البلاد، إذ غَنَمناها الله، وحمى الأبرق لخيول المسلمين، وأرعى سائر بلاد الربذة للناس، وقد قال في يوم الأبرق زياد بن حنظلة:

ويوم بالأبارق قد شَهِدْنَا      على ذُبيان يَلْتَهَبُ التَهَابَا  
أَتِينَاهُمْ بِدَاهِيَةٍ نَسُوفٍ      مع الصديق إذ ترك العِتَاب<sup>(٣)</sup>

= التميمي، كان عامل النبي ﷺ على بني عمرو بطن من تميم، وانظر ترجمته في: «الإصابة» (٣/٤٣٥).

(١) «البداية والنهاية» (٦/٣١٤).

(٢) الأبرق: موضع في الربذة، وهو من منازل بني ذبيان. ياقوت، مصدر سابق (١/٦٨).

(٣) راجع: «تاريخ الطبري» (٣/٢٤٧-٢٤٨) والخبر من طريق سيف بن عمر عن شيوخه.

خروج الصديق إلى ذي القصة وعقد ألوية الأمراء لقتال المرتدين<sup>(١)</sup>!

بعد ما جمّ جيش أسامة واستراحوا، ركب الصديق في الجيوش الإسلامية شاهراً سيفه مسلولاً، من المدينة إلى ذي القصة، وهي من المدينة على مرحلة، وعلي بن أبي طالب يقود براحلة الصديق رضي الله عنهما، فسأله الصحابة، منهم علي وغيره، وألحوا عليه أن يرجع إلى المدينة، وأن يبعث لقتال الأعراب غيره ممن يؤمره من الشجعان الأبطال، فأجابهم إلى ذلك، وعقد الألوية لأحد عشر أميراً هم:

- ١- خالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد، فإذا فرغ سار إلى مالك بن نويرة بالبطحاء إن أقام له.
- ٢- عكرمة بن أبي جهل، وأمره بمسيلمة الكذاب وبني حنيفة.
- ٣- شُرْحَيْبِل بن حَسَنَة أرسله في إثر عكرمة إلى مسيلمة الكذاب.
- ٤- المهاجر بن أبي أمية، وأمره بجنود العنسي، ومعونة الأبناء على قيس بن مكشوح، وذلك لأنه كان قد نزع يده من الطاعة.
- ٥- خالد بن سعيد بن العاص إلى مشارف الشام.
- ٦- عمرو بن العاص إلى قُضَاعَة، ووديعة، والحارث، شمال غربي المدينة.

٧- حذيفة بن مِحْصَن الغُلفاني<sup>(٢)</sup>، وأمره بأهل دَبَا<sup>(٣)</sup> من عُمان.

(١) «البداية والنهاية» (٦/٣١٤).

(٢) في الأصل: «الغطفاني»، والتصحيح من «تاريخ الطبري» (٣/٢٤٩).

(٣) دبا: بفتح أوله مع القصر، سوق من أسواق العرب بعُمان. ياقوت، مصدر سابق (٢/٤٣٥).

٨- عرفجة بن هرثمة<sup>(١)</sup>، وأمره بمهرة<sup>(٢)</sup> جهة حضرموت.  
٩- طريفة بن حازم السلمي<sup>(٣)</sup>، وأمره ببني سليم ومن معهم من هوازن.

١٠- سويد بن مقرن، وأمره بتهامة اليمن.

١١- العلاء بن الحضرمي، وأمره بالبحرين.

المنشور الموجه إلى المرتدين<sup>(٤)</sup>؟

كتب الصديق لكل أمير كتاب عهده على حدته، وفصل كل أمير بجنده من ذي القصة، ورجع الصديق إلى المدينة، وقد كتب معهم الصديق كتابًا عامًا إلى المرتدة وهذه نسخته:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابي هذا، من عامة وخاصة، أقام على إسلامه أو رجع عنه، سلام على من اتبع الهدى، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والهوى، فإنني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، نُقِرَ بما جاء به، ونُكِّفَ من أبي ذلك ونجاهده. أما بعد، فإن الله أرسل محمدًا بالحق من عنده إلى خلقه

(١) في الأصل: «وبعرفجة وهرثمة وغير ذلك»، والتصحيح من «تاريخ الطبري»

(٢/٣) (٢٤٩/٣) راجع ترجمته في «الإصابة» لابن حجر (٤/٤٨٥).

(٢) مهرة: بالفتح ثم السكون، قبيلة باليمن تنسب إليها الإبل المهرية، ولهم مخلاف بين عمان وحضرموت. انظر: ياقوت، «مصدر سابق» (٥/٢٣٤).

(٣) في الأصل: «طرفة بن حازم»، والتصحيح من «تاريخ الطبري» (٣/٢٤٩).

وانظر ترجمته في «الإصابة» لابن حجر (٣/٥١٨).

(٤) «البداية والنهاية» (٦/٣١٥).

بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فهدى الله بالحق من أجاب إليه، وضرب رسول الله ﷺ من أدبر عنه، حتى صار إلى الإسلام طَوْعًا أَوْ كَرْهًا<sup>(١)</sup>، ثم توفى الله رسوله، وقد نفذ لأمر الله، ونصح لأمته، وقضى الذي عليه، وكان الله قد بين له ذلك، ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل فقال:

﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر]،

وقال: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ آخِلًا أَفْأَيْنَ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء]، وقال للمؤمنين: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أُنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران]، فمن كان إنما يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان إنما يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، ولا تأخذه سنة ولا نوم، حافظ لأمره، منتقم من عدوه، وإني أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبيكم من الله وما جاءكم به نبيكم ﷺ، وأن تهتدوا بهداه، وأن تعتصموا بدين الله، فإن كل من لم يهده الله ضال، وكل من لم يُعِنه الله مخدول، ومن هداه غير الله كان ضالاً، قال الله تعالى: ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّمْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾ [الكهف]، ولن يقبل منه في الدنيا عمل حتى يُقَرَّ به، ولم يقبل منه في الآخرة صَرَفٌ وَلَا عَدْلٌ، وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به، اغترارًا بالله وجهلاً بأمره،

(١) أن من قبل الحق بانشرح صدر، أو خضع لحكم الإسلام العام وهو كاره ولم يسلم.

وإجابة للشيطان، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف]، وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر]، وإني بعثت إليكم (.....) في جيش من المهاجرين، والأنصار، والتابعين بإحسان، وأمرته أن لا يقبل من أحد إلا الإيمان بالله، ولا يقتله حتى يدعوه إلى الله عزوجل، فإن أجاب وأقر وعمل صالحاً قبل منه، وأعانه عليه، وإن أبى حاربه عليه حتى يفيء إلى أمر الله، ثم لا يُبقي على أحد منهم قدير عليه، وأن يحرقهم بالنار، وأن يقتلهم كل قتلته، وأن يسبي النساء والذراري، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، فمن اتبعه فهو خير له، ومن تركه فلن يعجز الله، وقد أمرتُ رسولي أن يقرأ كتابه في كل مجمع لكم، والداعية الأذان، فإذا أذن المسلمون كُفوا عنهم، وإن لم يؤذنوا عاجلُوهم، وإن أذنوا فسلوهم ما عليهم، فإن أبوا عاجلُوهم، وإن أقرؤا قبلَ وحملهم على ما ينبغي لهم<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» من طريق سيف بن عمر (٣/٢٥٠). وانظر: نحوه في «تاريخ الردة» المستخرج من كتاب «الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء» لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي البلسني، اقتباس وتهذيب، خورشيد أحمد فاروق ص (٢٧)، الطبعة الثانية، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.



### خروج الأسود العنسي في اليمن في حياة رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>؛

خرج الأسود العنسي، واسمه: عبهلة بن كعب بن غوث - من بلد يقال لها: كَهْفُ خُبَّان<sup>(٢)</sup> - في أواخر أيام النبي ﷺ ومعه سبعمائة مقاتل، وكتب إلى عمّال النبي ﷺ: «أيها المتوردون علينا، أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا، ووفّروا ما جمعتم، فنحن أولى به، وأنتم على ما أنتم عليه»، ثم ركب فتوجه إلى نجران فأخذها بعد عشر ليالٍ من مخرجه، ثم قصد إلى صنعاء، فخرج إليه شهر بن باذام فتقاتلا، فغلبه الأسود وقتله، وكسر جيشه من الأبناء واحتل بلدة صنعاء لخمس وعشرين ليلة من مخرجه، ففر معاذ بن جبل من هنالك واجتاز بأبي موسى الأشعري، فذهب إلى حضرموت وانحاز عمال رسول الله ﷺ إلى الطاهر بن أبي هالة، ورجع عمرو بن حزم<sup>(٣)</sup>، وخالد بن سعيد بن العاص إلى المدينة، واستوثقت اليمن بكمالها للأسود العنسي، وجعل أمره يستطير استطارة الشرارة، وكان جيشه يوم لقي شهرًا سبعمائة فارس، وأمراؤه: قيس بن عديغوث بن مكشوح، ومعاوية بن قيس، ويزيد بن محرم، ويزيد بن حصين الحارثي<sup>(٤)</sup>، ويزيد بن الأفكل

(١) «البداية والنهاية» (٦/٣٠٧-٣١١) ثم ص (٣٠٥).

(٢) خُبَّان: بضم أوله وتشديد ثانيه: قرية باليمن في واد يقال له: وادي خبان قرب نجران. ياقوت، مصدر سابق (٢/٣٤٣). ذكره المصنف في (٦/٣٠٧) وما بعدها.

(٣) في الأصل: عمر بن حرام، وهو تصحيف، والصواب: عمرو بن حزم كما في تاريخ الطبري (٣/٢٢٨).

(٤) في الأصل: يزيد بن محرم بن حصين. والتصحيح من «تاريخ الطبري» (٣/٢٣٠).

الأزدي، واشتد ملكه، واستغلظ أمره، وارتد خلق من أهل اليمن، وعامله المسلمون الذين هناك بالتقية، وكان خليفته على مذحج، عمرو بن معدي كرب، وأسند أمر الجُند إلى قيس بن عبد يغوث، وأسند أمر الأبناء إلى فيروز الديلمي، وداذويه، وتزوج بامرأة شهر بن باذام وهي ابنة عم فيروز الديلمي، واسمها أزاذ، وكانت امرأة حسناء جميلة، وهي مع ذلك مؤمنة بالله ورسوله محمد ﷺ، ومن الصالحات.

مواجهة الأسود العنسي وقتله:

قال سيف بن عمر التميمي: بعث رسول الله ﷺ كتابه، حيث بلغه خبر الأسود العنسي مع رجل يقال له: وَبَرُّ بن يُحْنَسِ الديلمي. يأمر المسلمين الذين هناك بمقاتلة الأسود العنسي ومصاولته، وقام معاذ بن جبل بهذا الكتاب أتم القيام، وكان قد تزوج امرأة من السكون يقال لها: رَمْلَةٌ، فحزبت عليه السكون لصهره فيهم، وقاموا معه في ذلك، وبلغوا هذا الكتاب إلى عُمَالِ النبي ﷺ، ومن قَدَرُوا عليه من الناس، واتفق اجتماعهم بقيس بن عبد يغوث أمير الجُند - وكان قد غضب عليه الأسود، واستخف به، وَهَمَّ بقتله - وكذلك كان أمر فيروز الديلمي، قد ضعف عنده أيضاً، وكذا داذويه، فلما أعلم وبر بن يحنس قيس بن مكشوح، كان كأنما نزلوا عليه من السماء، ووافقهم على الفتك بالأسود، وتوافق المسلمون على ذلك، وتعاهدوا عليه، وأطلع شيطانُ الأسودِ الأسودَ على شيء من ذلك، فدعا قيس بن مكشوح، فقال له: يا قيس ما يقول هذا؟ قال: وما يقول؟ قال يقول: عمدت إلى قيس فأكرمته حتى إذا دخل منك كل مدخل، وصار في العِزِّ مثلك، مال ميل عدوك، وحاول مُلْكَكَ، وأضمر على الغدر، إنه يقول: يا أسود يا سوءة، أقطف

فُتِّهَ وخذ من قيس أعلاه، وإلا سَلَبْتُكَ وَقَطَّفْتُكَ . فقال قيس وحلف به : كَذَبَ وَذِي الْخِمَارِ لَأَنْتِ أَعْظَمُ فِي نَفْسِي وَأَجْلُ عِنْدِي مِنْ أَنْ أَحْدِثَ بِكَ نَفْسِي ، فقال له الأسود : ما أجفاك ! تَكْذِبُ الْمَلِكُ ، فقد صدق الملكُ ، وعرفتُ الآن أنك تائب مما أطلع عليه مِنْكَ .

ثم خرج قيس من بين يديه فجاء إلى أصحابه، فيروز، وداذويه، وأخبرهم بما قال له، وما ردَّ عليه، فقالوا: إنا كلنا على حَدَرٍ، فما الرأي، فبينما هم يشتورون إذ جاءهم رسوله فأحضرهم بين يديه، فقال: ألم أشرفكم على قومكم؟ قالوا: بلى، قال: فماذا يبلغني عنكم؟ فقالوا: أَقَلْنَا مَرَّتَنَا هَذِهِ، فقال: لا يبلغني عنكم فأقيلكم، قال: فخرجنا من عنده ولم نكد، وهو في ارتياب من أمرنا، ونحن على خطر، فبينما نحن في ذلك إذ جاءتنا كتب من عامر بن شهر، أمير هَمْدَانَ، وذو ظُلَيْمٍ، وذو كَلَّاعٍ، وغيرهم من أمراء اليمن، يبذلون لنا الطاعة والنصر على مخالفة الأسود، وذلك حين جاءهم كتاب رسول الله ﷺ يحثهم على مصاولة الأسود العنسي، فكتبنا إليهم أن لا يحدثوا شيئاً حتى نُبْرِمَ الأمر، قال قيس: فدخلتُ على امرأته أزاذا، فقلت: قد عرفت بلاء هذا الرجل عند قومك، قتل زوجك، وطأطأ في قومك القتل، وفضح النساء، فهل عندك مما لآء عليه؟ فقالت: على أي أمر؟ قلت: إخراجها، قالت: أو قتله، قلت: أو قتله، قالت: نعم، والله ما خلق الله شخصاً هو أبغض إلي منه، فما يقوم لله على حق ولا ينتهي له عن حرمة، فإذا عزمتم أخبروني أعلمكم بما في هذا الأمر، قال: فأخرج فإذا فيروز وداذويه، ينتظراني يريدان أن يناهضاه، فما استقر اجتماعه بهما حتى بعث إليه الأسود، فدخل في عشرة من قومه، فقال: ألم أخبرك بالحق

وتخبرني بالكذابة؟ إنه يقول: يا سواة، يا سواة، إن لم تقطع من قيس يده يقطع رقبتك العليا، حتى ظنَّ قيسُ أنه قاتله، فقال: إنه ليس من الحق أن أقتلك<sup>(١)</sup> وأنت رسول الله، فقتلي أحبُّ إليَّ من موتات أموتها كل يوم، فرَّق له وأمره بالانصراف، فخرج إلى أصحابه، فقال: اعملوا عملكم، فبينما هم وقوف بالباب يشتورون، إذ خرج عليهم الأسود وقد جُمع له مائة ما بين بقرة وبعير، فقام وخط خطًا وأقيمت من ورائه، وقام دونها، فنحرها، غير مُحَبَّسة ولا معقَّلة، ما يقتحم الخط منها شيء، فجالت إلى أن زهقت أرواحها، قال قيس: فما رأيتُ أمرًا كان أفظع منه، ولا يومًا أوحش منه، ثم قال الأسود: أحق ما بلغني عنك يا فيروز؟ لقد هممتُ أن أنحرك فألحقك بهذه البهيمة، وأبدي له الحربة، فقال له فيروز: اخترتنا لصهرك، وفضلتنا على الأبناء، فلو لم تكن نبيًّا ما بعنا نصيبنا منك بشيء، فكيف وقد اجتمع لنا بك أمر الآخرة والدينا؟! فلا تقبل علينا أمثال ما يبلغك، فإننا بحيث تحب، فرضي عنه وأمره بقسم لحوم تلك الأنعام، ففرقها فيروز في أهل صنعاء، ثم أسرع اللحاق به، فإذا رجل يحرضه على فيروز ويسعى إليه فيه، واستمع له فيروز، فإذا الأسود يقول: أنا قاتله غدًا وأصحابه، فاغد عليَّ به، ثم التفت فإذا فيروز، فقال: مه، فأخبره فيروز بما صنع من قسم ذلك اللحم، فدخل الأسود داره، ورجع فيروز إلى أصحابه فأعلمهم بما سمع، وبما قال وقيل له، فاجتمع رأيهم على أن عاودُوا المرأة في أمره، فدخل أحدهم - وهو فيروز - إليها فقالت: إنه ليس من الدار بيت

(١) في الأصل: أهلك، والتصحيح من «تاريخ الطبري» (٣/٢٣٣).

إلا والحرس محيطون به، غير هذا البيت، فإن ظهره إلى مكان كذا وكذا من الطريق، فإذا أمسيتم فانقبوا عليه من دون الحرس، وليس من دون قتله شيء، وإني سأضع في البيت سراجًا وسلاحًا، فلما خرج من عندها تلقاه الأسود فقال له: ما أدخلك على أهلي؟ ووجأ رأسه، وكان الأسود شديدًا، فصاحت المرأة فأدهشته عنه، ولولا ذلك لقتله، وقالت: ابن عمي جاءني زائرًا، فقال: اسكتي، لا أبالك، قد وهبته لك، فخرج فيروز على أصحابه فقال: النجاء النجاء، وأخبرهم الخبر، فحاروا ماذا يصنعون؟ فبعثت المرأة إليهم تقول لهم: لا تنتنوا عما كنتم عازمين عليه، فدخل عليها فيروز الديلمي فاستثبت منها الخبر، ودخلوا إلى ذلك البيت فنقبوا من داخله بطائن ليهون عليهم النقب من خارج، ثم جلس فيروز عندها جَهْرَةً كالزائر، فدخل الأسود، فقال: وما هذا؟ فقالت: إنه أخي من الرضاعة، وهو ابن عمي، فنهره وأخرجه، فرجع إلى أصحابه، فلما كان الليل، نقبوا ذلك البيت فدخلوا فوجدوا فيه سراجًا تحت جفنة، فتقدم إليه فيروز الديلمي والأسود نائم على فراش من حرير، قد غرق رأسه في جسده، وهو سكران يغط، والمرأة جالسة عنده، فلما قام فيروز بالباب أجلسه شيطانه وتكلم على لسانه - وهو مع ذلك يغط - فقال: مالي ومالك يا فيروز؟ فخشي إن رجع أن يهلك وتهلك المرأة، فعاجله وخالطه وهو مثل الجمل، فأخذ رأسه فدق عنقه، ووضع ركبتيه في ظهره حتى قتله، ثم قام ليخرج إلى أصحابه ليخبرهم، فأخذت المرأة بذيلة وقالت: أين تذهب عن حرمتك؟ فظنت أنه لم يقتله، فقال: أخرج لأعلمهم بقتله، فدخلوا عليه ليحتزوا رأسه، فحرّكه شيطانه فاضطرب، فلم يضبطوا أمره حتى جلس اثنان على

ظهره، وأخذت المرأة بشعره، وجعل يُبربر بلسانه، فاحتز الآخر رقبتة، فخار كأشدّ حُوار ثور سُمع قط، فابتدر الحرس إلى المقصورة، فقالوا: ما هذا؟ فقالت المرأة: النبي يوحى إليه، فرجعوا.

### إعلان قتله:

جلس قيس بن مكشوح، وداذوية، وفيروز، يأترون كيف يعلمون أشياعهم فاتفقوا على أنه إذا كان الصباح ينادون بشعارهم الذي بينهم وبين المسلمين، فلما كان الصباح قام أحدهم، وهو قيس على سور الحصن فنادى بشعارهم، فاجتمع المسلمون والكافرون حول الحصن، فنادى قيس ويقال: وَبَرُّ بن يُحَنَس، بالأذان: أشهد أن محمداً رسول الله، وأن عبهلة كذاب، وألقى إليهم رأسه، فانهزم أصحابه وتبعهم الناس يأخذونهم ويرصدونهم في كل طريق، وظهر الإسلام وأهله، وتراجع نواب رسول الله ﷺ إلى أعمالهم وتنازع أولئك الثلاثة (قيس وداذويه وفيروز) في الإمارة، ثم اتفقوا على معاذ بن جبل يصلي بالناس، وكتبوا بالخبر إلى رسول الله ﷺ، وقد أطلع الله على الخبر من ليلته، فقال: «قُتِلَ العنسيُّ البارحة قَتَلَهُ رجلٌ مبارك من أهل بيت مباركين، قيل: ومن؟ قال: فيروز، فاز فيروز»<sup>(١)</sup>.

وروى سيف بن عمر بسنده عن فيروز: قال: قتلنا الأسود، وعاد أمرنا في صنعاء كما كان إلا أنا أرسلنا إلى معاذ بن جبل فتراضينا عليه، فكان يصلي بناء في صنعاء، فوالله ما صلى بنا إلا ثلاثة أيام حتى أتانا

(١) ذكر هذا الخبر الحافظ ابن حجر في ترجمة فيروز في كتاب «الإصابة» (٥/٥٨١)، ونسبه إلى سيف في الفتوح، وسيف بن عمر التميمي ضعيف في الحديث.

الخبر بوفاة رسول الله ﷺ، فانتقضت الأمور، وأنكرنا كثيرًا مما كنا نعرف، واضطربت الأرض، وقد جاء خبر مقتل الأسود العنسي إلى الصديق في أواخر ربيع الأول<sup>(١)</sup> بعد ما جهّز جيش أسامة، وقيل: بل جاءت البشارة إلى المدينة صبيحة توفي رسول الله ﷺ، والأول أشهر. قال أبو جعفر بن جرير: أمضى أبوبكر جيش أسامة بن زيد في آخر ربيع الأول، وأتى مقتل الأسود بعد مخرج أسامة، فكان ذلك أول فتح أتى أبابكر وهو بالمدينة<sup>(٢)</sup>.

ردة أهل اليمن بعد وفاة رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>؟

لما نبغ الأسود العنسي باليمن، أضل خلقًا كثيرًا من ضعفاء العقول والأديان حتى ارتد كثير منهم أو أكثرهم عن الإسلام، وقد قتله الأمراء الثلاثة، قيس بن مكشوح، وفيروز الديلمي، وداذويه، ولما بلغهم موت رسول الله ﷺ، ازداد بعض أهل اليمن فيما كانوا فيه من الحيرة والشك - أجارنا الله من ذلك -، وطمع قيس بن مكشوح في الإمرة باليمن، فعمل لذلك، وارتد عن الإسلام وتابعه عوام أهل اليمن، وكتب الصديق إلى الأمراء والرؤساء من أهل اليمن أن يكونوا عونًا إلى فيروز والأبناء على قيس بن مكشوح، حتى تأتيهم جنوده سريعًا، وحرص قيس على قتل الأميرين الآخرين، فلم يقدر إلا على داذويه، واحترز منه فيروز الديلمي، وذلك أنه عمل طعامًا وأرسل إلى داذويه أولاً، فلما جاءه عجل عليه فقتله، ثم أرسل إلى فيروز ليحضر

(١) كان أول خروجه في بداية سنة إحدى عشرة من الهجرة.

(٢) تاريخ الطبري (٣/٢٤٠).

(٣) «البداية والنهاية» (٦/٣٣١).

عنده فلما كان ببعض الطريق سمع امرأة تقول لأخرى : وهذا أيضاً والله مقتول كما قُتِلَ صاحبه ، فرجع من الطريق وأخبر أصحابه بقتل داذويه ، وخرج إلى أخواله خَوْلان فتحصن عندهم ، وساعدته عُقيل ، وعَكَ ، وعمد قيس إلى ذراري فيروز وداذويه والأبناء فأجلاهم عن اليمن ، وأرسل طائفة في البر وطائفة في البحر ، فاحتد فيروز فخرج في خلق كثير ، فتصادف هو وقيس فاقتتلوا قتالاً شديداً فهزم قيساً وجنده من العوام ، وبقية جند الأسود العنسي ، في كل وجه ، وأسِر قيس ، وعمرو بن معدي كرب ، وكان عمرو قد ارتد وباع الأسود العنسي ، وقد بعث المهاجر بن أبي أمية بهما إلى أبي بكر أسيرين ، فعنّفهما وأتّبهما ، فاعتذرا إليه فقبل منهما علانيتهما ، ووكل سرائرهما إلى الله عزوجل ، وأطلق سراحهما وردّهما إلى قومهما .

مسير خالد بن الوليد من ذي القصة لقتال المرتدين<sup>(١)</sup>؛

روى الإمام أحمد من طريق وَحْشي بن حرب ، أن أبا بكر لما عقد لخالد بن الوليد على قتال أهل الردة ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «نِعْمَ عَبْدُ اللَّهِ وَأَخُو الْعَشِيرَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، سَيْفٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ»<sup>(٢)</sup> .

ولما توجه خالد من ذي القصة وفارقه الصديق ، واعدّه أن سيلقاه من ناحية خيبر بمن معه من الأمراء - وأظهروا ذلك ليرعبوا الأعراب - وأمره أن يذهب أولاً إلى طليحة الأسدي ، ثم يذهب بعده إلى بني تميم ،

(١) البداية ٦/٣١٦ .

(٢) مسند أحمد (١/١٧٣) ، وقال الشيخ أحمد شاكر : «إسناده صحيح» .



وكان طليحة بن خويلد في قومه بني أسد، وفي غطفان، وانضم إليهم بنو عبس وذبيان، وبعث إلى بني جديلة والغوث من طيء يستدعيهم إليه، فبعثوا أقوامًا منهم بين أيديهم، ليلحقوهم على أثرهم سريعًا، وكان الصديق قد بعث عدي بن حاتم قبل خالد بن الوليد، وقال له: أدرك قومك لا يلحقوا بطليحة فيكون دمارهم، فذهب عدي إلى قومه بني طيء فأمرهم أن يبايعوا الصديق، وأن يراجعوا أمر الله، فقالوا: لا نبايع أبا الفصيل<sup>(١)</sup> أبدًا - يعنون أبا بكر رضي الله عنه - فقال: والله ليأتينكم جيشه فلا يزالون يقاتلونكم حتى تعلموا أنه أبو الفحل الأكبر، ولم يزل عدي يقتل لهم في الدروة والغارب حتى لانوا.

وجاء خالد في الجنود وعلى مقدمة الأنصار الذين معه: ثابت بن قيس بن شماس، وبعث بين يديه طليعة هما: ثابت بن أقرم، وعكاشة بن محصن، فتلقاهما حبال - ابن أخي طليحة، فقتلاه - فبلغ خبره طليحة فخرج هو وأخوه سلمة، فلما وجدا ثابتًا وعكاشة تبارزوا، وحمل طليحة على عكاشة فقتله، وقتل سلمة ثابت بن أقرم، وجاء خالد بمن معه فوجدوهما صريعين، فشق ذلك على المسلمين.

ومال خالد إلى بني طيء فقدم عليه عدي بن حاتم فقال: أنظرني ثلاثة أيام، فإنهم قد استنظروني حتى يبعثوا إلى من تعجل منهم إلى طليحة حتى يرجعوا إليهم، فإنهم يخشون إن تابعوك أن يقتل طليحة من سار إليه منهم، وهذا أحب إليك من أن يعجلهم إلى النار، فلما كان بعد ثلاث جاءه عدي في خمسمائة مقاتل ممن راجع الحق، فانضافوا إلى

(١) في الأصل: «أبا الفضل» من «تاريخ الطبري» (٣/٢٥٥). والفصيل هو ولد الناقة.

جيش خالد، وقصد خالد بني جَدِيلَة، فقال له عدي: يا خالد، أَجَلِنِي أَيامًا حتى آتيهم، فلعل الله أن ينقذهم كما أنقذ الغوث<sup>(١)</sup>، فأتاهم عدي فلم يزل بهم حتى تابعوه، فجاء بإسلامهم، ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب، فكان عدي خير مولود وأعظمه بركة على قومه رضي الله عنه. معركة بُزَاخَة والقضاء على بني أسد<sup>(٢)</sup>؟

ثم سار خالد حتى نزل بأجا وسلمى، وعَبَى جيشه هنالك والتقى مع طليحة الأسدي في مكان يقال له: بُزَاخَة<sup>(٣)</sup>، ووقفت أحياء كثيرة من الأعراب ينظرون على من تكون الدائرة، وجاء طليحة في من معه من قومه، ومن التف معهم وانضاف إليهم، وقد حضر معه عُيَيْنَة بن حِصْن، في سبعمائة من قومه بني فزارة، واصطف الناس، وجلس طليحة ملتفًا في كساء له يتنبأ لهم، ينظر ما يوحى إليه فيما يزعم، وجعل عينه يقاتل، حتى إذا ضجر من القتال يجيء إلى طليحة وهو ملتف في كسائه فيقول: أجاك جبريل؟ فيقول: لا، فيرجع فيقاتل، ثم يرجع فيقول له مثل ذلك، ويرد عليه مثل ذلك، فلما كان في الثالثة قال له: هل جاءك جبريل؟ قال: نعم، قال: فما قال لك؟ قال: قال لي: إن لك رحًا كرحاه، وحديثًا لا تنساه. قال عيينة: أظن أن قد علم الله سيكون لك حديثًا لن تنساه، ثم قال: يا بني فزارة انصرفوا، وانهزم. وانهزم الناس عن طليحة، فلما جاءه المسلمون ركب على فرس كان قد أعدها له،

(١) الأصل: «طيتًا»، والتصحيح من «تاريخ الطبري» (٣/٢٥٤). وجديلة والغوث

فرعان من طيء. راجع: ابن حزم، «جمهرة أنساب العرب» ص (٣٩٨-٤٠٠).

(٢) «البداية والنهاية» (٦/٣١٧).

(٣) ماء بأرض نجد لبني أسد.

وأركب امرأته النّوار على بعير له، ثم انهزم بها إلى الشام وتفرق جمعه، وقد قتل الله طائفة ممن كان معه<sup>(١)</sup>.

وقد كان طليحة ارتد في حياة النبي ﷺ فلما مات رسول الله ﷺ قام بمؤازرته عيينة بن حصن بن بدر، وارتد عن الإسلام، وقال لقومه: والله لنبي من بني أسد أحب إليّ من نبي من بني هاشم، وقد مات محمد وهذا طليحة فاتبعوه، فوافق قومه بنو فزارة على ذلك، فلما كسرهما خالد هرب طليحة بامرأته إلى الشام، فنزل على بني كلب، وأسر عيينة بن حصن، وبعث به خالد إلى المدينة مجموعة يداه إلى عنقه، فدخل المدينة وهو كذلك، فلما وقف بين يدي الصديق استتابه وحقن دمه، ثم حسن إسلامه بعد ذلك.

. وأما طليحة فإنه راجع الإسلام بعد ذلك، وذهب إلى مكة معتمراً أيام الصديق، واستحى أن يواجهه مدة حياته، وقد رجع فشهد القتال مع خالد، وكتب الصديق إلى خالد: أن استشره في الحرب ولا تؤمره - يعني معاملته له بنقيض ما كان قصده من الرياسة في الباطن - وهذا من فقه الصديق رضي الله عنه وأرضاه، وقد قال خالد بن الوليد لبعض أصحاب طليحة ممن أسلم وحسن إسلامه: أخبرنا عما كان يقول لكم طليحة من الوحي، فقال: إنه كان يقول: الحمام واليمام والصُّرْد الصَّوَام، قد صمن قبلكم بأعوام، لِيَبْلُغَنَّ ملكنا العراق والشام<sup>(٢)</sup>، وإلى أمثال ذلك من الخرافات والهديانات السمجة.

(١) أخرج الخبر الطبري في «تاريخه» (٢٥٥/٣) من طريق محمد بن إسحاق.

(٢) أخرج قول طليحة، الطبري في «تاريخه» (٢٦٠/٣) من طريق سيف بن عمر.

كتاب الصديق إلى خالد بعد هزيمة طليحة بن خويلد<sup>(١)</sup> ؟  
وقد كتب أبو بكر الصديق إلى خالد بن الوليد حين جاءه أنه كسر  
طليحة ومن كان في صفه وقام بنصره: ليزدك ما أنعم الله به عليك خيرًا،  
واتق الله في أمرك، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، جدّ في  
أمرك ولا تلن، ولا تظفر بأحد من المشركين قتل من المسلمين إلا  
نكّلت به.

فأقام خالد ببزاحة شهرًا يُصعد عنها ويصوّب، ويرجع إليها في  
طلب الذين وصّاه الصديق، فجعل يتردد في طلب هؤلاء شهرًا يأخذ بثأر  
من قتلوا من المسلمين الذين كانوا بين أظهرهم حين ارتدوا، فمنهم من  
حرّقه بالنار، ومنهم من رَضّخه بالحجارة، ومنهم من رمى به من شواهد  
الجبال، كل هذا ليعتبر بهم من يسمع بخبرهم من مرتدة العرب<sup>(٢)</sup>.  
حكم الصديق على المرتدين:

قال سفيان الثوري: عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب،  
قال: لما قدم وفد بزّاحة - أسد وغطفان - على أبي بكر يسألونه الصلح،  
خيّرهم أبو بكر بين حرب مُجَلّية أو خُطّة مخزية، فقالوا: يا خليفة رسول  
الله أما الحرب المجلية فقد عرفناها، فما الخطة المخزية؟ قال: تؤخذ  
منكم الحلقة والكراع، وتتركون أقوامًا تتبعون أذناب الإبل، حتى يُري  
الله خليفة نبيه والمؤمنين أمرًا يعذرونكم به، وتؤذون ما أصبتم منا، ولا  
تؤدّي ما أصبنا منكم، وتشهدون أن قتلانا في الجنة، وأن قتلاكم في

(١) البداية والنهاية (٦/٣١٨).

(٢) المصدر نفسه (٣/٢٦٣).

النار، وتَدُون قتلانا، ولا نَدِي قتلاكم، فقال عمر: أما قولك تدون قتلانا، فإن قتلانا قُتِلوا على أمر الله لا ديات لهم، وقال في الثاني: نِعْم ما رأيت. ورواه البخاري<sup>(١)</sup> من حديث الثوري بسنده مختصراً.

قِصَّةُ أُمِّ زَيْمَلٍ<sup>(٢)</sup>؛

كان قد اجتمع طائفة كثيرة من الفلّال من أصحاب طليحة - من بني غطفان - فاجتمعوا إلى امرأة يقال لها: أم زَيْمَلٍ - سلمى بنت مالك بن حذيفة - في مكان يسمى ظَفَر<sup>(٣)</sup>، وكانت من سيدات العرب، كأمها أم قِرْفَةَ<sup>(٤)</sup>، وكان يضرب بأمها المثل في الشرف لكثرة أولادها، وعزة قبيلتها وبيتها، فلما اجتمعوا إليها ذمّتهم لقتال خالد، فهاجوا لذلك، وتأشب إليهم آخرون من بني سُليْم، وطِيء، وهوازن، وأسد، فصاروا جيشاً كثيفاً، واستفحل أمر هذه المرأة، فلما سمع بهم خالد بن الوليد سار إليهم، واقتتلوا قتالاً شديداً، وهي راكبة على جمل أمها الذي كان يقال عنه: من نخس جملها فله مائة من الإبل، وذلك لعزها، فهزّمهم خالد وعقر جملها وقتلها وبعث بالفتح إلى الصديق رضي الله عنه<sup>(٥)</sup>.

(١) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف (٢٠٦/١٣ من فتح الباري)، وقد أورد الحافظ ابن حجر الخبر مطولاً نقلاً عن كتاب الحميدي «الجمع بين الصحيحين» وقال: «وقد أورده أبو بكر البرقاني في مستخرجه. وانظر: «المصنف» لابن أبي شيبة (٥٧١/١٤).

(٢) «البداية والنهاية» (٣١٩/٦).

(٣) اسم موضع قرب الحوَاب في طريق البصرة إلى المدينة، اجتمع عليه فلّال طليحة يوم بُزَاخَةَ. ياقوت، مصدر سابق (٦٠/٤).

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» (٢٦٣/٣).

(٥) قارن بـ «تاريخ الطبري» (٢٦٤/٣).

### قصة الفجاءة<sup>(١)</sup>؟

واسمه إياس بن عبدالله بن عبدياليل بن عميرة بن خُفّاف من بني سليم، قدم على أبي بكر الصديق فزعم أنه أسلم، وطلب منه أن يجهز معه جيشًا يقاتل به أهل الردة، فجهز معه جيشًا، فلما سار جعل لا يمر بمسلم ولا مرتد إلا قتله وأخذ ماله، فلما سمع الصديق بذلك بعث وراءه جيشًا فرّده، فلما أمكنه الله منه، بعث به إلى البقيع<sup>(٢)</sup>، فجمعت يده إلى قفاه وألقي في النار، فحرقه وهو ممقوط<sup>(٣)</sup>.

سجّاح وبنو تميم<sup>(٤)</sup>؟

كانت بنو تميم قد اختلفت آراؤهم أيام الردة، فمنهم من ارتد ومنع الزكاة، ومنهم من بعث بأموال الصدقات إلى الصديق، ومنهم من توقف لينظر في أمره، فبينما هم كذلك إذ أقبلت سجّاح بنت الحارث بن سويد بن عُقْفَان التغلبية من الجزيرة، وهي من نصارى العرب، وقد ادعت النبوة ومعها جنود من قومها ومنّ التف بهم، وقد عزموا على غزو أبي بكر الصديق، فلما مرت ببلاد بني تميم دعتهم إلى أمرها، فاستجاب لها عامتهم، وكان ممن استجاب لها، مالك بن نويرة التميمي، وعطارد بن حاجب، وجماعة من سادات أمراء بني تميم، وتخلّف آخرون منهم عنها، واصطلحوا على أن لا حرب بينهم، غير أن مالك بن نويرة لما وادعها وثناها عن عزمها، حرّضها على بني يربوع،

(١) «البداية والنهاية» (٦/٣١٩).

(٢) في «تاريخ الطبري» (٣/٢٦٤) أوقد له نازًا في مصلى المدينة.

(٣) أي: شدّت يده ورجلاه كهيئة المهاد للطفل. «مختار الصحاح» ص (٥٥١).

(٤) «البداية والنهاية» (٦/٣١٩) وما بعدها.

واتفق الجميع على قتال الناس غيرهم، فقالوا: بمن نبدأ؟ فقالت لهم فيما تسجعه: أعدوا الركاب، واستعدوا للنهاب، ثم أغيروا على الرباب<sup>(١)</sup>، فليس دونهم حجاب.

ثم استطاع بنو تميم إقناعها بقصد الإمامة، لتأخذها من مسيلمة بن حبيب الكذاب، فهابه قومها وقالوا: إنه قد استفحل أمره وعظم، فقالت لهم فيما تقوله: عليكم بالإمامة\* دفوا ديف الحمامة\* فإنها غزوة صرامة\* لا تلحقكم بعدها ملامة\*.

قال: فعمدوا لحرب مسيلمة، فلما سمع بمسيرها إليه خافها على بلاده، وذلك أنه مشغول بمقاتلة ثمامة بن أثال<sup>(٢)</sup>، وقد ساعده عكرمة بن أبي جهل بجنود المسلمين، وهم نازلون ببعض بلاده ينتظرون قدوم خالد، فبعث إليها يستأمنها ويضمن لها أن يعطيها نصف الأرض الذي كان لقريش لو عدلت، فقد رده الله عليك فحباك به، وراسلها ليجتمع بها في طائفة من قومه، فركب إليها في أربعين من قومه، وجاء إليها فاجتمعا في خيمة، فلما خلا بها وعرض عليها ما عرض من نصف الأرض، وقبلت ذلك، قال مسيلمة: سمع الله لمن سمع، وأطمعه بالخير إذا طمع، ولا يزال أمره في كل ما يسر مجتمع.

(١) الرباب: فرع من بني تميم وتنقسم إلى قسمين: بنو ضبة، وبنو عبد مناة. «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٧٠).

(٢) هو ثمامة بن أثال بن النعمان، أبوأمامة اليمامي، جيء به أسيراً إلى المدينة فربط في سارية المسجد، فأطلقه رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه. ثم ثبت على ذلك وقاوم الردة في بني حنيفة، ثم انضم إلى العلاء بن الحضرمي في البحرين وجاهد معه المرتدين. انظر ترجمته في: ابن حجر، «الإصابة» (١/ ٤١٠).

ثم قال لها: هل لك أن أتزوجك وأكل بقومي وقومك العرب؟ قالت: نعم، وأقامت عنده ثلاثة أيام، ثم رجعت إلى قومها فقالوا: ما أصدقك؟ فقالت: لم يصدقني شيئاً، فقالوا: إنه قبيح على مثلك أن تتزوج بغير صداق، فبعثت إليه تسأله صداقاً، فقال: أرسلني إليّ مؤذنبك، فبعثته إليه، وهو شيبث بن ربعي الرياحي - فقال: ناد في قومك: أن مسيلمة بن حبيب رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما آتاكم به محمد - يعني صلاة الفجر وصلاة العشاء الآخرة - فكان هذا صداقها عليه، ثم انثنت سجاح راجعة إلى بلادها وذلك حين بلغها دنو خالد من أرض اليمامة فكرت راجعة إلى الجزيرة بعدما قبضت من مسيلمة نصف خراج أرضه، فأقامت في قومها بني تغلب، إلى زمان معاوية، فأجلاهم منها عام الجماعة.

وقال عطار بن حاجب التميمي:

أمست نبيتنا أنشى نطيف بها وأصبحت أنبياءُ الناسِ ذُكراناً  
خبر مالك بن نويرة وقومه<sup>(١)</sup>؟

كان مالك قد صانع سجاح حين قدمت من أرض الجزيرة، فلما اتصلت بمسيلمة ثم ترحلت إلى بلادها، ندم مالك بن نويرة على ما كان من أمره، وتلوم في شأنه، وهو نازل بمكان يقال له: البطح<sup>(٢)</sup> فقصدته خالد بجنوده، وتأخرت عنه الأنصار، وقالوا: إنا قد قضينا ما أمرنا به

(١) «البداية والنهاية» (٦/٣٢١).

(٢) البطح: بضم أوله، ماء في ديار بني أسد بأرض نجد. ياقوت، مصدر سابق (١/٤٤٥).



الصديق، فقال لهم خالد: إن هذا أمر لا بد من فعله، وفرصة لا بد من انتهازها، وإن لم يأتني فيها كتاب، وأنا الأمير، وإليّ ترد الأخبار، ولست بالذي أجبركم على المسير، وأنا قاصد البطح، فسار خالد يومين ثم لحقه رسول الأنصار يطلبون منه الانتظار، فلحقوا به، فلما وصل البطح وعليها مالك بن نويرة، بثّ خالد السرايا في البطح يدعون الناس، فاستقبله أمراء بني تميم بالسمع والطاعة، وبذلوا الزكوات، إلا ما كان من مالك بن نويرة، فإنه متحير في أمره، متنح عن الناس، فجاءته السرايا فأسروه وأسروا معه أصحابه، وبات الأسارى في كبولهم في ليلة شديدة البرد، فنادى منادي خالد: أن ادفنوا أسراكم. فظن القوم أنه أراد القتل، فقتلوه، وقتل ضرار بن الأزور<sup>(١)</sup> مالك بن نويرة، فلما سمع خالد الواقعة خرج وقد فرغوا منهم، فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه.

ويقال: بل استدعى خالد مالك بن نويرة، فأثبه على ما صدر منه من متابعة سجاج، وعلى منعه الزكاة، وقال: ألم تعلم أنها قرينة الصلاة؟ فقال مالك: إن صاحبكم كان يزعم ذلك، فقال: أهو صاحبنا وليس بصاحبك؟ يا ضرار: اضرب عنقه، فضربت عنقه.

وقد تكلم أبو قتادة الأنصاري مع خالد فيما صنع حتى ذهب أبو قتادة فشكاه إلى الصديق، وتكلم عمر بن الخطاب مع أبي قتادة في خالد، وقال للصديق: اعزله فإن في سيفه رهقاً، فقال أبو بكر: لا أشيم سيفاً سلّه الله على الكفار، وجاء متمم بن نويرة، فجعل يشكو إلى

(١) هو: ضرار بن الأزور بن مالك بن جذيمة من بني أسد بن خزيمة، صحابي مشهور. انظر ترجمته عند ابن حجر في: «الإصابة» (٣/٤٨١).

الصديق خالدًا، فوداه الصديق من عنده .  
 واستمر أبو بكر بخالد على الإمرة، وإن كان قد اجتهد في قتل  
 مالك بن نويرة وأخطأ في قتله، كما أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى بني  
 جذيمة فقتل أولئك الأسارى الذين قالوا: صبانًا، صبانًا، ولم يحسنوا  
 أن يقولوا: أسلمنا، فوداهم رسول الله ﷺ حتى رد إليهم مِئْلَغَةَ الكلب،  
 ورفع يديه وقال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد<sup>(١)</sup>، ومع هذا لم  
 يعزل خالدًا عن الإمرة .  
 بعث خالد إلى اليمامة<sup>(٢)</sup>؟

بعث الصديق خالدًا إلى قتال بني حنيفة باليمامة وأوعب معه  
 المسلمون، وعلى الأنصار ثابت بن قيس بن شماس، فسار لا يمر بأحد  
 من المرتدين إلا نكل بهم، وقد اجتاز بخيول لأصحاب سجاح فشردهم  
 وأمر بإخراجهم من جزيرة العرب، وأردف الصديق خالدًا بسرية لتكون  
 ردءًا له من ورائه، وقد كان بعث قبله إلى مسيلمة، عكرمة بن أبي  
 جهل، وشرحبيل بن حسنة، فلم يقاوما بني حنيفة، لأنهم في نحو  
 أربعين ألفًا من المقاتلة، فعجل عكرمة قبل مجيء صاحبه شرحبيل،  
 فناجزهم فنكب .

(١) انظر: خبر سرية خالد إلى بني جذيمة في صحيح البخاري، كتاب المغازي،  
 (٥٧/٨) مع فتح الباري) . .

ومِئْلَغَةُ الكلب: هي الإناء الذي يَلْغ فيه بلسانه . انظر: ابن الأثير، «النهاية في  
 غريب الحديث» (٢٢٦/٥) .

(٢) «البداية والنهاية» (٣٢٣/٦) وما بعدها .

معركة عقرباء ومقتل مسيلمة الكذاب:

فلما سمع مسيلمة بقدوم خالد عسكر بمكان يقال له: عَقْرَبَاء<sup>(١)</sup> في طرف اليمامة، والريف وراء ظهورهم، وندب الناس وحثهم، فحشد له أهل اليمامة، وجعل على مجنبتى جيشه المحكم بن الطفيل، والرَّجَّال<sup>(٢)</sup> بن عنفوة بن نهشل، وكان الرَّجَّال هذا قد شهد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إنه قد أشرك معه مسيلمة بن حبيب في الأمر، وكان بشهادته الكاذبة من أكبر من أضل أهل اليمامة، حتى اتبعوا مسيلمة، وقد كان الرجال وفد إلى النبي ﷺ، وقرأ سورة البقرة، وجاء زمن الردة إلى أبي بكر فبعثه إلى أهل اليمامة يدعوهم إلى الله ويثبتهم على الإسلام، ثم فتن فارتد مع مسيلمة وشهد له زورًا بالنبوة.

قال سيف بن عمر عن طليحة عن عكرمة عن أبي هريرة: كنت يومًا عند النبي ﷺ في رهط معنا الرَّجَّال بن عنفوة، فقال: «إن فيكم لرجلاً ضرسه في النار أعظم من أحد» فهلك القوم وبقيت أنا والرَّجَّال وكنت متخوفًا لها، حتى خرج الرجال مع مسيلمة وشهد له بالنبوة، فكانت فتنة الرجال أعظم من فتنة مسيلمة.

ورواه ابن إسحاق عن شيخ عن أبي هريرة<sup>(٣)</sup>.

ولما قرب خالد من اليمامة جعل على المقدمة شرحبيل بن

(١) عقرباء: منزل من أرض اليمامة على طرفها وهو من أعمال العارض. ياقوت، مصدر سابق (٤/١٣٥).

(٢) ضبطه ابن الأثير بالجيم المعجمة، وبالحاء المهملة، قال: والأول أشهر.

(٣) رواية ابن إسحاق في حكم المرسل لجهالة الواسطة بينه وبين أبي هريرة، والرواية الأولى ضعيفه بسيف بن عمر التميمي، وشيخه.

حسنة، وعلى المجنبتين زيدًا وأباحذيفة، وقد مرت المقدمة في الليل بنحو من أربعين فارسًا، عليهم مَجَاعَة بن مُرَّارة، وكان قد ذهب لأخذ ثأر له في بني تميم وبني عامر وهو راجع إلى قومه، فأخذوهم فلما جيء بهم إلى خالد قال لهم: ماذا تقولون يا بني حنيفة؟ قالوا: نقول منا نبي ومنكم نبي، فأمر بقتلهم، فقال له أحدهم: أيها الرجل: إن كنت تريد غدًا بعدوك هذا خيرًا أو شرًا فاستبق هذا الرجل - يعني مَجَاعَة بن مُرَّارة - فاستبقاه خالد مقيدًا. وتقدم المسلمون حتى نزل بهم خالد على كثيب يشرف على اليمامة، فضرب به عسكره، وراية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة، وراية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس، والعرب على راياتها، ومَجَاعَة بن مُرَّارة مقيد في الخيمة، فاصطدم المسلمون والكفار، فكانت جولة، وانهزمت الأعراب حتى دخلت بنوحنيفة خيمة خالد بن الوليد، وقد قُتِل الرَّجَال بن عنفوة في هذه الجولة، قتله زيد بن الخطاب، ثم تذامر الصحابة بينهم وقال ثابت بن قيس بن شماس: بش ما عودتم أقرانكم، ونادوا من كل جانب: اخلِصْنَا يا خالد، فخلصت ثلة من المهاجرين والأنصار وحمى البراء بن معرور - وكان إذا رأى الحزب أخذته العرّواء<sup>(١)</sup>؛ فيجلس على ظهر الرحال حتى يبول في سراويله، ثم يثور كما يثور الأسد.

وقال مسيلمة لقومه: اليوم يوم الغيرة، اليوم إن هزمتم تستنكح النساء سبيات، وينكحن غير حظيات، فقاتلوا عن أحسابكم وامنعوا

(١) العرّواء: هي مَسّ الحمى والرّعدة التي تصيب المحموم. ابن منظور، «اللسان العرب» (٤٥/١٥).

نساءكم . فقاتلت بنو حنيفة قتالاً لم يعهد مثله ، وجعلت الصحابة يتواصون بينهم ويقولون : يا أصحاب سورة البقرة ، بطل السحر اليوم ، وحفر ثابت بن قيس لقدميه في الأرض إلى أنصاف ساقيه ، وهو حامل لواء الأنصار بعد ما تحنط وتكفن ، فلم يزل ثابتاً حتى قُتِلَ هناك ، وقال المهاجرون لسالم مولى أبي حذيفة : أتخشى أن نؤتى من قبلك ؟ فقال : بئس حامل القرآن أنا إذا . وقال زيد بن الخطاب : أيها الناس عضوا على أضراسكم ، واضربوا في عدوكم ، وامضوا قدماً ، ثم قال : والله لا أتكلم حتى يهزمهم الله أو ألقى الله فأكلمه بحجتي ، فقتل شهيداً رضي الله عنه . وقال أبو حذيفة : يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال ، وحمل فيهم حتى أبعدهم وأصيب رضي الله عنه ، وحمل خالد بن الوليد حتى جاوزهم ، وقصد لقتال مسيلمة وجعل يترقب أن يصل إليه فيقتله ، ثم رجع ثم وقف بين الصفيين ودعا إلى المبارزة ، وقال : أنا ابن الوليد العود ، أنا ابن عامر وزيد ، ثم نادى بشعار المسلمين - وكان شعارهم يومئذ : يا محمداه ، وجعل لا يبرز له أحد إلا قتله ، ولا يدنو منه شيء إلا أكله . وقد ميز خالد المهاجرين ، من الأنصار ، من الأعراب ، وكل بني أب غلى رايتهم ، يقاتلون تحتها ، حتى يعرف الناس من أين يؤتون ، وصبرت الصحابة في هذا الموطن صبراً لم يعهد مثله ، ولم يزالوا يتقدمون إلى نحور عدوهم حتى فتح الله عليهم ، وولى الكفار الأدبار ، واتبعوهم يقتلون في أقفائهم ، ويضعون السيوف في رقابهم حيث شاءوا ، حتى ألجأوهم إلى حديقة الموت ، وقد أشار عليهم مُحَكِّمُ الإمامة ابن الطفيل بدخولها ، فدخلوها وفيها عدو الله مسيلمة ،

وأدرك عبدالرحمن بن أبي بكر، مَحَكَمَ بن الطفيل فرماه بسهم في عنقه وهو يخطب فقتله، وأغلقت بنو حنيفة الحديدية عليهم، وأحاط بهم الصحابة.

وقال البراء بن مالك: يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديدية، فحملوه فوق الجُحْفِ<sup>(١)</sup> ورفعوها بالرماح حتى ألقوه عليهم من فوق سورها، فلم يزل يقاتلهم دون بابها حتى فتحه، ودخل المسلمون الحديدية من حيطانها وأبوابها، يقتلون من فيها من المرتدة من أهل اليمامة، حتى خلصوا إلى مسيلمة الكذاب، وإذا هو واقف في ثلثة جدار كأنه جمل أورق، لا يعقل من الغيظ، وكان إذا اعتراه شيطانه أزيد حتى يخرج الزبد من شذقيه، فتقدم إليه وحشي بن حرب مولى جبير بن مطعم - قاتل حمزة قبل أن يسلم - فرماه بحرته، فأصابه وخرجت من الجانب الآخر، وسارع إليه أبودجانة سِمَاك بن خرشة، فضربه بالسيف فسقط، فنادت امرأة من القصر: وآ أمير الوضاعة، قتله العبد الأسود، فكان جملة من قتلوا في الحديدية وفي المعركة قريباً من عشرة آلاف مقاتل، وقيل: أحد وعشرون ألفاً، وقُتِلَ من المسلمين ستمائة، وقيل: خمسمائة، فالله أعلم، وفيهم من سادات الصحابة، وأعيان الناس.

ثم بعث خالد الخيول حول اليمامة يلتقطون ما حول حصونها من مال وسبي، ثم عزم على غزو الحصون ولم يكن بقي فيها إلا النساء والصبيان والشيوخ الكبار، فخدعه مجاعة فقال: إنها ملأى رجالاً ومقاتلة، فهلم فصالحني عنها، فصالحه خالد لما رأى بالمسلمين من

(١) الجُحْفُ: هي الدرق والتروس التي يلبسها المقاتل للحماية من السيوف.

الجهد وقد كلّوا من كثرة الحروب والقتال، فقال: دعني حتى أذهب إليهم ليوافقوني على الصلح، فقال: اذهب، فسار إليهم مجّاعة فأمر النساء أن يلبسن الحديد ويبرزن على رؤوس الحصون، فنظر خالد فإذا الشرفات ممتلئة من رؤوس الناس فظنهم كما قال مجّاعة، فانتظم الصلح، ودعاهم خالد إلى الإسلام فأسلموا عن آخرهم ورجعوا إلى الحق، ورد عليهم خالد بعض ما كان أخذ من السبي، وساق الباقي إلى الصديق، وقد تسرى علي بن أبي طالب بجارية منهم، وهي أم ابنه محمد الذي يقال له: محمد بن الحنفية رضي الله عنه<sup>(١)</sup>.

تاريخ الواقعة<sup>(٢)</sup>؛

قال خليفة بن خياط، ومحمد بن جرير، وخلق من السلف: كانت وقعة اليمامة في سنة إحدى عشرة، في آخرها.

وقال الواقدي وآخرون: كانت سنة ثنتي عشرة، والجمع بين الأقوال، أن ابتداءها في سنة إحدى عشرة، والفراغ منها في سنة ثنتي عشرة.

ردة أهل البحرين وعودهم إلى الإسلام<sup>(٣)</sup>؛

كان من خبرهم أن رسول الله ﷺ قد بعث العلاء بن الحضرمي إلى ملكها، المنذر بن ساوى العبدي، وأسلم على يديه وأقام فيهم الإسلام والعدل، وقد توفي المنذر بعد وفاة النبي ﷺ بقليل، وكان قد حضر

(١) انظر خبر المعركة في «تاريخ الطبري» (٣/٢٨٧-٢٩٨)، و«تاريخ خليفة بن خياط» ص (١٠٧-١١٥).

(٢) «البداية والنهاية» (٦/٣٢٦).

(٣) «البداية والنهاية» (٦/٣٢٧-٣٢٨).

عنده في مرضه الذي مات فيه عمرو بن العاص، فقال له: يا عمرو هل كان رسول الله ﷺ يجعل للمريض شيئاً من ماله؟ قال: نعم، الثلث، قال: ماذا أصنع به؟ قال: إن شئت تصدقت به على أقربائك، وإن شئت على المحاويع، وإن شئت جعلته صدقة من بعدك حبساً مُحرمًا، فقال: إني أكره أن أجعله كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام<sup>(١)</sup>، ولكنني أتصدق به، ففعل، ومات، فكان عمرو بن العاص يتعجب منه، فلما مات المنذر ارتد أهل البحرين ومَلَكُوا عليهم الغرور وهو المنذر بن النعمان بن المنذر. وقال قائلهم: لو كان محمدًا نبيًا ما مات، ولم يبق بها بلدة على الثبات سوى قرية يقال لها: جُوَاثَا - كانت أول قرية أقامت الجمعة من أهل الردة كما ثبت ذلك في صحيح البخاري عن ابن عباس<sup>(٢)</sup> - وقد حاصرهم المرتدون وضيقوا عليهم، ومنعوا عنهم الأقوات وجاعوا جوعًا شديدًا حتى فرج الله عنهم، وقد قال رجل منهم يقال له: عبدالله ابن حَذَف، أحد بني بكر بن كلاب، وقد اشتد عليه الجوع:

ألا أبلغ أبا بكر رسولاً      وفتيان المدينة أجمعينا  
فهل لكم إلى قوم كرام      قعود في جُوَاثَا مُخَصَّرِينَا  
كأن دماءهم في كل فجٍّ      شعاعُ الشمس يَغْشَى الناظرِينَا

(١) أراد قوله تعالى: ﴿ مَا جَمَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامِرٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة المائدة]. وراجع: تفسير الآيات في «تفسير القرآن العظيم» للمحافظ ابن كثير (١٠٧/٢).

(٢) سبق تخريج الحديث وجُوَاثَا: بضم أوله ويمد ويقصر، حصن لعبد القيس بالبحرين، وقال ابن الأعرابي: «جُوَاثَا، مدينة الخط. والمشقر، مدينة هجر». ياقوت، مصدر سابق (١٧٤/٢).



توكلنا على الرحمن إنا وجدنا النصر للمتوكلينا  
وقد قام فيهم رجل من أشرفهم، وهو الجارود بن المعلّي - وكان  
ممن هاجر إلى رسول الله ﷺ - خطيبًا وقد جمعهم وقال: يا معشر  
عبدالقيس، إني سائلكم عن أمر فأخبروني إن علمتموه، ولا تجيبوني إن  
لم تعلموه، فقالوا: سل، قال: أتعلمون أنه كان لله أنبياء قبل محمد؟  
قالوا: نعم، قال: تعلمونه أم ترونه؟ قالوا: نعلمه، قال: فما فعلوا؟  
قالوا: ماتوا، قال: فإن محمدًا ﷺ مات كما ماتوا، وإني أشهد أن لا إله  
إلا الله وأن محمدًا رسول الله. فقالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن  
محمدًا رسول الله، وأنت أفضلنا وسيدنا، وثبتوا على إسلامهم، وتركوا  
بقية الناس فيما هم فيه.

بعث العلاء ابن الحضرمي لقتالهم:

وبعث الصديق إليهم العلاء بن الحضرمي، فلما دنا من البحرين  
جاء إليه ثُمّامة بن أثال في محفل كبير من مسلمي أهل اليمامة، وجاء كل  
أمرء تلك النواحي فانضافوا إلى جيش العلاء ابن الحضرمي، فأكرمهم  
العلاء ورحب بهم وأحسن إليهم، ثم سار بهم نحو البحرين.

كرامة للعلاء بن الحضرمي<sup>(١)</sup>؟

وقد كان العلاء من سادات الصحابة العلماء العباد مجابي  
الدعوة، اتفق له في هذه الغزوة أنه نزل منزلاً<sup>(٢)</sup>، فلم يستقر الناس على  
الأرض حتى نفرت الإبل بما عليها من زاد الجيش وخيامهم وشرابهم،

(١) «البداية والنهاية» (٦/٣٢٨).

(٢) في «طبقات ابن سعد» (٤/٣٦٣) حدّد منزلة بالدهناء، وهي صحراء رملية بين  
نجد والأحساء.

وبقوا على الأرض ليس معهم شيء سوى ثيابهم - وذلك ليلاً - ولم يقدروا منها على بعير واحد، فركب الناس من الهَمِّ والغَمِّ ما لا يُحَدِّ ولا يُوصَف، وجعل بعضهم يوصي إلى بعض، فنادى العلاء، فاجتمع الناس إليه، فقال: أيها الناس أستم المسلمين؟ أستم في سبيل الله؟ أستم أنصار الله؟ قالوا: بلى، قال: فابشروا، فوالله لا يخذل الله من كان في مثل حالكم، ونودي بصلاة الصبح حين طلع الفجر فصلى بالناس، فلما قضى الصلاة جثا على ركبتيه، وجثا الناس، ونصب في الدعاء ورفع يديه وفعل الناس مثله، حتى طلعت الشمس، وجعل الناس ينظرون إلى سراب الشمس يلمع مرة بعد أخرى، وهو يجتهد في الدعاء ويكرره، فلما بلغ الثالثة إذ قد خلق الله إلى جانبهم غديراً عظيماً من الماء القراح، فمشى ومشى الناس إليه فشربوا واغتسلوا، فما تعالي النهار حتى أقبلت الإبل من كل فجٍ بما عليها، لم يفقد الناس من أمتعتهم سِلْكًا، فسقوا الإبل عِلَلًا بعد نَهْل<sup>(١)</sup>. فكان هذا مما عاين الناس من آيات الله بهذه السَّرية<sup>(٢)</sup>.

#### هزيمة المرتدين:

ثم لما اقترب من جيوش المرتدة، وقد حشدوا وجمعوا خلقاً عظيماً، وباتوا متجاورين في المنازل، فبينما المسلمون في الليل إذ

(١) العَلَلُ: الشربة الثانية، والنهل: شرب الإبل أول ما ترد. ابن منظور، «لسان العرب» (٤٦٧/١١).

(٢) ذكر ذلك ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣٦٣/٤) من طريق المدائني بإسناده إلى عامر الشعبي عن أبي هريرة رضي الله عنه. وذكره الطبري في «تاريخه» (٣٠٦/٣) من طريق سيف بن عمر.

سمع العلاء أصواتاً عالية في جيش المرتدين، فقال: من رجل يكشف لنا خبير هؤلاء؟ فقام عبدالله بن حذَف فدخل فيهم فوجدهم سكارى لا يعقلون من الشراب، فرجع إليه فأخبره، فركب العلاء من فوره والجيش معه، فكبسوا أولئك فقتلوهم قتلاً عظيماً، وقل من هرب منهم، واستولى على جميع أموالهم وحواصلهم وأثقالهم، فكانت غنيمة عظيمة جسيمة، وكان الحُطَم بن ضُبَيْعة أخو بني قيس بن ثعلبة العبدي من سادات القوم نائماً، فقام دَهْشاً حين اقتحم المسلمون عليهم، فركب جواده فانقطع ركابه فجعل يقول: من يصلح لي ركابي؟ فجاء رجل من المسلمين في الليل فقال: أنا أصلحها لك، ارفع رجلك، فلما رفعها ضربه بالسيف فقطعها مع قدمه، فقال له: اجهز عليّ، فقال: لا أفعل، فوقع صريعاً كلما مرّ به أحد يسأله أن يقتله فيأبى، حتى مر به قيس بن عاصم فقال له: أنا الحُطَم فاقتلني فقتله، فلما وجد رجله مقطوعة ندم على قتله، وقال: واسواتاه، لو أعلم ما به لم أحركه، ثم ركب المسلمون في آثار المنهزمين، يقتلونهم بكل مرصد وطريق، وذهب مَنْ فَرَّ منهم أو أكثرهم في البحر إلى دَارِين<sup>(١)</sup>، ركبوا إليها السفن، ثم شرع العلاء بن الحضرمي في قسم الغنيمة ونَقَلَ الأنفال.

كرامة أخرى:

ولما فرغ من ذلك، قال للمسلمين: اذهبوا بنا إلى دارين لنغزو من بها من الأعداء، فأجابوا إلى ذلك سريعاً، فسار بهم حتى أتى ساحل البحر ليركبوا في السفن، فرأى أنهم لا يصلون إليهم في السفن حتى

(١) دارين: بكسر الراء: هي فرضة بالبحرين. ياقوت، مصدر سابق (٤٣٢/٢).

يذهب أعداء الله، فاقتحم البحر بفرسه، وهو يقول: يا أرحم الراحمين، يا حكيم يا كريم، يا أحد يا صمد، يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام لا إله إلا أنت يا ربنا. وأمر الجيش أن يقولوا ذلك ويقتحموا، ففعلوا ذلك فأجاز بهم الخليج بإذن الله يمشون على مثل رملة دمه فوقها ماء لا يغمر أخفاف الإبل، ولا يصل إلى رُكَب الخيل، ومسيرته للسفن يوم وليلة، فقطعه إلى الساحل الآخر، فقاتل عدوه وقهرهم واحتاز غنائمهم، ثم رجع فقطعه إلى الجانب الآخر فعاد إلى موضعه الأول، وذلك كله في يوم، ولم يترك من العدو مُخْبِرًا، واستاق الذراري والأنعام والأموال، ولم يفقد المسلمون في البحر شيئًا سوى عُلَيْقَة فرس لرجل من المسلمين، ومع هذا رجع العلاء فجاءه بها، ثم قسم الغنائم فيهم، فأصاب الفارس ستة آلاف، والراجل ألفان، مع كثرة الجيش، وكتب إلى الصديق فأعلمه بذلك، فبعث الصديق يشكره على ما صنع، وقد قال رجل من المسلمين في مرورهم في البحر، وهو عَفِيف بن المنذر<sup>(١)</sup>:

ألم تر أن الله ذلَّ بحره وأنزل بالكفار إحدى الجلائل  
دعونًا الذي شقَّ البحار فجاءنًا بأعجبٍ من فلقِ البحار الأوائل  
ردة أهل عُمان<sup>(٢)</sup>؟

كان أهل عمان قد استجابوا لدعوة الإسلام وبعث إليهم رسول الله

(١) انظر ترجمته في: «الإصابة» (٥/١٣٠)، والخبر أخرجه الطبري في «تاريخه»

(٣/٣١١)، وقال ابن حجر في ترجمة العلاء في كتاب «الإصابة» (٤/٥٤١):

«وخاض البحر بكلمات قالهن وذلك مشهور في كتب الفتوح».

(٢) «البداية والنهاية» (٦/٣٢٩).

ﷺ عمرو بن العاص، ثم بعد وفاته ﷺ نبغ فيهم رجل يقال له: ذو التاج، لقيط بن مالك الأزدي، وكان يسامي في الجاهلية الجُلندى ملك عُمان<sup>(١)</sup>، فادعى النبوة، وتابعه الجهلة من أهل عُمان، فتغلب عليها وقهر جيفراً وعباداً ابني الجُلندى<sup>(٢)</sup>، وألجأهما إلى أطرافها من نواحي الجبال والبحر، فبعث جيفر إلى الصديق فأخبره الخبر واستجاشه، فبعث إليه الصديق بأميرين هما: حذيفة بن مِخْصَن الغلفاني من حمير، وعَرْفجة بن هرثمة البارقي من الأزدي، حذيفة إلى عُمان، وعَرْفجة إلى مَهْرَة، وأمرهما أن يجتمعا ويتفقا ويتدئا بعُمان، وحذيفة هو الأمير في عمان، فإذا ساروا إلى بلاد مَهْرَة فعرفجة الأمير، ثم ألحقهم بعكرمة رضي الله عنه، فساروا فلما اقتربوا من عُمان راسلوا جيفراً، وبلغ لقيط بن مالك الأزدي مجيء الجيش، فخرج في جموعه فعسكر بمكان يقال له: دَبَا - وهي مِصْرُ تلك البلاد وسوقها العظمى - وجعل الذراري وراء ظهورهم، ليكون أقوى لحربهم، واجتمع جيفر وعباد بمكان يقال له صُحَار، فعسكرا به وبعثا إلى أمراء الصديق ثم قدموا بمن معهم من المسلمين إلى قادة الصديق، وتحركوا جميعاً إلى دَبَا لقتال المرتدين، وتقاتلوا قتالاً شديداً، وابتلي المسلمون وكادوا أن يولوا، فَمَنَّ اللهُ بكرمه ولطفه أن بعث إليهم مدداً في الساعة الراهنة من بني ناجية وعبدالقيس، في جماعة من الأمراء، فلما وصلوا إليهم كان الفتح والنصر، فولّى المشركون مدبرين، وركب المسلمون ظهورهم فقتلوا

(١) انظر ترجمته في: «الإصابة» لابن حجر العسقلاني (١/٥٣٨).

(٢) انظر ترجمتها في: المصدر نفسه (١/٥٤٢) و(٥/١١١) على التوالي.

منهم عشرة آلاف مقاتل، وسبوا الذراري، وأخذوا الأموال والسوق بحذافيرها، وبعثوا بالخمس إلى الصديق رضي الله عنه مع عرفجة بن هرثمة<sup>(١)</sup>.

بلاد مَهْرَة<sup>(٢)</sup>؟

لما فرغوا من عُمان، تولى عكرمة بن أبي جهل قيادة الجيش وسار بالناس إلى بلاد مَهْرَة، بمن معه من الجيوش، حتى اقتحم على مَهْرَة بلادها، فوجدهم جُنْدَيْنِ على أحدهما - وهم الأكثر - أمير يقال له: المصْبَح، أحد بني محارب، وعلى الجند الآخر أمير يقال له: شِخْرِيْت، وهما مختلفان، وكان هذا الاختلاف رحمة على المؤمنين، فراسل عكرمة شخريتاً فأجابته وانضاف إلى عكرمة فقوي بذلك المسلمون، وضعف جأش المصْبَح، فبعث إليه عكرمة يدعوه إلى الله وإلى السمع والطاعة، فاغتر بكثرة من معه، ومخالفة لشخريت، فتمادى على طغيانه فسار إليه عكرمة بمن معه من الجنود فاقتتلوا مع المصْبَح أشدَّ من قتال دَبَا في عمان، ثم فتح الله بالظفر والنصر، ففر المشركون وقُتِلَ المصْبَح، وقُتِلَ خلق كثير من قومه، وغنم المسلمون أموالهم، فكان في جملة ما غنموا ألفاً نجبية من الإبل، فخمس عكرمة ذلك كله وبعث بخمسه إلى الصديق مع شِخْرِيْت، وأخبره بما فتح الله عليه، والبشارة مع رجل يقال له: السائب من بني عابد من مخزوم<sup>(٣)</sup>.

(١) قارن بـ «تاريخ الطبري» (٣/٣١٤) وما بعدها.

(٢) «البداية والنهاية» (٦/٣٣٠).

(٣) قارن بالمصدر السابق (٣/٣١٦) وما بعدها.

### ملخص حروب الردة<sup>(١)</sup>؛

ما من ناحية من جزيرة العرب إلا وحصل في أهلها ردّة لبعض الناس، وثبت آخرون، فبعث الصديق إليهم جيوشاً وأمرأء يكونون عوناً لمن في تلك الناحية من المؤمنين، فلا يتواجه المشركون والمؤمنون في موطن من تلك المواطن إلا غلب جيش الصديق من هُنَاكَ من المرتدين - والله الحمد والمنة - وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وغنموا مغانم كثيرة، فيتقوون بذلك على من هنالك، ويبعثون بأخماس ما يغنمون إلى الصديق فينفقه في الناس فيحصل لهم قوة ويستعينون به على قتال من يريدون قتالهم من الأعاجم والروم، على ما سيأتي تفصيله.

ولم يزل الأمر كذلك حتى لم يبق بجزيرة العرب إلا أهل طاعة لله ورسوله، أو أهل ذمة، كأهل نجران وما جرى مجراهم. وعامة ما وقع من هذه الحروب كان في أواخر سنة إحدى عشرة وأوائل سنة ثنتي عشرة.

فقد استهلّت السنة الثانية عشرة وجيوش الصديق وأمرأؤه الذين بعثهم لقتال أهل الردة، جَوَّالون في البلاد يميناً وشمالاً، لتمهيد قواعد الإسلام وقتال الطغاة من الأنام، حتى رَدَّ شارد الدين بعد ذهابه، ورجع الحق إلى نصابه، وتمهدت جزيرة العرب، وصار البعيد الأقصى كالقريب الأدنى.

(١) «البداية والنهاية» (٦/٣٣١، ٣٤٢).

## الفصل الرابع الفتوحات في عهده



## أ- الفتوحات في بلاد العراق

### المرحلة الأولى:

تمثل جهود الصديق رضي الله عنه في فتوحات بلاد العراق المرحلة الأولى من خطة الفتوحات في بلاد المشرق في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وقد تولّى قيادة هذه المرحلة خالد بن الوليد، وهذا تفصيلها.

### بعث خالد إلى العراق<sup>(١)</sup>:

لما فرغ خالد بن الوليد من اليمامة، بعث إليه الصديق أن يسير إلى العراق، وأن يبدأ بفرج الهند، وهي الأُبَلَّة<sup>(٢)</sup>، ويأتي العراق من أسفلها، وأن يتألف الناس ويدعوهم إلى الله عزوجل، فإن أجابوا وإلا أخذ منهم الجزية، فإن امتنعوا عن ذلك قاتلهم، وأمره أن لا يُكْرِهَ أَحَدًا من جنده على المسير معه، ولا يستعين بمن ارتد عن الإسلام وإن كان عاد إليه، وأمره أن يستصحب<sup>(٣)</sup> كل امرئٍ مرّ به من المسلمين، وشرع أبو بكر في تجهيز السرايا والبعوث إمدادًا لخالد رضي الله عنه.

### تاريخ بعث خالد إلى العراق:

ذكر المدائني بإسناده أن خالدًا توجه إلى العراق في المحرم سنة

(١) «البداية والنهاية» (٦/٣٤٢).

(٢) الأُبَلَّة: بضم أوله وثانيه وتشديد اللام، بلدة على شط العرب في زاوية الخليج الذي يدخل في مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة، وكانت بها مسالح لكسرى. ياقوت، مصدر سابق (١/٧٧).

(٣) أي: يطلب صحبته دون إلزام.

اثنتي عشرة، فجعل طريقه البصرة وانضم إليه قطب بن قتادة السدوسي،  
والمثنى بن حائرة الشيباني.

وقال محمد بن إسحاق، عن صالح بن كيسان، إن أبا بكر كتب  
إلى خالد أن يسير إلى العراق، فمضى خالد يريد العراق حتى نزل  
بقريات من السواد يقال لها: بانقيا، وباروشما، وصاحبها من الفرس:  
جابان، فصالحه أهلها، وكان الصلح على ألف درهم، وقيل ألف  
دينار، وكان ذلك في شهر رجب.

فتح الأبلّة «فرج الهند»، وتسمى المعركة، ذات السلاسل<sup>(١)</sup>؛  
كانت الأبلّة تسمى فرج أهل السند والهند، وهي أعظم فروج  
فارس بأسا وأشدّها شوكة، وكان صاحبها يحارب العرب في البر  
ويحارب الهند في البحر، وهو هُرْمُز، فكتب إليه خالد، فبعث هرمز  
بكتاب خالد إلى شيرى ابن كسرى، وأردشير بن شيرى، وجمع هُرْمُز،  
وهو نائب كسرى جموعًا كثيرة سار بهم إلى كاظمة<sup>(٢)</sup>، وعلى مجنبيه  
قُبَاد، وأنوشجان - وهما من بيت الملك - وقد تقرن الجيش في  
السلاسل لثلا يفروا، وكان هرمز هذا من أخبث الناس طوية وأشدّهم  
كفرًا، وكان شريفًا في الفرس، وكان الرجل كلما ازداد شرفًا زاد في  
حليته، فكانت قلنسوة هرمز بمائة ألف، وقدم خالد بمن معه من الجيش  
وهم ثمانية عشر ألفًا فنزل تجاههم على غير ماء فشكى أصحابه ذلك،  
فقال: جالدوهم حتى تجلوهم عن الماء، فإن الله جاعل الماء لأصبر

(١) «البداية والنهاية» (٦/٣٤٤).

(٢) كاظمة: بلدة تقع على سيف البحر في الطريق بين البصرة والبحرين، بينها وبين  
البصرة مرحلتان. ياقوت، مصدر سابق (٤/٤٣١).

الطائفتين، فلما استقر بالمسلمين المنزل وهم ركبان على خيولهم، بعث الله سحابة فأمطرتهم حتى صار لهم غدران من ماء فقوي المسلمون بذلك، وفرحوا فرحاً شديداً، فلما تواجه الصفان، وتقاتل الفريقان، ترجل هرمز ودعا إلى النزال، فترجل خالد وتقدم إلى هرمز، فاختلفا ضربتين واحتضنه خالد، وجاءت حامية هرمز فما شغلته عن قتله، وحمل القعقاع بن عمرو على حامية هرمز فأناموهم، وانهزم أهل فارس وركب المسلمون أكتافهم إلى الليل، واستحوذ المسلمون وخالد على أمتعتهم وسلاحهم فبلغ وقر ألف بعير، وأفلت قباز وأنوشجان، ولما رجع الطلب نادى منادي خالد بالرحيل فسار بالناس وتبعته الأثقال حتى نزل بموضع الجسر الأعظم من البصرة، وبعث بالفتح والبشارة والخمس، مع زر بن كليب، إلى الصديق، وبعث معه بفيل، فلما رآه نسوة أهل المدينة جعل ضعيفات النساء يقلن: أمن خلق الله هذا أم شيء مصنوع؟ فرده الصديق مع زر، وبعث أبوبكر لما بلغه الخبر إلى خالد، فنقله سلب هزمز، وكانت قلنسوته بمائة ألف، وكانت مرصعة بالجواهر، وبعث خالد الأمراء يميناً وشمالاً يحاصرون حصوناً هنالك ففتحوها عنوة وصلحاً، وأخذوا منها أموالاً جمّة، ولم يكن خالد يتعرض للفلاحين الذين لم يقاتلوا ولا أولادهم بل للمقاتلة من أهل فارس<sup>(١)</sup>.

(١) علق الطبري في «تاريخه» (٣/ ٣٥٠) بعد ذكر هذا السياق بقوله: «وهذه القصة في أمر الأبلّة وفتحها خلاف ما يعرفه أهل السير وخلاف ما جاءت به الآثار الصحاح، وإنما كان فتح الأبلّة أيام عمرو وعلى يد عتبة بن غزوان في سنة أربع عشرة من الهجرة.

وَقَعَةُ الْمَذَارِ «الثَّيْبِي»<sup>(١)</sup>؛

ثم كانت وقعة المذار<sup>(٢)</sup> في صفر من السنة الثانية عشرة، ويقال لها: وقعة الثَّيْبِي - وهو النهر - .

قال ابن جرير: ويومئذ قال الناس: صفر الأصفار، فيه يقتل كل جبار، على مجمع الأنهار<sup>(٣)</sup>.

وكان سببها أن هرمزًا كان قد كتب إلى أردشير وشيرى، بقدم خالد نحوه من اليمامة، فبعث إليه كسرى بمدد من أمير يقال له: قارن بن قريئانيس، فلم يصل إلى هرمز حتى كان من أمره مع خالد ما تقدم وفرار الفرس، فتلقى قارن المنهزمين فالتفوا عليه، فتذا مروا واتفقوا على العود إلى خالد، فساروا إلى موضع يقال له: المذار، وعلى جنبي قارن: قُبَاذُ وَأَنُوشَجَّانُ، فلما انتهى الخبر إلى خالد، قسم ما كان معه من أربعة أخماس غنيمة ذات السلاسل وأرسل إلى الصديق بخبره مع الوليد بن عقبة، وسار خالد بمن معه من الجيوش حتى نزل على المذار، وهو على تعبئة، فاقتتلوا قتال حَنَقٍ وَحَفِيظَةٍ، وخرج قارن يدعو إلى البراز، فبرز إليه خالد، وابتدره الشجعان من الأمراء فقتل مَعْقِلَ بْنَ الْأَعَشَى بْنَ

قلت: والجمع بين القولين أن هذا الفتح لم يكن مستقرًا فقد انتقضت بعض البلدان عندما خرج خالد إلى الشام، ثم أعيد الفتح مرة أخرى في عهد عمر رضي الله عنه .

(١) «البداية والنهاية» (٦/٣٤٤).

(٢) المذار: بالفتح، وآخره راء، تقع بين واسط والبصرة، وهي قصبة مَيْسَانَ. ياقوت، مصدر سابق (٥/٨٨).

(٣) «تاريخ الرسل والملوك» (٣/٣٥١).

النَّبَّاش قارنًا، وقتل عدي بن حاتم قُبَاذًا، وقتل عاصم أنوشَجَان، وفرت  
الفرس وركبهم المسلمون على ظهورهم فقتلوا منهم يؤميد ثلاثين ألفًا،  
وغرق كثير منهم في الأنهار والمياه، وأقام خالد بالمدار وسَلَّم الأسلاب  
إلى من قَتَلَ، وكان قارن قد انتهى شرفه في أبناء فارس، وجمع بقية  
الغنيمة وخَمَسَهَا، وبعث بالخمسة والفتح والبشارة إلى الصديق، وأقام  
خالد هناك حتى قسم أربعة الأحماس، وسبى ذراري من حَصْرَهُ من  
المقاتلة، دون الفلاحين فإنهم أقرهم بالجزية، وكان في هذا السبي  
حبيب أبو الحسن البصري - وكان نصرانيًا - ومافنه مولى عثمان،  
وأبوزياد مولى المغيرة بن شعبة، ثم أَمَرَ على الجند سعيد بن النعمان  
وعلى الجزية سويد بن مُقَرَّن، وأمره أن ينزل الحفير ليحبي إليه الأموال  
وأقام خالد يتجسس الأخبار عن الأعداء<sup>(١)</sup>.

### معركة الولجة<sup>(٢)</sup>؟

كان أمر الولجة<sup>(٣)</sup> في صفر من السنة الثانية عشرة، فيما ذكره ابن  
جرير، وذلك لأنه لما انتهى الخبر بما كان بالمدار من قبل قارن  
وأصحابه إلى أردشير، وهو ملك الفرس يؤمئذ، بعث أميرًا شجاعًا يقال  
له الأندُر زَغَر، وكان من أبناء السواد ولد بالمداثن ونشأ بها، وأمه  
بجيش آخر مع أمير يقال له: بَهْمَن جاذوية، فساروا حتى بلغوا مكانًا  
يقال له: الولجة، فسمع بهم خالد، فسار بمن معه من الجنود، ووصى

(١) قارن بالمصدر السابق (٣/٣٥١-٣٥٢).

(٢) البداية والنهاية (٦/٣٤٥).

(٣) الولجة: بأرض كسكر، موضع مما يلي البر، واقع فيه خالد جيش الفرس  
فهزمهم. ياقوت، مصدر سابق (٥/٣٨٣).

من استخلفه، هناك بالحذر وقلة الغفلة، فنازل أندرزغر ومن تأشب معه واجتمع عنده بالولجة، فاقتتلوا قتالاً شديداً هو أشد مما قبله، حتى ظن الفريقان أن الصبر قد فرغ، واستبطأ كمينه الذي كان أرصده وراءه في موضعين، فما كان إلا يسيراً حتى خرج الكمينان من هاهنا ومن هاهنا، ففرت صفوف الأعاجم فأخذهم خالد من أمامهم والكمينان من ورائهم، فلم يعرف رجل منهم مقتل صاحبه، وهرب الأندرزغر من الواقعة فمات عطشاً، وقام خالد في الناس خطيباً، فرغبهم في بلاد الأعاجم وزهدهم في بلاد العرب، وقال: ألا ترون ما هاهنا من الأطمعات؟ وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في سبيل الله والدعاء إلى الإسلام ولم يكن إلا المعاش لكان الرأي أن نقاتل على هذا الريف حتى نكون أولى به، ونولّي الجوع والإقلال من تولاه ممن أثاقل عما أنتم عليه.

ثم خمس الغنيمة، وقسم أربعة أخماس بين الغانمين، وبعث الخمس إلى الصديق، وأسر من أسر من ذراري المقاتلة، وأقر الفلاحين بالجزية<sup>(١)</sup>.

وقعة أئيس<sup>(٢)</sup>؟

كانت وقعة أئيس في صفر سنة اثنتي عشرة، وذلك أن خالدًا كان قد قتل يوم الولجة طائفة من بكر بن وائل - من نصارى العرب ممن كان مع الفرس - فاجتمع عشائهم وأشدهم حنقاً عبد الأسود العجلي، وكان قد قُتل له ابن في معركة الولجة، فكاتبوا الأعاجم فأرسل إليهم أردشير

(١) الطبري، المصدر السابق (٣/٣٥٣-٣٥٤).

(٢) «البداية والنهاية» (٦/٣٤٦).

جيشًا فاجتمعوا بمكان يقال له: أليس<sup>(١)</sup>، فبينما هم قد نصبوا لهم سِمَاطًا فيه طعام يريدون أكله، إذ فاجأهم خالد بجيشه، فلما رأوه أشار من أشار منهم بأكل الطعام وعدم الاعتناء بخالد، وقال أمير كسرى: بل نهض إليه، فلم يسمعوا منه.

فلما نزل خالد تقدم بين يدي جيشه ونادى بأعلى صوته لشجعان مَنْ هنالك من الأعراب: أين فلان، أين فلان؟ فكلهم تلكأوا عنه إلا رجلاً يقال له مالك بن قيس، من بني جدرة، فإنه برز إليه، فقال له خالد: يا بن الخبيثة ما جرّك عليّ من بينهم وليس فيك وفاء<sup>(٢)</sup>؟ فضربه فقتله. ونفرت الأعاجم عن الطعام وقاموا إلى السلاح فاقتتلوا قتالاً شديداً جداً، والمشركون يرقبون قدوم بَهْمَن جاذويه مدداً من جهة الملك إليهم، وصبر المسلمون صبراً بليغاً، وقال خالد: اللهم لك عليّ إن منحتنا أكتافهم أن لا أستبقي منهم أحداً أقدر عليه حتى أجرى نهرهم بدمائهم، ثم إن الله عزوجل منح المسلمين أكتافهم فنادى منادي خالد: الأسر، الأسر، لا تقتلوا إلا من امتنع من الأسر، فأقبلت الخيول بهم أفواجاً يساقون سوقاً، وقد وُكِّلَ بهم رجالاً يضربون أعناقهم في النهر، ففعل ذلك بهم يوماً وليلة، ويطلبهم من الغد ومن بعد الغد، وكلما حضر منهم أحد ضربت عنقه في النهر، وقد صرف ماء النهار إلى موضع آخر فقال له بعض الأمراء: إن النهر لا يجري بدمائهم حتى ترسل الماء

(١) أليس: مصغر بوزن فليس: قرية من قرى الأنبار وهي في أول أرض العراق من

ناحية البادية. ياقوت، مصدر سابق (١/٢٤٨)، وقال الطبري في «تاريخه»

(٣/٣٥٥) تقع على صلب الفرات.

(٢) أي: غناء وكفاية.

على الدم فيجري معه فتبر بيمينك، فأرسله فسال عبيطاً، فلذلك سمي نهر الدم إلى اليوم.

وبلغ عدد القتلى سبعين ألفاً، ولما هزم خالد الجيش ورجع من رجوع من الناس، عدل خالد إلى الطعام الذي كانوا قد وضعوه ليأكلوه فقال للمسلمين: هذا نفل فانزلوا فكلوا، فنزل الناس فأكلوه عشاءً.

وقد جعل الأعاجم على طعامهم مرققاً كثيراً فجعل من يراه من أهل البادية من الأعراب يقول: ما هذه الرقع؟ يحسبونها ثياباً، فيقول لهم من يعرف ذلك من أهل الأرياف والمدن: أما سمعتم رقيق العيش؟ قالوا: بلى، قالوا: فهذا رقيق العيش، فسموه يومئذ رقائقاً، وإنما كانت العرب تسميه القري.

وقد روى سيف بن عمر، عن عمرو بن محمد، عن الشعبي، عن حدث عن خالد، أن رسول الله ﷺ نفل الناس يوم خيبر الخبز والطبخ والشواء وما أكلوا، غير متأثليه<sup>(١)</sup>. وكان كل من قُتل بهذه الواقعة يوم أليس من بلدة يقال لها أمغيشيا، فعدل إليها خالد وأمر بخرابها، واستولى على ما بها، فوجدوا بها مغنماً عظيماً فقسّم بين الغانمين فأصاب الفارس بعد النفل ألفاً وخمسمائة غير ما تهيأ له مما قبله.

وبعث خالد إلى الصديق بالبشارة والفتح والخمس من الأموال والسبي مع رجل يقال له: جندل من بني عجل، وكان دليلاً صارماً، فلما

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٣/٣٥٧) وقد جاءت العبارة عند ابن كثير: الخبز والطبخ والشواء. وفي صحيح البخاري من حديث ابن عمر أنه قال: كنا نصيب في مغازينا العسل والعنب فنأكله ولا نرفعه (٦/٢٥٥ من الفتح) باب ما يصيب من الطعام في أرض الحرب.



بلغ الصديق الرسالة وأدى الأمانة، أثنى عليه وأجازه جارية مع السبي .  
وقال الصديق : يا معشر قريش إن أسدكم قد عدا على الأسد فغلبه  
على خراذيله<sup>(١)</sup> ، عجزت النساء أن يلدن مثل خالد بن الوليد<sup>(٢)</sup> .  
صلح الحيرة<sup>(٣)</sup>

بعد انتصار خالد في معركة أليس ، أقبل حتى نزل الحيرة فخرج  
إليه أشرافها مع قبيصة بن إياس بن حيّة الطائي ، وكان أمره عليها  
كيسرى ، بعد النعمان بن المنذر ، فقال لهم خالد : أدعوكم إلى الله وإلى  
الإسلام ، فإن أجبتكم إليه فأنتم من المسلمين ، لكم ما لهم ، وعليكم ما  
عليهم ، فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على  
الموت منكم على الحياة ، وجاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم .  
فقال له قبيصة : ما لنا بحربك من حاجة بل نقيم على ديننا  
ونعطيكم الجزية .

فقال له خالد : تبا لكم ، إن الكفر فلاة مّضلة ، فأحمق العرب من  
سلكها .

ثم صالحهم على تسعين ألفاً ، وفي رواية مائتي ألف درهم ،  
فكانت أول جزية أخذت من العراق ، وحملت إلى المدينة هي والقريّات  
قبلها باروسما وبانقيا .

وقد كتب لهم كتاباً بالصلح ، وأخذ منهم أربعمئة ألف درهم  
عاجلة ، ولم يكن صالحهم حتى سلّموا ، كرامة بنت عبدالمسيح إلى

(١) الخراذيل : بالذال المعجمة والمهملة اللحم المقطع . «اللسان» (١١/٢٠٣) .

(٢) قارن بـ «تاريخ الطبري» (٣/٣٥٧) وما بعدها .

(٣) «البداية والنهاية» (٦/٣٤٣ ، ٣٤٧) .

رجل من الصحابة يقال له: سُويل، وذلك أنه لما ذكر رسول الله ﷺ قصور الحيرة كأن شُرْفَ قصورها أنياب الكلاب، فقال له: يا رسول الله، هب لي ابنة بَقيلة، فقال: هي لك، فلما فتحت ادعاها سُويل، وشهد له اثنان من الصحابة، فامتنعوا من تسليمها إليه، وقالوا: ما تريد من امرأة ابنة ثمانين سنة؟ فقالت لقومها: ادفعوني إليه، سأفتدي منه، وإنه قد رأني وأنا شابة، فسُلِّمت إليه فلما خلا بها قالت: ما تريد من امرأة بنت ثمانين سنة؟ وأنا أفتدي منك، فاحكم بما أردت. فقال: والله لا أفديك بأقل من عشر مائة، فاستكثرتها خديعة منها، ثم أتت قومها فأحضروا له ألف درهم، ولامه الناس بعد ذلك، وقالوا: لو طلبت أكثر من مائة ألف لدفعوها إليك، فقال: وهل عدد أكثر من عشر مائة<sup>(١)</sup>؟ وذهب إلى خالد وقال: إنما أردت أكثر العدد، فقال خالد: أردت أمراً وأراد الله غيره، وأنا نحكم بظاهر قولك، ونيتك عند الله.

وقد أقام خالد هنالك بعد صلح الحيرة سنة يتردد في بلاد فارس هنا، وهامنا، ويوقع بأهلها من البأس الشديد، والسطوة الباهرة، ما يبهر الأبصار لمن شاهد ذلك، ويشنف أسماع من بلغه ذلك، ويحير العقول لمن تدبره.

وكان الذي فاوضه على الصلح عمرو بن عبدالمسيح بن ببيعة، ووجد خالد معه كَيْسًا، فقال: ما في هذا؟ - وفتح خالد فوجد فيه شيئاً -، فقال ابن ببيعة: هو سُمُّ ساعة، فقال: ولم استصحبته معك؟

(١) ذكر الحديث والقصة البيهقي في «دلائل النبوة» (٣٢٦/٦)، وهي في «تاريخ الطبري» (٣/٣٦٦)، وفي «فتوح البلدان» للبلاذري ص(٢٩٨) أن الذي سأل النبي ﷺ بنت ببيعة هو: خُرَيم بن أوس الطائي. قال: «وهذا أثبت».

فقال: حتى إذا رأيتُ مكروهاً في قومي أكلته، فالموت أحب إلي من ذلك، فأخذه خالد في يده وقال: إنه لن تموت نفس حتى تأتي علي أجلها، ثم قال: بسم الله خير الأسماء، رب الأرض والسماء، الذي ليس يضر مع اسمه داء، الرحمن الرحيم، قال: وأهوى إليه الأمراء ليمنعوه منه، فبادرهم فابتلعه<sup>(١)</sup>، فلما رأى ذلك ابن ببيعة قال: والله يا معشر العرب لتملكن ما أردتم ما دام منكم أحد، ثم التفت إلى أهل الحيرة فقال: لم أر كالاليوم أوضح إقبالاً من هذا.

كتاب خالد إلى مرازية أهل فارس:

ثم بعث خالد بن الوليد كتاباً إلى أمراء كسرى بالمدائن ومرازيته ووزرائه.

من خالد بن الوليد إلى مرازية أهل فارس، سلام علي من اتبع الهدى، أما بعد: فالحمد لله الذي فض خدَمكم، وسلب ملككم، ووَهَن كيدكم، وأن من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلكم المسلم، الذي له ما لنا، وعليه ما علينا، فإذا جاءكم كتابي فابعثوا إلي بالرُّهن، واعتقدوا مني الذمة، وإلا فوالله لا إله غيره لأبعثن إليكم قوماً يحبون الموت كما تحبون الحياة.

(١) القصة أخرجها ابن سعد في «الطبقات» في ترجمة خالد (٦/٩٢/أ) أخبرنا عبد الله بن الزبير الحميدي قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: رأيت خالد بن الوليد أتى بسم فقال: ما هذا؟ قالوا: سم، فقال: بسم الله وشربه. وقال ابن حجر في «الإصابة» (٢/٢٥٤): «أخرج ابن سعد من وجهين، ورواه أبو يعلى». قلت: وهذا الإسناد صحيح.

فلما قرأوا الكتاب أخذوا يتعجبون .

فتح خالد للأنبار<sup>(١)</sup>؟

ركب خالد جيوشه فسار حتى انتهى إلى الأنبار<sup>(٢)</sup>، وعليها رجل من أعقل الفرس وأسودهم في أنفسهم، يقال له: شيرزاد، فأحاط بها خالد، وعليها خندق وحوله أعراب من قومهم على دينهم، واجتمع معه أهل أرضهم، فمانعوا خالدًا أن يصل إلى الخندق، فضرب معهم رأسًا، ولما تواجه الفريقان أمر خالد أصحابه فرشقوهم بالنبال، حتى فقأوا منهم ألف عين، فتصايح الناس: ذهبت عيون أهل الأنبار، وسميت هذه الغزوة ذات العيون، فراسل شيرزاد خالدًا في الصلح، فاشترط خالد أمرًا تمنع شيرزاد من قبولها، فتقدم خالد إلى الخندق فاستدعى برذايا<sup>(٣)</sup> الأموال من الإبل فذبحها حتى ردم الخندق وجاز هو وأصحابه فوقها، فلما رأى شيرزاد ذلك أجاب إلى الصلح على الشروط التي اشترطها خالد، وسأله أن يرده إلى مأمنه فوفى له خالد بذلك، وخرج شيرزاد من الأنبار وتسلمها خالد فنزلها واطمأن بها، وتعلم الصحابة ممن كان بها من العرب الكتابة العربية<sup>(٤)</sup>، وكان أولئك العرب وهم بنوإياد سكنوا الأنبار من أيام بختنصر حين أباح العراق للعرب، وأنشدوا

(١) «البداية والنهاية» (٦/٣٤٨).

(٢) مدينة على نهر الفرات غربي بغداد، كانت تجمع بها أنابيب الحنطة والشعير فسميت الأنبار. ياقوت، مصدر سابق (١/٢٧٥).

(٣) الرذايا: الإبل المهزولة من السير.

(٤) عن الخط العربي وأول من كتب به. انظر: البلاذري، «فتوح البلدان» ص (٥٧٩)، وابن النديم، الفهرست ص (٧-٩).

خالدًا قول بعض إياد يمتدح قومه:  
 قومي إياد لو أنهم أممٌ أو لو أقاموا فتهزل النعم  
 قوم لهم باحة العراق إذا ساروا جميعًا واللوح والقلم  
 ثم صالح خالد أهل البوازيج<sup>(١)</sup>، وكلواذي<sup>(٢)</sup>، قال: ثم نقض  
 أهل الأنبار ومن حولهم عهدهم لما اضطربت بعض الأحوال، ولم يبق  
 على عهده سوى البوازيج وبانقيا.  
 وقعة عين التمر<sup>(٣)</sup>؟

لما فتح خالد الأنبار، استناب عليها الزبرقان بن بدر، وقصد عين  
 التمر<sup>(٤)</sup>، وبها يومئذ مهرا بن بهرام جوبين في جمع عظيم من  
 الأعراب، طوائف من التمر، وتغلب، وإياد، ومن لافهم<sup>(٥)</sup>، وعليهم  
 عقة بن أبي عقة، فلما دنا خالد، قال عقة لمهران: إن العرب أعلم بقتال  
 العرب، فدعنا وخالدًا، فقال له: دونكم وإياهم، وإن احتجتم إلينا  
 أعناكم، فلامت العجم أميرهم على هذا، فقال: دعوهم فإن غلبوا

(١) بوازيج الأنبار هي غير البوازيج التي قرب تكريت، ويقال لها: بوازيج الملك، وقد  
 فتح بوازيج الأنبار جرير بن عبدالله البجلي، وكان له فيها موالي. ياقوت، مصدر، مصدر  
 سابق (٥٠٣/١).

(٢) كلواذي: بالفتح ثم السكون والذال المعجمة، من أرض السواد بين الكوفة  
 وواسط. ياقوت، مصدر سابق (٤٧٧/٤).

(٣) «البداية والنهاية» (٣٤٩/٦).

(٤) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار، والتمر بها كثير جدًا. ياقوت، مصدر سابق  
 (١٧٦/٤).

(٥) أي: تحالف معهم، وفي الأصل: «لاقاهم»، والتصحيح من «تاريخ الطبري»  
 (٣٧٦/٣).

خالدًا فهو لكم، وإن غلبوا قاتلنا خالدًا وقد ضعف ونحن أقوياء، فاعترفوا له بفضل الرأي عليهم، وسار خالد، وتلقاه عَقَّة، فلما تواجهوا قال خالد لمجنبيته: احفظوا مكانكم فإني حامل، وأمر حماته أن يكونوا من ورائه، وحمل على عَقَّة، وهو يسوي الصفوف فاحتضنه وأسره، وانهزم جيشه من غير قتال، فأكثروا فيهم الأسر، وقصد خالد حصن عين التمر، فلما بلغ مهران هزيمة عَقَّة وجيشه، نزل من الحصن وهرب وتركه، ورجعت فلأل نصارى الأعراب إلى الحصن، فوجدوه مفتوحًا، فدخلوه واحتموا به، فجاء خالد وأحاط بهم وحاصره أشد الحصار، فلما رأوا ذلك سألوه الصلح فأبى إلا أن ينزلوا على حكم خالد، فنزلوا على حكمه، فجعلوا في السلاسل وتسلم الحصن، ثم أمر فضربت عنق عَقَّة، وكان أسير معهم، كما ضربت أعناق الباقين، وغنم جميع ما في الحصن، ووجد في الكنيسة التي به أربعين غلامًا يتعلمون الإنجيل، وعليهم باب مغلق فكسره خالد، وفرقهم في الأمراء وأهل الغناء، وكان منهم حُمران صار إلى عثمان بن عفان من الخمس، ومنهم سيرين والد محمد بن سيرين، أخذه مالك بن أنس. وجماعة آخرون من الموالي المشاهير أراد الله بهم خيرًا<sup>(١)</sup>.

خبر دومة الجندل<sup>(٢)</sup>؟

كان أبوبكر لما بعث خالد بن الوليد إلى العراق، أمره أن يبدأ من أسفله، وأمر عياض بن غنم أن يبدأ العراق من أعلاه ويلتقيا عند الحيرة

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٣/٣٧٦-٣٧٧)، من طريق سيف بن عمر.

(٢) «البداية والنهاية» (٦/٣٥٠).

وأيهما سبق إليها يكون أميرًا على صاحبه، غير أن عياضًا لما مرّ بدومة الجندل<sup>(١)</sup> حاصرها، ولم يستطع اجتيازها، فلما جاء الوليد بن عقبة إلى أبي بكر وافدًا من عند خالد رَدّه الصديق إلى عياض بن غنم مددًا له، وهو محاصر دومة الجندل، فلما قدم عليه وجده في ناحية يحاصر قومًا، وهم قد أخذوا عليه الطرق، فهو محصور أيضًا، فقال عياض للوليد: إن بعض الرأي خير من جيش كثيف، ماذا ترى فيما نحن فيه؟ فقال له الوليد: اكتب إلى خالد يمدك بجيش من عنده، فكتب إليه يستمده، فقدم كتابه على خالد عقب وقعة عين التمر، فكتب إليه: من خالد إلى عياض، إياك أريد.

لَبِثُ قَلِيلًا تَأْتِكَ الْحِلَابُ

يَخْمِلُنَ آسَادًا عَلَيْهَا الْقَاشِبُ

كَتَائِبُ تَتَّبِعُهَا كَتَائِبُ

واستخلف على عين التمر عويمر بن الكاهن الأسلمي، فلما سمع أهل دومة الجندل بمسير خالد إليهم، بعثوا إلى أحزابهم من بَهْرَاءَ، وَتَنُوحَ، وَكَلْبَ، وَغَسَّانَ، وَالضُّجَاعِمَ، فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِمْ وَعَلَى غَسَّانَ، وَتَنُوحَ ابْنِ الْأَيْمِ، وَعَلَى الضُّجَاعِمِ ابْنِ الْحَدْرَجَانِ، وَجَمَاعِ النَّاسِ بِدُومَةِ إِلَى رَجَلَيْنِ: أَكِيدِرِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَالْجُودِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ، فَاخْتَلَفَا فَقَالَ أَكِيدِرُ: أَنَا أَعْلَمُ النَّاسَ بِخَالِدٍ، لَا أَحَدٌ أَيْمَنُ طَائِرًا مِنْهُ وَلَا أَحَدٌ فِي حَرْبٍ، وَلَا يَرَى وَجْهَ خَالِدٍ قَوْمٌ قَلَّوْا أَمْ كَثُرُوا إِلَّا أَنْهَزَمُوا عَنْهُ، فَأَطِيعُونِي

(١) دومة الجندل: بضم الدال وفتحها، والضم أفصح، سميت باسم رجل من ولد إسماعيل، بنى حصنًا هناك وسقفه بالجندل، ولا تزال تعرف باسمها القديم، وهي تقع الآن في شمال المملكة في منطقة الجوف. انظر: ياقوت، مصدر سابق (٢/٤٨٧).

وصالحووا القوم، فأبوا عليه فقال: لن أمالكم على حرب خالد، وفارقهم، فبعث إليه خالد، عاصم بن عمرو، فعارضه فأخذه، فلما أتى به إلى خالد أمر فضربت عنقه وأخذ ما كان معه.

ثم تواجه خالد وأهل دومة الجندل وعليهم الجودي بن ربيعة، وكل قبيلة مع أميرها من الأعراب، وجعل خالد دومة بينه وبين جيش عياض بن غنم، وافترق جيش الأعراب فرقتين، فرقة نحو خالد، وفرقة نحو عياض، وحمل خالد على من قبله، وحمل عياض على أولئك، فأسر خالد الجودي، وأسر الأقرع بن حابس وديعة، وفرت الأعراب إلى الحصن فملأوه، وبقي منهم خلق ضاق عنهم، فعطفت بنو تميم على من هو خارج الحصن، فأعطوهم ميرة فنجا بعضهم، وجاء خالد فضرب أعناق من وجدته خارج الحصن، وأمر بضرب عنق الجودي ومن كان معه من الأسارى إلا أسارى بني كلب، فإن عاصم بن عمرو، والأقرع بن حابس، وبني تميم أجاروهم، فقال لهم خالد: ما لي ولكم، أتحفظون أمر الجاهلية وتضيعون أمر الإسلام؟ فقال له عاصم بن عمرو: أتحسدونهم العافية وتحوزونهم الشيطان؟ ثم أطاف خالد بالباب فلم يزل عنه حتى اقتلعه، واقتحموا الحصن فقتلوا من فيه من المقاتلة، وسبوا الذراري، فبايعوهم بينهم فيمن يزيد، واشترى خالد يومئذ ابنة الجودي، وكانت موصوفة بالجمال. وأقام بدومة الجندل ورَدَّ الأقرع إلى الأنبار، ثم رجع خالد إلى الحيرة، فتلقاء أهلها من أهل الأرض بالتقليس<sup>(١)</sup>، فسمع رجلاً منهم يقول لصاحبه: مُرِّبنا،

(١) التقليس: استقبال الولاية بأصناف اللهور. «اللسان» (٦/١٨٠)، وهو من عادات =



فهذا يوم فرح الشر.

خبر وقعتي الحُصَيْدِ والمَصِيخِ<sup>(١)</sup>!

كان خالد بن الوليد أقام بدومة الجندل بعد فتحها فظن الأعاجم به، وكاتبوا عرب الجزيرة فاجتمعوا لحربه، وقصدوا الأنبار يريدون انتزاعها من الزبيرقان وهو نائب خالد عليها، فلما بلغ ذلك الزبيرقان كتب إلى القعقاع بن عمرو نائب خالد على الحيرة، فبعث القعقاع أَعْبَدَ بن فدكي السَّعدي وأمره بالحُصَيْدِ<sup>(٢)</sup>، وبعث عُرْوَةَ بن الجعد البارقي وأمره بالخنافس<sup>(٣)</sup>، ورجع خالد من دومة إلى الحيرة وهو عازم على مصادمة أهل المدائن محلة كسرى، لكنه يكره أن يفعل ذلك بغير إذن أبي بكر الصديق، وشغله ما قد اجتمع من جيوش الأعاجم مع نصارى الأعراب يريدون حربه، فبعث القعقاع بن عمرو أميرًا على الناس، فالتقوا بمكان يقال له الحُصَيْدِ، وعلى العجم رجل منهم، يقال له: رُوزِبَه، وأمه أمير آخر يقال له: رُوزِمِهْر، فاقتتلوا قتالًا شديدًا، وهُزِمَ المشركون فَقَتَلَ منهم المسلمون خلقًا كثيرًا، وقتل القعقاع بيده، رُوزِمِهْر، وقتل رجل يقال له عصمة بن عبدالله الضبي، رُوزِبَه.

وغنم المسلمون شيئًا كثيرًا، وهرب من هرب من العجم، فلجأوا إلى مكان يقال له: خنافس، فسار إليهم أبوليلي بن فدكي السَّعدي،

= أهل تلك البلاد.

(١) «البداية والنهاية» (٦/٣٥١).

(٢) الحصيد - مصغراً - وإد بين الكوفة والشام. ياقوت، مصدر سابق (٢/٢٦٦).

(٣) الخنافس: أرض للعرب في طرف العراق قرب الأنبار، تقام فيه سوق. المصدر نفسه (٢/٣٩٠).

فلما أحسوا بذلك ساروا إلى المصَيِّخ<sup>(١)</sup>، فلما استقروا بها بمن معهم من الأعاجم والأعراب، قصدهم خالد بن الوليد بمن معه من الجنود، وقسم الجيش ثلاث فرق، وأغار عليهم ليلاً وهم نائمون فأنامهم، ولم يفلت منهم إلا اليسير فما شُبِّهوا إلا بغنم مُصْرَعَة<sup>(٢)</sup>.

وقعة الثني والزَّمِيل<sup>(٣)</sup>؛

ثم كانت وقعة الثني<sup>(٤)</sup> والزَّمِيل<sup>(٥)</sup>، وقد بيتوهم، فقتلوا من كان هنالك من الأعراب والأعاجم، ثم بعث خالد بالخمسة من الأموال والسبي إلى الصديق، وقد اشترى علي بن أبي طالب من هذا السبي جارية من العرب وهي ابنة ربيعة بن بُجَيْر التغلبي، فاستولدها عمر، ورقية، رضي الله عنهم أجمعين<sup>(٦)</sup>.

وقعة الفِرَاضِ<sup>(٧)</sup>؛

ثم سار خالد بمن معه من المسلمين إلى الفِرَاضِ<sup>(٨)</sup>، وهي تخوم

(١) المصَيِّخ: بضم الميم وفتح الصاد المهملة، وياء مشددة، وخاء معجمة - يقال له:

مصَيِّخ بني البرشاء، بين حوران والقلت. المصدر نفسه (٤/١٤٤).

(٢) انظر الخبر بتفصيل أكثر عند الطبري (٣/٣٨٠-٣٨٢).

(٣) «البداية والنهاية» (٦/٣٥٢).

(٤) الثني: بالفتح، ثم الكسر، وياء مشددة: علم لموضع بالجزيرة، تجمعت فيه بنو

تغلب، وبنو بجير لحرب خالد، فأوقع بهم سنة (١٢هـ). المصدر نفسه (٢/٨٦).

(٥) الزميل: تصغير زمل، موضع بالجزيرة عند البشر شرقي الرصافة، أوقع فيه خالد

بني تغلب وغيرهم سنة (١٢هـ). المصدر نفسه (٣/١٥١).

(٦) قارن بـ «تاريخ الطبري» (٣/٣٨٢).

(٧) «البداية والنهاية» (٦/٣٥٢).

(٨) الفراض: بكسر أوله، وآخره ضاد معجمة، جمع الفرضة، وهي المشروعة، وهو =

الشام والعراق والجزيرة، فأقام هنالك شهر رمضان مفطرًا لشغله بالأعداء، ولما بلغ الروم أمر خالد ومصيره إلى قرب بلادهم، حموا وغضبوا وجمعوا جموعًا كثيرة، واستمدوا تغلب، وإياد، والنمر، ثم ناهدوا خالدًا فحالت الفرات بينهم، فقالت الروم لخالد: اعبر إلينا، وقال خالد للروم: بل اعبروا أنتم، فعبرت الروم إليهم، وذلك للنصف من ذي القعدة سنة ثنتي عشرة، فاقتتلوا هنالك قتالًا عظيمًا بليغًا، ثم هزم الله جموع الروم، وتمكن المسلمون من اقتنائهم، فقُتِلَ في هذه المعركة مائة ألف، وأقام خالد بعد ذلك بالفراض عشرة أيام، ثم أذن بالقفول إلى الحيرة لخمس بقين من ذي القعدة، وأمر عاصم بن عمرو أن يسير في المقدمة، وأمر شجرة بن الأعز أن يسير في الساقة، وأظهر خالد أنه يسير في الساقة<sup>(١)</sup>.

توجه خالد للحج سنة (١١٢هـ)<sup>(٢)</sup>؟

سار خالد في عِدَّة من أصحابه، وقصد شطر المسجد الحرام، وسار إلى مكة في طريق لم يُسَلِّك قبله قط، وتأتى له في ذلك أمر لم يقع لغيره، فجعل يسير معتسفًا على غير جادة، حتى انتهى إلى مكة فأدرك الحج هذه السنة، ثم عاد فأدرك أمر الساقة قبل أن يصلوا إلى الحيرة، ولم يعلم أحد بحج خالد هذه السنة إلا القليل من الناس ممن كانوا معه، ولم يعلم أبو بكر الصديق بذلك إلا بعد ما رجع أهل الحج من الموسم، فبعث يعتب عليه في مفارقتة الجيش.

= موضع في تخوم الشام والعراق والجزيرة شرقي الفرات. «المصدر نفسه» (٢٤٣/٤).

(١) راجع الخبر في «تاريخ الطبري»، من طريق سيف بن عمر (٣٨٣/٣).

(٢) «البداية والنهاية» (٣٥٢/٦).

وكانت عقوبته عنده أنه صرفه من غزو العراق إلى غزو الشام، وقال له فيما كتب إليه: وإن الجموع لم تُشج بعون الله شَجِيكَ، فَلْيَهْنُتْكَ أباسليمان النِّيةَ والحظوة، فأتمم يتمم الله لك، ولا يَدْخُلْكَ عَجْبٌ فتخسر وتُخْذَل، وإياك أن تُدَلَّ بعمل فإن الله له المنّ، وهو وليّ الجزاء<sup>(١)</sup>.  
أضُرَّ العراق بعد مجيء خالد إلى الشام<sup>(٢)</sup>؟

بعد انتقال خالد رضي الله عنه إلى الشام استغنم الفرس غيبة خالد عنهم، فبعثوا إلى نائبه المثنى بن حارثة جيشًا كثيفًا، نحوًا من عشرة آلاف عليهم هرمز بن جاذويه، وكتب ملكهم شهريار إلى المثنى: إني بعثت إليك جنودًا من وحش أهل فارس، إنما هم رُعاةُ الدجاج والخنازير، ولست أقاتلك إلا بهم.

فكتب إليه المثنى: من المثنى إلى شهريار، إنما أنت أحد رجلين: إما باغ فذلك شر لك وخير لنا، وإما كاذب فأعظم الكاذبين عقوبة وفضيحة عند الله في الناس المملوك، وأما الذي يدلنا عليه الرأي فإنكم إنما اضطررتم إليهم، فالحمد لله الذي ردّ كيدكم إلى رُعاة الدجاج والخنازير.

فجزع أهل فارس من هذا الكتاب، ولاموا شهريار على كتابه إليه واستهجنوا رأيه.

سار المثنى من الحيرة إلى بابل، ولما التقى بجيشهم بمكان عند عُدوة الصّراة الأولى<sup>(٣)</sup>، اقتتلوا قتالًا شديدًا جدًّا، وأرسل الفرس فيلاً

(١) أورده الطبري في «تاريخه» (٣/٣٨٤) ولم يذكر له إسنادًا.

(٢) «البداية والنهاية» (١٦/٧).

(٣) الصّراة: بالفتح، وهو نهر يستمد من الفرات، بنى عليه الحجاج بن يوسف مدينة =

بين صفوف الخيل ليفرق خيول المسلمين، فحمل عليه أمير المسلمين المثنى بن حارثة فقتله، وأمر المسلمين فحملوا، فلم تكن إلا هزيمة الفرس فقتلوهم قتلاً ذريعاً، وغنموا منهم مالا عظيماً، وفرت الفرس حتى انتهوا إلى المدائن في شر حالة، ووجد الملك قد مات، فملكوا عليهم «بوران بنت أبرويز» فأقامت العدل، وأحسنت السيرة، ثم ماتت، فملكوا عليهم أختها «آزر ميدخت زنان» فلم ينتظم لهم أمر، فملكوا عليهم «سابور بن شهريار»، وجعلوا أمره إلى الفرخزاد بن البندوان، فزوجه سابور بابنة كسرى «آزر ميدخت» فكرهت ذلك وقالت: إنما هذا عبد من عبيدنا، فلما كان ليلة عرسها عليه هجموا عليه فقتلوه، ثم ساروا إلى سابور فقتلوه أيضاً، وملكوا عليهم هذه المرأة مرة أخرى. ولعبت فارس بملكها لعباً كثيراً، وآخر ما استقر أمرهم عليه أن ملكوا امرأة، وقد قال رسول الله ﷺ: «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة»<sup>(١)</sup>.

### قدوم المثنى بن حارثة إلى المدينة<sup>(٢)</sup>؟

ثم إن المثنى بن حارثة استبطأ أخبار الصديق لتشاغله بأهل الشام، وما فيه من حرب اليرموك، فسار المثنى بنفسه إلى الصديق، واستتاب على العراق بشير بن الخصاصية، وعلى المسالح سعيد بن مرة

= النيل التي بأرض بابل. ياقوت، مصدر سابق ص (٤٠٠).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقصر من حديث أبي بكر نفع بن الحارث الثقفي (١٢٦/٨ من فتح الباري). وانظر: مسند أحمد (٥٠/٥).

(٢) «البداية والنهاية» (١٧/٧).

العجلبي، فلما انتهى المثنى إلى المدينة وجد الصديق في آخر مرض الموت، وقد عهد إلى عمر بن الخطاب، ولما رأى الصديق المثنى قال لعمر: إذا أنا ميت فلا تمسين حتى تندب الناس لحرب أهل العراق مع المثنى، وإذا فتح الله على أمرائنا بالشام فاردد أصحاب خالد إلى العراق فإنهم أعلم بحربه.

## ب - الفتوحات في بلاد الشام

### المرحلة الأولى:

تمثل جهود الصديق رضي الله عنه في فتح بلاد الشام المرحلة الأولى من خطة الفتوحات في الجبهة الغربية «بلاد الشام ومصر وأفريقية» في عهد الخلفاء الراشدين، وهذا تفصيلها:  
دوافع الفتوحات<sup>(١)</sup>؛

استهلّت السنة الثالثة عشرة والصديق عازم على جمع الجنود ليعيئهم إلى الشام، وذلك بعد مرجعه من الحج عملاً بقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٣٣]، وبقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ الآية [التوبة: ٢٩]، واقتداء برسول الله ﷺ فإنه جمع المسلمين لغزو الشام - وذلك عام تبوك - حتى وصلها في حر شديد وجهد، فرجع عامه ذلك، ثم بعث قبل موته أسامة بن زيد مولاه ليغزو تخوم الشام.

ولهذا لما فرغ الصديق من أمر جزيرة العرب بسط يمينه إلى العراق، فبعث إليها خالد بن الوليد، ثم أراد أن يبعث إلى الشام كما بعث إلى العراق، فشرع في جمع الأمراء من أماكن متفرقة من جزيرة العرب. وكان قد استعمل عمرو بن العاص على صدقات قضاة، ومعه الوليد بن عقبة فيهم، فكتب إليه يستنفره إلى الشام: «إني كنت قد

(١) «البداية والنهاية» (٢/٧).

رددتك على العمل الذي ولأكه رسول الله ﷺ مرة، وسماه لك أخرى، وقد أحببت أبا عبد الله أن أفرغك لما هو خير في حياتك ومعادك منه، إلا أن يكون الذي أنت فيه أحب إليك».

فكتب إليه عمرو بن العاص: إني سهم من سهام الإسلام، وأنت عبد الله الرامي بها، والجامع لها، فانظر أشدها وأخشاشها فارم بي فيها. وكتب إلى الوليد بن عتبة بمثل ذلك ورد عليه مثله<sup>(١)</sup>، وأقبلا بعد ما استخلفا في عملهما، إلى المدينة.

خطبة للصديق في الحث على الجهاد<sup>(٢)</sup>؟

ولما اجتمع عند الصديق من الجيوش ما أراد قام في الناس خطيباً فأثنى على الله بما هو أهله، ثم حث الناس على الجهاد، فقال: ألا إن لكل أمر جوامع، فمن بلغها فهي حسبه، ومن عمل لله كفاه الله، عليكم بالجد والقصد، فإن القصد أبلغ، ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له، ولا أجر لمن لا حسبه له، ولا عمل لمن لا نية له، ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله لَمَا ينبغي للمسلم أن يحب أن يُخصَّ به، هي التجارة التي دلَّ الله عليها، إذ نَجَّى بها من الخزي، وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة<sup>(٣)</sup>.

بعث خالد بن سعيد<sup>(٤)</sup>؟

كان خالد بن سعيد بن العاص قد قدم على الصديق من اليمن،

(١) انظر: «تاريخ الملوك والرسل» (٣/٣٨٩).

(٢) «البداية والنهاية» (٣/٧).

(٣) انظر: «تاريخ الملوك والرسل» (٣/٣٩٠).

(٤) «البداية والنهاية» (٤/٧).



فولاه الصديق جيشاً وبعثه إلى تيماء .

قال ابن جرير: ولما انتهى خالد بن سعيد إلى تيماء اجتمع له جنود من الروم في جمع كثير من نصارى العرب، من بهراء، وتَنُوخ، وبني كلب، وسليح، ولخم، وجذام، وغسان، فتقدم إليهم خالد بن سعيد، فلما اقترب منهم تفرقوا عنه ثم دخل كثير منهم في الإسلام، وبعث إلى الصديق يعلمه بما وقع من الفتح، فأمره الصديق أن يتقدم ولا يحجم، وأمدّه بالوليد بن عقبة، وعكرمة بن أبي جهل وجماعة، فسار إلى قريب من إيلياء (بيت المقدس) فالتقى هو وأمير من الروم يقال له: باهان فكسره، ولجأ باهان إلى دمشق، فلحقه خالد بن سعيد إلى دمشق، فلما وصل إلى مَرَج الصُّفْر<sup>(١)</sup> انطوت عليه مسالح باهان وأخذوا عليهم الطريق، وزحف باهان من دمشق ففر خالد بن سعيد، حتى انتهى إلى ذي المروة، واستحوذ الروم على جيشه إلا من فرّ على الخيل، وثبت عكرمة بن أبي جهل، وقد تقهقر عن الشام قريباً، وبقي ردةً لمن فرّ إليه<sup>(٢)</sup>.

فغضب الصديق من فعل خالد وأمره بالبقاء في ذي المروة حتى يرى رأيه .

عقد الألوية وتسمية الأمراء<sup>(٣)</sup>؟

شرح الصديق في تولية الأمراء وعقد الألوية والرايات :

١- فعقد لواء ليزيد بن أبي سفيان، ومعه جمهور الناس، وفيهم

(١) مرج الصفر: بالضم وتشديد الفاء، من مروج دمشق. ياقوت، مصدر سابق (١٠١/٥).

(٢) انظر: «تاريخ الملوك والرسل» (٣/٣٨٩).

(٣) «البداية والنهاية» (٣/٧).

سهيل بن عمرو، وأشباهه من أهل مكة، وخرج معه ماشياً يوصيه بما يعتمده في حربه وبمن معه من المسلمين، وجعل له دمشق.

٢- وبعث أبا عبيدة بن الجراح على جند آخر، وخرج معه ماشياً يوصيه، وجعل له نيابة حمص.

٣- وبعث عمرو بن العاص ومعه جند آخر وجعله على فلسطين.

٤- وقدم شرحبيل بن حسنة من العراق من عند خالد بن الوليد، فأمره على جيش وبعثه إلى الشام ووجهته الأردن، فلما مر بخالد بن سعيد في ذي المروة، أخذ جمهور أصحابه الذين هربوا معه إلى ذي المروة.

٥- ثم اجتمع عند الصديق طائفة من الناس فأمر عليهم معاوية بن أبي سفيان، وأرسله وراء أخيه يزيد بن أبي سفيان، ولما مر بخالد بن سعيد أخذ من كان بقي معه بذي المروة إلى الشام.

ثم أذن الصديق لخالد بن سعيد في الدخول إلى المدينة.

فكان طريق يزيد بن أبي سفيان على تبوك، وكذا أبو عبيدة، وشرحبيل بن حسنة.

وخرج عمرو بن العاص على طريق المَعْرِقَة<sup>(١)</sup> حتى نزل بَغَمَزُ العَرَبَاتِ<sup>(٢)</sup>. ونزل أبو عبيدة بالجابية<sup>(٣)</sup>.

(١) المعركة: بالضم، ثم السكون، وكسر الراء، هي الطريق التي كانت قريش تسلكها في تجارتها إلى الشام، وهي طريق تأخذ على ساحل البحر الأحمر. ياقوت، مصدر سابق (١٥٥/٥).

(٢) الغمر: هو الأرض المنخفضة، والعربة: موضع بفلسطين. ياقوت، مصدر سابق (٩٨/٤).

(٣) الجابية: قرية جنوب دمشق.

وجعل الصديق يمدهم بالجيوش، وأمر كل مدد أن ينضاف إلى من أحب من الأمراء.

أول المعارك في بلاد الشام<sup>(١)</sup>؛

يقال أن أول حرب وقع بالشام، هو مواجهة الروم الذين اجتمعوا بمكان يقال له العربة من أرض فلسطين، فوجه إليهم يزيد بن أبي سفيان أبا أمامة في سرية فقتلهم وغنم منهم، وقتل منهم بطريقاً عظيماً<sup>(٢)</sup>.

ويقال إن أبا عبيدة لم مرّ بأرض اللقاء قاتلهم حتى صالحوه، وكان أول صلح وقع بالشام.

(١) البداية والنهاية (٤/٧).

(٢) راجع: «تاريخ الملوك والرسل» (٤٠٦/٣).

## وقعة اليرموك<sup>(١)</sup>

### تاريخ الواقعة:

كانت وقعة اليرموك في السنة الثالثة عشرة قبل فتح دمشق، على ما ذكره سيف بن عمر، وتبعه على ذلك أبو جعفر بن جرير رحمه الله<sup>(٢)</sup>.  
وأما الحافظ ابن عساكر رحمه الله فإنه نقل عن يزيد بن أبي عبيدة، والوليد بن مسلم، وابن لهيعة، والليث بن سعد، وأبي معشر، أنها كانت في سنة خمس عشرة<sup>(٣)</sup> بعد فتح دمشق.  
وقال محمد بن إسحاق وخليفة بن خياط: كانت وقعة اليرموك يوم الاثنين لخمس ماضين من رجب سنة خمس عشرة<sup>(٤)</sup>.  
قال ابن عساكر: وهذا هو المحفوظ، وأما ما قاله سيف من أنها قبل فتح دمشق سنة ثلاث عشرة فلم يتابع عليه<sup>(٥)</sup>.  
اجتماع الروم واستعدادهم للمعركة:  
قال ابن كثير: وهذا ذكر سياق سيف وغيره على ما أورده ابن جرير وغيره.

(١) «البداية والنهاية» (٧/٧-١٤).

(٢) ابن جرير، «تاريخ الملوك والرسول» (٣/٤٤١).

(٣) «تاريخ دمشق» (١/٢٥٤ خط).

(٤) «تاريخ خليفة» ص (١٣٠).

(٥) قلت: المشهور رواية سيف، وقد اعتمدها الطبري، وسار عليها، وتابعه ابن الأثير، وقدمها الحافظ ابن كثير.

قال: لما توجهت الجيوش الإسلامية نحو الشام أفزع ذلك الروم وخافوا خوفاً شديداً، وكتبوا إلى هرقل يعلمونه بما كان من الأمر، فيقال: إنه كان يومئذٍ بحمص، وكان حج عامة ذلك إلى بيت المقدس. فلما انتهى إليه الخبر قال لهم: ويحكم إن هؤلاء أهل دين جديد، وإنه لا قبل لأحد بهم، فأطيعوني وصالحوهم على نصف خراج الشام، ويبقى لكم جبال الروم، وإن أنتم أبيتم ذلك أخذوا منكم الشام، وضيقوا عليكم جبال الروم. فنخروا من ذلك نخرة حُمُر الوَحْش، كما هي عاداتهم، فعند ذلك سار إلى حمص، وأمر بخروج الجيوش الرومية صحبة الأمراء، في مقابلة كل أمير من المسلمين جيش كثيف، فبعث إلى عمرو بن العاص أخاه تذارق في تسعين ألفاً من المقاتلة، وبعث جرجة بن توذرا إلى ناحية يزيد بن أبي سفيان، فعسكر بإزائه في خمسين ألفاً أو ستين ألفاً، وبعث الدراقص إلى شرحبيل بن حسنة، وبعث الفيقار ويقال القيقلان بن نسطوس - وهو خصي هرقل - في ستين ألفاً إلى أبي عبيدة بن الجراح.

وقالت الروم: والله لنشغلن أبابكر عن أن يورد الخيل إلى أرضنا. وجميع عساكر المسلمين أحد وعشرون ألفاً سوى الجيش الذي مع عكرمة بن أبي جهل - وكان واقفاً في طرف الشام رداءً للناس - في ستة آلاف، فكتب الأمراء إلى أبي بكر يعلمونه بما وقع من الأمر العظيم، فكتب إليهم: أن اجتمعوا وكونوا جنداً واحداً والقوا جنود المشركين، فأنتم أنصار الله، والله ناصر من نصره، وخاذل من كفره، ولن يؤتى مثلكم عن قلة، ولكن من تلقاء الذنوب فاحترسوا منها، وليصل كل

رجل منكم بأصحابه<sup>(١)</sup>. ولما بلغ هرقل ما أمر به الصديق أمراءه من الاجتماع، بعث إلى أمرائه أن يجتمعوا أيضا وأن ينزلوا بالجيش منزلاً واسع العطن، واسع المطرد، ضيق المهرب، وعلى الناس أخوه تذارق، وعلى المقدمة جرجه، وعلى المجنبتين باهان، والدراقص، وعلى الحرب الفيقار<sup>(٢)</sup>. قال سيف: فسارت الروم فنزلوا الواقوصة قريباً من اليرموك، وصار الوادي خندقاً عليهم. مسير خالد من العراق إلى الشام:

وبعث الصحابة إلى الصديق يستمدونه، ويعلمونه بما اجتمع من جيش الروم باليرموك، فكتب الصديق عند ذلك إلى خالد بن الوليد أن يستنيب على العراق وأن يقفل بمن معه إلى الشام، فإذا وصل إليهم فهو الأمير عليهم، فاستناب المثني بن حارثة على العراق، وسار خالد مسرعاً في تسعة آلاف وخمسمائة، ودليله رافع بن عميرة الطائي، فأخذ به على السماوة<sup>(٣)</sup> حتى انتهى إلى قراقر<sup>(٤)</sup>، وسلك به أراضي لم يسلكها قبله أحد، فاجتاز البراري والقفار، وقطع الأودية، وتصد على الجبال، وسار في غير مهيع، وجعل رافع يدلهم في مسيرهم على

(١) «تاريخ الملوك والرسل» (٣/٣٩٣) من رواية سيف بن عمر.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) صحراء معروفة، وهي أرض مستوية لا شجر فيها ولا حجر، تقع بين الكوفة والشام. ياقوت، مصدر سابق (٣/٢٤٩).

(٤) قراقر: وإد لقلب بأرض السماوة من ناحية العراق. المصدر السابق (٤/٣١٨).

الطريق وهو في مفاوز مُعْطِشَةٍ<sup>(١)</sup>، وكان عطش النوق، وسقاها الماء عَلاًّ بعد نَهْلٍ<sup>(٢)</sup>، وقطع مشافرها وكعمها حتى لا تجترّ، واستاقها معه، فلما فقدوا الماء نحرها فشربوا ما في أجوافها من الماء، ويقال: بل سقاه الخيل وشربوا ما كانت تحمله من الماء وأكلوا لحومها، ووصل - والله الحمد والمنة - إلى سُوى<sup>(٣)</sup> في خمسة أيام، فخرج على الروم من ناحية تَدْمُرَ<sup>(٤)</sup> فصالح أهل تَدْمُرَ وأرَكَه<sup>(٥)</sup>، ولما مر بعَدْرَاءَ<sup>(٦)</sup> أباحها، وغنم لغَسَّانَ أموالاً عظيمة، وخرج من شرقي دمشق، ثم سار حتى وصل إلى قناة بُصْرَى<sup>(٧)</sup>، فصالحه صاحبها وسلمها إليه، فكانت أول مدينة فتحت من الشام.

وبعث خالد بأخماس ما غنم من غَسَّانَ مع بلال بن الحارث المزني إلى الصديق.

وقد قال رجل من المسلمين في مسيرهم هذا مع خالد:

- (١) معطشة: أي ليس بها ماء.
- (٢) النَّهْلُ: الشربة الأولى، والعَلْلُ: الشربة الثانية.
- (٣) سُوى: بضم أوله والقصر، اسم ماء لبهاء من ناحية السماوة، مرّ به خالد في طريقه من العراق إلى الشام. ياقوت، مصدر سابق (٢٧١/٣).
- (٤) تَدْمُرُ: مدينة قديمة مشهورة في برية الشام. المصدر السابق (١٧/٢).
- (٥) أَرَكَه: مدينة صغيرة في طرف برية حلب، قرب تدمر. المصدر السابق (١٥٣/١).
- (٦) عَدْرَاءَ: بالفتح ثم السكون، والمد، قرية بغوطة دمشق، وإليها ينسب أحد المروج، فيقال: مرج عذراء. المصدر السابق (٩١/٤).
- (٧) بُصْرَى: بالضم والقصر، من أعمال دمشق وهي قسبة كورة حوران. المصدر السابق (٤٤١/١).

لله عَيْنَا رَافِعَ أَتَى اهْتَدَى فَوَزَّ<sup>(١)</sup> مِنْ قُرَاقِرٍ إِلَى سُوى  
خِمْسًا<sup>(٢)</sup> إِذَا مَا سَارَهُ الْجَيْشُ بَكَى مَا سَارَهَا قَبْلَكَ إِنْسِي يُرَى  
وَقَدْ كَانَ بَعْضُ الْعَرَبِ قَالَ لَهُ فِي هَذَا الْمَسِيرِ: إِنَّ أَنْتَ أَصْبَحْتَ  
عِنْدَ الشَّجَرَةِ الْفَلَانِيَةِ نَجَوْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ، وَإِنْ لَمْ تَدْرِكْهَا هَلَكْتَ أَنْتَ  
وَمَنْ مَعَكَ. فَسَارَ خَالِدٌ بِمَنْ مَعَهُ وَسَرَوْا سَرْوَةً عَظِيمَةً فَأَصْبَحُوا عِنْدَهَا،  
فَقَالَ خَالِدٌ: عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى، فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا، وَهُوَ أَوَّلُ  
مَنْ قَالَهَا<sup>(٣)</sup>.

اجتماع الجيوش الإسلامية والاستعداد للمعركة:

اجتمعت الروم مع أمرائها بالواقوسة<sup>(٤)</sup>، وانتقل الصحابة من  
منزلهم الذي كانوا فيه فنزلوا قريبًا من الروم في طريقهم الذي ليس لهم  
طريق غيره، فقال عمرو بن العاص: أبشروا أيها الناس، فقد حُصِرَتْ  
- والله - الروم، وقلما جاء محصور بخير<sup>(٥)</sup>.

ويقال: إن الصحابة لما اجتمعوا للمشورة في كيفية المسير إلى  
الروم، جلس الأمراء لذلك فجاء أبوسفیان فقال: ما كنت أظن أنني أعمّر

(١) في الأصل: «قرفون»، وهو تصحيف.

(٢) خِمْسًا: بكسر الخاء، من أظماء الإبل، وهو أن ترعى ثلاثة أيام، وترد اليوم  
الرابع. ابن منظور، «لسان العرب» (٦/٦٩).

(٣) انظر: الميداني، «مجمع الأمثال» (٦/٢)، وهو مثل يضرب لمن يحتمل المشقة  
رجاء الراحة.

(٤) الواقوسة: وادٍ بجوار نهر اليرموك، منخفض ذو أهوية، سقط فيه المسلسلون من  
جيش الروم. ياقوت، مصدر سابق (٥/٣٥٥).

(٥) «تاريخ الطبري» (٣/٣٩٣).



حتى أدرك قوماً يجتمعون لحرب ولا أحضرهم. ثم أشار أن يتجزأ الجيش ثلاثة أجزاء، فيسير ثلثه فينزلون تجاه الروم، ثم تسير الأثقال والذراري في الثلث، ويتأخر خالد بالثلث الآخر حتى إذا وصلت الأثقال إلى أولئك سار بعدهم ونزلوا في مكان تكون البرية من وراء ظهورهم لتصل إليهم البرد والمدد، فامتلأوا ما أشار، ونعم الرأي هو. وأقبل باهان مدداً للروم ومعه القساوسة والشمامسة، والرهبان، يحثونهم ويحرضونهم على القتال لنصر دين النصرانية، فتكامل جيش الروم أربعون ومائتا ألف، ثمانون ألف مسلسل بالحديد والحبال، وثمانون ألف فارس، وثمانون ألف راجل<sup>(١)</sup>.

ولما تصافوا مع عدوهم في أول جمادى الآخرة، قام خالد بن الوليد في الناس خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن هذا يوم من أيام الله، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي، أخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم، وإن هذا يوم له ما بعده، لو رددناهم اليوم إلى خندقهم فلا نزال نردهم، وإن هزمونا لا نفلح بعدها أبداً<sup>(٢)</sup>.

التعبئة العسكرية:

خرجت الروم في تعبئة لم ير مثلها قبلها، وخرج خالد في تعبئة لم تعبها العرب قبل ذلك، فخرج في ستة وثلاثين كردوساً، كل كردوس ألف رجل، وجعل أبا عبيدة في القلب وعلى الميمنة عمرو بن العاص، ومعه شرحبيل بن حسنة، وعلى الميسرة يزيد بن أبي سفيان.

(١) قارن بـ «تاريخ الطبري» (٣/ ٣٩٤).

(٢) المصدر نفسه (٣/ ٣٩٥).

وأمر على كل كردوس أميراً، وعلى الطلائع قَبَاث<sup>(١)</sup> بن أشيم، وعلى الأقباض عبدالله بن مسعود، والقاضي يومئذ أبوالدرداء، وقاصمهم الذي يعظهم ويحثهم على القتال أبوسفيان بن حرب، وقارئهم الذي يدور على الناس فيقرأ سورة الأنفال وآيات الجهاد المقداد بن الأسود<sup>(٢)</sup>.

ولما أقبلت الروم في خيلائها وفخرها قد سدت أقطار تلك البقعة سهلها ووعرها كأنهم غمامة سوداء، يصيحون بأصوات مرتفعة، ورهبانهم يتلون الإنجيل ويحثونهم على القتال، ساق خالد بفرسه إلى أبي عبيدة فقال له: إني مشير بأمر، فقال: قل ما أمرك الله أسمع لك وأطيع. فقال له خالد: إن هؤلاء القوم لا بد لهم من حملة عظيمة لا محيد لهم عنها، وإني أخشى على الميمنة والميسرة، وقد رأيت أن أفرق الخيل فرقتين، وأجعلها وراء الميمنة والميسرة حتى إذا صدموهم كانوا لهم رداءً فنأتيهم من ورائهم. فقال له: نعم ما رأيت. فكان خالد في أحد الخيلين من رواء الميمنة وجعل قيس بن هبيرة في الخيل الأخرى، وأمر أبا عبيدة أن يتأخر عن القلب إلى وراء الجيش كله، حتى إذا رآه المنهزم استحى منه ورجع إلى القتال، فجعل أبو عبيدة مكانه في القلب، سعيد بن زيد، أحد العشرة رضي الله عنه.

وساق خالد إلى النساء من وراء الجيش ومعهن الخناجر والعمد، فقال لهن: من رأيتن موليًا فاقتلنه، ثم رجع إلى موقفه رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>.

(١) في الأصل: «قباب»، وهو تصحيف.

(٢) ابن جرير، «تاريخ الرسل والملوك» (٣/٣٩٧).

(٣) انظر: الأزدي، «فتوح الشام» ص (٢٢٠-٢٢١).

## التعبئة الإيمانية:

ولما تراءى الجمعان وتبارز الفريقان، وعظ أبو عبيدة المسلمين، فقال: عباد الله، انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم فإن وعد الله حق، يا معشر المسلمين اصبروا، فإن الصبر منجاة من الكفر، ومرضاة للرب، ومدحضة للعار، ولا تبرحوا مصافكم، ولا تخطو إليهم خطوة، ولا تبدؤهم بالقتال، وأشرعوا الرماح، واستتروا بالدرق، والزموا الصفت إلا من ذكر الله في أنفسكم، حتى أمركم إن شاء الله تعالى.

وخرج معاذ بن جبل على الناس، فجعل يذكرهم ويقول: يا أهل القرآن، ومستحفظي الكتاب وأنصار الهدى وأولياء الحق، إن رحمة الله لا تنال وجنته لا تدخل بالأمانى، ولا يؤتي الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادق المصدق، ألم تسمعوا لقول الله: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ... ﴾ [النور: ٥٥]. فاستحيوا رحمكم الله من ربكم أن يراكم فراراً من عدوكم، وأنتم في قبضته، وليس لكم ملتحد من دونه، ولا عز بغيره. وقال عمرو بن العاص: يا أيها المسلمون، غضوا الأبصار، واجثوا على الركب، وأشرعوا الرماح، فإذا حملوا عليكم فأمهلوهم حتى إذا ركبوا أطراف الأسنة فثبوا إليهم وثبة الأسد، فوالذي يرزى الصدق ويثيب عليه، ويمقت الكذب ويعاقب عليه، ويجزي بالإحسان إحساناً، لقد سمعت أن المسلمين سيفتحونها كفرة كفرة، وقصراً قصراً، فلا يهولنكم جموعهم ولا عددهم، فإنكم لو صدقتموهم الشدة تطايروا تطاير أولاد الحجمل.

وقال أبوسفيان: يا معشر المسلمين إنكم قد أصبحتم في دار

العجم منقطعين عن الأهل، نائين عن خليفة المؤمنين وأمداد المسلمين، وقد والله أصبحتم بإزاء عدو كثير عدده، شديد عليكم حنقه، وقد وترتموهم في أنفسهم وأولادهم ونسائهم، وأموالهم وديارهم، والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم، ولا يبلغ بكم رضوان الله غداً إلا بصدق اللقاء، والصبر في المواطن المكروهة، فامتنعوا بسيوفكم وتعاونوا، ولتكن هي الحصون.

ثم ذهب إلى النساء فَوَصَّاهن<sup>(١)</sup>.

وقد وعظ الناس أبوهريرة فجعل يقول: سارعوا إلى الحور العين وجاوروا ربكم في جنات النعيم، ما أنتم إلى ربكم في موطن بأحب إليه منكم في مثل هذا الموطن، ألا وإن للصابرين فضلهم<sup>(٢)</sup>.

قال سيف بن عمر بإسناده عن شيوخه: كان في ذلك الجمع ألف رجل من الصحابة منهم مائة من أهل بدر<sup>(٣)</sup>.

وجعل أبوسفیان يقف على كل كردوس ويقول: الله إنكم ذادة العرب وأنصار الإسلام، وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك، اللهم إن هذا يوم من أيامك، اللهم أنزل نصرك على عبادك<sup>(٤)</sup>.

قال رجل من نصارى العرب لخالد بن الوليد: ما أكثر الروم وأقل المسلمين!! فقال خالد: ويلك، أتخوفني الروم؟ إنما تكثر الجنود

(١) ذكر هذه الأقوال أبوإسماعيل الأزدي في «فتوح الشام» ص(٢١٨-٢٢٠). ومعنى

كفراً كفراً وقصراً قصرًا. أي بلدة بلدة كبيرة أو صغيرة.

(٢) المصدر نفسه ص(٢٢٥).

(٣) انظر: تاريخ الطبري (٣/٣٩٧).

(٤) المصدر نفسه، (٣/٣٩٧).

بالنصر، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال، والله لوددت أن الأشقر براً من تَوَجَّيه، وأنهم أضعفوا في العدد. وكان فرسه قد حَفِيَ واشتكى في مجيئه من العراق<sup>(١)</sup>.

المفاوضات قبل القتال:

ولما تقارب الناس تقدم أبو عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان نحو جيش الروم، ومعهما ضرار بن الأزور، والحارث بن هشام، وأبوجندل ابن سنهيل، ونادوا: إنما نريد أميركم لنجتمع به، فأذن لهم في الدخول على تَذَارِق، وإذا هو جالس في خيمة من حرير.

فقال الصحابة: لا نستحل دخولها، فأمر لهم بفرش بسط من حرير، فقالوا: ولا نجلس على هذه، فجلس معهم حيث أحبوا وتفاوضوا على الصلح، ورجع عنهم الصحابة بعد ما دعوهم إلى الله عزوجل، فلم يتم ذلك<sup>(٢)</sup>.

وذكر الوليد بن مسلم، أن باهان طلب خالدًا ليرز إليه فيما بين الصفين فيجتمعان في مصلحة لهم. فقال باهان: إنا قد علمنا أنما أخرجكم من بلادكم الجهد والجوع، فهلموا إلي أعطي كل رجل منكم عشرة دنائير وكسوة وطعامًا، وترجعون إلى بلادكم، فإذا كان العام المقبل بعثنا لكم بمثلها.

فقال خالد: إنه لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت، غير أنا قوم نشرب الدماء، وأنه بلغنا أنه لا دم أطيب من دم الروم، فبعثنا لذلك. فقال

(١) المصدر السابق (٣/٣٩٨، ٤٠٢)، وابن الأثير، «الكامل في التاريخ» (٢/٤١٢).

(٢) الطبري، المصدر السابق (٣/٤٠٣).

أصحاب باهان: هذا والله ما كنا نُحَدِّثُ به عن العرب<sup>(١)</sup>.

إنشأ القتال:

لما تكامل الاستعداد، ولم تنجح المفاوضات، تقدم خالد إلى عكرمة بن أبي جهل، والقعقاع بن عمرو - وهما على مجنبتى القلب - أن ينشأ القتال، فبادرا يرتجزان ودَعَوَا إلى البِزَارِ، فتنازل الأبطال، وتجاولوا وحمى الحرب وقامت على ساق.

هذا وخالد مع كردوس من الحماة الشجعان الأبطال بين يدي الصفوف، والأبطا يتصاولون من الفريقين بين يديه، وهو ينظر ويبعث إلى كل قوم من أصحابه بما يعتمدونه من الأفاعيل، ويدبر أمر الحرب أتم تدبير.

إسلام أحد قادة الروم في ميدان المعركة:

وخرج جَرَجَه أحد الأمراء الكبار من الصف واستدعى خالد بن الوليد فجاء إليه حتى اختلفت أعناق فرسيهما، فقال جَرَجَه: يا خالد، أخبرني فاصدقني ولا تكذبني فإن الحر لا يكذب، ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله، هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكمه فلا تَسْأَلُهُ على أحد إلا هزمتهم؟ قال: لا. قال: فيم سميت سيف الله؟ قال: إن الله بعث فينا نبيه فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعاً، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه، وبعضنا كذبه وباعده، فكنتُ فيمن كذبه وباعده، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه، فقال

(١) ذكر المحاوراة بأطول مما هنا أبو إسماعيل الأزدي، «فتوح الشام» ص (١٩٩-٢٠٧).

لي: أنت سيف من سيوف الله سلّه الله على المشركين<sup>(١)</sup>. ودعا لي بالنصر، فسميت سيف الله بذلك، فأنا من أشد المسلمين على المشركين. فقال جَرَجَه: يا خالد إلى ما تدعون؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، والإقرار بما جاء به من عند الله عز وجل. قال: فمن لم يجيبكم؟ قال: فالجزية ونمنعهم. قال: فإن لم يعطها قال: نؤذنه بالحرب ثم نقاتله. قال: فما منزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم؟ قال: منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا، شريفنا ووضيعنا، وأولنا وآخرنا. قال جَرَجَه: فلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر؟ قال: نعم وأفضل. قال: وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟ فقال خالد: إنا قبلنا هذا الأمر عنوة وبإيعنا نبينا وهو حي بين أظهرنا، تأتيه أخبار السماء، ويخبرنا بالكتاب، ويرينا الآيات، وحق لمن رأى ما رأينا، وسمع ما سمعنا أن يسلم ويباع، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية، كان أفضل منا؟ فقال جَرَجَه: بالله لقد صدقتني ولم تخادعني؟ قال: تالله لقد صدقتك وأن الله ولي ما سألت عنه.

فعند ذلك قلب جَرَجَه الترس ومال مع خالد، وقال: علمني الإسلام، فمال به خالد إلى فسطاطه فسنّ عليه قربة من ماء، ثم صلى به ركعتين، وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم يرون أنها منه حملة،

(١) سماه بذلك رسول الله ﷺ كما في صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة، حديث رقم (٤٢٦٠) (٧/٥١٠ فتح الباري).

فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية عليهم عكرمة بن أبي جهل،  
والحارث بن هشام<sup>(١)</sup>.

صور من التضحية والبطولة:

(١) كان فيمن شهد اليرموك الزبير بن العوام - وهو أحد العشرة  
المبشرين بالجنة -، وهو أفضل من هناك من الصحابة، وكان من فرسان  
الناس وشجعانهم، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ فقالوا: ألا  
تحمل فنحمل معك؟ فقال: إنكم لا تثبتون، فقالوا: بلى، فحمل  
وحملوا، فلما واجهوا الصفوف أحجموا، وأقدم هو فاخترق صفوف  
الروم حتى خرج من الجانب الآخر وعاد إلى أصحابه.

ثم جاؤوا إليه مرة ثانية ففعل كما فعل في الأولى، وجرح يومئذ  
جرحين في كتفه. وقد روى البخاري معنى ما ذكرناه في صحيحه<sup>(٢)</sup>.

(٢) وجعل معاذ بن جبل كلما سمع أصوات القسيسين والرهبان  
يقول: اللهم زلزل أقدامهم، وأرعب قلوبهم، وأنزل علينا السكينة،  
وألزمتنا كلمة التقوى، وحبب إلينا اللقاء، ورضنا بالقضاء<sup>(٣)</sup>.

(٣) وخرج باهان فأمر صاحب الميسرة وهو الدبريجان - وكان  
عدو الله متنسكاً فيهم - فحمل على الميمنة وفيها الأزدي، ومدحج،

(١) القصة في «تاريخ الطبري» (٣/٣٩٨)، من رواية سيف عن شيوخه. وذكرها  
الأزدي في «فتوح الشام» ص (١٩٥) من وجه آخر. ومعنى سنّ عيه قرية، أي صب  
عليه ماء القرية ليغتسل به.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الزبير بن العوام، حديث  
رقم (٣٧٢١) (٧/٨٠ فتح الباري).

(٣) الأزدي، «فتوح الشام» ص (٢٢٢).



وحضرموت، وخولان، فثبتوا حتى صدوا أعداء الله، ثم ركبهم من الروم أمثال الجبال، فزال المسلمون من الميمنة إلى ناحية القلب، وانكشف طائفة من الناس إلى العسكر، وثبت صُور (أي صف) من المسلمين عظيم يقاتلون تحت راياتهم، ثم تنادوا فتراجعوا حتى نَهْنَهُوا مَنْ أَمَامَهُمْ مِنَ الرُّومِ، وأشغلوهم عن اتباع من انكشف من الناس، واستقبل النساء من انهزم من سَرَعَانَ الناس يضربنهم بالخشب والحجارة، فتراجع الناس إلى مواقعهم<sup>(١)</sup>.

(٤) قال عكرمة بن أبي جهل: قاتلتُ رسول الله ﷺ في مواطن وأفر منكم اليوم؟ ثم نادى: من يبايع على الموت؟ فبايعه عَمُّهُ الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور في أربعمئة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أُثْبِتُوا جميعًا جراحًا، وقتل منهم خلق، منهم ضرار بن الأزور رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر الواقدي وغيره أنهم لما صرَعُوا من الجراح استسقوا ماء، فجيء إليهم بشربة ماء، فلما قُرِّبَتْ إلى أحدهم نظر إليه الآخر فقال: ادفعها إليه، فلما دفعت إليه نظر إليه الآخر فقال: ادفعها إليه، فتدافعوها كلهم من واحد إلى واحد حتى ماتوا جميعًا، ولم يشربها أحد منهم رضي الله عنهم أجمعين.

(٥) ويقال: إن أول من قتل من المسلمين يومئذ شهيدًا رجل جاء إلى أبي عبيدة فقال: إني قد تهيأت لأمري فهل لك حاجة إلى رسول الله

(١) الأزدي، المصدر نفسه ص (٢٢٢).

(٢) ابن جرير، «تاريخ الأمم والرسول» (٣/٤٠١).

ﷺ؟ قال: نعم، تقرئه عني السلام، وتقول: يا رسول الله إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا، قال: فتقدم هذا الرجل حتى قتل رحمه الله.

وثبت كل قوم على رأيهم حتى صارت الروم تدور كأنها الرحا، فلم تَرَ يومَ اليرموكَ إلا مُحًا ساقطًا، ومِعْصَمًا نادرًا، وكفًا طائرة.

(٦) حمل خالد بمن معه من الخيالة على الميسرة التي حملت على ميمنة المسلمين، فأزالوهم إلى القلب، فقتل من الروم في حملته هذه ستة آلاف، ثم قال: والذي نفسي بيده لم يبق عندهم من الصبر والجلد غير ما رأيتم، وإني لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم، ثم اعترضهم فحمل بمائة فارس معه على نحو من مائة ألف فما وصل إليهم حتى انفض جمعهم، وحمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد، فانكشفوا وتبعهم المسلمون لا يمتنعون منهم<sup>(١)</sup>.

كيف انتهت المعركة؟

ركب خالد ومعه جَرَجَه، - والروم خلال المسلمين - فتنادى الناس وثابوا وتراجعت الروم إلى مواقفهم، وزحف خالد بالمسلمين حتى تصافحوا بالسيوف، فضرب فيهم خالد وجَرَجَه من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب، وصلى المسلمون صلاة الظهر، وصلاة العصر إيماءً<sup>(٢)</sup>، وأصيب جَرَجَه رحمه الله ولم يصلّ الله إلا تلك الركعتين مع خالد رضي الله عنه، وضُغِضت الروم عند ذلك.

ثم نهّد خالد بالقلب حتى صار في وسط خيول الروم، فعند ذلك

(١) الإزددي، المصدر السابق ص (٢٢٦).

(٢) أي من غير تمكن من الركوع والسجود.

هربت خيالتهم، وأسندت بهم في تلك الصحراء، وأفرج لهم المسلمون بخيولهم حتى ذهبوا.

وعمد خالد إلى قلب الروم، وهم الرجالة ففصلوهم عن آخرهم حتى صاروا كأنهم حائط قد هدم، ثم تبعوا من فرّ من الخيالة، واقتحم خالد عليهم خندقهم، وجاء الروم في ظلام الليل إلى الواقوسة، فجعل الذين تسلسلوا وقيدوا بعضهم ببعض إذا سقط منهم الواحد سقط الذين معه.

قال ابن جرير وغيره: فسقط فيها وقتل عندها مائة ألف وعشرون ألفاً سوى من قتل في المعركة<sup>(١)</sup>.

وقد قاتل نساء المسلمين في هذا اليوم وقتلن خلقاً كثيراً من الروم، وكن يضربن من انهزم من المسلمين ويقلن: تذهبون، وتدعوننا للعلوج؟ فإذا زجرنهم لا يملك أحد نفسه حتى يرجع إلى القتال.

قال: وتجلل القيقلان وأشرف من قومه من الروم ببرانسهم وقالوا: إذا لم نقدر على نصر دين النصرانية فنمت على دينهم. فجاء المسلمون فقتلوهم عن آخرهم<sup>(٢)</sup>.

قالوا: وقتل في هذا اليوم من المسلمين ثلاثة آلاف، منهم عكرمة، وابنه عمرو، وسلمة بن هشام، وعمرو بن سعيد، وأبان بن سعيد، وأثبت خالد بن سعيد فلا يُدْرَى أين ذهب، وضرار بن الأزور، وهشام بن العاص، وعمرو بن الطفيل بن عمرو الدوسي، وحقق الله

(١) الطبري، المصدر السابق (٤٠٠/٣)، ويقدرهم الأزدي في «فتوح الشام» ص (٢٣٠) بمائة ألف، وفي رواية: أنهم أحصوا فوجدوا أكثر من ثمانين ألفاً.

(٢) المصدر نفسه (٤٠٠/٣).

رؤيا أبيه يوم اليمامة<sup>(١)</sup>.

وثبت يومئذ يزيدي بن أبي سفيان، وقاتل قتالاً شديداً، وذلك أن أباه مرَّ به فقال له: يا بني عليك بتقوى الله والصبر، فإنه ليس رجل بهذا الوادي من المسلمين إلا محقوقاً بالقتال، فكيف بك وبأشباهك الذين ولّوا المسلمين؟! أولئك أحق بالصبر والنصيحة، فاتق الله يا بني ولا يكونن أحد من أصحابك بأرغب في الأجر والصبر في الحرب، ولا أجراً على عدو الإسلام منك. فقال: أفعل إن شاء الله. فقاتل يومئذ قتالاً شديداً، وكان من ناحية القلب رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>.

وقال سعيد بن المسيب عن أبيه قال: هدأت الأصوات يوم اليرموك فسمعنا صوتاً يكاد يملأ العسكر يقول: يا نصر الله اقترب، الثبات الثبات يا معشر المسلمين. قال: فنظرنا فإذا هو أبوسفيان تحت راية ابنه يزيدي<sup>(٣)</sup>.

وأخر الناس صلاتي العشاء حتى استقر الفتح<sup>(٤)</sup>.

وأكمل خالد ليلته في خيمة تذارق أخي هرقل - وهو أمير الروم

(١) المصدر نفسه (٤٠٢/٣). وانظر: عن رؤيا الطفيل ابن هشام، «السيرة النبوية» (٢٩/٢).

(٢) الأزدي، المصدر السابق ص (٢٢٨).

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٩٠/١)، بإسناد صحيح في ترجمة أبي سفيان من «الطبقة الرابعة» من الصحابة، بتحقيق: د. عبدالعزيز السلومي، وأخرجه يعقوب بن سفيان في «المعرفة» (٣٠٠/٣) من طريق ابن سعد، وقال ابن حجر في «الإصابة» (١٢٩/٥): «إسناده صحيح».

(٤) الطبري، المصدر السابق (٤٠٠/٣). والمراد المغرب والعشاء.

كلهم يومئذ<sup>(١)</sup> وهرب فيمن هرب، وباتت الخيول تجول حول خيمة خالد، يقتلون من مرّ بهم من الروم حتى أصبحوا، وقُتِلَ تَدَارِقُ وكان له ثلاثون سرادقًا، وثلاثون رواقًا من ديباج بما فيها من الفرش والحرير، فلما كان الصباح حازوا ما هنالك من الغنائم، وما فرحوا بما وجدوا بقدر حزنهم على الصديق حين أعلمهم خالد بذلك ولكن الله عوضهم بالفاروق رضي الله عنه.

قدوم البريد بوفاة الصديق:

بينما هم في جولة الحرب، وحومة الوغى، والأبطال يتصاولون من كل جانب، إذ قدم البريد من نحو الحجاز، فدفع إلى خالد بن الوليد فقال له: ما الخبر؟ فقال له - فيما بينه وبينه -: إن الصديق قد توفي واستخلف عمر، واستتاب على الجيوش أبا عبيدة عامر بن الجراح، فأسرها خالد ولم يبد ذلك للناس لئلا يحصل ضعف ووهن في تلك الحال، وقال له والناس يسمعون: أحسنت، وأخذ منه الكتاب فوضعه في كبناته، واشتغل بما كان فيه من تدبير الحرب والمقاتلة، وأوقف الرسول الذي جاء بالكتاب - وهو محمية بن زنيم<sup>(٢)</sup> - إلى جانبه. كذا ذكره ابن جرير بأسانيده.

وقال خالد حين عزّى المسلمين في الصديق: الحمد لله الذي قضى على أبي بكر بالموت، وكان أحب إلي من عمر، والحمد لله الذي

(١) المصدر نفسه (٤٠١/٣).

(٢) في الأصل: «منجمة»، والتصحيح من «تاريخ الطبري» (٣/٣٩٨). وانظر ترجمته في: «الإصابة» (٦/٢٨٠).

وَلَىٰ عَمْرٍو كَانَ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي بَكْرٍ ثُمَّ أَلْزَمَنِي حَبَهُ<sup>(١)</sup>.  
سِرُّ هَزِيمَةَ الرُّومِ وَسُؤَالَ هِرَقْلَ عَنْ ذَلِكَ<sup>(٢)</sup>؟

قال الوليد بن مسلم: أخبرني من سمع يحيى الغساني يحدث عن رجلين من قومه قالا: لما نزل المسلمون بناحية الأردن، تحدثنا بيننا أن دمشق ستحاصر فذهبنا نتسوق منها قبل ذلك، فبينما نحن فيها إذ أرسل إلينا بَطْرِيْقُهَا فجئناه. فقال: أنتما من العرب؟ قلنا: نعم! قال: وعلى النصرانية؟ قلنا: نعم. فقال: ليذهب أحدكما فليتجسس لنا عن هؤلاء القوم ورأيهم، وليثبت الآخر على متاع صاحبه. ففعل ذلك أحدنا، فلبث ملياً ثم جاءه فقال: جئتك من عند رجال دقاقتاً، يركبون خيولاً عتاقاً، أما الليل فرهبان، وأما النهار ففرسان، يريشون النبل ويبرونها، ويقفون القنا، لو حَدَّثْتَ جليسك حديثاً ما فهمه عنك لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر. قال: فالتفت إلى أصحابه وقال: أتاكم منهم ما لا طاقة لكم به<sup>(٣)</sup>.

روى أحمد بن مروان المالكي<sup>(٤)</sup> في المجالسة: ثنا أبو إسماعيل الترمذي، ثنا أبو معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق. قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يثبت لهم العدو فُوقاً<sup>(٥)</sup> ناقة عند اللقاء، فقال هرقل

(١) تاريخ الطبري (٤٠٢/٣)، من طريق سيف بن عمر عن شيوخه.

(٢) «البداية والنهاية» (١٥/٧).

(٣) أخرج نحوه الأزدي في «فتوح الشام» ص (٢١١).

(٤) ترجمته في: «الديباج المذهب» (١٥٢/١)، وفي «سير أعلام النبلاء» (٤٢٧/١٥)،

و«لسان الميزان» (٣٠٩/١).

(٥) فُوقاً الناقة: قدر ما بين الحلبتين من الوقت. «مختار الصحاح» مادة (فوق).

- وهو على أنطاكية - لما قدمت منهزمة الروم: ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم، أليسوا بشرًا مثلكم، قالوا: بلى. قال: فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافًا في كل موطن. قال: فما بالكم تنهزمون؟ فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون بالليل، ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر، ونزني، ونركب الحرام، وننقض العهد، ونغصب ونظلم، ونأمر بالسخط، وننهي عما يرضي الله، ونفسد في الأرض. فقال: أنت صدقتني<sup>(١)</sup>.

(١) أخرج أبو إسماعيل الأزدي في «فتوح الشام» ص (١٤٩-١٥١) من طريق أبي جهضم عن عبد الملك بن السليك عن عبدالله بن قرط الشمالي، وكان قد شهد فتوح الشام.

## الباب الثاني

# خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(١٣-٢٣هـ)



## الفصل الأول

### ترجمته

نَسَبُهُ (١)؛

هو عمرُ بن الخطاب بن نُقَيْل بن عبدالعزى بن رياح بن عبدالله بن قُرْظ بن رَزَاح بن عَدِيّ بن كعب بن لؤي، أبو حفص العدوي، الملقب بالفاروق، قيل: لقبه بذلك أهل الكتاب (٢).

وأمه حَنَمَةُ بنت هشام بن المغيرة، أخت أبي جهل بن هشام (٣).

صِفَتُهُ رضي الله عنه (٤)؛

كان رجلاً طَوَّالاً، أصْلَع، أَعْسَرَ يَسْرًا، أحوَر العينين، آدم

(١) «البداية والنهاية» (١٣٣/٧).

(٢) ذكر ذلك الطبري (١٩٥/٤) من طريق ابن سعد بإسناد صحيح إلى الزهري بلاغًا. وانظر: «الطبقات الكبرى» (٢٧٠/٣)، وذكر بإسناده من طريق الواقدي، عن عائشة: أن النبي ﷺ هو الذي سُمي عمر الفاروق، والواقدي متروك عند المحدثين. وأخرج ابن سعد بإسناد مرسل أن رسول الله ﷺ قال: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وهو الفاروق. «الطبقات الكبرى» (٢٧٠/٣). وانظر: «فتح الباري» (٤٤/٧).

(٣) هكذا قال رحمه الله والذي ذكره علماء النسب وكتاب التراجم أن أم عمر رضي الله عنه هي حنمة بنت هاشم بن المغيرة، أخو هشام بن المغيرة، فيكون أبو جهل ابن عمها. انظر: «نسب قريش» للزبير (٣٠١، ٣٤٧)، و«طبقات ابن سعد» (٢٦٥/٣)، و«جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص (٤٤)، و«الاستيعاب» لابن عبد البر ص (١١٤٤)، وقد تَبَّه على خطأ من قال إنها بنت هشام.

(٤) «البداية والنهاية» (١٣٤/٧، ١٣٨).

اللون<sup>(١)</sup>، وقيل: كان أبيض شديد البياض تعلوه حُمْرة، أَشْنَبَ الأسنان، وكان يُصْفَرُ لحيته، ويرجَلُ رأسه بالحِجَاءِ<sup>(٢)</sup>.

وكان متواضعا في الله، خَشِنَ العيش، خَشِنَ المَطْعَم، شديداً في ذات الله، يرقع الثوب بالأديم، ويحمل القِرْبَةَ على كتفيه، مع عِظَم هيبته، ويركب الحمار عُرْيَا، والبعير مخطوماً بالليِّف، وكان قليل الضحك لا يمازح أحداً.

وكان نقش خاتمه: كفى بالموت واعظاً يا عمر.

زوجاته وأبناؤه وبناته<sup>(٣)</sup>؟

قال الواقدي وابن الكلبي وغيرهما: تزوج عمر في الجاهلية: زينب بنت مظعون، أخت عثمان بن مظعون، فولدت له: عبدالله، وعبدالرحمن الأكبر، وحفصة رضي الله عنهم.

. وتزوج مليكة بنت جرول، فولدت له: عبيدالله، وزيداً الأصغر<sup>(٤)</sup>.

قال المدائني: وتزوج قُرَيْبَةَ بنت أبي أمية المخزومي، ففارقها في الهدنة - صلح الحديبية -، فتزوجها من بعده عبدالرحمن بن أبي بكر.

(١) نقل ابن سعد في «الطبقات» (٣/٣٢٤) عن الواقدي أنه قال: هذا لا يعرف عندنا أن عمر كان آدم، إلا أن يكون راه - يعني الواصف له - عام الرمادة، فإنه كان تغير لونه حين أكل الزيت. وقد رَدَّ ابن عبدالبر قول الواقدي، وقال: «هذا منكر من القول». «الاستيعاب» (١١٤٦).

(٢) راجع «طبقات سعد» (٣/٣٢٤)، و«تاريخ الطبري» (٤/١٩٦). وأعسر يسرا: هو الذي يعمل بكلتا يديه كما في «لسان العرب» (٤/٥٦٥)، وأشنب الأسنان: أي: شديد بياضها، ويريقها. المصدر السابق (١/٥٠٧).

(٣) «البداية والنهاية» (٧/١٣٩).

(٤) انظر: نسب قريش ص (٣٤٩).

وتزوج أم حكيم بنت الحارث بن هشام بعد زوجها عكرمة بن أبي جهل حين قتل في الشام<sup>(١)</sup>، فولدت له: فاطمة، ثم طلقها.  
قال المدائني: وقيل: لم يطلقها.

وتزوج جميلة بنت<sup>(٢)</sup> عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح من الأوس.  
وتزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُقيل، وكانت قبله عند عبد الله ابن أبي بكر<sup>(٣)</sup>، ولما قتل عمر، تزوجها بعده الزبير بن العوام رضي الله عنهم، ويقال: هي أم ابنه عياض، فالله أعلم.

قال المدائني: وكان قد خطب أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق، وهي صغيرة وراسل فيها عائشة فقالت أمُّ كلثوم: لا حاجة لي فيه، فقالت عائشة: أترغبين عن أمير المؤمنين؟ قالت: نعم، إنه خشن العيش، فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص، فصَدَّه عنها ودَلَّه على أمِّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب، من فاطمة بنت رسول الله، وقال: تعلق منها بسبب من رسول الله ﷺ، فخطبها من علي فزوجه إياها - فأصدقها عمر رضي الله عنه أربعين ألفاً، فولدت له: زيّداً، ورقية.

قالوا: وتزوج لُهيّة - بضم اللام وسكون الهاء - امرأة من اليمن فولدت له: عبدالرحمن الأصغر، وقيل: الأوسط. وقال الواقدي: هي

(١) انظر: ابن حجر، «الإصابة» (١٩٣/٨).

(٢) في «تاريخ الطبري» (١٩٩/٤) أخت عاصم وهو الصواب. وانظر أيضاً: نسب قريش للزبير ص (٣٤٩). قال: وولد له منها، ابنه عاصم. وانظر: «طبقات ابن سعد» (٢٦٥/٣).

(٣) في الأصل: «ابن أبي مليكة»، والتصحيح من «تاريخ الطبري» (١٩٩/٤)، وراجع عن زواج عمر منها حوادث سنة (١٢هـ) في «البداية والنهاية» (٣٥٣/٦).

أم ولد وليست بزوجة<sup>(١)</sup>، قالوا: وكانت عنده فُكِيهة أم ولد، فولدت له: زينب. قال الواقدي: وهي أصغر ولده.

قال ابن كثير: فجملة أولاده رضي الله عنه وأرضاه ثلاثة عشر ولدًا، وهم زيد الأكبر، وزيد الأصغر، وعاصم، وعبدالله، وعبدالرحمن الأكبر، وعبدالرحمن الأوسط، وقال الزبير بن بكار: وهو أبوشحمة<sup>(٢)</sup>، وعبدالرحمن الأصغر، وعبيدالله، وعياض، وحفصة، ورقية، وزينب، وفاطمة رضي الله عنهم.

ومجموع نسائه اللاتي تزوجهن في الجاهلية والإسلام ممن طلقهن أو مات عنهن: سبع. إسلامه وأوليائه<sup>(٣)</sup>؟

أسلم عمر وعُمُرُه سبعا وعشرين سنة، وشهد بدرًا، وأحدًا، والمشاهد كلها مع النبي ﷺ، وخرج في عدة سرايا، وكان أميرًا على بعضها<sup>(٤)</sup>. وهو أول من دُعي أمير المؤمنين، وأول من كتب التاريخ، وجمع الناس على التراويح، وأول من عَسَّ بالمدينة، وحمل الدرة<sup>(٥)</sup> وأدب بها، وجلد في الخمر ثمانين، وفتح الفتوح<sup>(٦)</sup>، ومَصَّر الأمصار، وجنّد الأجناد، ووضع الخراج، ودَوَّن الدواوين، وفرض الأعطية،

(١) وقال ذلك أيضًا الزبير في «نسب قريش» ص (٣٤٩).

(٢) انظر: «نسب قريش» ص (٣٤٩).

(٣) «البداية والنهاية» (٧/١٣٣).

(٤) كان أميرًا على سرية تربة إلى عجز هوازن، «سيرة ابن هشام» (٤/٣٤١).

(٥) الدرة: بالكسر، السوط، ودرّة السلطان: التي يضرب بها. «لسان العرب» (٤/٢٨٢).

(٦) أي: كثرت في عهده الفتوح.

واستقضى القضاة، وكور الكور، مثل: السواد، والأهواز، والجبال، وفارس وغيرها.  
من فضائله:

قال الإمام البخاري - باب مناقب عمر بن الخطاب<sup>(١)</sup> أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه:  
عمر من أهل الجنة:

١- عن سعيد بن المسيب أن أباه ريرة رضي الله قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: «بيننا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر، فذكرت غيرته فوليت مُدْبِرًا. فبكى عمر وقال: أعليك أغارُ يا رسول الله؟»

٢- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: صعد النبي ﷺ أحدًا ومعه أبوبكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فضربه برجله وقال: «أثبت أحد، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد».

٣- عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال: متى الساعة؟ قال: «وماذا أعددت لها؟» قال: لا شيء، إلا أنني أحب الله ورسوله ﷺ. فقال: «أنت مع من أحببت» قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: أنت مع من أحببت.

(١) النصوص من (١-١٥) إضافة ليست في الأصل، وهي من «صحيح البخاري»، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر (٧/٤٠-٤٣ من فتح الباري) ونقلتها هنا لأهميتها واعتمادًا على ما صح من الفضائل، ولم يذكر الحافظ ابن كثير إلا النصوص الأخيرة - التي بعد الخامس عشر -، وقد أحال على كتابه الخاص بترجمة عمر رضي الله عنه وما روي عنه من الأحاديث، وهو في مجلدين كما قال.

قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبأبكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم.

٤- عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ: «افتح له وبشره بالجنة، ففتحت له، فإذا هو أبوبكر، فبشرته بما قال رسول الله ﷺ، فحمد الله. ثم جاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ: افتح له وبشره بالجنة، ففتحت له فإذا هو عمر فأخبرته بما قال النبي ﷺ، فحمد الله. ثم استفتح رجل، فقال لي: افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه، فإذا عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ، فحمد الله، ثم قال: الله المستعان. فضل علم عمر:

٥- عن الزهري قال: قال أخبرني حمزة<sup>(١)</sup> عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: بينا أنا نائم شربت - يعني اللبن - حتى أنظر إلى الرّي يجري في ظفري - أو أظفاري - ثم ناولت عمر. قالوا: فما أولته يا رسول الله، قال: العلم.

سعة انتشار الإسلام في عهد عمر:

٦- عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: رأيت في المنام أني أنزعُ بدلو بكرّة على قلب، فجاء أبوبكر فنزع ذنوبًا أو ذنوبين نزعًا ضعيفًا والله يغفر له. ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربًا، فلم أر عبقرياً<sup>(٢)</sup> يفري فرية، حتى روى الناس و ضربوا بعطن.

(١) هو: حمزة بن أسيد بن مالك بن ربيعة الأنصاري الساعدي، له ترجمة في «تهذيب التهذيب» (٢٦/٣).

(٢) الغرب: بسكون الراء، الدلو الكبيرة العظيمة. وعبقري القوم: سيدهم وكبيرهم =

عزة المسلمين بإسلام عمر:

٧- عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: ما زلنا أعزّة منذ

أسلم عمر.

قرب عمر من رسول الله ﷺ وكثرة ملازمته إياه:

٨- عن ابن أبي مليكة أنه سمع ابن عباس يقول: وضع عمر على

سريره، فتكتفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع - وأنا فيهم - فلم

يرغني إلا رجل أخذ منكبي، فإذا علي بن أبي طالب، فترحم علي عمر

وقال: ما خلفت أحدا أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك. وإيم الله

إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبك، وحسبت أني كثيرا أسمع

النبي ﷺ يقول: «ذهب أنا وأبوبكر وعمر، ودخلت أنا وأبوبكر وعمر،

وخرجت أنا وأبوبكر وعمر».

٩- عن المسور بن مخرمة قال: لما طعن عمرُ جعل يالم، فقال له

ابن عباس - وكأنه يُجزّعه -: يا أمير المؤمنين، ولئن كان ذلك، لقد

صحبت رسول الله ﷺ فأحسنت صحبته، ثم فارقتهُ وهو عنك راض، ثم

صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته، ثم فارقتهُ وهو عنك راض، ثم

صحبت أصحابهم فأحسنت صحبتهم، ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم

عنك راضون. قال: أما ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ ورضاه فإنما

ذلك من من الله تعالى من به علي، وأما ما ذكرت من صحبة أبي بكر

ورضاه فإنما ذلك من من الله جل ذكره من به علي، وأما ما ترى من

جزعي فهو من أجلك وأجل أصحابك. والله لو أن لي طلاع الأرض ذهبًا

لافتديت به من عذاب الله عزوجل قبل أن أراه .  
 ١٠- عن عبدالله بن هشام قال : كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر  
 ابن الخطاب .

جدّ عمر وجوده بالأموال :  
 ١١- عن ابن عمر قال : «ما رأيت أحدًا بعد رسول الله ﷺ من حين  
 قبض كان أجَدَّ وأجود حتى انتهى ، من عمر بن الخطاب»<sup>(١)</sup> .  
 عمر رجل ملهم :

١٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لقد كان  
 فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون ، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر» .  
 زاد زكريا ابن أبي زائدة عن سعد عن أبي سلمة عن أبي هريرة  
 قال : قال النبي ﷺ : «لقد كان فيمن قبلكم من بني إسرائيل رجال  
 يُكَلِّمُونَ من غير أن يكونوا أنبياء ، فإن يكن في أمتي منهم أحد فعمر» .  
 قوة إيمانه ويقينه :

١٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «بينما  
 راع في غنمه ، عدا الذئب فأخذ منها شاة ، فطلبها حتى استنقذها ،  
 فالتفت إليه الذئب فقال له : مَنْ لها يوم السَّبْعِ ليس لها راع غيري؟ فقال  
 الناسُ : سبحان الله ، فقال النبي ﷺ : فإنني أومن به ، وأبوبكر وعمر . وما  
 ثمَّ أبوبكر وعمر» .

١٤- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله

(١) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٤٩/٧) هذا القول من ابن عمر محمول  
 على وقت مخصوص وهو مدة خلافة عمر رضي الله عنه .



ﷺ يقول: «بينا أنا نائم رأيت الناس عُرِضُوا عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَعَرَضَ عَلَيَّ عَمْرٌ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ اجْتَرَهُ. قَالُوا: فَمَا أَوْلَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الدِّينُ. هَيْبَةُ عَمْرٍ وَفِرَارُ الشَّيْطَانِ مِنْ طَرِيقِهِ:

١٥- عن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه، عالية أصواتهنَّ على صوته فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرنَّ الحجابَ، فأذنَّ له رسولُ الله ﷺ، فدخل عمر ورسولُ الله يضحك، فقال: أضحك الله سنك يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: «عجبت من هؤلاء اللاتي كنَّ عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرنَّ الحجاب. قال عمر: فأنت أحقُّ أن يهبنَّ يا رسول الله، ثم قال عمر: يا عدوات أنفسهن، أتهبني ولا تهبن رسول الله ﷺ، فقلن: نعم، أنت أفظُّ وأغلظُ من رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «إيها يا بن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك».

١٦- وعن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال: «إن الشيطان يفرق من عمر»<sup>(١)</sup>.

(١) ذكر ابن كثير قبل هذا حديثاً عن ابن عباس: إن لي وزيرين من أهل السماء، ووزيرين من أهل الأرض... إلخ. قال عنه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥١/٩): أخرجه الطبراني من حديث أم سلمة وفيه محمد بن مجيب الثقفي وهو كذاب، أما رواية ابن عباس فقد أخرجهما الحكيم الترمذي كما في ضعيف الجامع الصغير. وقال الشيخ الألباني: ضعيف، وأحال على سلسلة الأحاديث الضعيفة =

١٧- وقال ﷺ: «ارحم أمتي أبوبكر، وأشهدا في دين الله عمر»<sup>(١)</sup>.

من أقواله وأحواله<sup>(٢)</sup>؟

قال عمر: لا يحل لي من مال الله إلا حُلَّتَانِ، حُلَّةٌ للشتاء وحُلَّةٌ للصيف، وقوت أهلي كرجل من قريش ليس بأغناهم، ثم أنا رجل من المسلمين<sup>(٣)</sup>.

وكان عمر إذا استعمل عاملاً كتب له عهدًا وأشهد عليه رهطًا من المهاجرين، واشترط عليه أن لا يركب برذونًا، ولا يأكل نقيًا، ولا يلبس رقيقًا، ولا يغلق بابه دون ذوي الحاجات، فإن فعل شيئًا من ذلك حلت عليه العقوبة<sup>(٤)</sup>.

وكان إذا حَدَّثه الرجل بالحديث فيكذب فيه الكلمة والكلمتين فيقول عمر: احبس هذه، احبس هذه، فيقول الرجل: والله كلما حدثتك به حق غير ما أمرتني أن أحبسه.

= رقم (٣٠٥٦) أما حديث إن الشيطان يفرق من عمر فقد مرّ في الحديث الخامس عشر ما يشهد له، وروي موقوفًا من كلام ابن مسعود بإسناد حسن كما في فضائل الصحابة للإمام أحمد برقم (٤٦).

(١) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب حديث رقم (٣٧٩١) من حديث أبي قلابة عن أنس، وقال: حديث حسن صحيح، وأخرجه أحمد في المسند (٣/١٨٤)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٩٠٨)، وفي «السلسلة الصحيحة» برقم (١٢٢٤).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/١٣٤).

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/٢٧٥) بإسناد صحيح.

(٤) أخرجه نحوه مختصرًا ابن سعد في «الطبقات» (٣/٢٠٧) من طريق الواقدي، وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٤/٢٠٧) بإسناد لا بأس به.

وقال معاوية بن أبي سفيان: أما أبوبكر فلم يرد الدنيا ولم ترده، وأما عمر فأرادته فلم يردّها، وأما نحن فتمرغنا فيها ظهرًا لبطن. وعوتب عمر فقبل له: لو أكلت طعامًا طيبًا كان أقوى لك على الحق؟ فقال: إني تركت صاحبي على جادة، فإن تركت جادتهما لم أدركهما في المنزل<sup>(١)</sup>.

وكان يلبس وهو خليفة جبة صوف مرقوعة بعضها بأدم، ويطوف بالأسواق على عاتقه الدرة يؤدب بها الناس، وإذا مرّ بالنوى وغيره يلتقطه ويرمي به في منازل الناس ينتفعون به<sup>(٢)</sup>.

وقال أنس: كان بين كتفي عمر أربع رقاع، وإزاره مرقوع بأدم، وخطب على المنبر وعليه إزار فيه اثنتي عشر رقعة<sup>(٣)</sup>. وأنفق في حجته ستة عشر دينارًا، وقال لابنه: قد أسرفنا. وكان لا يستظل بشيء غير أنه كان يُلقِي كساءه على الشجر ويستظل تحته، وليس له خيمة ولا فسطاط<sup>(٤)</sup>.

ولما قدم الشام لفتح بيت المقدس كان على جمل أورق تلوح صلعته للشمس، ليس عليه قلنسوة ولا عمامة قد طبّق رجله بين شعبي الرجل بلا ركاب، ووطاؤه كيس من صوف، وهو فراشه إذا نزل، فلما

(١) «الطبقات الكبرى» (٢٧٧/٣) بنحوه عن حفصة رضي الله عنها. وانظر: تاريخ الطبري (٦١٧/٣)، وابن الجوزي «المنتظم» (١٩٨/٤).

(٢) المصدر السابق بنحوه (٣٣٠/٣).

(٣) أخرجه ابن سعد من طرق صحيحة عن أنس رضي الله عنه. «الطبقات الكبرى» (٣٢٨/٣).

(٤) أخرجه نحوه ابن سعد في «الطبقات» (٢٧٩/٣).

نزل قال: ادعوا لي رأس القرية، فدعوه فقال: اغسلوا قميصي وخطوه وأعيروني قميصًا، فأتى بقميص كتان، فقال: ما هذا؟ فقيل: كتان. فقال: ما الكتان؟ فأخبروه. فنزع قميصه فغسلوه وخطوه ثم لبسه، فقال له رأس القرية: أنت ملك العرب، وهذه بلاد لا يصلح فيها ركوب الإبل، فأتي ببرذون فطرح عليه قطيفة بلا سرج ولا رحل، فلما سار جعل البرذون يهملج به فقال لمن معه: احبسوا، ما كنت أظن الناس يركبون الشياطين، هاتوا جملي. ثم نزل وركب الجملي<sup>(١)</sup>.

وعن أنس قال: كنت مع عمر فدخل حائطًا لحاجته فسمعتة يقول - وبينني وبينه جدار الحائط -: عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، بخ بخ، والله لتتقين الله بنِّي الخطاب أو ليعذبك<sup>(٢)</sup>.

وقيل: إنه حمل قربة على عاتقه فقيل له في ذلك فقال: إن نفسي أعجبتني فأردت أن أذلها. وكان يصلي بالناس العشاء ثم يدخل بيته فلا يزال يصلي إلى الفجر. وكان في عام الرمادة لا يأكل إلا الخبز والزيت حتى اسود جلده، ويقول: بشس الوالي أنا إن شبعت والناس جياع. وكان في وجهه خطان أسودان من البكاء. وكان يسمع الآية من القرآن فيغشى عليه فيحمل صريعًا إلى منزله فيعاد أيامًا ليس به مرض إلا الخوف<sup>(٣)</sup>.

وقال طلحة بن عبيدالله: خرج عمر ليلة في سواد الليل فدخل بيتًا، فلما أصبحت ذهبتُ إلى ذلك البيت فإذا عجوزًا عمياء مقعدة فقلت

(١) انظر: ابن الجوزي، «مناقب عمر» ص (١٥١).

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢٩٢/٣) بإسناد صحيح.

(٣) انظر: «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٤٠٧/٧) عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْفِعٌ﴾. وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١١٨/٦).

لها: ما بال هذا الرجل يأتيك. فقالت: إنه يتعاهدني مدة كذا وكذا يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى. فقلت لنفسي: ثكلتك أمك يا طلحة، أعثرات عمر تتبع؟!

وقال أسلم مولى عمر: قدم المدينة رفقة من تجار، فنزلوا المصلى، فقال عمر لعبدالرحمن بن عوف: هل لك أن نحرسهم الليلة؟ قال: نعم، فباتا يحرسانهم ويصليان، فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لأمه: اتقي الله وأحسني إلى صبيك. ثم عاد مكانه، فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك، ثم عاد إلى مكانه، فلما كان آخر الليل سمع بكاء الصبي فأتى إلى أمه فقال لها: ويحك، إنك أم سوء، مالي أرى أرى ابنك لا يقر منذ الليلة من البكاء؟! فقالت: يا عبدالله إني أشغله عن الفطام فيأبى ذلك، قال: ولم؟ قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للمفطوم. قال: وكم عمر ابنك هذا؟ قالت: كذا وكذا شهر، فقال: ويحك لا تعجله عن الفطام. فلما صلى الصبح وهو لا يستبين للناس قراءته من البكاء، قال: بؤساً لعمر. كم قتل من أولاد المسلمين، ثم أمر مناديه فنادى: لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام، فإننا نفرض لكل مولود في الإسلام. وكتب بذلك إلى الآفاق<sup>(١)</sup>.

وقال أسلم: خرجت ليلة مع عمر إلى ظاهر المدينة، فلاح لنا بيت شعر فقصدناه، فإذا امرأة تمخض وتبكي، فسألها عمر عن حالها فقالت: أنا امرأة عربية وليس عندي شيء، فبكى عمر وعاد يهرول إلى بيته فقال لامرأته أم كلثوم بنت علي بن أبي طلب: هل لك في أجر ساقه

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/٣٠١) بإسناده عن عبدالله بن عمر.

الله إليك؟ وأخبرها الخبر، فقالت: نعم، فحمل على ظهره دقيقًا وشحمًا، وحملت أم كلثوم ما يصلح للولادة، وجاءا، فدخلت أم كلثوم على المرأة، وجلس عمر مع زوجها - وهو لا يعرفه - يتحدث، فوضعت المرأة غلامًا فقالت أم كلثوم: يا أمير المؤمنين، بشر صاحبك بغلام، فلما سمع الرجل قولها استعظم ذلك وأخذ يعتذر إلى عمر، فقال عمر: لا بأس عليك، ثم وصلهم بنفقة وما يصلحهم وانصرف.

وقال أسلم: خرجت ليلة مع عمر إلى حرة واقم، حتى إذا كنا بصِرَار<sup>(١)</sup> إذا بنار، فقال: يا أسلم ههنا ركب قد قصر بهم الليل، انطلق بنا إليهم، فأتيناهم فإذا امرأة معها صبيان لها، وقدر منصوبة على النار، وصبيانها يتضاغون، فقال عمر: السلام عليكم يا أصحاب الضوء، قالت: وعليك السلام. قال: أأدنو. قالت: ادن أو دع، فدنا، فقال: ما بالكم؟ فقالت: قصر بنا الليل والبرد. قال: فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟ قالت: من الجوع. فقال: وأي شيء على النار؟ قالت: ماء أعللهم به حتى يناموا، الله بيننا وبينك يا عمر. فبكى عمر، ورجع يهرول إلى دار الدقيق فأخرج عدلاً من دقيق وجراب شحم، وقال: يا أسلم احمله على ظهري، فقلت: أنا أحمله عنك. فقال: أنت تحمل وزري يوم القيامة؟ فحملة على ظهره وانطلقنا إلى المرأة، فألقاه عن ظهره، وأخرج من الدقيق ووضع في القدر، وألقى عليه من الشحم، وجعل ينفخ تحت القدر والدخان يتخلل لحيته ساعة، ثم أنزلها عن

(١) صرار: بئر على ثلاثة أميال من المدينة تلقاء حرة واقم. «معجم المعالم الجغرافية» (١٥٧).

النار، وقال: اثَّينني بصحفة، فأتى بها فغرف فيها ثم تركها بين يدي الصبيان، وقال: كلوا، فأكلوا حتى شبعوا، - والمرأة تدعو له ولا تعرفه - فلم يزل عندهم حتى نام الصغار، ثم وصلهم بنفقة وانصرف، ثم أقبل عليّ فقال: يا أسلم الجوع الذي أسهرهم وأبكاهم<sup>(١)</sup>.  
مقتل عمر رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>؟

وملخص ذلك أن عمر رضي الله عنه لما فرغ من الحج سنة ثلاث وعشرين ونزل بالأبطح دعا الله عز وجل، وشكا إليه أنه كبرت سنّه، وضعفت قوته، وانتشرت رعيته، وخاف من التقصير، وسأل الله أن يقبضه إليه<sup>(٣)</sup>، وأن يمن عليه بالشهادة في بلد النبي ﷺ. وثبت عنه في الصحيح أنه كان يقول: اللهم إني أسألك شهادة في سبيلك، وموتاً في بلد رسولك<sup>(٤)</sup>. فاستجاب له الله هذا الدعاء، وجمع له بين هذين الأمرين، الشهادة والموت في المدينة النبوية، وهذا عزيز جدّاً، ولكن الله لطيف بما يشاء تبارك وتعالى، فاتفق له أن ضربه أبولؤلؤة المجوسي الأصل، والرومي الدار<sup>(٥)</sup>، وهو قائم يصلي في المحراب، صلاة

(١) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» برقم (٣٨٢). وقال محققه: «إسناده حسن».

وانظر: «تاريخ الطبري» (٤/٢٠٥-٢٠٦).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/١٣٧).

(٣) أخرج نحو هذا ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/٣٣٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل المدينة، باب كراهية النبي أن تُغرى

المدينة (٤/١٠٠ من فتح الباري).

(٥) قال الطبري (٤/١٩٠): كان نصرانيّاً. وقال في (٤/١٣٦) كان أبولؤلؤة من أهل

نهاوند فأسرته الروم، ثم أسره المسلمون بعدُ.

الصباح من يوم الأربعاء، لأربع بقين من ذي الحجة من سنة ثلاث وعشرين بخنجر ذات طرفين، فضربه ثلاث ضربات، وقيل: ست ضربات، وإحداهن تحت سرتة وقطعت الصفاق<sup>(١)</sup> فخر من قامته، واستخلف عبدالرحمن بن عوف - على الصلاة -، ورجع العليج بخنجره لا يمر بأحد إلا ضربه، حتى ضرب ثلاثة عشر رجلاً مات منهم ستة<sup>(٢)</sup>، فألقى عليه عبدالله بن عوف<sup>(٣)</sup> برنسا فنحر نفسه لعنه الله. وحمل عمر إلى منزله والدم يسيل من جرحه - وذلك قبل طلوع الشمس - فجعل يفيق ثم يغمى عليه، ثم يذكرونه بالصلاة، فيفيق، ويقول: نعم، ولاحظ في الإسلام لمن تركها. ثم صلى في الوقت، ثم سأل عمن قتله من هو؟ فقالوا له: هو أبولؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة. فقال: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي على يدي رجل يدعي الإيمان، ولم يسجد لله سجدة. ثم قال: قبحه الله، لقد كنا أمرنا به معروفاً - وكان المغيرة قد ضرب عليه في كل يوم درهمين، ثم سأل من عمر أن يزيد في خراجه

(١) في الأصل: السفاق بالسين وهو خطأ. والصفاق: هو ما حول الشرة من الجلد الرقيق الذي تحت الجلد الأعلى وفوق اللحم. (لسان العرب ١٠/٢٠٣).

(٢) في طبقات ابن سعد (٣/٣٣٧) من رواية حصين عن عمرو بن ميمون تسعة، ولعله تصحيف والذي في صحيح البخاري كما سيأتي قريباً سبعة وقد ساقه من رواية حصين عن عمرو بن ميمون.

(٣) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٧/٦٣) وقع في ذيل الاستيعاب لابن فتحون من طريق سعيد بن يحيى الأموي وساق سنده قال: فلما رأى ذلك رجل من المهاجرين يقال له حطان التميمي اليربوعي طرح عليه برنسا وهذا أصح مما رواه ابن سعد بإسناد ضعيف منقطع أن ذلك الرجل عبدالله بن عوف، وأنه احتز رأسه. قال: فإن ثبت هذا حمل على أن الكل اشتركوا في ذلك.



فإنه نجار نقاش حدّاد، فزاد في خراجه إلى مائة درهم في كل شهر - وقال له: لقد بلغني أنك تحسن أن تعمل رجا تدور بالهواء فقال أبو لؤلؤة: وأما والله لأعملن لك رجا يتحدث عنها الناس في المشارق والمغارب - وكان هذا يوم الثلاثاء عشية - وطعنه صبيحة الأربعاء بقين من ذي الحجة. وأوصى عمر أن يكون الأمر شورى بعده في ستة ممن توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وهم عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص. ولم يذكر سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي فيهم، لكونه من قبيلته، خشية أن يراعي في الإمارة بسببه، وأوصى من يُستخلف بعده بالناس خيراً على طبقاتهم ومراتبهم، ومات رضي الله بعد ثلاث، ودفن في يوم الأحد مستهل المحرم من سنة أربع وعشرين ودفن بالحجرة النبوية، إلى جانب الصديق، عن إذن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في ذلك.

قال الواقدي: حدثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد عن أبيه قال: طعن عمر يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، ودفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة أربع وعشرين، فكانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر وإحدى وعشرين ليلة، وبويع لعثمان يوم الاثنين لثلاث مضي من المحرم.

قال: فذكرت ذلك لعثمان الأحنس فقال: ما أراك إلا وهلت.

توفي عمر لأربع ليال بقين من ذي الحجة وبويع لعثمان لليلة بقيت من ذي الحجة فاستقبل بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين<sup>(١)</sup>.

(١) «الطبقات الكبرى» (٣/٣٦٥)، و«تاريخ الطبري» (٤/١٩٣).

وقال أبو معشر: قتل عمر لأربع بقين من ذي الحجة تمام سنة ثلاث وعشرين وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام وبويع عثمان بن عفان<sup>(١)</sup>.

وقال ابن جرير: حَدَّثْتُ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: قَتَلَ عُمَرَ لثَلَاثَ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَلَاثَ وَعِشْرِينَ فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ عَشْرَ سَنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَأَرْبَعَةَ أَيَّامٍ<sup>(٢)</sup>.  
رواية البخاري لمقتل عمر<sup>(٣)</sup>!

قال الإمام البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة عن حصين بن عمرو بن ميمون قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة، ووقف على حذيفة بن اليمان، وعثمان بن حنيف فقال: كيف فعلتما؟ أتخافان أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق؟ قالوا: حملناها أمرًا هي له مُطِيقَةٌ، ما فيها كبيرٌ فضل. قال: انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق. قالوا: لا. فقال عمر: لئن سلمني الله لأدعنَّ أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبدًا. قال: فما أتت عليه إلا رابعة حتى أصيب. قال: إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب - وكان إذا مرَّ بين الصفيين قال: استووا، حتى إذا لم ير فيهم خللاً تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس - فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول: قتلني - أو أكلني - الكلب، حين طعنه، فطار العليج

(١) «تاريخ الطبري» (٤/١٩٤).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) هذا النص إضافة على الأصل، وأوردناه لأهميته وكونه في الصحيح.

بسكين ذات طرفين، لا يمر على أحد يمينًا ولا شمالاً إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسًا، فلما ظن العليج أنه مأخوذ نحر نفسه. وتناول عمر يد عبدالرحمن بن عوف فقدمه، فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عمر وهم يقولون: سبحان الله. فصلى بهم عبدالرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال: يا بن عباس، انظر من قتلني. فجال ساعة، ثم جاء فقال: غلام المغيرة. قال: الصنع؟ قال: نعم، قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفًا، الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة، وكان العباس أكثرهم رقيقًا، فقال: إن شئت فعلت - أي: إن شئت قتلنا - . قال: كذبت، بعد ما تكلموا بلسانكم، وصلوا قبلتكم، وحجوا حجكم؟ فاحتمل إلى بيته، فانطلقنا معه، وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ: فقائل يقول: لا بأس، وقائل يقول: أخاف عليه، فأتي بنبيذ فشربه، فخرج من جوفه، ثم أتى بلبن فشربه فخرج من جرحه، فعلموا أنه ميت، فدخلنا عليه، وجاء الناس فجعلوا يشنون عليه. وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك، من صحبة رسول الله ﷺ، وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم ولئت فعدلت، ثم شهادة. قال: وددت أن ذلك كفاف لا علي ولا لي. فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردوا علي الغلام، قال: يا بن أخي، ارفع ثوبك، فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك. يا عبدالله بن عمر، انظر ما علي من الدّين، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفًا أو نحوه، قال: إن وفى له مال آل

عمرَ فأدَّه من أموالهم، وإلا فسل في بني عدي بن كعب، فإن لم تف أموالهم فسل في قريش ولا تعدُّهم إلى غيرهم، فأدَّ عني هذا المال، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام - ولا تقل: أمير المؤمنين، فإنني لست اليوم للمؤمنين أميرًا - وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه. فسلم واستأذن، ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي، ولأوثرته به اليوم على نفسي. فلما أقبل قيل: هذا عبدالله بن عمر جاء. قال: ارفعوني، فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين، أذنت، قال: الحمد لله، ما كان من شيء أهم إلي من ذلك، فإذا أنا قضيت فأحملوني، ثم سلّم، فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلوني، وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين. وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسير معها، فلما رأيناها قُمنّا، فولجت عليه فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال، فولجت داخلًا لهم، فسمعنا بكاءها من الداخل.

فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف. قال: ما أجد أحقَّ بهذا الأمر من هؤلاء نفر - أو الرهط - الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمى عليًا، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعدًا، وعبدالرحمن، وقال: يشهدكم عبدالله بن عمر، وليس له من الأمر شيء، - كهيئة التعزية له - فإن أصابت الإمرة سعدًا فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمّر، فإنني لم أعزله عن عجز ولا خيانة. وقال: أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم،

وأوصيه بالأنصار خيرًا، والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم، وأن يقبل من محسنهم، وأن يعفي عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيرًا فإنهم رداء الإسلام، وجباة المال، وغيظ العدو وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيرًا، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام، أن يؤخذ من حواشي أموالهم، ويرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ أن يُوفَى لهم بعهدهم، وأن يُقاتل مَنْ وَرَاءَهُمْ، ولا يكلفوا إلا طاقتهم». فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلم عبدالله بن عمر قال: يستأذن عمر بن الخطاب، قالت: أدخلوه، فأدخل، فوضع هنالك مع صاحبيه<sup>(١)</sup>.

عُضْرُهُ يَوْمَ مَاتَ<sup>(٢)</sup>؟

اختلف في مقدار سنِّه يوم مات رضي الله عنه على أقوال عدتها - عشرة -، ثم ذكر تسعة منها - وبدأ بالقول الذي قدمه ابن جرير في تاريخه.

قال ابن جرير<sup>(٣)</sup>: حدثنا زيد بن أخزم ثنا أبوقتيبة عن جرير بن حازم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال: قتل عمر بن الخطاب وهو ابن خمس وخمسين سنة.

ورواه من طريق الداروردي عن عبيدالله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر.

ومن طريق عبدالرزاق عن ابن جريج عن الزهري.

(١) كتاب «فضائل الصحابة»، باب قصة البيعة (٧/٥٩ من فتح الباري).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/١٣٨).

(٣) «تاريخ الطبري» (٤/١٩٧).

ثم ذكر قولاً آخر عن هشام الكلبي، أنه توفي وله ثلاث وخمسون سنة<sup>(١)</sup>.

وروي عن عامر الشعبي، أنه توفي وله ثلاث وستون سنة<sup>(٢)</sup>.  
قال ابن كثير: وهذا القول هو المشهور.  
وذكر قول المدائني: أنه توفي وهو ابن سبع وخمسين سنة<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر نفسه (٤/١٩٧).

(٢) المصدر نفسه (٤/١٩٨) وقد ذكر هذا القول ابن سعد في «الطبقات» (٣/٣٦٥) من طريقين عن أبي إسحاق السبيعي عن عامر بن سعد عن حريز أنه سمع معاوية يقول: توفي عمر وهو ابن ثلاث وستين. قال الواقدي: ولا يعرف هذا الحديث عندنا بالمدينة، وأثبت الأقاويل عندنا أنه توفي وهو ابن ستين سنة.  
قلت: وإسناد ابن سعد ضعيف فيه حريز مولى معاوية قال عنه في «التقريب» برقم (١١٩٥): «مجهول من الثالثة».

(٣) انظر: «تاريخ الطبري» (٤/١٩٨).  
قلت: قول المدائني موافق لما ذكر المصنف من أن عمره سبعاً وعشرين سنة عند إسلامه، وكان ذلك في السنة السادسة من البعثة. (٢٧ + ٧ + ٢٣ = ٥٧).

## الفصل الثاني استخلافه وموجز أعماله

### استخلافه<sup>(١)</sup>!

لما مرض الصديق كان عمر بن الخطاب هو الذي يصلي عنه بالمسلمين، وفي أثناء هذا المرض عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب، وكان الذي كتب العهد عثمان بن عفان، وقرأه على المسلمين فأقروا به، وسمعوا له وأطاعوا.

فلما مات الصديق رضي الله عنه في يوم الاثنين، وقيل بعد المغرب، ودفن من ليلته، وذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة، سنة ثلاث عشرة، قام بالأمر بعده أتم القيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الفاروق، وهو أول من سمي أمير المؤمنين، وكان أول من حيّاه بها المغيرة بن شعبة، وقيل غيره<sup>(٢)</sup>.

ذكر ما وقع في سنة ثلاث عشرة من الحوادث إجمالاً<sup>(٣)</sup>؛

وفيها وليّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة منها، فولّى قضاء المدينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واستتاب علي الشام أباعبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري، وعزل عنها خالد بن الوليد المخزومي، وأبقاه علي شوري

(١) «البدية والنهاية» (١٨/٧).

(٢) راجع «طبقات ابن سعد» (٣/٢٨١).

(٣) «البدية والنهاية» (٧/٣١).

الحرب وقد روى البخاري في التاريخ، وغيره من طريق عُلَيِّ بن رباح، عن ناشرة بن سُمَيِّ اليزني، قال: سمعت عمر بن الخطاب يعتذر إلى الناس بالجابية من عزل خالد فقال: أمرته أن يحبس هذا المال على ضعفة المهاجرين فأعطاه ذا البأس، وذا الشرف واللسان، فأمرت أبا عبيدة<sup>(١)</sup>.

- وفيها فتحت بُصْرَى صلحًا، وهي أول مدينة فتحت من الشام.

- وفيها فتحت دمشق في قول سيف وغيره، واستنيب فيها يزيد بن

أبي سفيان، فهو أول من وليها من أمراء المسلمين رضي الله عنهم.

- وفيها حج بالناس عمر بن الخطاب في قول بعضهم وقيل: بل

حج عبدالرحمن بن عوف<sup>(٢)</sup>.

- وفيها استنفر عمر قبائل العرب لغزو العراق والشام، فأقبلوا من

كل النواحي فرمى بهم الشام والعراق.

جملة حوادث سنة أربع عشرة<sup>(٣)</sup>؛

- وفي هذه السنة ضرب عمر بن الخطاب ابنه عبيدالله في الشراب

هو وجماعة معه، وفيها ضرب أبا محجن الثقفي في الشراب مرات،

وضرب معه ربيعة بن أمية بن خلف<sup>(٤)</sup>.

(١) «التاريخ الكبير» كتاب الكنى ص (٥٤)، وقد رواه أحمد في «مسنده» (٤٧٦/٣)،

والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٩٨/٢٢) بنحوه، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣٥٠/٩) رواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات.

(٢) قلت: وهو المشهور أن عمر استخلفه على الحج سنة (١٣هـ) ثم حج عشر سنين متوالية آخرها سنة (٢٣هـ).

(٣) «البداية والنهاية» (٤٨/٧-٥٠).

(٤) ذكر نحوه الطبري في «تاريخه» (٥٩٧/٣) من غير إسناد.



- وكان ولاته سنة (١٤هـ) هم: بمكة: عتاب بن أسيد، وبالشام أبو عبيدة، وبالبحرين عثمان بن أبي العاص، وقيل: العلاء بن الحضرمي، وعلى العراق سعد، وعلى عُمان حذيفة بن مِخْصَن<sup>(١)</sup>.  
جملة أحداث في سنة ست عشرة<sup>(٢)</sup>؛

قال الواقدي: وفي هذه السنة حمى عمر الرّبذة لخيّل المسلمين، وفيها غرّب عمر أبا محجن الثقفي إلى باضع<sup>(٣)</sup>.  
- وفيها تزوج عبدالله بن عمر صفية بنت أبي عبيد<sup>(٤)</sup>، وهو الذي قتل يوم الجسر، وكان أمير السرية، وهي أخت المختار بن أبي عبيد أمير العراق فيما بعد، وكانت امرأة سالحة، وكان أخوها فاجرًا.  
- وفيها حج عمر بالناس، واستخلف على المدينة زيد بن ثابت<sup>(٥)</sup>.

قال: وكان نائبه على مكة عتاب، وعلى الشام أبو عبيدة، وعلى العراق، سعد، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص، وعلى اليمن يعلى ابن أمية، وعلى اليمامة والبحرين العلاء بن الحضرمي، وعلى عُمان حذيفة بن مِخْصَن، وعلى البصرة المغيرة بن شُعبَة، وعلى الموصل ربعي بن الأَفْكَل، وعلى الجزيرة عياض بن عمرو<sup>(٦)</sup> الأشعري.

(١) المصدر نفسه (٣/٥٩٧).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/٧٣).

(٣) باضع جزيرة في بحر اليمن. ياقوت، مصدر سابق (١/٣٢٤).

(٤) انظر الخبر في: «تاريخ الطبري» (٤/٣٨).

(٥) المصدر نفسه (٤/٣٩).

(٦) في الأصل: «عياض بن غنم»، وهو خطأ. والتصحيح من «تاريخ الطبري» (٤/٣٩).

قال الواقدي: وفي ربيع الأول من السنة السادسة عشرة كتب عمر بن الخطاب التاريخ، وهو أول من كتبه، وذلك أنه رُفِعَ إلى عمر صك مكتوب لرجل على آخر بدين يحل عليه في شعبان، فقال: أي شعبان؟ أمن هذه السنة أم التي قبلها، أم التي بعدها؟ ثم جمع الناس فقال: ضعوا شيئاً يعرفون فيه حلول ديونهم، فيقال: أراد بعضهم أن يؤرخوا كما تؤرخ الفرس بملوكهم، كلما هلك ملك أرخوا من تاريخ ولاية الذي بعده، فكرهوا ذلك، ومنهم من قال: أرخوا بتاريخ الروم من زمان الأسكندر فكرهوا ذلك، وقال قائلون: أرخوا من مولد رسول الله ﷺ، وقال آخرون: من مبعثه عليه السلام، وأشار علي بن أبي طالب وآخرون أن يؤرخ من هجرته من مكة إلى المدينة لظهوره لكل أحد فإنه أظهر من المولد والمبعث، فاستحسن ذلك عمر والصحابة، فأمر عمر أن يؤرخ من هجرة رسول الله ﷺ وأرخوا من أول تلك السنة من محرمها<sup>(١)</sup>، وعند مالك رحمه الله - فيما حكاه عنه السهيلي وغيره - أن أول السنة من ربيع الأول لقدمه عليه السلام إلى المدينة فيه. والجمهور على أن أول السنة من المحرم؛ لأنه أضبط لثلاث تختلف الشهور، فإن المحرم أول السنة الهلالية العربية.

- وفي هذه السنة توفيت مارية أم إبراهيم بن رسول الله ﷺ، وذلك في المحرم منها فيما ذكره الواقدي وابن جرير وغير واحد<sup>(٢)</sup>، وصلى

(١) حول وضع التاريخ الهجري. راجع: «تاريخ الطبري» (٣٨/٤)، و«البداية والنهاية» (٢٠٦/٣)، والسخاوي «الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ» ص (٧٨).

وللإمام السيوطي رسالة بعنوان: «الشماريخ في علم التاريخ».

(٢) «تاريخ الطبري» (٣٨/٤).

عليها عمر بن الخطاب، وكان يجمع الناس لشهود جنازتها، ودفنت بالبقيع رضي الله عنها وأرضاها، وهي مارية القبطية، أهداها صاحب الإسكندرية «جريج بن مينا» في جملة تحف وهدايا لرسول الله ﷺ فقبل ذلك منه، وكان معها أختها شيرين التي وهبها رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت، فولدت له ابنه عبدالرحمن بن حسان. وأهدى مع ذلك بغلة شهباء اسمها الدُّلدُل، وأهدى حلة حرير من عمل الإسكندرية. وكان قدوم هذه الهدية في سنة ثمان، فحملت مارية من رسول الله ﷺ بإبراهيم عليه السلام، فعاش عشرين شهراً، ومات قبل أبيه رسول الله ﷺ بسنة سواء. وقد حزن عليه رسول الله ﷺ وبكى عليه وقال: «تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون»<sup>(١)</sup>. وكانت مارية هذه من الصالحات الخيرات الحسان، وقد حظيت عند رسول الله ﷺ وأعجب بها، وهي تشابه هاجر سُرّية الخليل، فإن كلا منهما من ديار مصر وتسراها نبي كريم، و خليل جليل، عليهما السلام.

#### تخطيط الكوفة سنة سبع عشرة<sup>(٢)</sup>؟

في المحرم انتقل سعد بن أبي وقاص من المدائن إلى الكوفة، وذلك أن الصحابة استوخموا المدائن، وتغيرت ألوانهم، وضعفت أبدانهم، لكثرة ذبابها وغبارها، فكتب سعد إلى عمر في ذلك فكتب

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي: «إنا بك لمحزونون» (٣/١٧٢ من فتح الباري). وانظر: ترجمة مارية عند ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/٢١٢).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/٧٤).

عمر: إن العرب لا تصلح إلا حيث يوافق إبلها. فبعث سعدُ حذيفةً وسلمانَ بن زياد يرتادان للمسلمين منزلاً مناسباً يصلح لإقامتهم، فمرا على أرض الكوفة وهي حصباء في رملة حمراء، فأعجبتهما، ثم كتبا إلى سعد بالخبر، فأمر سعد باختطاط الكوفة، وسار إليها في أول هذه السنة في محرمها، فكان أول بناء وضع فيه المسجد، وأمر سعد رجلاً رامياً شديد الرمي فرمى من المسجد إلى الأربع جهات فحيث سقط سهمه بنى الناس منازلهم، وعمّر قصرًا تلقاء محراب المسجد للإمارة وبيت المال، فكان أول ما بنوا المنازل بالقصب، فاحترقت في أثناء السنة، فبنوها باللبن عن أمر عمر، بشرط أن لا يسرفوا ولا يجاوزوا الحد، وبعث سعد إلى الأمراء والقبائل فقدموا عليه، فأنزلهم الكوفة، وأمر سعد أبا هياج الموكل بإنزال الناس فيها بأن يعمروا ويدعوا للطريق المنهج وُسْع أربعين ذراعًا، وَلِمَا دُونَ ذَلِكَ ثَلَاثِينَ، وَعِشْرِينَ ذِرَاعًا، وللأزقة سبعة أذرع. وَبُنِيَ لِسَعْدٍ قَصْرٌ قَرِيبٌ مِنَ السُّوقِ، فَكَانَتْ غَوْغَاءُ النَّاسِ<sup>(١)</sup> تَمْنَعُ سَعْدًا مِنَ الْحَدِيثِ، فَكَانَ يَغْلِقُ بَابَهُ وَيَقُولُ: سَكَنَ الصَّوْتِ، فَلَمَّا بَلَغَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةَ عَمَرَ بِنِ الْخَطَّابِ بَعَثَ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ، فَأَمَرَهُ إِذَا انْتَهَى إِلَى الْكُوفَةِ أَنْ يَقْدَحَ زَنَادَهُ وَيَجْمَعُ حَطَبًا، وَيَحْرِقَ الْقَصْرَ، ثُمَّ يَرْجِعُ مِنْ فُورِهِ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْكُوفَةِ فَعَلَ مَا أَمَرَهُ بِهِ عُمَرُ، وَأَمَرَ سَعْدًا أَلَّا يَغْلِقَ بَابَهُ عَنِ النَّاسِ، وَلَا يَجْعَلَ عَلَى بَابِهِ أَحَدًا يَمْنَعُ النَّاسَ عَنْهُ<sup>(٢)</sup>، فَامْتَثَلَ ذَلِكَ سَعْدٌ، وَعَرَضَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ

(١) أي: أصواتهم.

(٢) ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٣٥/٦) ونسبه لابن المبارك في كتاب «الزهد»، وأخرج أحمد في المسند (٥٤/١) برقم (٣٩٠) من تحقيق: أحمد =

شيئاً من المال، فامتنع من قبوله، ورجع إلى المدينة<sup>(١)</sup>، واستمر سعد بعد ذلك في الكوفة ثلاث سنين ونصف، حتى عزله عنها عمر، من غير عجز ولا خيانة.

### قدوم عمر إلى الشام سنة سبع عشرة<sup>(٢)</sup>؟

قال ابن جرير: وفي هذه السنة قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام غازياً فوصل إلى سَرِغ<sup>(٣)</sup>، في قول محمد بن إسحاق. وقال سيف: وصل إلى الجابية. قال ابن كثير: والأشهر أنه وصل سرغ. فأخبره الأمراء أن الوباء قد وقع بالشام، فاستشار المهاجرين والأنصار فاختلفوا عليه فمن قائل يقول: أنت قد جئت لأمر فلا ترجع عنه. ومن قائل يقول: لا نرى أن تقدم بوجوه أصحاب رسول الله ﷺ، على هذا الوباء. فيقال: إن عمر أمر الناس بالرجوع من الغد، فقال أبو عبيدة: أفراراً من قدر الله؟ قال: نعم نَفِرَ من قدر الله إلى قدر الله، رأيت لو هبطت واديًا ذا عُذْوَتَيْنِ إحداهما مُخْصِبَةٌ والأخرى مُجْدِبَةٌ، فإن رعيت الخصبه رعيتها بقدر الله، وإن أنت رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله، ثم قال: لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة، وكان عبدالرحمن بن عوف غائباً في

= شاكراً، خبر إرسال محمد بن مسلمة، وتحريقه باب القصر، وقال الشيخ أحمد شاكراً: إسناده ضعيف.

(١) انظر تفاصيل أكثر عن بناء الكوفة وتخطيطها في «تاريخ الطبري» (٤/٤٠-٤٧).

(٢) «البدية والنهاية» (٧/٧٦).

(٣) سَرِغ: بفتح أوله وسكون ثانيه ثم غين معجمة، وهو أول الحجاز من جهة الشام

بين المغيثة وتبوك، وقال الإمام مالك: هي قرية بوادي تبوك. «معجم البلدان»

(٣/٢١١).

بعض شأنه، فلما قدم، قال: إن عندي من ذلك علمًا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم به بأرض قوم فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فرارًا منه»<sup>(١)</sup> فحمد الله عمر - يعني لكونه وافق رأيه - ورجع بالناس<sup>(٢)</sup>.

طاعون عَمَواس<sup>(٣)</sup>؟

المشهور الذي عليه الجمهور أن طاعون عَمَواس كان سنة ثمان عشرة، ولكن تبعنا قول سيف، وابن جرير، في إيراده في السنة السابعة عشرة، وهذا الطاعون منسوب إلى بلدة صغيرة يقال لها عَمَواس<sup>(٤)</sup> - وهي بين القدس والرملة -؛ لأنه كان أول ما نجم الوباء بها ثم انتشر في الشام منها فنسب إليها.

قال محمد بن إسحاق عن شعبة عن المخارق<sup>(٥)</sup> بن عبد الله البجلي عن طارق بن شهاب البجلي قال: أتينا أبا موسى وهو في داره بالكوفة لتحدث عنده فلما جلسنا قال: لا عليكم أن تَخِفُوا فقد أصيب في الدار إنسان بهذا السقم، ولا عليكم أن تنتزهوا عن هذه القرية فتخرجوا في فسيح بلادكم ونزّهها، حتى يرتفع هذا البلاء، فإني

(١) الحديث والقصة في صحيح البخاري بأبسط من هذا، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون (١٧٩/١٠ من فتح الباري).

(٢) انظر: «تاريخ الطبري» (٥٧/٤-٥٨).

(٣) «البداية والنهاية» (٧٨/٧، ٩٣).

(٤) انظر: ياقوت، «معجم البلدان» (١٥٧/٤) وقد ضبطها بفتح الأول والثاني وآخرها سين مهملة، ونقل عن الزمخشري في ضبطها بكسر الأول.

(٥) في الأصل: المختار، والتصحيح من تاريخ الطبري (٦٠/٤) وانظر الخبر فيه.

سأخبركم بما يُكره مما يَبْقَى ، من ذلك أن يَظُنَّ من خرج أنه لو أقام مات ، وَيَظُنُّ من أقام فأصابه ذلك أنه لو خرج لم يصبه ، فإذا لم يظن ذلك المرء المسلم فلا عليه أن يخرج وأن يتنزّه عنه ، إني كنت مع أبي عبيدة بن الجراح بالشام عام طاعون عمواس ، فلما اشتعل الوجد وبلغ ذلك عمر كتب إلى أبي عبيدة ليستخرجه منه :

أن سلام عليك أما بعد : فإنه قد عرضت لي إليك حاجة أريد أن أشافهك بها ، فعزمتُ عليك إذا نظرت في كتابي هذا أن لا تضعه من يدك حتى تقبل إليّ .

قال : فعرف أبو عبيدة أنه إنما أراد أن يستخرجه من الوباء . فقال : يغفر الله لأمر المؤمنين ، ثم كتب إليه :

يا أمير المؤمنين إني قد عرفت حاجتك إليّ ، وإني في جند من المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم ، فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله فيّ وفيهم أمره وقضاءه ، فحِلّني من عزمك يا أمير المؤمنين ، ودعني في جندي .

فلما قرأ عمر الكتاب بكى ، فقال الناس : يا أمير المؤمنين أمانت أبو عبيدة؟ قال : لا ، وكَأَنَّ قَدِ . قال : ثم كتب إليه : سلام عليك أما بعد ، فإنك أنزلت الناس أرضاً غَمِيقَةً فارفعهم إلى أرض مترفعة نَزْهَةً .

قال أبو موسى : فلما أتاه كتابه دعاني فقال : يا أبا موسى ، إن كتاب أمير المؤمنين قد جاءني بما ترى ، فاخرج فارتد للناس منزلاً حتى أتبعك بهم ، فرجعت إلى منزلي لأرتحل فوجدتُ صاحبتني قد أصيبت ، فرجعت إليه وقلت : والله لقد كان في أهلي حدث . فقال : لعل

صاحبتك قد أصيبت؟ قلت: نعم، فأمر ببيعيره فَرُحِلَ له، فلما وضع  
رجله في غَرْزَة طُعِنَ فقال: والله لقد أصيبتُ، ثم سار بالناس حتى نزل  
الجابية، ورفع عن الناس الوباء.

المتوفون في طاعون عَمَوَاس<sup>(١)</sup>!

قال الواقدي: مات في طاعون عَمَوَاس خمسة وعشرون ألفاً،  
وقال غيره: ثلاثون ألفاً.

ومن أعيانهم رضي الله عنهم: أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن  
الجراح، والحارث بن هشام، وشرحبيل بن حسنة، والفضل بن  
العباس، ومعاذ بن جبل، ويزيد بن أبي سفيان، وأبو جندل بن سهيل بن  
عمرو، وأبومالك الأشعري.

إصلاحات عمرانية<sup>(٢)</sup>!

قال الواقدي: وفي سنة سبع عشرة اعتمر عمر في رجب منها  
وعَمَّرَ في المسجد الحرام، وأمر بتجديد أنصاب الحرم، أمر بذلك  
مخرمة بن نوفل، وأزهر بن عبدعوف، وحويطب بن عبدالعزى، وسعيد  
بن يربوع<sup>(٣)</sup>.

قال الواقدي: وحدثني كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده  
قال: قدم عمر مكة في عمرة سنة سبع عشرة، فمر في الطريق فكلمه  
أهل المياه أن يبناوا منازل بين مكة والمدينة - ولم يكن قبل ذلك بناء -

(١) «البداية والنهاية» (٧/٩٣-٩٦).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/٨١-٩٣).

(٣) الفاكهي، «أخبار مكة» (٢/٢٧٣). وانظر: «تاريخ الطبري» (٤/٦٩).



فإذن لهم وشرط عليهم أن ابن السبيل أحق بالظل والماء<sup>(١)</sup>.  
قال الواقدي وغيره: وفي سنة سبع عشرة في ذي الحجة منها  
حوّل عمر المقام - وكان ملصقاً بجدار الكعبة - فأخبره إلى حيث هو الآن  
لثلاثين المصلون عنده على الطائفين<sup>(٢)</sup>. قال ابن كثير: وقد ذكرت  
أسانيد ذلك في سيرة عمر والله الحمد والمنة.  
زواج عمر بأم كلثوم<sup>(٣)</sup>؟

قال الواقدي: وفي سنة (١٧هـ) تزوج عمر بأم كلثوم بنت علي بن  
أبي طالب، ومن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ودخل بها في ذي القعدة.  
وقد ذكرنا في سيرة عمر ومسنده صفة تزويجه بها وأنه أمهرها أربعين  
ألفاً، وقال: إنما تزوجتها لقول رسول الله ﷺ: «كل سبب ونسب فإنه

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٤/٦٩).

(٢) أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (٥/٤٧) من عدة طرق وأحمد في «فضائل  
الصحابة» (١/٣٢٤) برقم (٤٥٥) وقال محققه: إسناده صحيح إلى عطاء وذكر له  
شواهداً. انظر: «أخبار مكة» للفاكهي (١/٤٥٤)، و«تاريخ الطبري» (٤/١٠١)،  
و«تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (١/١٧٠)، وفي «أخبار مكة» للأزرقي  
(١/٣٣) بأسانيد صحيحة كما قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١/٤٩٩)  
بيان بأن عمل عمر رضي الله عنه هذا كان بعد ذهاب السيل الذي يسمى سيل أم  
نهشل - في خلافة عمر - بالمقام فوجد في أسفل مكة ثم ربط بجدار الكعبة حتى  
قدم عمر مكة فوضعه في مكانه الذي هو فيه الآن، وهو مكانه القديم زمن رسول  
الله ﷺ وأبي بكر، واستدل عمر على ذلك مع معرفته بما كان قد حفظه المطلب بن  
أبي وداعة من قياس مكانة، ورجح بعض الباحثين هذا القول على ما سواه، وأن  
فعل عمر هو وضع للحجر في موضعه الأصلي. انظر: «سائد بكداش فضل الحجر  
الأسود ومقام إبراهيم» ص (١٠٦-١١٣).

(٣) «البداية والنهاية» (٧/٨١).

ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي»<sup>(١)</sup>.  
عزل خالد عن قنسري سنة (١٧هـ)<sup>(٢)</sup>؛

قال ابن جرير: وفي هذه السنة أذرب خالد بن الوليد، وعباض بن غنم - أي: سلكا درب الروم - وأغاروا عليهم، فغنموا أموالاً عظيمة وسيئاً كثيراً. ثم روى من طريق سيف عن أبي عثمان، وأبي حارثة، والربيع، وأبي المجالد. قالوا: لما رجع خالد ومعه أموال جزيلة من الصائفة انتجعه الناس يبتغون رفته ونائله، فكان ممن دخل عليه الأشعث بن قيس فأجازه بعشرة آلاف فلما بلغ ذلك عمر كتب إلى أبي عبيدة يأمره أن يقيم خالدًا ويكشف عما مته وينزع قلنسوته ويقيده بعمامته ويسأله عن هذه العشرة آلاف، إن كان أجازها الأشعث من ماله فهو سرف، وإن كان من مال الصائفة فهي خيانة، ثم اعزله عن عمله. فطلب أبو عبيدة خالدًا وصعد أبو عبيدة المنبر، وأقيم خالد بين يدي المنبر، وقام إليه بلالٌ ففعل ما أمر به عمر بن الخطاب - وهو البريد الذي قدم بالكتاب - هذا وأبو عبيدة ساكت لا يتكلم، ثم نزل أبو عبيدة واعتذر إلى خالد مما كان بغير اختياره وإرادته، فعذره خالد وعرف أنه لا قصد له في ذلك، ثم سار خالد إلى قنسرين فخطب أهل البلد وودعهم، وسار بأهله إلى حمص فخطبهم أيضًا وودعهم وسار إلى المدينة، فلما دخل خالد على عمر أنشد عمر قول الشاعر:

(١) انظر: «صحيح الجامع الصغير» برقم (٤٤٠٣)، وهو من حديث ابن عباس والمسور بن مخرمة وعزاه إلى الطبراني والحاكم والبيهقي، وأحال الشيخ الألباني على «سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم (٢٠٣٦).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/٨٠-٨١).

صَنَعَتْ فلم يصنع كصُنْعِكَ صَانِعٌ وما يَصْنَعُ الأَقْوَامُ فاللهُ يَصْنَعُ  
ثم سأله من أين هذا اليسار الذي تجيز منه بعشرة آلاف؟ فقال:  
من الأنفال والشُّهُمان، قال: ما زاد على الستين ألف فلك، ثم قَوْمَ عمر  
أمواله وعروضه وأخذ منه عشرين ألفاً ثم قال: والله إنك عليّ لكريم،  
وإنك إليّ لحبيب، ولن تعمل لي بعد اليوم على شيء<sup>(١)</sup>.

وقال سيف بن عبدالله، عن المستورد، عن أبيه، عن عدي بن  
سهل قال: كتب عمر إلى الأمصار: إنني لم أعزل خالدًا عن سخطه ولا  
خيانه، ولكن الناس فتنوا به فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع، وأن  
لا يكونوا بعرض فتنة<sup>(٢)</sup>.

ولما مات خالد بن الوليد قال عمر: رحم الله أباسليمان لقد كنا  
نظن به أمورًا ما كانت<sup>(٣)</sup>.

(١) تفاصيل هذا الخبر أخرجها الطبري في «تاريخه» (٦٧/٤) من طريق سيف بن عمر  
عن شيوخه، وفيه ألفاظ منكرة، وسيف ضعيف وشيوخه مجاهيل. وقد أشار  
الحافظ ابن كثير إلى ما في هذا الخبر من الغرابة والنكارة بقوله في عنوان الخبر:  
كائنة غريبة...، وأصل حادثة عزل خالد صحيحة وسببها صرح به عمر في  
اعتذاره الذي كتب به إلى الأمصار، وفي خطبته في الجابية عندما التقى بأمراء  
الأجناد في الشام، أما هذه الصياغة القصصية لكيفية العزل فليس لها سند يعتمد  
عليه.

(٢) «تاريخ الطبري» (٦٨/٤). وله شاهد صحيح عند ابن سعد في «الطبقات»  
(٢٨٤/٣).

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٩٤/٦) من مخطوطة أحمد الثالث) عن  
عبدالله بن الزبير الحميدي، حدثنا سفيان بن عيينة، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد  
سمعت قيس بن أبي حازم يقول: وهذا إسناد صحيح.

وروى جويرية بن أسماء عن نافع قال: لَمَّا مات خالد لم يوجد له إلا فرسه وغلّامه وسلاحه<sup>(١)</sup>.

قدوم عمر الشام سنة ثمان عشرة<sup>(٢)</sup>؛

كان أمير المؤمنين عمر قد عزم على أن يطوف البلدان، ويزور الأمراء، وينظر فيما اعتمدوه وما أُثروا من الخير، فاختلف عليه الصحابة فمن قائل يقول: ابدأ بالعراق، ومن قائل يقول: ابدأ بالشام، فعزم عمر على قدوم الشام لأجل قسم مواريث من مات من المسلمين في طاعون عَمَوَاس، فإنه أشكل قسمها على المسلمين بالشام فعزم على ذلك وخرج حتى قدم الشام، فقسم الأرزاق، وسَمَّى الشواتي والصوائف وسَدَّ فروج الشام ومسالحها، ثم قَسَم المواريث فورث بعض الورثة من بعض، ثم أخرجها إلى الأحياء من ورثة كل امرئ، وذلك أن المواريث قد أشكل قسمتها نظرًا لكثرة الموتى بعضهم بعد بعض قبل قسمة التركات<sup>(٣)</sup>.

قال سيف: فلما أراد القفول إلى المدينة في ذي الحجة منها خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ألا إني قد وُلِّيتُ عليكم، وقضيتُ الذي عليّ في الذي ولاني الله من أمركم إن شاء الله، قَسَطْنَا بينكم فيئكم ومنازلكم ومغازيكم، وأبلغناكم ما لدينا، فَجَنَدْنَا لكم

(١) أخرجه ابن سعد في المصدر السابق (٦/١٩٥).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/٧٧ و٧٩) وقدم عمر الشام في خلافته ثلاث مرات، الأولى عند فتح بيت المقدس، والثانية غازيًا لكنه رجع من سرغ بسبب الطاعون، وهذه الثالثة.

(٣) انظر: «تاريخ الطبري» (٤/٦٤).

الجنود، وهيأنا لكم الفروج، وبوأنا لكم، ووسعنا عليكم ما بلغ فينكم وما قاتلتم عليه من شامكم، وسمينا لكم أطعماتكم، وأمرنا لكم بأعطياتكم وأرزاقكم ومغانمكم، فمن علم شيئاً ينبغي العمل به فليعلمنا نعمل به إن شاء الله ولا قوة إلا بالله<sup>(١)</sup>.

قال: وحضرت الصلاة فقال الناس: لو أمرت بلالاً فأذن؟ قال: فأمره فأذن، فلم يبق أحد كان أدرك رسول الله وبلال يؤذن إلا بكى حتى بلّ لحيته، وعمر أشدهم بكاء، وبكى من لم يدركه لبكائهم ولذكرة ﷺ<sup>(٢)</sup>.

#### عام الرمادة سنة (١٨هـ)<sup>(٣)</sup>؟

وسمي عام الرمادة؛ لأن الأرض اسودت من قلة المطر حتى عاد لونها شبيهاً بالرماد، وقيل: لأنها تسفي الرياح تراباً كالرماد، ويمكن أن تكون سميت لكل منهما والله أعلم.

وقد أجذب الناس في هذه السنة بأرض الحجاز، وجفلت الأحياء إلى المدينة ولم يبق عند أحد منهم زاد فلجأوا إلى أمير المؤمنين، فأنفق فيهم من حواصل بيت المال مما فيه من الأطعمة والأموال حتى أنفده، وألزم نفسه أن لا يأكل سمناً ولا سميناً حتى يكشف ما بالناس، فكان في زمن الخصب يبيئ له الخبز باللبن والسمن، ثم كان عام الرمادة يبيئ له بالزيت والخل، وكان لا يستمرىء الزيت، وكان لا يشبع من ذلك، فاسودّ لون عمر رضي الله عنه وتغير جسمه حتى كاد يخشى عليه من

(١) المصدر نفسه (٤/٦٥).

(٢) المصدر نفسه (٤/٦٦).

(٣) «البدية والنهاية» (٧/٩٠-٩٢).

الضعف، واستمر هذا الحال في الناس تسعة أشهر، ثم تحول الحال إلى الخصب والدعة وانشمر الناس عن المدينة إلى أماكنهم<sup>(١)</sup>. قال الشافعي: بلغني أن رجلاً من العرب قال لعمر حين ترحلت الأحياء عن المدينة: لقد انجلت عنك وإنك لابن حُرّة، قد واسيت الناس وأنصفتهم وأحسنيت إليهم.

وقد رُوينا أن عمر عَسَّ بالمدينة ذات ليلة عام الرمادة فلم يجد أحداً يضحك، ولا يتحدث الناس في منازلهم على العادة، ولم ير سائلاً يسأل، فسأل عن سبب ذلك فقيل له: يا أمير المؤمنين إن السُّؤال سألوا فلم يُعْطوا فقطعوا السؤال، والناس في هم وضيق، فهم لا يتحدثون ولا يضحكون، فكتب عمر إلى أبي موسى بالبصرة أن ياغوثاه لأمة محمد. وكتب إلى عمرو بن العاص بمصر: أن ياغوثاه لأمة محمد.

فبعث إليه كل واحد منهما قافلة عظيمة تحمل البُرّ وسائر الأطعمة، ووصلت ميرة عمرو في البحر إلى جُدّة ومن جُدّة إلى مكة<sup>(٢)</sup>.

وهذا الأثر جيد الإسناد. لكن ذكر عمرو بن العاص في عام الرمادة مشكل، فإن مصر لم تكن فتحت في سنة ثمانى عشرة، فإما أن

(١) انظر خبر عام الرمادة في «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/٣١٠-٣١٧)، وابن شبة، «أخبار المدينة» (٢/٧٣٦-٧٤٥).

(٢) أخرج نحوه ابن شبة في «أخبار المدينة» من طريق الهيثم بن عدي (٢/٧٤٣)، كما أخرج من طريق الوليد بن مسلم قال: حدثني عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أن عمر أذن لعمر بن العاص في حمل الطعام والميرة من مصر إلى المدينة في بحر أيلة عام الرمادة (٢/٧٤٥)، وعبدالرحمن بن زيد ضعيف كما في «التقريب» ترجمة رقم (٣٨٩٠).

يكون عام الرمادة بعد سنة ثمانى عشرة، أو يكون ذكر عمرو بن العاص في عام الرمادة وهم، والله أعلم.  
وذكر سيف عن شيوخه أن أباعبيدة قدم المدينة ومعه أربعة آلاف راحلة تحمل طعامًا، فأمره عمر بتفريقها في الأحياء حول المدينة، فلما فرغ من ذلك أمر له بأربعة آلاف درهم فأبى أن يقبلها، فألح عليه عمر حتى قبلها<sup>(١)</sup>.

قال الطبراني: حدثنا أبو مسلم الكشي، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، ثنا أبي، عن ثمامة بن عبد الله بن أنس، عن أنس أن عمر خرج يستسقي وخرج بالعباس معه يستسقي يقول: اللهم إنا كنا إذا قحطنا على عهد نبينا توسلنا إليك بنبينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ﷺ. وقد رواه البخاري عن الحسن بن محمد عن محمد بن عبد الله الأنصاري به، ولفظه عن أنس أن عمر كان إذا قُحِطُوا يستسقي بالعباس بن عبد المطلب فيقول: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال: فيسقون<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٤/١٠٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قُحِطُوا (٢/٤٩٤ من فتح الباري). وقد ذكر ابن كثير قبل هذا قصة الرجل الذي جاء إلى قبر النبي ﷺ وطلب منه الاستسقاء لأتمته فرآه في المنام يأمره أن يأتي عمر بن الخطاب ويبيشره أنهم مسقون... إلخ. نقلًا عن البيهقي من طريق الأعمش عن أبي صالح عن مالك الدار، وصحح إسناده. وهذه القصة أخرجها ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١/١٢) من هذا الطريق وقال عنها الحافظ في «الفتح» (٢/٤٩٥): إسناده صحيح، وقد أعرضت عن ذكرها لما في متنها من النكارة، وكذا إسناده في تصحيحه نظر؛ فإن الأعمش مدلس وقد عنعن، ومالك الدار لم يترجمه إلا ابن =

### مواقف من حياة عمر<sup>(١)</sup>!

ذكر ابن جرير في حوادث سنة (١٨هـ) من طريق سيف بن عمر بإسناده إلى الشعبي قال: كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب، أن نفرًا من المسلمين أصابوا الشراب، منهم ضرار، وأبوجندل بن سهيل، فسألناهم فقالوا: خَيْرْنَا فَاخْتَرْنَا قَالَ: فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ<sup>(٢)</sup>؟ ولم يعزم.

= سعد في «الطبقات» (١٢/٥) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً. وقال العلامة عبدالعزيز بن باز في تعليقه على فتح الباري في الموضوع أعلاه: «هذا الأثر على فرض صحته كما قال الشارح ليس بحجة على جواز الاستسقاء بالنبي ﷺ بعد وفاته لأن السائل مجهول، وعمل الصحابة على خلافه وهم أعلم الناس بالشرع، ولم يأت أحد منهم إلى قبره يسأله السقيا ولا غيرها بل عدل عمر لما وقع الجذب إلى الاستسقاء بالعباس ولم ينكر ذلك عليه أحد من الصحابة فعلم أن ذلك هو الحق.

(١) «البداية والنهاية» (٧/٩٢، ٩٦).

(٢) هذا طرف من الآية رقم (٩١) من سورة المائدة ونصها: ﴿لِنَعْمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾. وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/١٧٤) فقد ذكر القصة ونسبها إلى ابن أبي شيبه، وابن المنذر، من طريق عطاء بن السائب عن محارب بن دثار أن ناسًا - ولم يسمهم - وذكر أن الذي كتب في ذلك إلى عمر يزيد بن أبي سفيان، وأن عمر طلب قدومهم المدينة ثم أقيم عليهم الحد بالمدينة، وأنهم قد تأولوا الآية التي بعدها ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٧٦﴾﴾ [المائدة].

قلت: وإسناد ابن جرير ضعيف جدًا. انظر: «تاريخ الطبري» (٤/٩٦) وفيه من الإنكار أن الذي كتب إلى عمر أبو عبيدة وأبو عبيدة مات في طاعون عمواس، وهو في السنة السابعة عشرة على رأي سيف بن عمر فناقض نفسه، كما أن ذكر أباجندل في الخبر منكر، فقد استشهد أبوجندل في الإمامة كما في ترجمته في «الإصابة» لابن حجر (٧/٧٠).



فجمع عمر الناس فأجمعوا على خلافهم، وأن المعنى: فهل أنتم منتهون؟ أي: انتهوا. وأجمعوا على جلدهم ثمانين، ثمانين، وأن من تأول هذا التأول وأصر عليه يقتل، فكتب عمر إلى أبي عبيدة، أن ادعهم فسلهم عن الخمر فإن قالوا هي حلال فاقتلهم، وإن قالوا: هي حرام فاجلدتهم. فاعترف القوم بتحريمها، فجلدوا الحد، وندموا على ما كان منهم من اللجاجة فيما تأولوه، حتى وسوس أبو جندل في نفسه، فكتب أبو عبيدة إلى عمر في ذلك، وسأله أن يكتب إلى أبي جندل ويذكره، فكتب إليه عمر بن الخطاب في ذلك:

من عمر إلى أبي جندل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فتب وارفع رأسك وابرز ولا تقنط فإن الله تعالى يقول: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر]، وكتب عمر إلى الناس: عليكم أنفسكم، ومن غير فغيروا عليه، ولا تعيروا أحدا فيفسوا فيكم البلاء.

قال الواقدي: وفي سنة تسع عشرة ظهرت نار من حرة ليلى بالمدينة فأراد عمر أن يخرج بالرجال إليها، ثم أمر المسلمين بالصدقة فطفئت والله الحمد<sup>(١)</sup>.

ما في سنة عشرين من الحوادث<sup>(٢)</sup>؟

قال الواقدي: وفيها عزل عمر قدامة بن مظعون عن البحرين،

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٤/١٠٢)، وحررة ليلى شمال المدينة. ياقوت، مصدر سابق (٢/٢٤٧).

(٢) «البدية والنهاية» (٧/١٠١).

وَحَدَّه فِي الشَّرَابِ<sup>(١)</sup>، وَوَلَّى عَلَى الْبَحْرَيْنِ وَالْيَمَامَةِ أَبَاهِرِيرَةَ الدُّوسِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- وَفِيهَا أَجْلَى عَمْرٍو يَهُودَ خَيْبَرَ عَنْهَا إِلَى أَذْرَعَاتِ<sup>(٢)</sup> وَغَيْرِهَا، وَأَجْلَى يَهُودَ نَجْرَانَ مِنْهَا إِلَى الْكُوفَةِ، وَقَسَمَ خَيْبَرَ، وَوَادِي الْقُرَى، وَنَجْرَانَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

- وَفِيهَا دَوَّنَ عَمْرٍو الدُّوَاوِينَ، وَزَعَمَ غَيْرَ الْوَاقِدِيِّ أَنَّهُ دُونَهَا قَبْلَ ذَلِكَ<sup>(٣)</sup>، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

شكوى أهل الكوفة سعدًا وعزله<sup>(٤)</sup>؛

ثَارَ أَهْلُ الْكُوفَةِ عَلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ يَسْتَعِدُّ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ لِمَنَازِلَةِ الْفَرَسِ فِي نَهَاوَنْدٍ، فَشَكَّوهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى قَالُوا: لَا يَحْسَنُ يَصْلِي. وَكَانَ الَّذِي نَهَضَ بِهَذِهِ الشُّكُوفِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: الْجِرَاحُ بْنُ سَنَانَ الْأَسَدِيِّ فِي نَفَرٍ مَعَهُ<sup>(٥)</sup>، فَلَمَّا ذَهَبُوا إِلَى عَمْرٍو فَشَكَّوهُ قَالَ لَهُمْ عَمْرٌو: إِنَّ الدَّلِيلَ عَلَى مَا عِنْدَكُمْ مِنَ الشَّرِّ نَهْوُضُكُمْ فِي هَذِهِ الْحَالِ عَلَيْهِ، وَهُوَ مُسْتَعِدُّ لِقِتَالِ أَعْدَاءِ اللَّهِ، وَقَدْ جَمَعُوا لَكُمْ، وَمَعَ هَذَا لَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَنْظَرَ فِي أَمْرِكُمْ، ثُمَّ بَعَثَ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ - وَكَانَ

(١) أَخْرَجَ قِصَّةَ إِقَامَةِ الْحَدِّ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمَصْنَفِ» (٣٩/١٠) وَعَمْرٍو بْنَ شَيْبَةَ فِي «أَخْبَارِ الْمَدِينَةِ» (٨٤٢/٣)، وَإِسْنَادُ ابْنِ شَيْبَةَ صَحِيحٌ.

(٢) بَلَدٌ فِي أَطْرَافِ الشَّامِ يَجَاوِرُ أَرْضَ الْبَلْقَاءِ وَعَمَّانَ. «مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ» (١/١٣٠).

(٣) انْظُرْ: الْأَخْبَارَ السَّابِقَةَ فِي «تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ» (٤/١١٢).

(٤) «الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» (٧/١٠٥).

(٥) قَالَ الْحَافِظُ فِي «فَتْحِ الْبَارِيِّ» (٣/٢٣٧) سُمِّيَ مِنْهُمْ عِنْدَ سَيْفِ وَالتَّبْرَانِيِّ، الْجِرَاحُ بْنُ سَنَانَ، وَقَبِيصَةَ، وَأَرِيدَ، الْأَسَدِيَّوْنَ.

رسوله إلى العمال - فلما قدم محمد بن مسلمة الكوفة، طاف على القبائل والعشائر والمساجد بالكوفة، فكلُّ يثني على سعد خيراً إلا ناحية الجراح بن سنان فإنهم سكتوا فلم يذموا ولم يشكروا، حتى انتهى إلى بني عبس، فقام رجل يقال له: أبو سعدة أسامة بن قتادة<sup>(١)</sup>، فقال: أما إذ ناشدتنا فإن سعداً لا يقسم بالسوية، ولا يعدل في الرعية، ولا يغزو في السرية. فدعا عليه سعد فقال: اللهم إن كان قالها كذباً ورياءً وسمعة، فأعم بصره، وكثر عياله، وعرضه لمضلات الفتن» - فعمي واجتمع عنده عشر بنات، وكان يسمع بالمرأة فلا يزال حتى يأتيها فيجسها فإذا عُثِرَ عليه قال: دعوة سعد الرجل المبارك -، ثم دعا سعد على الجراح وأصحابه فكلُّ أصابته قارعة في جسده، ومصيبة في ماله بعد ذلك، واستنفر محمد بن مسلمة أهل الكوفة لغزو أهل نهاوند في غضون ذلك عن أمر عمر بن الخطاب، ثم سار سعد، ومحمد بن مسلمة، والجراح وأصحابه، حتى جاءوا عمر، فسأله عمر: كيف تصلي؟ فأخبره أنه يُطَوِّلُ في الأوليين ويخفُّ في الآخرين وما آلو ما اقتديت به من صلاة رسول الله ﷺ. فقال له عمر: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق<sup>(٢)</sup>. وقال سعد في هذه القصة: لقد أسلمت خامس خمسة، ولقد كنا وما لنا طعام إلا ورق الحُبلة حتى تقرحت أشداقنا، وإنني لأول رجل رمى بسهم في سبيل الله، ولقد جمع لي رسول الله ﷺ أبويه<sup>(٣)</sup> وما جمعهما لأحد قبلي، ثم

(١) ترجمه في «الإصابة» (١/١٩٥). وقال: «له إدراك»، أي: لزم من بعثة النبي ﷺ.

(٢) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب الصلاة، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم (٢/٢٣٦ من فتح الباري).

(٣) أي قال: فذاك أبي وأمي.

أصبحت بنو أسد يقولون لا يحسن يصلي، وفي رواية تُعزّرني على الإسلام، لقد خبت إذاً وضل عملي<sup>(١)</sup>. ثم قال عمر لسعد: من استخلفت على الكوفة؟ فقال: عبدالله بن عبدالله بن عتبان، فأقره عمر على نيابته الكوفة - وكان شيخاً كبيراً من أشرف الصحابة حليفاً لبني الحُبَلَى من الأنصار - واستمر سعد معزولاً عن غير عجز ولا خيانة، وتهدد من أولئك النفر، وكاد يوقع بهم بأساً، ثم ترك ذلك خوفاً من أن لا يشكو أحدٌ أميراً. وقد قال عمر في وصيته - وذكره في الستة أهل الشورى - فإن أصابت الإمرة سعداً فذاك وإلا فليستعن به أيكم وُلِيّ، فإنني لم أعزله عن عجز ولا خيانة<sup>(٢)</sup>.

#### بعض حوادث سنة ثلاث وعشرين<sup>(٣)</sup>

قال الطبري: كان على قضاء الكوفة في هذه السنة شريح، وعلى قضاء البصرة كعب بن سُور، قال: وأما مصعب الزبيري فإنه ذكر أن مالكا روى عن الزهري أن أبابكر وعمر لم يكن لهما قاض<sup>(٤)</sup>. وقال: وفي هذه السنة حج عمر بأزواج النبي ﷺ، وهي آخر حجة حجها رضي الله عنه<sup>(٥)</sup>.

(١) المصدر السابق، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سعد بن أبي وقاص (٧/٨٣ من فتح الباري)، وكذا «الطبقات الكبرى» (٣/١٤٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الفضائل، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان (٧/٦١ من فتح الباري).

(٣) «البداية والنهاية» (٧/١٤١، ١٣٣).

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» (٤/٢٤١).

(٥) المصدر نفسه (٤/١٩٠).

## الفصل الثالث الفتوحات في عهده

أ- الفتوحات في الشام:

المرحلة الثانية:

تمثل الفتوحات في بلاد الشام في عهد عمر بن الخطاب المرحلة الثانية من الفتوحات في هذه الجهة، أما المرحلة الأولى فكانت في عهد الصديق، وفيما يلي تفصيلها:  
عزل خالد عن القيادة<sup>(١)</sup>؛

كتب عمر بوفاة الصديق إلى أمراء الشام مع شداد بن أوس بن ثابت الأنصاري، ومخممة بن زئيم<sup>(٢)</sup>، فوصلا والناس مصافون جيوش الروم يوم اليرموك، وقد أمر عمر على الجيوش أبا عبيدة حين تولى الخلافة وعزل خالد بن الوليد.

وذكر سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق أن عمر إنما عزل خالدًا لكلام بلغه عنه، ولما كان من أمر مالك بن نويرة، وما كان يعتمده في حربه، فلما ولي عمر كان أول ما تكلم به أن عزل خالدًا<sup>(٣)</sup>.

(١) «البداية والنهاية» (١٨/٧).

(٢) في الأصل: «محمد بن جريح»، وهو تصحيف.

(٣) سيأتي مزيد تفصيل عن أسباب عزله عند وقعة قنسرين. وخبر ابن إسحاق ذكره الطبري في «تاريخه» (٤٣٦/٣) عن محمد بن حميد الرازي عن سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق ولم يسنده بن إسحاق فهو منقطع. وانظر: ما سبق ص (٢٠٧) هامش (١).

### وصية عمر لأبي عبيدة<sup>(١)</sup>؛

وقد روى ابن جرير، عن صالح بن كيسان أنه قال: كان أول كتاب كتبه عمر إلى أبي عبيدة حين ولاه وعزل خالدًا أن قال:

أوصيك بتقوى الله الذي يَبْقَى وَيَفْنَى ما سواه، الذي هدانا من الضلالة، وأخرجنا من الظلمات إلى النور، وقد استعملتكَ على جند خالد بن الوليد فقم بأمرهم الذي يحق عليك، لا تُقَدِّم المسلمين إلى هَلَكَة رجاء غنيمة، ولا تُنزلهم منزلًا قبل أن تَسْتَرِيذَهُ لهم، وتعلم كيف ماتاه، ولا تبعث سرية إلا في كَثْفٍ من الناس، وإياك وإلقاء المسلمين في الهلكة، وقد أبلاك الله بي وأبلاني بك، فغَضَّ بصركَ عن الدنيا، وألِه قلبك عنها، وإياك أن تُهْلِكَ كما أهلكت من كان قبلك، فقد رأيت مصارعهم<sup>(٢)</sup>.

ثم أمرهم بالمسير إلى دمشق، وكان ذلك بعد ما بلغه الخبر بفتح اليرموك، وجاءته البشارة، وحُمِلَ إليه الخمس.

فتح دمشق<sup>(٣)</sup>؛

قال سيف بن عمر: ارتحل أبو عبيدة من اليرموك، فنزل بالجنود على مرج الصفر وهو عازم على حصار دمشق أتاه الخبر بقدوم مددهم من حمص، وجاءه الخبر بأنه اجتمع طائفة كبيرة من الروم بفِخْل<sup>(٤)</sup> من

(١) «البداية والنهاية» (١٩/٧).

(٢) تاريخ الطبري (٤٣٤/٣). وهي وصية مهمة جمعت مبادئ عظيمة.

(٣) «البداية والنهاية» (١٩/٧).

(٤) فحل: بكسر أوله وسكون ثانيه وآخره لام، اسم موضع بالشام قرب بيسان وهو يوم مشهور في فتوح الشام، ويسمى يوم الرذغة، ويوم بيسان. ياقوت، مصدر =

أرض فلسطين، وهو لا يدري بأي الأمرين يبدأ، فكتب إلى عمر في ذلك، فجاء الجواب أن ابدأ بدمشق فإنها حصن الشام وبيت مملكتهم، فأنهذ لها، وأشغلوا عنكم أهل فحل فخيول تكون تلقاءهم، فإن فتحها الله قبل دمشق فذلك الذي نحب، وإن فتحت دمشق قبلها فسر أنت ومن معك واستخلف على دمشق، فإذا فتح الله عليكم فحل فسر أنت وخالد إلى حمص واترك عمراً وشرحبيل على الأردن وفلسطين.

قال: فسرح أبو عبيدة إلى فحل عشرة أمراء، مع كل أمير خمسة أمراء، وعلى الجميع عمارة بن مخشي الصحابي، فساروا من مرج الصفر إلى فحل، فوجدوا الروم هنالك قريباً من ثمانين ألفاً، وقد أرسلوا المياه حولهم حتى أردغت الأرض فسموا ذلك الموضع الردغة<sup>(١)</sup>.

وبعث أبو عبيدة جيشاً يكون بين دمشق وبين فلسطين، وبعث ذا الكلاع في جيش يكون بين دمشق وبين حمص، ليرد من يرد إليهم من المدد من جهة هرقل.

ثم سار أبو عبيدة من مرج الصفر قاصداً دمشق، وقد جعل خالد ابن الوليد في القلب، وركب أبو عبيدة وعمرو بن العاص في المجنبتين، وعلى الخيل عياض بن غنم، وعلى الرجالة شرحبيل بن حسنة، فقدموا دمشق وعليها نسطاس بن نسطورس، فنزل خالد بن الوليد على الباب الشرقي، وإليه باب كيسان أيضاً، ونزل أبو عبيدة على باب الجابية الكبير، ونزل يزيد بن أبي سفيان على باب الجابية الصغير، ونزل عمرو

= سابق (٤/٢٣٧).

(١) الردغة: الوحل تغوص فيه الخيل.

ابن العاص، وشرحبيل بن حسنة على بقية أبواب البلد، ونصبوا المجانيق والدبابات، وقد أرصد أبو عبيدة أبا الدرداء على جيش ببرزة<sup>(١)</sup> يكونون رداءً له، وحاصروها حصارًا شديدًا سبعين ليلة<sup>(٢)</sup>، وقيل: أربعة أشهر<sup>(٣)</sup>، وقيل: ستة أشهر<sup>(٤)</sup>، وأهل دمشق ممتنعون منهم غاية الامتناع، ويرسلون إلى ملكهم هرقل - وهو مقيم بحمص - يطلبون منه المدد فلا يمكن وصول المدد إليهم من ذي الكلاع، الذي قد أرصده أبو عبيدة رضي الله عنه بين دمشق وبين حمص، فلما أيقن أهل دمشق أنه لا يصل إليهم مدد أبلسوا وفشلوا وضعفوا، وقوي المسلمون واشتد حصارهم، وجاء فصل الشتاء واشتد البرد وعسر الحال، وعسر القتال، فقَدَّر الله الكبير المتعال، ذوالعزة والجلال، أن ولد لبطريق دمشق مولود في تلك الليالي فصنع لهم طعامًا وسقاهم بعده شرابًا، وباتوا عنده في وليمته قد أكلوا وشربوا وتعبوا، فناموا عن موافقهم، واشتغلوا عن أماكنهم، وفطن لذلك أمير الحرب خالد بن الوليد؛ فإنه كان لا ينام ولا يترك أحدًا ينام، بل مُرَاصِدًا لهم ليلاً ونهارًا، وله عيون وقُصَاد يرفعون إليه أحوال المقاتلة صباحًا ومساءً، فلما رأى خَمْدَةَ تلك الليلة، وأنه لا يقاتل على السور أحد، وكان قد أعد سلاليم من حبال فجاء هو وأصحابه من الصناديد الأبطال، وقال لهم: إذا سمعتم تكبيرنا فوق السور فارقوا إلينا، ثم نهد هو وأصحابه فقطعوا الخندق سباحة بقرب

(١) بَرزَة: بناء التأنيث قرية من غوطة دمشق. ياقوت، مصدر سابق (١/٣٨٢).

(٢) في رواية سيف بن عمر، انظر: «تاريخ الطبري» (٣/٤٣٨).

(٣) ذكرها خليفة بن خياط، «التاريخ» ص (١٢٦).

(٤) رواية الواقدي، «تاريخ الطبري» (٣/٤٤١).



في أعناقهم، فنصبوا تلك السلالم وأثبتوا أعاليها بالشرفات، وأكدوا أسافلها خارج الخندق، وصعدوا فيها، فلما استتوا على السور رفعوا أصواتهم بالتكبير، وجاء المسلمون فصعدوا في تلك السلالم وانحدر خالد وأصحابه الشجعان من السور إلى البوابين فقتلوهم، وقطع خالد وأصحابه أغاليق الباب بالسيوف وفتحوا الباب عنوة، فدخل الجيش الخالدي من الباب الشرقي، ولما سمع أهل البلد التكبير ثاروا وذهب كل فريق إلى أماكنهم من السور، ولا يدرون ما الخبر، فجعل كلما قدم أحد من أصحاب الباب الشرقي قتله أصحاب خالد، ودخل البلد عنوة فقتل من وجدته، وذهب أهل كل باب فسألوا من أميرهم الذي عند الباب من خارج الصلح - وقد كان المسلمون دعوهم إلى المشاطرة فيأبون عليهم - فلما دعوهم إلى ذلك أجابوهم، ولم يعلم بقية الصحابة ما صنع خالد، ودخل المسلمون من كل جانب وباب فوجدوا خالدًا وهو يقتل من وجدته فقالوا له: إنا قد أمناهم، فقال: إني فكتحتها عنوة. والتقت الأمراء في وسط البلد عند كنيسة الميسلاط بالقرب من درب الريحان اليوم، هكذا ذكره سيف بن عمر وغيره<sup>(١)</sup>، وهو المشهور، أن خالدًا فتح الباب قسرًا وقال آخرون: بل الذي فتحها عنوة أبو عبيدة، وقيل: يزيد بن أبي سفيان، وخالد صالح أهل البلد فعكسوا المشهور المعروف.

هل كان الفتح صلحًا أم عنوة<sup>(٢)</sup>؟

وقد اختلف الصحابة فقال قائلون: هي صلح - يعني على ما

(١) «تاريخ الطبري» (٣/٤٣٦، ٤٣٧-٤٤٠).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/٢٣).

صالحهم الأمير في نفس الأمر وهو أبو عبيدة - . وقال آخرون: بل هي عنوة؛ لأن خالدًا افتتحها بالسيف أولاً كما ذكرنا، فلما أحسوا بذلك ذهبوا إلى بقية الأمراء ومعهم أبو عبيدة فصالحوهم. فاتفقوا فيما بينهم على أن جعلوا نصفها صلحًا، ونصفها عنوة، فملك أهلها نصف ما كان بأيديهم وأقروا عليه، واستقرت يد الصحابة على النصف، ويُقَوِّي هذا ما ذكره سيف بن عمر، من أن الصحابة كانوا يطلبون إليهم أن يصالحوهم على المشاطرة فيأبون، فلما أحسوا باليأس أنابوا إلى ما كانت الصحابة دعوهم إليه، فبادروا إلى إجابتهم، ولم تعلم الصحابة بما كان من خالد إليهم.

وقد اختلف العلماء في دمشق هل فتحت صلحًا أو عنوة تبعًا لذلك، فأكثر العلماء على أنه استقر أمرها على الصلح، لأنهم شكوا في المتقدم على الآخر، أفتحت عنوة ثم عدل الروم إلى المصالحة؟ أو فتحت صلحًا، أو اتفق الاستيلاء من الجانب الآخر قسرًا؟ فلما شكوا في ذلك جعلوها صلحًا احتياطيًا.

وقيل بل جعل نصفها صلحًا، ونصفها عنوة، وهذا القول قد يظهر من صنع الصحابة في الكنيسة العظمى التي كانت أكبر معابدهم حين أخذوا نصفها وتركوا نصفها.

الأقوال في تاريخ فتح دمشق<sup>(١)</sup>

قال ابن كثير: وظاهر سياق سيف بن عمر، يقتضي أن فتح دمشق وقع في سنة ثلاث عشرة، ولكن نص سيف على ما نص عليه الجمهور

(١) «البداية والنهاية» (٧/٢٢).

من أنها فتحت في نصف رجب سنة أربع عشرة، كذا حكاه الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن عائذ القرشي الدمشقي، عن الوليد بن مسلم، عن عثمان بن حصن<sup>(١)</sup> بن علاق، عن يزيد بن عبيدة.

وهكذا قال سعيد بن عبدالعزيز، وأبو معشر، ومحمد بن إسحاق ومعمر، والأموي، وحكاه عن مشايخه، وابن الكلبي، وخليفة بن خياط، وأبو عبيد القاسم بن سلام، إن فتح دمشق كان في سنة أربع عشرة. وقال بعضهم: بل كان فتحها في شوال سنة أربع عشرة<sup>(٢)</sup>.

وقال خليفة: حاصرهم أبو عبيدة في رجب وشعبان ورمضان وشوال وتم الصلح في ذي القعدة<sup>(٣)</sup>.

وذكر أبو حذيفة إسحاق بن بشر أن الصديق توفي قبل فتح دمشق، وأن عمر كتب إلى أبي عبيدة يُعزِّيه والمسلمين في الصديق، وأنه قد استنابه على مَنْ بالشام، وأمره أن يستشير خالدًا في الحرب، فلما وصل الكتاب إلى أبي عبيدة كتبه من خالد حتى فتحت دمشق بنحو من عشرين ليلة، فقال له خالد: يرحمك الله، ما منعك أن تُعلمني حين جاءك؟ فقال: إني كرهت أن أكسر عليك حربك، وما سلطان الدنيا أريد، ولا للدنيا أعمل، وما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع، وإنما نحن إخوان، وما يضر الرجل أن يليه أخوه في دينه ودنياه<sup>(٤)</sup>.

(١) في الأصل: حصين، والتصحيح من تهذيب التهذيب (٧/ ١١٠).

(٢) ابن عساكر، «تاريخ دمشق» (١/ ٢٤٠).

(٣) «تاريخ خليفة» ص (١٢٦).

(٤) أخرجه ابن عساكر مطولاً في «تاريخ دمشق» (٢٤٦-٢٤٧ خط) عن إسحاق بن

تمهيد الفتح بعد دمشق<sup>(١)</sup>؛

بعد فتح دمشق أرسل أبو عبيدة خالد بن الوليد إلى البقاع<sup>(٢)</sup> ففتحته بالسيف. وبعث سرية فالتقوا مع الروم بعين ميسنون، وعلى الروم رجل يقال له: «سنان» تحدّر على المسلمين من عقبة بيروت، فقتل من المسلمين يومئذ جماعة من الشهداء فكانوا يسمون «عين ميسنون» عين الشهداء.

واستخلف أبو عبيدة على دمشق يزيد بن أبي سفيان كما وعده بها الصديق، وبعث يزيد دحية بن خليفة إلى تدمر في سرية ليمهدوا أمرها. وبعث أبا الزهراء القشيري إلى البثنية<sup>(٣)</sup>، وحوزان<sup>(٤)</sup> فصالح أهلها. وقال خليفة بن خياط: حدثني عبدالله بن المغيرة بن شعبة عن أبيه قال: افتتح شرحبيل بن حسنة الأردن كلها عنوة ما خلا طبرية فإن أهلها صالحوه. وهكذا قال ابن الكلبي، وقالوا: بعث أبو عبيدة خالدًا فغلب على أرض البقاع، وصالحه أهل بعلبك وكتب لهم كتابًا<sup>(٥)</sup>، وقال ابن المغيرة، عن أبيه: صالحهم على أنصاف منازلهم وكنائسهم، ووضع

(١) «البداية والنهاية» (٧/٢٤).

(٢) البقاع: جمع بقعة، أرض واسعة سهلة كثيرة القرى بين بعلبك وحمص ودمشق، وسهل البقاع اليوم من لبنان. ياقوت، مصدر سابق (١/٤٧٠).

(٣) البثنية - بالفتح ثم السكون -، ونون، اسم ناحية من نواحي دمشق بينها وبين أذرعات. المصدر السابق (١/٣٣٨).

(٤) حوران: بالفتح، كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة. المصدر السابق (٢/٣١٧).

(٥) «تاريخ خليفة» ص (١٢٩).

الخراج على أرضهم. وقال ابن إسحاق وغيره، وفي سنة أربع عشرة فتحت حمص، وبعلبك، صلحاً على يدي أبي عبيدة في ذي القعدة. وقعة فحل سنة (١٤هـ) (١)؛

وقد ذكرها كثير من علماء السير قبل فتح دمشق، وذكرها الإمام أبو جعفر ابن جرير بعد فتح دمشق، وتبع في ذلك سياق سيف بن عمر (٢). فقد خلف أبو عبيدة، يزيد بن أبي سفيان في خيله في دمشق، وسار نحو فحل، وعلى الناس الذين هم بالغور شرحبيل بن حسنة، وسار أبو عبيدة وقد جعل على المقدمة خالد بن الوليد، وهو على الميمنة، وعمرو بن العاص على الميسرة، وعلى الخيل ضرار بن الأزور، وقد انحاز الروم إلى بيسان (٣)، وأرسلوا مياه تلك الأراضي على ما هنالك فحالت بينهم وبين المسلمين، وأرسل المسلمون إلى عمر يخبرونه بما هم فيه من مصابرة عدوهم، وما صنعه الروم من تلك المكيدة، إلا أن المسلمين في عيش رغيد، ومدد كبير، وهم على أهبة من أمرهم، وأمير هذا الحرب شرحبيل بن حسنة، وهو لا يبيت ولا يصبح إلا على تعبئة، وأراد الروم أخذ المسلمين على غرة، فركبوا في بعض الليالي لبيثوهم، وعلى الروم «سقلاب بن مخراق»، فهجموا على المسلمين فنهضوا إليهم نهضة رجل واحد؛ لأنهم على أهبة دائماً، فقاتلوهم حتى الصباح وذلك اليوم بكامله إلى الليل، فلما أظلم الليل فر

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٥).

(٢) وقد تبعه المصنف كما ترى.

(٣) بيسان: بالفتح ثم السكون، وسين مهملة ونون، مدينة بالأردن بالغور، بين حوران وفلسطين، ياقوت، مصدر سابق (١/ ٥٢٧).

الروم وقُتِلَ أميرُهم سقلاب، وركب المسلمون أكتافهم، وأسلمتهم هزيمتهم إلى ذلك الوحل الذي كانوا قد كادوا به المسلمين فغرقهم الله فيه، وقتل منهم المسلمون بأطراف الرماح ما قارب الثمانين ألفاً، ولم ينج منهم إلا الشريد، وغنموا منهم شيئاً كثيراً ومالاً جزيلاً. فتحت بيسان وطبرية<sup>(١)</sup>؛

استخلف أبو عبيدة على الأردن شرحبيل بن حسنة، فسار شرحبيل ومعه عمرو بن العاص، فحاصر بيسان، فخرجوا إليه فقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم صالحوه على مثل ما صالحت عليه دمشق، وضرب عليهم الجزية، والخراج على أراضيهم، وكذلك فعل أبو الأعور السلمي بأهل طبرية<sup>(٢)</sup> سواء<sup>(٣)</sup>.

وقعة حمص الأولى سنة (١٥هـ)<sup>(٤)</sup>؛

سار أبو عبيدة وخالد بن الوليد نحو حمص كما أمر أمير المؤمنين ولما وصل أبو عبيدة إلى حمص، نزل حولها يحاصرها، ولحقه خالد بن الوليد، فحاصروها حصاراً شديداً، وذلك في زمن البرد الشديد، وصابر أهل البلد رجاء أن يصرفهم عنهم شدة البرد، وصبر الصحابة صبراً عظيماً بحيث إنه ذكر غير واحد أن من الروم من كان يرجع وقد سقطت رجله وهي في الخف، والصحابة ليس في أرجلهم شيء سوى

(١) «البداية والنهاية» (٢٥/٧).

(٢) طبرية: من أعمال الأردن، وهي بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية. المصدر السابق (١٧/٤).

(٣) قارن بـ «تاريخ الطبري» (٣/٤٤٢-٤٤٤).

(٤) «البداية والنهاية» (٥٢/٧).

النعال، ومع هذا لم يصب منهم قدم ولا أصبع، ولم يزالوا كذلك حتى انسلخ فصل الشتاء، فاشتد الحصار، وأشار بعض كبار أهل حمص عليهم بالمصالحة فأبوا عليه ذلك وقالوا: أنصالح والمَلِكُ منا قريب؟ فيقال إن الصحابة كبروا في بعض الأيام تكبيرة ارتجت منها المدينة ووقعت زلزلة تفترت منها بعض الجدران، ثم كبروا تكبيرة أخرى فسقطت بعض الدور، فجاءت عامتهم إلى خاصتهم فقالوا: ألا تنظرون إلى ما نزل بنا، وما نحن فيه؟ ألا تصالحون عنا؟ قال: فصالحوهم على ما صالحوا عليه أهل دمشق، على نصف المنازل، وضرب الخراج على الأراضي، وأخذ الجزية على الرقاب بحسب الغنى والفقر، وبعث أبو عبيدة بالأخماس والبشارة إلى عمر مع عبدالله بن مسعود، وأنزل أبو عبيدة بحمص جيشاً كثيفاً يكون بها مع جماعة من الأمراء، منهم بلال، والمقداد، وكتب أبو عبيدة إلى عمر يخبره بأن هرقل قد قطع الماء<sup>(١)</sup> إلى الجزيرة، وأنه يظهر تارة ويخفي أخرى، فبعث إليه عمر يأمره بالمقام ببلدة حمص<sup>(٢)</sup>.

وقعة قنسرين سنة (١٥هـ)<sup>(٣)</sup>

لما فتح أبو عبيدة حمص بعث خالد بن الوليد إلى قنسرين<sup>(٤)</sup>، فلما جاءها ناز إليه أهلها ومن عندهم من نصارى العرب، فقاتلهم خالد

(١) أي: اجتاز نهر الفرات.

(٢) قارن بـ «تاريخ الطبري» (٣/٥٩٩-٦٠١).

(٣) «البداية والنهاية» (٧/٥٢).

(٤) بكسر أوله وتشديد ثانيه ثم سين مهملة، بلد بالشام بجوار حمص. ياقوت، مصدر سابق (٤/٤٠٣).

فيها قتالاً شديداً، وقتل منهم خلقاً كثيراً، فأما من هناك من الروم فأبادهم وقتل أميرهم ميناس، وأما الأعراب فإنهم اعتذروا إليه بأن هذا القتال لم يكن عن رأينا فقبل خالد منهم وكف عنهم، ثم خلص إلى البلد فتحصنوا فيه، فقال لهم خالد: إنكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا، ولم يزل بهم حتى فتحها الله عليه<sup>(١)</sup> والله الحمد. ثناء عمر على خالد<sup>(٢)</sup>؛

فلما بلغ عمر ما صنعه خالد في هذه الموقعة قال: يرحم الله أبابكر، كان أعلم بالرجال مني، والله إنني لم أعزله عن ريبة؛ ولكن خشيت أن يوكل الناس إليه<sup>(٣)</sup>.  
وقعة قيسارية سنة (١٥هـ)<sup>(٤)</sup>؛

قال ابن جرير: وفي هذه السنة أمر عمر معاوية بن أبي سفيان على قيسارية<sup>(٥)</sup>، وكتب إليه:

(١) قارن بـ «تاريخ الطبري» (٦٠١/٣).

(٢) «البداية والنهاية» (٥٣/٧).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٦٠١/٣) من طريق سيف بن عمر عن شيوخه. وأخرج ابن سعد في الطبقات (٢٨٤/٣) بإسناد صحيح إلى محمد بن سيرين عن عمر بن الخطاب أنه قال: «لأعزلن خالد بن الوليد، والمثنى مثنى بن شيبان، حتى يعلمنا أن الله إنما كان ينصر عباده وليس إياهما كان ينصر»، وأخرج أحمد في المسند خطبة عمر في الجابية واعتذاره عن عزل خالد وذكر سبب آخر لعزله، وهو إعطاء المال ذا البأس والشرف دون الرجوع للخليفة. «الفتح الرباني» (٨٦/٢٣).

(٤) «البداية والنهاية» (٥٣/٧).

(٥) قيسارية: بلد على ساحل البحر الأبيض المتوسط تعدّ من أعمال فلسطين، بينها وبين طبرية ثلاثة أيام. ياقوت، مصدر سابق (٤٢١/٤).



«أما بعد فقد وليتك قيسارية فسر إليها واستنصر الله عليهم، وأكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا فنعم المولى ونعم النصير»، فسار إليها فحاصرها، وزاحفه أهلها مرات عديدة، وكان آخرها أن قاتلوا قتالاً عظيماً، وصمم عليهم معاوية، واجتهد في القتال حتى فتح الله عليه فما انفصل الحال حتى قتل منهم نحواً من ثمانين ألفاً، وكَمَّلَ المائة الألف من الذين انهزموا عن المعركة، وبعث بالفتح والأخماس إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنهم<sup>(١)</sup>.

وقعة أجنادين سنة (١٥هـ)<sup>(٢)</sup>؛

قال ابن جرير: وفيها كتب عمر بن الخطاب، إلى عمرو بن العاص بالمسير إلى إيليا ومناجزة صاحبها، فاجتاز في طريقه عند الرملة بطائفة من الروم فكانت وقعة أجنادين<sup>(٣)</sup>، وذلك أنه سار بجيشه وعلى ميمته ابنه عبدالله بن عمرو، وعلى ميسرته جنادة بن تميم المالكي، من بني مالك بن كنانة، ومعه شرحبيل بن حسنة، واستخلف على الأردن أبا الأعرور السلمي، فلما وصل إلى الرملة<sup>(٤)</sup> وجد عندها جمعا من الروم

(١) «تاريخ الطبري» (٣/٦٠٤).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/٥٤).

(٣) أجنادين: بالفتح، ثم السكون، ونون وألف، وتفتح الدال فتكسر معها النون، فيصير بلفظ التثنية، وتكسر الدال وتفتح النون بلفظ الجمع، موضع في بلاد الشام في فلسطين من كورة بيت جبرين، كانت به وقعة بين المسلمين والروم. ياقوت، مصدر سابق (١/١٠٣).

(٤) الرملة: واحدة الرمل، مدينة عظيمة بفلسطين بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر =

عليهم الأَرطُبُون، وكان أدهى الروم وأبعدها غورًا، وأنكأها فعلاً، وقد كان وضع بالرَّملة جنْدًا عظيمًا، وبإيلياء<sup>(١)</sup> جنْدًا عظيمًا آخر، فكتب عمرو إلى عُمَرَ بالخبر، فلما جاءه كتاب عمرو قال: «قد رمينا أَرطُبون الروم بأرطبون العرب، فانظروا عما تنفرج»، وبعث عمرو بن العاص علقمة بن حكيم الفِرَاسِي، ومسروق بن بلال العَكِّي على قتال أهل إيلياء، وأبأيوب المالكي إلى الرملة، وعليها التَّدَارِق، فكانوا بإزائهم ليشغلوهم عن عمرو بن العاص وجيشه، وجعل عمرو كلما قدم عليه أمداد من جهة عمر يبعث منهم طائفة إلى هؤلاء وطائفة إلى هؤلاء، وأقام عمرو على أَجْنَادَيْن لا يقدر من الأَرطُبون على سقطة ولا تشفيه الرسل، فأراد أن يَلِيه بنفسه، فدخل عليه كأنه رسول، فأبلغه ما يريد، وسمع كلامه وتأمل حضرته حتى عرف ما أراد، وقال الأَرطُبون في نفسه: والله إن هذا لعمرو أو أنه الذي يأخذ عمرو برأيه، وما كنت لأصيب القوم بأمر هو أعظم من قتله، ففطن عمرو بن العاص فقال للأَرطُبون: أيها الأمير إنني قد سمعتُ كلامك وسمعتُ كلامي، وإنني واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب لنكون مع هذا الوالي لنشهد أموره، وقد أحببت أن آتيك بهم ليسمعوا كلامك ويروا ما رأيتُ، فقال الأَرطُبون: نعم! فاذهب فأتني بهم، وقام عمرو فذهب إلى جيشه ثم تحقق الأَرطُبون أنه عمرو بن العاص، فقال: خدعني الرجل، هذا والله

= فرسخًا، وكانت دار ملك داود وسليمان عليهما السلام، وعمرت في عهد الدولة الأموية وبقيت إلى زمن صلاح الدين حيث استنقذها من الإفرنج سنة ٥٨٣هـ. (ياقوت، مصدر سابق، ٦٩/٣).

(١) اسم من أسماء بيت المقدس.

أدهى العرب، وبلغت عمر بن الخطاب فقال: غلبه عمرو، لله در عمرو! ثم ناهضه عمرو فاقتلوا بأجنادين قتالاً عظيماً، كقتال اليرموك، حتى كثرت القتلى بينهم ثم اجتمعت بقية الجيوش إلى عمرو بن العاص، وذلك حين أعياهم صاحب إيليا وتحصن منهم بالبلد، وكثر جيشه، فكتب الأرتبون إلى عمرو بأنك صديقي ونظيري، أنت في قومك مثلي في قومي، والله لا تفتح من فلسطين شيئاً بعد أجنادين، فارجع ولا تغرّ فتلقى مثل ما لقي الذين قبلك من الهزيمة، فدعا عمرو رجلاً يتكلم الرومية فبعثه إلى أرتبون، وقال: اسمع ما يقول ثم ارجع حتى تخبرني.

وكتب إليه معه: جاءني كتابك وأنت نظيري ومثلي في قومك، لو أخطأتك خصلة تجاهلت فضيلتي، وقد علمت أنني صاحب فتح هذه البلاد، وقرأ كتابي هذا بمحضر أصحابك ووزرائك، فلما وصله الكتاب جمع وزراءه وقرأ عليهم الكتاب، فقالوا للأرتبون: من أين علمت أنه ليس بصاحب فتح هذه البلاد؟ فقال: صاحبها رجل اسمه ثلاثة أحرف وصفته كذا وكذا، فذكر صفة عمر بن الخطاب، فرجع الرسول إلى عمرو فأخبره بما قال، فكتب عمرو إلى عمر يستمده ويقول له: إنني أعالج حرباً كؤوداً صدوماً، وبلاداً قد ادخرت لك، فرأيتك». فلما وصل الكتاب إلى عمر علم أن عمراً لم يقل ذلك إلا لأمر علمه، فعزم عمر على الدخول إلى الشام لفتح بيت المقدس<sup>(١)</sup>.

(١) قارن ابن جرير «تاريخ الرسل والملوك» (٣/٦٠٥).

ارتحال هرقل عن بلاد الشام<sup>(١)</sup>؛

وفي السنة الخامسة عشر ارتحل هرقل عن الشام إلى بلاد الروم<sup>(٢)</sup>.

وقال سيف: كان ذلك في سنة ست عشرة<sup>(٣)</sup>.

قالوا: وكان هرقل كلما حجَّ إلى بيت المقدس وخرج منها يقول: «عليك السلام يا سورية، تسليم مودع لم يقض منك وطراً وهو عائد»، فلما عزم على الرحيل من الشام وبلغ الرُّها<sup>(٤)</sup>، طلب من أهلها أن يصحبوه إلى الروم، فقالوا: إن بقاءنا هاهنا أنفع لك من رحيلنا معك، فتركهم، فلما وصل إلى شِمَشاط<sup>(٥)</sup> وعلا على شرف هنالك التفت إلى نحو بيت المقدس وقال: عليك السلام يا سورية سلاماً لا اجتماع بعده<sup>(٦)</sup>.

ثم سار هرقل حتى نزل القسطنطينية واستقر بها ملكه، وقد سأل رجلاً كان قد أسره المسلمون فقال: أخبرني عن هؤلاء القوم، فقال: أخبرك كأنك تنظر إليهم، هم فرسان بالنهار، ورهبان بالليل، ما يأكلون في ذمتهم إلا بثمان، ولا يدخلون إلا بسلام، يقفون على من حاربوه

(١) «البداية والنهاية» (٥٣/٧).

(٢) ابن جرير، المصدر السابق (٦٠٢/٣)، و«الكامل» لابن الأثير (٥٠٠/٢).

(٣) ابن جرير، المصدر السابق (٦٠٢/٣)، و«الكامل» لابن الأثير (٥٠٠/٢).

(٤) الرها: بضم أوله، والمد، والقصر: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام. ياقوت، مصدر سابق (١٠٦/٣).

(٥) مدينة على شط الفرات، في طرف أرمينية، بينها وبين الشام. ياقوت، مصدر سابق (٣٦٢/٣).

(٦) ابن جرير، المصدر السابق (٦٠٣/٣).

حتى يأتوا عليه»، فقال: لئن كنت صدقتني ليملكن موضع قدمي هاتين<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير: وقد حاصر المسلمون قُسْطَنْطِينِيَّةَ في زمان بني أمية، فلم يملكوها، ولكن سيملكها المسلمون في آخر الزمان كما سنبينه في كتاب «الملاحم»، وذلك قبل خروج الدجال بقليل<sup>(٢)</sup> على ما صحت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ في صحيح مسلم<sup>(٣)</sup> وغيره من الأئمة، والله الحمد والمنة.

وقد حرم الله على الروم أن يملكوا بلاد الشام برُمَّتِها إلى آخر الدهر، كما ثبت به الحديث في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله عزوجل»<sup>(٤)</sup>.

- (١) ذكر ذلك الطبري في «تاريخه» من رواية سيف بن عمر عن شيوخه (٦٠٢/٣).
- (٢) هكذا كان يتوقع الحافظ ابن كثير رحمه الله، وقد تم فتحها والله الحمد، على يد السلطان العثماني محمد الفاتح سنة (٨٥٧هـ / ١٤٥٣م). محمد فريد بك، «تاريخ الدولة العلية العثمانية» ص (١٦٣). وسيملكونها مرة أخرى إن شاء الله كما أخبرت الأحاديث.
- (٣) الذي أخرجه مسلم هي الأحاديث التي فيها ذكر الدجال ومبعثه. انظر: الفتن وأشراط الساعة في صحيحه، أما حديث البشارة بفتح روما والقسطنطينية، فقد أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٧٦/٢). وانظر تصحيحه ومَنْ رواه في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» للشيخ الألباني حديث رقم (٤).
- (٤) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٦/٦٢٥ من فتح الباري).

وقد وقع ما أخبر به صلوات الله وسلامه عليه كما رأيت، وسيكون ما أخبر به جزماً لا يعود ملك القياصرة إلى الشام أبداً لأن قيصر علم جنس عند العرب يطلق على كل من ملك الشام مع بلاد الروم. فهذا لا يعود لهم أبداً<sup>(١)</sup>.

(١) وما حصل من ملكهم بعض البلدان زمن الحروب الصليبية لا ينقض هذا النصّ فهم لم يملكوا الشام كله، وإنما كانت لهم مستعمرات في الأطراف وبيت المقدس ثم خرجوا مدحورين.

## فتح بيت المقدس

مسير عمر بن الخطاب إلى الشام سنة (١٥هـ)<sup>(١)</sup> ذكره أبو جعفر بن جرير في هذه السنة، عن رواية سيف بن عمر<sup>(٢)</sup>.

وملخص ما ذكره هو وغيره، أن أباعبيدة لما فرغ من دمشق كتب إلى أهل إيليا يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام، أو يبذلون الجزية، أو يؤذنون بحرب، فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه، فركب إليهم في جنوده واستخلف على دمشق سعيد بن زيد، ثم حاصر بيت المقدس وضيق عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. فكتب إليه أبوعبيدة بذلك، فاستشار عمر الناس في ذلك فأشار عثمان بن عفان بأن لا يركب إليهم ليكون أحقر لهم وأرغم لأنوفهم، وأشار علي بن أبي طالب بالمسير إليهم ليكون أخف وطأة على المسلمين في حصارهم لهم، فهوى ما قال علي ولم يهؤ ما قال عثمان<sup>(٣)</sup>.

وذكر سيف في سياقه: أن عمر رضي الله عنه ركب من المدينة على فرس ليسرع السير بعد ما استخلف عليها علي بن أبي طالب، فسار

(١) «البدية والنهاية» (٧/٥٥-٥٦).

(٢) انظر: «تاريخ الرسل والملوك» (٣/٦٠٧، ٦١٠) فقد أورد فتح بيت المقدس في حوادث سنة (١٥هـ)، وذكر رواية أخرى من طريق سيف بن عمر عن أبي عثمان وأبي حارثة أن ذلك كان في ربيع الآخر سنة ست عشرة (٣/٦١٠).

(٣) انظر: الأزدي، «فتوح الشام» ص (٢٤٩).

حتى قدم الجابية، وقد كتب إلى أمراء الأجناد أن يوافوه في اليوم  
 الفلاني إلى الجابية، فتوافوا أجمعون في ذلك اليوم إلى الجابية، فكان  
 أول من تلقاه يزيد بن أبي سفيان، ثم أبو عبيدة، ثم خالد بن الوليد في  
 خيول المسلمين وعليهم يلامق الديباج، فسار إليهم عمر ليخصبهم  
 فاعتذروا إليه بأن عليهم السلاح، وأنهم يحتاجون إليه في حروبهم،  
 فسكت عنهم، واجتمع الأمراء كلهم بعدما استخلفوا على أعمالهم، سوى  
 عمرو بن العاص، وشرحبيل، فإنهما واقفان الأرطبون بأجنادين<sup>(١)</sup>.  
 فبينما عمر في الجابية إذا بكردوس من الروم بأيديهم سيوف مُسللة،  
 فسار إليهم المسلمون بالسلاح فقال عمر: إن هؤلاء قوم يستأمنون.  
 فساروا نحوهم فإذا هم جند من بيت المقدس يطلبون الأمان  
 والصلح من أمير المؤمنين حين سمعوا بقدومه فأجابهم عمر إلى ما  
 سألوا<sup>(٢)</sup>.

### خطبة عمر بالجابية<sup>(٣)</sup>!

وخطب عمر بالجابية خطبة طويلة بليغة منها:  
 «أيها الناس أصلحوا سرائركم تصلح علانيتكم، واعملوا  
 لآخرتكم تكفوا أمر دُنْيَاكُمْ، واعلموا أن رجلاً ليس بينه وبين آدم أبّ حيّ  
 ولا بينه وبين الله هَوَادَةٌ، فمن أراد لَحَب (طريق) الجَنَّة فليلزم الجماعة  
 فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ولا يَخْلُونَ أحدكم  
 بامرأة، فإن الشيطان ثالثهما، ومن سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فهو

(١) الطبري، «تاريخ الأمم والرسول» (٦٠٧/٣).

(٢) المصدر السابق (٦٠٨/٣).

(٣) «البداية والنهاية» (٥٦/٧).



مؤمن». وهي خطبة طويلة اختصرناها<sup>(١)</sup>.

كتابة الصلح وتسلم بيت المقدس<sup>(٢)</sup>؟

ثم سار عمر بن الخطاب حتى صالح نصارى بيت المقدس، واشترط عليهم إجلاء الروم خلال ثلاث ليالٍ، ثم دخلها، ودخل المسجد من الباب الذي دخل منه الرسول ﷺ ليلة الإسراء. ويقال إنه لَبَّى حين دخل بيت المقدس فصلى فيه تحية المسجد بمحراب داود، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغدوة، فقرأ في الأولى بسورة «ص» وسجد فيها والمسلمون معه، وفي الثانية بسورة بني إسرائيل<sup>(٣)</sup>.

وكتب لأهل بيت المقدس كتاب أمان ومصالحة، وضرب عليهم الجزية، واشترط عليهم شروطاً ذكرها ابن جرير<sup>(٤)</sup>، وشهد في الكتاب خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبدالرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان، وهو كاتب الكتاب وذلك في سنة خمس عشرة.

ثم كتب لأهل لُدَّ<sup>(٥)</sup> وَمَنْ هُنَالِكَ من الناس كتاباً آخر، وضرب عليهم الجزية، ودخلوا فيما صالح عليه أهل إيلياء، وفرّ الأَرْطَبُونَ إلى بلاد مصر، فكان بها حتى فتحها عمرو بن العاص، ثم فرّ إلى البحر

(١) انظرها في «مسند الإمام أحمد» (٢٣/٨٥ من الفتح الرباني». وفيه: فمن أراد بحبوحه الجنة.

(٢) «البداية والنهاية» (٧/٥٧).

(٣) هي سورة الإسراء.

(٤) «تاريخ الرسل والملوك» (٣/٦٠٩).

(٥) لُدَّ: قرية قرب بيت المقدس، وعند بابها يُدْرِكُ عيسى بن مريم عليه السلام الدجال

فيقتله. ياقوت، مصدر سابق (٥/١٥).

فكان يلي بعض السرايا الذين يقاتلون المسلمين فظفر به رجل من قيس فقطع يد القَيْسِيِّ وَقَتَلَهُ الْقَيْسِيُّ وقال في ذلك<sup>(١)</sup> :

فإن يكن أَرْطُبُونُ الروم أفسدَها فإن فيها بِحَمْدِ الله مُنتَفَعَا  
وإن يكن أَرْطُبُونُ الروم قَطَعَهَا فَقَدْ تَرَكْتُ بها أَوْصَالَهُ قِطْعَا  
أعمال عمر في بيت المقدس<sup>(٢)</sup> ؟

قال ابن كثير :

وقد رُوينا أن عمر حين دخل بيت المقدس سأل كعب الأحمار، عن مكان الصخرة فقال: يا أمير المؤمنين أذرع من وادي جهنم كذا وكذا ذراعًا فهي ثمّ، فذرعوا فوجدوها، وقد اتخذها النصارى مَرْبَلَةً كما فعلت اليهود بمكان القُمَامَةِ، وهو المكان الذي صُلِبَ فيه المصلوبُ الذي شُبِّهَ بَعِيسَى، فاعتقدت النصارى واليهود أنه المسيح، وقد كَذَّبُوا في اعتقادهم هذا كما نصَّ الله تعالى على خطئهم في ذلك<sup>(٣)</sup>.

والمقصود أن النصارى لما حكموا بيت المقدس قبل البعثة بنحو من ثلاثمائة سنة، طهروا مكان القمامة واتخذوه كنيسة هائلة بنتها أم الملك قسطنطين باني المدينة المنسوبة إليه، واسم أمه هَيْلَانَةُ الْفُنْدُقَانِيَّةُ<sup>(٤)</sup>، وأمرت ابنها فبنى للنصارى بَيْتَ لَحْمٍ على موضع الميلاد، وبنت هي

(١) انظر: ابن الأثير، «الكامل في التاريخ» (٥٠٢/٢).

(٢) «البداية والنهاية» (٥٨/٧).

(٣) قال تعالى: ﴿وَيَكْفُرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بَهْتِنًا عَظِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٣١﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٣٢﴾﴾ [النساء]

(٤) نسبة إلى بلدة الفندق، موضع بالثغر قرب المصيصة. (معجم البلدان ٤/٢٧٧).

على موضع القبر فيما يزعمون، والغرض أنهم اتخذوا مكان قبلة اليهود مزبلة، في مُقَابِلَة ما صنعوا في قديم الزمان وحديثه. فلما فتح عمر بيت المقدس وتحقق موضع الصخرة، أمر بإزالة ما عليها من الكناسَة حتى قيل: إنه كنسها بردائه، ثم استشار كعبًا أين يضع المسجد؟ فأشار عليه بأن يجعله من وراء الصخرة، فضرب في صدره وقال: يا بن أمّ كعب، ضارعت اليهودية، وأمر بينائه في مُقَدِّم بيت المقدس.

قال الإمام أحمد: حدثنا أسود بن عامر، ثنا حماد بن سلمة، عن أبي سنان، عن عبيد بن آدم، وأبي مريم، وأبي شعيب، أن عمر بن الخطاب كان بالجابية، فذكر فتح بيت المقدس، قال: قال ابن سلمة: فحدثني أبو سنان عن عبيد بن آدم سمعت عمر يقول لكعب: أين ترى أن أصلي؟ قال: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة وكانت القدس كلها بين يديك، فقال: ضاهيت اليهودية، لا، ولكن أصلي حيث صلى رسول الله ﷺ فتقدم إلى القبلة فصلى، ثم جاء فبسط رداءه وكنس الكناسَة في رداءه وكنس الناس.

وهذا إسناد جيد اختاره الحافظ ضياء الدين المقدسي في كتابه «المستخرج»<sup>(١)</sup>، وقد تكلمنا على رجاله في كتابنا الذي أفردناه في مسند عمر وما رواه من الأحاديث المرفوعة، وما روي عنه من الآثار الموقوفة مبوبًا على أبواب الفقه، والله الحمد والمنة.

(١) اسمه: «الأحاديث المختارة». وانظر: «مسند أحمد» (١/٢٦٨) برقم (٢٦١) وقال أحمد شاکر: إسناده حسن.

حضر الروم لأبي عبيدة بحمص سنة (١٧هـ)<sup>(١)</sup>؛

وذلك أن جمعًا من الروم عزموا على حصار أبي عبيدة بحمص، واستجاشوا بأهل الجزيرة وخلق ممن هنالك، وقصدوا أبا عبيدة، فبعث أبو عبيدة إلى خالد فقدم عليه من قنسرين، وكتب إلى عمر بذلك، واستشار أبو عبيدة المسلمين في أن يناجز الروم أو يتحصن بالبلد حتى يجيء أمر عمر، فكلهم أشار بالتحصن، إلا خالدًا فإنه أشار بمناجزتهم، فعصاه وأطاعهم، وتحصن بحمص وأحاط به الروم، وكل بلد من بلدان الشام مشغول أهله عنه بأمرهم، ولو تركوا ما هم فيه وأقبلوا إلى حمص لانخرم النظام في الشام كله.

وكتب عمر إلى سعد بالعراق أن يندب الناس مع القعقاع بن عمرو، ويسيرهم إلى حمص من يوم يقدم عليه الكتاب، نجدة لأبي عبيدة فإنه محصور، وأن يجهز جيشًا آخر إلى أهل الجزيرة الذين مالوا الروم على حصار أبي عبيدة، ويكون أمير الجيش إلى الجزيرة عياض بن غنم.

فخرج الجيشان معًا من الكوفة لنجدة أبي عبيدة، وخرج عمر بنفسه من المدينة لينصر أبا عبيدة، فبلغ الجابية وقيل: إنما بلغ سرغ. قاله ابن إسحاق، وهو أشبه والله أعلم.

فلما بلغ أهل الجزيرة الذين مع الروم على حمص أن الجيش قد طرق بلادهم، انشَمروا إلى بلادهم، وفارقوا الروم، وسمعت الروم بقدوم أمير المؤمنين عمر لينصر نائبه عليهم فضعف جانبهم جدًا. وأشار خالد على أبي عبيدة بأن يبرز إليهم ليقاتلهم، ففعل ذلك

أبوعبيدة، ففتح الله عليه ونصره، وهزمت الروم هزيمة فظيعة، وذلك قبل وصول الأمداد إليهم بثلاث ليال، فكتب أبوعبيدة إلى عمر يخبره بالفتح وأن المدد وصل إليهم بعد ثلاث ليالٍ، وسأله: هل يدخلهم في القسم معهم مما أفاء الله عليهم؟ فجاء الجواب: بأن يدخلهم معهم في الغنيمة، فإن العدو إنما ضعف وإنما انشمر عند ما بلغه خبر المدد فخافوا منهم، فأشركهم أبوعبيدة في الغنيمة.

وقال عمر: جزي الله أهل الكوفة خيرًا يحمون حوزتهم ويمدون الأمصار<sup>(١)</sup>.

فتح الجزيرة الفراتية<sup>(٢)</sup>؛

وفي سنة سبع عشرة فتحت الجزيرة فيما قاله سيف بن عمر، وتبعه ابن جرير.

وقال ابن إسحاق: كان ذلك في سنة تسع عشرة.

سار إليها عياض بن غنم وفي صحبته أبي موسى الأشعري، وعثمان بن أبي العاص، فنزل الرُّهًا فصالحه أهلها على الجزية، وصالحت حرّان على ذلك. ثم بعث أبا موسى الأشعري إلى نصيبين، وعمر بن سعد إلى رأس العين<sup>(٣)</sup>، وسار بنفسه إلى داري<sup>(٤)</sup>، فافتتحت

(١) انظر: الخبر بكامله عند الطبري، «تاريخ الرسل والملوك» (٤/٥٠-٥٢).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/٧٦).

(٣) رأس العين: مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حرّان ونصيبين. ياقوت، مصدر سابق (٣/١٤).

(٤) داري: بالألف اللينة، بلدة في لحف جبل بين نصيبين وماردين، وعندها كان معسكر داري بن داري الملك الفارسي لما لقي الإسكندر المقدوني، فقتله الإسكندر، وبنى =

هذه البلدان، وبعث عثمان بن أبي العاص إلى إزمينية<sup>(١)</sup>، فكان عندها شيء من قتالٍ قُتل فيه صَفْوَانُ بن المَعَطَّلِ السُّلَمِيَّ<sup>(٢)</sup> شهيدًا، ثم صالحهم عثمان بن أبي العاص على الجزية، على كل أهل بيت دينار<sup>(٣)</sup>.  
غزو الروم<sup>(٤)</sup>؛

قال ابن جرير: وفي سنة عشرين غزا أرض الروم أبو بحرية عبد الله بن قيس الكندي<sup>(٥)</sup> وهو أول من دخلها - فيما قيل - فسلم وغنم، وقيل: أول من دخلها ميسرة بن مسروق العبسي<sup>(٦)</sup>.  
غزو الحبشة<sup>(٧)</sup>؛

وفي سنة عشرين بعث عمر علقمة بن مُجَزَّز المدلجي إلى الحبشة في البحر فأصيبوا، فألى عمر على نفسه أن لا يبعث جيشًا في البحر بعدها.

- = في موضع معسكره هذه البلدة وسماها باسمه. ياقوت، مصدر سابق (٤١٨/٢).
- (١) إزمينية: بكسر أوله ويفتح وسكون ثانية، وكسر الميم، وياء ساكنة، وكسر النون، وياء خفيفة مفتوحة، اسم لصقع واسع في جهة الشمال، وهي أربعة أقسام، ومن مدنها: خلط، وتفليس، وجرزان، وأزان، وشمشاط. (ياقوت، مصدر سابق (١٦٠/١)).
- (٢) انظر: ترجمته في: «البداية والنهاية» (٩٦/٧)، وفي «الإصابة» (٤٤٠/٣).
- (٣) الخبر بكامله عند الطبري، «تاريخ الرسل والملوك» (٥٣/٤).
- (٤) «البداية والنهاية» (١٠١/٧).
- (٥) في الأصل: «العبدى»، والتصحيح من «تاريخ الطبري» (١١٢/٤). وانظر: «تجريد أسماء الصحابة» للذهبي (٣٣٠/١).
- (٦) انظر ترجمته في: «الإصابة» لابن حجر (٢٣٩/٦)، و«الخبر في تاريخ الطبري» (١١٢/٤).
- (٧) «البداية والنهاية» (١٠١/٧).

وقد خالف الواقدي في هذه أبو معشر فزعم أن غزوة الحبيشة إنما كانت في سنة إحدى وثلاثين في خلافة عثمان بن عفان<sup>(١)</sup>.  
غزو معاوية بالصائفة<sup>(٢)</sup>؟

قال ابن جرير: وفي سنة ثلاث وعشرين غزا معاوية بالصائفة حتى بلغ عمورية<sup>(٣)</sup>، ومعه الصحابة، عبادة بن الصامت، وأبو أيوب الأنصاري، وأبوذر، وشداد بن أوس<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن جرير، المصدر السابق (١١٢/٤).

(٢) «البداية والنهاية» (١٤١/٧).

(٣) عمورية: بفتح أوله وتشديد ثانيه، بلدة مشهورة في بلاد الروم، وقد فتحها المعتصم سنة (٢٢٣هـ). ياقوت، مصدر سابق (١٥٨/٤).

(٤) ابن جرير، المصدر السابق (٢٤١/٤).

## فتح مصر

المرحلة الثالثة من الفتوحات:

يمثل فتح مصر المرحلة الثالثة لخطة الفتح في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .  
تاريخ فتحها<sup>(١)</sup>!

قال محمد بن إسحاق: في سنة عشرين كان فتح مصر، وكذا قال الواقدي: أنها فتحت هي والإسكندرية في هذه السنة .  
وقال أبو مَعُشَر: فتحت مصر سنة عشرين، والإسكندرية سنة خمس وعشرين .

وقال سيف: فتحت مصر والإسكندرية في سنة ست عشرة في ربيع الأول منها<sup>(٢)</sup> . وَرَجَّحَ ذلك أبو الحسن ابن الأثير في الكامل لقصة بعث عمرو الميِّرة من مصر عام الرمادة<sup>(٣)</sup> ، وهو معذور فيما رجحه .  
فتح بابليون:

لما استكمل عُمَرُ رضي الله عنه والمسلمون فتح الشام، بعث عمرو بن العاص إلى مصر، وزعم سيف أنه بعثه بعد فتح بيت المقدس، وأردفه بالزبير بن العوام وفي صحبته بُسْر بن أَرْطَأة، وَخَارِجَةُ بن حُدَافَةَ العدوي، وَعُمَيْر بن وَهْب الجُمَحي . فاجتمعا على باب مصر<sup>(٤)</sup> ،

(١) «البداية والنهاية» (٧/٩٧) .

(٢) انظر هذه الأقوال عند ابن جرير «تاريخ الرسل والملوك» (٤/١٠٤) .

(٣) انظر: «الكامل في التاريخ» (٢/٥٦٤) . وعام الرمادة سنة (١٨هـ) .

(٤) المراد بابليون، وهي الفسطاط . ياقوت، مصدر سابق (١/٣١١) .



فلقيهم أبو مريم (جاثليق مصر)، ومعه الأسقف أبو مريام في أهل الثبات، بعثه المقوقس صاحب إسكندرية لمنع بلادهم، فلما تصافوا قال عمرو بن العاص: لا تعجلوا حتى نُعذِرَ، لِيُبْرَزَ إِلَيَّ أبو مريم، وأبو مريام - راهبا هذه البلاد - فبرزا إليه، فقال لهما عمرو بن العاص: أنتما راهبا هذه البلاد فاسمعا، إن الله بعث محمداً بالحق وأمره به، وأمرنا به محمد ﷺ، وأدى إلينا كل الذي أمر به، ثم مضى وتركنا على الواضحة، وكان مما أمرنا به الإعدار إلى الناس، فنحن ندعوكم إلى الإسلام، فمن أجابنا إليه فمِثلنا، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة، وقد أعلمنا أنا مفتحوكم، وأوصانا بكم حفظاً لرحمنا منكم، وأن لكم إن أجبتمونا بذلك ذمة إلى ذمة، ومما عهد إلينا أميرنا استوصوا بالقبطيين خيراً، فإن رسول الله ﷺ أوصانا بالقبطيين خيراً، لأن لهم رحماً وذمة<sup>(١)</sup>.

فقالوا: قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الأنبياء، معروفة شريفة، كانت ابنة ملكنا وكانت من أهل مَنف<sup>(٢)</sup> والملك فيهم، فأدبل عليهم أهل عين شمس، فقتلوهم وسلبوهم ملكهم واغتربوا، فلذلك صارت

(١) أخرج مسلم في «صحيحه»، كتاب فضائل الصحابة، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر (٤/١٩٧٠) حديث أبي ذر أن النبي ﷺ قال: «إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحماً»، أو قال: «ذمة وصهرًا». والمراد بالرحم، أن أم إسماعيل منهم، والمراد بالصهر: أن مارية القبطية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ منهم.

(٢) مَنف: بالفتح ثم السكون وفاء، اسم مدينة فرعون بمصر، وهي بين الفسطاط، وعين شمس. ياقوت، مصدر سابق (٥/٢١٣).

إلى إبراهيم عليه السلام مرحبًا به وأهلاً. أمّا حتى نرجع إليك، فقال عمرو: إن مثلي لا يُخدع ولكني أؤجلكما ثلاثًا لتتنظروا ولتتناظرا قومكم، وإلا ناجزتكم. قالوا: زدنا، فزادهم يومًا، فقالوا: زدنا، فزادهم يومًا. فرجعا إلى الموقس فهتمّ بالصلح، فأبى أرتبون<sup>(١)</sup> أن يجييهما وأمر بمناهدتهم، فقالوا لأهل مصر: أما نحن فسنجتهد أن ندفع عنكم ولا نرجع إليهم، وقد بقيت أربعة أيام.

وأشار عليهم الأرتبون بأن يُبيتوا المسلمين فأبوا، فألح الأرتبون في أن يبيتوا المسلمين ففعلوا فلم يظفروا بشيء بل قُتل منهم طائفة، ثم قصد عمرو، والزبير إلى عين شمس وبها جمعهم<sup>(٢)</sup>.  
حصار عين شمس ونزولها على الصلح<sup>(٣)</sup>

حاصر المسلمون عين شمس من مصر في اليوم الرابع - من أيام المهلة التي أعطاها عمرو لهم -. فقال أهل مصر لملكهم ما تريدون من قوم قاتلوا كسرى وقيصر وغلبوهم على بلادهم، صالح القوم ولا تعرّضنا لهم، فأبى، فقاتلوهم وارتقى الزبير عليهم سور البلد، فلما أحسوا بذلك خرجوا من الباب الآخر فصالحوه، واخترق الزبير البلد حتى خرج من الباب الذي عليه عمرو، فأمضوا الجميع على الصلح، وكتب لهم عمرو كتاب أمان:

«بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم

(١) الأرتبون: هو الحاكم الروماني الذي كان في بيت المقدس فهرب إلى مصر.

(٢) انظر: ابن جرير، «تاريخ الرسل والملوك» (٤/١٠٦-١٠٧).

(٣) «البداية والنهاية» (٧/٩٨).

وبَرَّهْمَ وَبَحْرِهِمْ، لَا يُدْخَلُ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَا يُنْتَقَصُ، وَلَا يَسَاكِنُهُمُ التُّوبَةُ، وَعَلَى أَهْلِ مِصْرَ أَنْ يَعْطُوا الْجِزْيَةَ إِذَا اجْتَمَعُوا عَلَى هَذَا الصَّلْحِ وَانْتَهتْ زِيَادَةُ نَهْرِهِمْ، خَمْسِينَ أَلْفَ أَلْفٍ، وَعَلَيْهِمْ مَا جَنَى لِمَصُوصِهِمْ، فَإِنْ أَبِي أَحَدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَجِيبَ رَفْعَ عَنْهُمْ مِنَ الْجِزَاءِ بِقَدْرِهِمْ، وَذِمَّتْنَا مِمَّنْ أَبِي بَرِيئَةَ، وَإِنْ نَقَصَ نَهْرَهُمْ مِنْ غَايَتِهِ رَفْعَ عَنْهُمْ بِقَدْرِ ذَلِكَ، وَمَنْ دَخَلَ فِي صَلْحِهِمْ مِنَ الرُّومِ وَالتُّوبَةِ، فَلَهُ مِثْلُ مَا لَهُمْ وَعَلَيْهِ مِثْلُ مَا عَلَيْهِمْ، وَمَنْ أَبِي وَاخْتَارَ الذَّهَابَ فَهُوَ آمِنٌ حَتَّى يَبْلُغَ مَأْمَنَهُ أَوْ يَخْرُجَ مِنْ سُلْطَانِنَا، عَلَيْهِمْ مَا عَلَيْهِمْ أَثْلَاثًا، فِي كُلِّ ثُلْثٍ جَبَايَةٌ ثُلْثٌ مَا عَلَيْهِمْ، عَلَى مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ عَهْدَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَذِمَّةَ الْخَلِيفَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَذِمَّةَ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَلَى النُّوبَةِ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا أَنْ يَعِينُوا بِكَذَا وَكَذَا رَأْسًا، وَكَذَا وَكَذَا فَرَسًا عَلَى أَنْ لَا يُغْزَوْا وَلَا يُمْنَعُوا مِنْ تِجَارَةٍ صَادِرَةٍ وَلَا وَارِدَةٍ. شَهِدَ الزُّبَيْرُ وَعَبْدُ اللَّهِ وَمُحَمَّدُ ابْنَاهُ وَكُتِبَ وَرَدَانٌ وَحَضَرَ<sup>(١)</sup>.

فَدَخَلَ فِي ذَلِكَ أَهْلَ مِصْرَ كُلَّهُمْ وَقَبِلُوا الصَّلْحَ وَاجْتَمَعَتِ الْخِيُولُ، وَمَصَّرَ عَمْرُو الْفُسْطَاطَ، وَظَهَرَ أَبُو مَرْيَمَ وَأَبُو مَرْيَمَ فَكَلَّمَا عَمْرًا فِي السَّبَايَا الَّتِي أُصِيبَتْ بَعْدَ الْمَعْرَكَةِ. فَأَبَى عَمْرُو أَنْ يَرُدَّهَا عَلَيْهِمَا، وَأَمَرَ بِطَرْدِهِمَا وَإِخْرَاجِهِمَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ<sup>(٢)</sup>، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَمَرَ أَنْ كُلِّ سَبِيٍّ أُخِذَ فِي الْخَمْسَةِ أَيَّامِ الَّتِي أُمِنُوا فِيهَا أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ، وَكُلِّ سَبِيٍّ أُخِذَ مِنْ قَاتِلٍ فَلَا يَرُدُّ عَلَيْهِمْ. وَقِيلَ: إِنَّهُ أَمَرَ أَنْ يُخَيَّرُوا مَنْ فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ السَّبِيِّ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَبَيْنَ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى أَهْلِهِ،

(١) انظر نص الكتاب عند ابن جرير، «تاريخ الرسل والملوك» (٤/١٠٩).

(٢) المصدر نفسه (٤/١٠٩).

فمن اختار الإسلام فلا يردوه إليهم، ومن اختارهم ردوه عليهم وأخذوا منه الجزية، وأما ما تفرق من سبيهم في البلاد ووصل إلى الحرمين وغيرهما، فإنه لا يقدر على ردهم ولا ينبغي أن يصلحهم على ما يتعذر الوفاء به. ففعل عمرو ما أمر به أمير المؤمنين، وجمع السبايا وعرضوهم فمنهم من اختار الإسلام، ومنهم من عاد إلى دينه، وانعقد الصلح بينهم<sup>(١)</sup>.

فتح الإسكندرية<sup>(٢)</sup>؛

أرسل عمرو جيشاً إلى الإسكندرية - وكان المقوقس صاحب الإسكندرية يؤدي خراج بلده وبلد مصر إلى ملك الروم - فلما حاصره جيش المسلمين جمع أساقفته وأكابر دولته وقال لهم: إن هؤلاء العرب غلبوا كسرى وقيصر وأزالوهم عن ملكهم ولا طاقة لنا بهم، والرأي عندي أن نؤدي الجزية إليهم. ثم بعث إلى عمرو بن العاص يقول: إني كنت أؤدي الخراج إلى من هو أبغض إلي منكم، ثم صالحه على أداء الجزية، وبعث عمرو بالفتح والأخماس إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر نفسه (٤/١٠٥).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/٩٩).

(٣) ذكر ابن جرير الاختلاف في تاريخ فتح الإسكندرية. قيل: سنة (٢١١هـ)، وقيل:

(٢٢هـ)، وقيل: (٢٥هـ). المصدر السابق (٤/١٠٥). وفي «تاريخ ولاية مصر»

للكندي ص (١٦-١٧) ذكر أنها فتحت مرتين الأولى سنة (٢٠هـ). ويقال: بل

مستهل سنة (٢١هـ)، والثانية: سنة (٢٥هـ). وانظر: «فتوح مصر» لابن

عبدالحكم ص (١١٧، ٢٣٩).

### غزو النوبة<sup>(١)</sup>؛

وقد غزا المسلمون بعد فتح مصر النوبة<sup>(٢)</sup> فنالهم جراحات كثيرة، وأصيبت أعين كثيرة، لجودة رمي أهل النوبة فسموهم جند الحَدَق، ثم فتحها الله بعد ذلك<sup>(٣)</sup> وله الحمد والمنة.  
قصة نيل مصر<sup>(٤)</sup>؛

رُوينا من طريق ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج عن حدثه قال: لما افتتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص - حين دخل بُؤنة من أشهر العجم - فقالوا: أيها الأمير، لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا بها. قال: وما ذلك؟ قالوا: إذا كانت اثنتي عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر من أبويها، فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلبي والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل. فقال لهم عمرو: «إن هذا مما لا يكون في الإسلام، إن الإسلام يَهْدُم ما قبله». قال: فأقاموا بُؤنة، وأبيت، ومَسْرَى<sup>(٥)</sup>، والنيل لا يجري قليلاً ولا كثيراً، حتى هموا بالجلء، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك، فكتب إليه: إنك قد

(١) «البداية والنهاية» (١٠٠/٧).

(٢) النوبة: بضم أوله، وسكون ثانيه، وباء موحدة، بلاد واسعة عريضة جنوب مصر بعد أسوان، وهم أهل بأس وشدة. ياقوت، مصدر سابق (٣٠٨/٥).

(٣) أي: صلحاً، وكان ذلك في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه. انظر: البلاذري، «فتوح البلدان» ص (٢٨٠-٢٨٢)، وابن عبدالحكم، فتوح «مصر والمغرب» ص (٢٥٢).

(٤) «البداية والنهاية» (١٠٠/٧).

(٥) بُؤنة وأبيت ومَسْرَى، من أسماء شهور القبط، وهي الأشهر العاشر والحادي عشر والثاني عشر على التوالي. انظر: «فتوح مصر» (٢٠٣ في الهامش).

أصبت بالذي فعلت، وإني قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابي، فألقها في النيل، فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة فإذا فيها: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر، أما بعد، فإن كنت إنما تجري بأمر الله الواحد القهار، وهو الذي يجريك، فنسأل الله تعالى أن يجريك». قال: فألقى البطاقة في النيل فأصبحوا يوم السبت وقد أجراه الله ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة، وقطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه ابن عبدالحكم في «فتوح مصر» ص (٢٠٣) من طريق ابن لهيعة، وأخرجه اللالكائي في «كرامات الأولياء» ص (١٢٦) من طريقه أيضاً. وانظر: «مناقب عمر» لابن الجوزي ص (١٧٣)، و«تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٤٦٤/٣) والأثر فيه انقطاع.

## ب - الفتوحات في العراق والمشرق

### المرحلة الثانية:

تمثل الفتوحات في عهد الصديق رضي الله عنه في العراق بقيادة خالد بن الوليد المرحلة الأولى من الفتوحات الإسلامية التي انطلقت نحو المشرق في عهد الخلفاء الراشدين، وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله استكملت الخطة على أربع مراحل، هذه إحداها:  
تأمير أبي عبيد الثقفي على الحرب في العراق<sup>(١)</sup>؛

لما مات الصديق ودفن ليلة الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، أصبح عمر فندب الناس وحثهم على قتال أهل العرق، وحرصهم ورجبهم في الثواب على ذلك، فلم يبق أحد لأن الناس كانوا يكرهون قتال الفرس لقوة سطوتهم، وشدة قتالهم، ثم ندبهم في اليوم الثاني والثالث فلم يبق أحد، وتكلم المثنى بن حارثة فأحسن، وأخبرهم بما فتح الله تعالى على يدي خالد من معظم أرض العراق، ما لهم هنالك من الأموال والأموال والأمتعة والزاد، فلم يبق أحد في اليوم الثالث فلما كان اليوم الرابع كان أول من انتدب من المسلمين أبو عبيد بن مسعود الثقفي ثم تتابع الناس في الإجابة، وأمر عمر طائفة من أهل المدينة بالإكتتاب وأمر على الجميع أبا عبيد ولم يكن صحابياً فقيل لعمر: هَلَّا أَمَرْتَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ الصَّحَابَةِ؟ فقال: إنما أؤمر أول من استجاب، إنكم إنما سبقتم الناس بنصرة هذا الدين، وإن

(١) «البداية والنهاية» (٧/٢٦).

هذا هو الذي استجاب قبلكم . ثم دعاه فوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ، وبمن معه من المسلمين خيراً ، وأمره أن يستشير أصحاب رسول الله ﷺ ، وأن يستشير سَلِيط بن قيس<sup>(١)</sup> فإنه رجل باشر الحروب . فسار المسلمون إلى أرض العراق وهم سبعة آلاف رجل ، وكتب عمر إلى أبي عبيدة أن يرسل من كان بالعراق ممن قدم مع خالد إلى العراق ، فجهز عشرة آلاف عليهم هاشم بن عتبة ، وأرسل عمر ، جرير بن عبدالله البجلي في أربعة آلاف إلى العراق فقدم الكوفة<sup>(٢)</sup> ، فلما وصل الناس إلى العراق وجدوا الفرس مضطربين في ملكهم ، وآخر ما استقر أمرهم أن ملكوا عليهم بوران بنت كسرى بعدما قتلوا التي كانت قبلها أزميدخت ، وفوضت بوران أمر الملك عشر سنين إلى رستم بن فرخزاد على أن يقوم بأمر الحرب ، ثم يصير الملك إلى آل كسرى فقبل ذلك . وكان رستم هذا مُنَجَّمًا يعرف النجوم وعِلْمَهَا جيداً ، فقبل له : ما حملك على هذا؟ يعنون وأنت تعلم أن هذا الأمر لا يتم لك فقال : الطمع وَحُبُّ الشرف<sup>(٣)</sup> .

#### وقعة التمارق سنة (١١٣هـ)<sup>(٤)</sup>؛

بعث رستم أميرًا يقال له : جابان وعلى مجنبيه رجلان أحدهما جُشنس ، والآخر : مرد انشاه ، فالتقوا مع أبي عبيدة بمكان يقال له

(١) سليط بن قيس بن عمرو الأنصاري من بني النجار ، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ . انظر : ابن حجر ، «الإصابة» (٣/١٦٣) .

(٢) المقصود المكان الذي بنيت فيه مدينة الكوفة بعد ذلك .

(٣) ابن جرير ، «تاريخ الرسل والملوك» (٣/٤٤٩) .

(٤) «البداية والنهاية» (٧/٢٧) .



النمارق<sup>(١)</sup> - بين الحيرة والقادسية -، وعلى الخيل المثنى بن حارثة، وعلى الميمنة واليق بن جيدارة، وعلى الميسرة عمرو بن الهيثم السلمي، فاقتتلوا هنالك قتالاً شديداً هزم الله الفرس وأسِرَ جابان، ومردانشاه، فأما مردانشاه فإنه قتله الذي أسره، وأما جابان فإنه خَدَعَ الذي أسره حتى أطلقه، فأمسكه المسلمون وأبوا أن يطلقوه، وقالوا: إن هذا الأمير، وجاؤا به إلى أبي عبيد فقالوا: اقتله فإنه الأمير، فقال: وإن كان الأمير فإني لا أقتله. وقد أمّنه رجل من المسلمين<sup>(٢)</sup>.

وقعة جنر أبي عبيد<sup>(٣)</sup>؟

لما رجع الجالينوس هارباً مما لقي من المسلمين تذامرت الفرس بينهم واجتمعوا إلى رستم فأرسل جيشاً كثيفاً عليهم ذا الحجاب بهمن جاذويه، وأعطاه راية كسرى وتسمى دِرْفَش كابيان (الراية العظمى)، وكانت الفرس تتيمن بها، وكانت من جلود النمرور وعرضها ثمانية أذرع في طول اثني عشر ذراعاً. فوصلوا إلى المسلمين وبينهم النهر وعليه جسر فأرسلوا: إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم، فقال المسلمون لأمرهم أبي عبيد: مرهم فليعبروا إلينا، فقال: ما هم بأجرأ على الموت منا. ثم اقتحم إليهم فاجتمعوا في مكان ضيق هنالك فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يعهد مثله، والمسلمون في نحو من عشرة آلاف، وقد جاءت الفرس معهم بأفيلة كثيرة عليها الجلاجل لتذعر خيول المسلمين، فجعلوا كلما حملوا على المسلمين فرّت خيولهم من الفيلة، ومما تسمع من

(١) النمارق، موضع قرب الكوفة. ياقوت، مصدر سابق (٣٠٤/٥).

(٢) ابن جرير، المصدر السابق (٤٤٩/٣).

(٣) «البداية والنهاية» (٢٧/٧).

الجلال التي عليها ولا يثبت منها إلا القليل على قسْر، وإذا حمل المسلمون عليهم لا تقدم خيولهم على الفيلة، ورشقتهم الفرس بالنبل فنالوا منهم خلقًا كثيرًا، وقتل المسلمون منهم مع ذلك ستة آلاف، وأمر أبو عبيد المسلمين أن يقتلوا الفيلة أولاً، فاحتوشوها فقتلوها عن آخرها، وقدم قدمت الفرس بين أيديهم فيلاً عظيماً أبيض، فتقدم إليه أبو عبيد فضربه بالسيف فقطع مشفرة فحمي الفيل، وصاح صيحة هائلة وحمل فتخطه برجليه، فقتله، فحمل على الفيل خليفة أبي عبيد الذي كان أوصى أن يكون أميراً بعده فقتل، ثم آخر ثم آخر، حتى قُتل سبعة من ثقيف كان قد نص أبو عبيد عليهم واحداً بعد واحد، ثم صارت إلى المثني بن حارثة بمقتضى الوصية أيضاً، فلما رأى المسلمون ذلك وهنوا ولم يكن بقي إلا الظفر لو صبروا، فضعف أمرهم، وذهب ريحهم، وولوا مدبرين، وسأقت الفرس خلفهم فقتلوا بشراً كثيراً، وانكشف الناس فكان أمراً بليغاً، وجاءوا إلى الجسر فمر بعض الناس، ثم انكسر الجسر<sup>(١)</sup> فتحكم فيمن وراءه الفرس فقتلوا من المسلمين وغرق في الفرات نحو من أربعة آلاف، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

(١) ذكر الطبري في «تاريخه» (٤٥٥/٣) من طريق سيف أن الذي قطع الجسر رجل من ثقيف وسماه في (٤٥٧/٣) بأنه عبدالله بن مرثد الثقفي وقال: قاتلوا عن أميركم. وأخرج ابن سعد (٢٥٧/٢) من الطبقة الخامسة من الصحابة بتحقيقي عن الواقدي، أن الذي قطع الجسر عبدالله بن يزيد الخطمي. ولكن الصواب ما أخرجه ابن أبي شيبة، في «المصنف» (٥٥٦/١) بإسناد صحيح عن قيس بن أبي حازم أن المشركين هم الذين قطعوا الجسر، وذكر ذلك أيضاً البلاذري، في «فتوح البلدان» ص (٢٥٣).

### المثنى وإنقاذ الموقف:

وسار المثنى فوقف عند الجسر الذي جاءوا منه، وكان الناس لما انهزموا جعل بعضهم يلقي بنفسه في الفرات فيغرق، فنادي المثنى: أيها الناس على هَيِّتْكُمْ فإني واقف على فم الجسر لا أجوزه حتى لا يبقى منكم أحد ههنا، فلما عدى الناس إلى الناحية الأخرى سار المثنى فنزل بهم أول منزل، وقام يحرسهم هو وشجعان المسلمين، وقد جُرح أكثرهم وأثخنوا، ومن الناس من ذهب في البرية لا يُدْرَى أين ذهب، ومنهم من رجع إلى المدينة النبوية مذعورًا<sup>(١)</sup>، وذهب بالخبر عبدالله بن زيد بن عاصم المازني إلى عمر بن الخطاب فوجده على المنبر، فقال له عمر: ما وراءك يا عبدالله بن زيد؟ فقال: أتاك الخبر اليقين يا أمير المؤمنين، ثم صعد إليه فأخبره الخبر سرًا، ويقال: كان أول من قدم بخبر الناس عبدالله بن يزيد بن الحصين الخطمي<sup>(٢)</sup>، فالله أعلم.

وقعة البُوَيْب سنة (١١٣هـ)<sup>(٣)</sup>؛

لما سمع أمراء الفرس بخبر هزيمة المسلمين يوم الجسر، وبكثرة جيوش المثنى، بعثوا إليه جيشًا آخر مع رجل يقال له: مِهْرَان، فتوافوا هم وإياهم بمكان يقال له: البُوَيْب - قريب من مكان الكوفة اليوم -

(١) الخبر بكامله في «تاريخ الطبري» (٣/٤٥٤-٤٥٩) من طريق سيف بن عمر، ومن طريق ابن إسحاق.

(٢) هذه رواية ابن إسحاق كما في «تاريخ الطبري» (٣/٤٥٨). وهي عند ابن سعد، الطبقة الخامسة من الصحابة (٢/٢٥٧) من رواية الواقدي وسماء عبدالله بن يزيد بن زيد بن حصين، وقد نسبه ابن جرير إلى جده.

(٣) «البداية والنهاية» (٧/٢٩).

وبينهما الفرات، فقالوا: إما أن تعبروا إلينا، أو نعبر إليكم، فقال المسلمون: بل اعبروا إلينا. فعبرت الفرس إليهم فتواقفوا، وذلك في شهر رمضان من السنة الثالثة عشرة، فعزم المثنى على المسلمين في الفطر فأفطروا عن آخرهم ليكون أقوى لهم، وعتى الجيش، وجعل يمر على كل راية من رايات الأمراء على القبائل، ويعظهم ويحثهم على الجهاد والصبر والصمت، وفي القوم جرير بن عبدالله البجلي في بجيلة، وجماعة من سادات المسلمين.

وقال المثنى لهم: إني مكبر ثلاث تكبيرات فتهيأوا، فإذا كبرت الرابعة؛ فاحملوا. فقابلوا قوله بالسمع والطاعة والقبول، فلما كبر أول تكبيرة عاجلتهم الفرس فحملوا حتى خالطوهم واقتتلوا قتالاً شديداً، ورأى المثنى في بعض صفوفه خللاً، فبعث إليهم رجلاً يقول: الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول لكم: لا تفضحوا المسلمين اليوم، فقالوا: نعم، فاعتدلوا، فلما رأى ذلك منهم أعجبه وضحك، وبعث إليهم يقول: يا معشر المسلمين عاداتكم، انصروا الله ينصركم، وجعل المثنى والمسلمون يدعون الله بالظفر والنصر، فلما طالت مدة الحرب جمع المثنى جماعة من أصحابه الأبطال يحمون ظهره، وحمل على مهران فأزاله عن موضعه حتى دخل الميمنة، وحمل عليه المنذر بن حسان بن ضِرَارِ الضَّبِّي فطعنه، واحتز رأسه جرير بن عبدالله البجلي، واختصما في سَلْبِهِ، فأخذ جرير السلاح وأخذ المنذر منطقتَه.

وهربت المجوس وركب المسلمون أكتافهم يفصلونهم فصلاً، وسبق المثنى بن حارثة إلى الجسر فوقف عليه ليمنع الفرس من الجواز عليه ليتمكن منهم المسلمون. فركبوا أكتافهم بقية ذلك اليوم وتلك

الليلة، فيقال: إنه قُتِلَ منهم يومئذ وغرق قريب من مائة ألف، وغنم المسلمون مالا جزيلاً وطعاماً كثيراً، وبعثوا بالبشارة والأخماس إلى عمر رضي الله عنه. وقد قُتِلَ من سادات المسلمين في هذا اليوم بَشْرٌ كثير أيضاً. وذَلَّتْ لهذه الواقعة رقاب الفرس وتمكن الصحابة من الغارات في بلادهم فيما بين الفرات ودجلة، فغنموا شيئاً عظيماً لا يمكن حصره<sup>(١)</sup>.

وجرت أمور يطول ذكرها بعد يوم البويب<sup>(٢)</sup>، وكانت هذه الواقعة بالعراق نظير اليرموك بالشام.

ذكر اجتماع الفرس على يزدجرد<sup>(٣)</sup>!

كان شيرى بن كسرى أبرويز قد جمع آل كسرى في القصر الأبيض وأمر بقتل ذُكْرَانِهِمْ كُلِّهِمْ، وكان عددهم (١٥) نفساً، وكانت أمُّ يزدجرد قد أخفت ابنها، وواعدت أخواله فجاءوا وأخذوه منها سراً وذهبوا به إلى بلادهم، فلما وقع ما وقع يوم البويب وقُتِلَ منهم كما ذكرنا، وركب المسلمون أكتافهم وانتصروا عليهم وعلى أخذ بلدانهم ومحالهم وأقاليمهم، اجتمعوا فيما بينهم وأحضروا الأميرين الكبيرين فيهم وهما: رستم، والفَيْرُزَان، فتذامروا فيما بينهم وتواصوا وقالوا لهما: لئن لم تقوموا بالحرب كما ينبغي لنقتلنكما ونشتفي بكما، ثم رأوا فيما بينهم أن يبعثوا خَلْفَ نساءِ كِسْرَى من كل فج ومن كل بُقْعَةٍ، فمن كان لها ولد من

(١) انظر خبير المعركة عند الطبري، «تاريخ الرسل والملوك» (٣/٤٦١-٤٧٢) بتفصيل أكثر.

(٢) انظر تفصيل ذلك في المصدر السابق (٣/٤٧٣-٤٧٦).

(٣) «البداية والنهاية» (٧/٣٠).

آل كسرى مَلَكُوهُ عليهم، فذُلُّوا على أم يزدجرد، فأحضروها وأحضروا ولدها فملكوه عليهم وهو ابن إحدى وعشرين سنة، وهو من ولد شهريار بن كسرى وعزلوا بوران، واستوسقت الممالك له، واجتمعوا عليه وفرحوا به، وقاموا بين يديه بالنصر أتم قيام، واستفحل أمره فيهم وقويت شوكتهم به.

ثم بعثوا إلى الأقاليم والرساتيق فخلعوا الطاعة للصحابة ونقضوا عهودهم وذممهم، وبعث الصحابة إلى عمر بالخبر، فأمرهم عمر أن يَبْرَزُوا من بين ظهرائهم ويكونوا على أطراف البلاد حولهم على المياه، وأن تكون كل قبيلة تنظر إلى الأخرى بحيث إذا حدث حدث على قبيلة لا يخفى أمرها على جيرانهم، وكان ذلك في ذي القعدة من سنة ثلاث عشرة<sup>(١)</sup>.

(١) المصدر نفسه (٣/٤٧٧-٤٧٨).

## الفتوحات في العراق والمشرق

المرحلة الثالثة:

تبدأ المرحلة بتأميم سعد بن أبي وقاص على الجهاد في العراق سنة (١٤هـ).

تأميم سعد بن أبي وقاص على العراق<sup>(١)</sup>؛

استهلّت السنة الرابعة عشرة والخليفة عمر بن الخطاب يحث الناس ويحرضهم على جهاد أهل العراق، وذلك لما بلغه من قتل أبي عبيد يوم الجسر، وانتظام شمل الفرس، واجتماع أمرهم على يزدجرد الذي أقاموه من بيت الملك.

قال ابن جرير: وركب عمر رضي الله في أول يوم من المحرم هذه السنة (١٤هـ) في الجيوش من المدينة فنزل على ماء يقال له: صِرَار<sup>(٢)</sup>، فعسكر به عازماً على غزو العراق بنفسه واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب، واستصحب معه عثمان بن عفان وسادات الصحابة، ثم عقد مجلساً لاستشارة الصحابة فيما عزم عليه، ونودي الصلاة جامعة، وقد أرسل إلى علي فقدم من المدينة، ثم استشارهم فكلهم وافقوه على الذهاب إلى العراق، إلا عبدالرحمن بن عوف فإنه قال له: إني أخشى إن كُسرَت أن تُضعفَ المسلمين في سائر أقطار الأرض، وإني أرى أن

(١) «البداية والنهاية» (٣٥/٧).

(٢) صِرَار: بكسر أوله، موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق. ياقوت، مصدر سابق (٣/٣٩٨).

تبعث رجلاً وترجع أنت إلى المدينة، فاستصوب عمرُ والناسُ عند ذلك رأي ابن عوف .

فقال عمر : فمن ترى أن نبعث إلى العراق؟

فقال : قد وجدته .

قال : ومن هو؟

قال : الأسد في برائته، سعدُ بن مالك الزهري .

فاستجاد قوله، وأرسل إلى سعد، فأمره على العراق<sup>(١)</sup> .

وصايا عمر لسعد<sup>(٢)</sup> ؟

ثم أوصاه فقال له : يا سعد، سعد بن وهيب، لا يَغْرَنك من الله أن قيل خال رسول الله ﷺ وصاحبه، فإن الله لا يمحو السيءَ بالسيءِ، ولكن يمحو السيءَ بالحسن، وإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا بطاعته، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء، الله ربُّهم وهم عباده، يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عند الله بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله ﷺ عليه منذ بُعث إلى أن فارقتنا فألزمه فإنه الأمر، هذه عِظَتِي إياك .

ولما أراد فراقه قال له : إنك ستقدم على أمر شديد، فالصبر الصبر على ما أصابك أو نابك تجتمع لك خشية الله، واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين : في طاعته واجتناب معصيته، وإنما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة، وإنما عصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض

(١) المصدر نفسه (٤٨٢/٣) .

(٢) «البداية والنهاية» (٣٥/٧) .



الآخرة، وللقلوب حقائق يُنشئها الله إنشاءً، منها السُّرّ ومنها العلانية، فأما العلانية فأن يكون حامدُهُ وذامُّهُ في الحق سواءً، وأما السر فيعرفُ بظهور الحكمة من قلبه على لسانه، وبمحبّة الناس، فلا تزهد في التحبب إلى الناس فإن النبيين قد سألوا محبّتهم، وإن الله إذا أحب عبداً حبّبه، وإذا أبغض عبداً أبغضه، فاعتبر منزلتك عند الله بمنزلتك عند الناس<sup>(١)</sup>.

فسار سعد نحو العراق في أربعة آلاف، ثلاثة آلاف من أهل اليمن، وألف من سائر الناس، وقيل في ستة آلاف، وشيعهم عمر من صِرّار إلى الأعوص<sup>(٢)</sup>.

خطبة عمر<sup>(٣)</sup>؟

وقام عمر في الناس خطيباً هنالك فقال: إن الله إنما ضرب لكم الأمثال، وصرّف لكم القول ليحيي به القلوب، فإن القلوب ميتة في صدورها حتى يحيها الله، من عَلِم شيئاً فلينتفع به، وإن للعدل أمارات وتباشير، فأما الأمارات فالحياء والسخاء والهَيِّن واللَّين، وأما التباشير فالرحمة، وقد جعل الله لكل أمر باباً، ويَسَّر لكل باب مفتاحاً، فباب العدل الاعتبار، ومفتاحه الزهد، والاعتبار ذكر الموت والاستعداد بتقديم الأعمال، والزهد أخذ الحق من كل أحدٍ قبله حَقُّ، وتأدية الحق إلى كل أحدٍ له حَقٌّ والاكْتفاء بما يكفيه من الكفاف، فإن لم يكفه

(١) انظر الوصية في «تاريخ الطبري» (٣/٤٨٣) من طريق سيف بن عمر عن شيوخه.

(٢) الأعوص: على طريق العراق، وهو واد في صدر قناة من الشمال وفيه مطار المدينة اليوم. «معجم المعالم الجغرافية»، لعاتق البلادي ص (٣١).

(٣) «البداية والنهاية» (٧/٣٦).

الكفاف لم يُغنه شيء. إني بينكم وبين الله، وليس بيني وبينه أحد، وإن الله قد ألزمني دَفَعَ الدعاء عنه فَأَنْهَوْا شَكَاتِكُمْ إلينا، فمن لم يستطع فإلى من يُبَلِّغُنَاها نأخذ له الحق غير مُتَعَتِّعٍ<sup>(١)</sup>.

وصول سعد إلى العراق ووفاة المثنى<sup>(٢)</sup>؛

ثم سار سعد إلى العراق، ولما انتهى إلى زُرُود<sup>(٣)</sup>، ولم يبق بينه وبين أن يجتمع بالمثنى بن حارثة إلى اليسير، وكل منهما مشتاق إلى صاحبه، انتقض جُرْحُ المثنى بن حارثة الذي كان جُرِحَه يوم الجسر فمات رحمه الله ورضي عنه، واستخلف على الجيش بَشِيرُ بن الخصاصية، ولما بلغ سعد موته ترحم عليه، ثم تزوج بَعْدُ زوجته سلمى؛ ولما وصل سعد إلى محلة الجيوش انتهت إليه رياستها وإمرتها، ولم يبق بالعراق أمير من سادات العرب إلا تحت أمره، وأمدته عمر بأمداد آخر حتى اجتمع معه يوم القادسية ثلاثون ألفاً، وقيل ستة وثلاثين. وقال عمر: والله لأرْمين ملوك العجم بملوك العرب<sup>(٤)</sup>.

ترتيب الجيش<sup>(٥)</sup>؛

كتب عمر إلى سعد أن يجعل الأمراء على الأجناد، والعرفاء على كل عشرة. فعين سعد الأمراء على القبائل، وولّى على الطلائع،

(١) «تاريخ الطبري» (٤٨٥/٣٥) من طريق سيف بن عمر.

(٢) «البداية والنهاية» (٣٦/٧).

(٣) زُرُود: رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة، كانت فيه بركة وقصر وحوض لخدمة الحجاج. ياقوت. مصدر سابق (١٣٩/٣).

(٤) انظر تفاصيل أكثر في «تاريخ الطبري» (٣/٤٨٦-٤٨٧، و(٤٩٠).

(٥) «البداية والنهاية» (٣٦/٧).

والمقدمات، والمجنبات، والساقات، والرجالة، والركبان، كما أمر أمير المؤمنين<sup>(١)</sup>.

المراسلات بين عمر وسعد<sup>(٢)</sup>؟

وبعث عمر كتابه إلى سعد يأمره بالمبادرة إلى القادسية - والقادسية باب فارس في الجاهلية - وأن يكون بين الحَجْر والمَدْر، وأن يأخذ الطرق والمسالك على فارس، وأن ييدرهم بالضرب والشّد، ولا يهولنك كثرة عددهم وعُددهم، فإنهم قوم خَدَعَة مَكْرَة، وإن أنتم صبرتم وأحستم ونويتم رجوت أن تنصروا عليهم، ثم لم يجتمع لهم شملهم أبداً، إلا أن يجتمعوا وليست معهم قلوبهم، وإن كانت الأخرى فارجعوا إلى ما واءكم حتى تصلوا إلى الحَجْر فإنكم عليه أجراً، وإنهم عنه أجبن وبه أجهل، حتى يأتي الله بالفتح عليهم ويرد لكم الكَرَّة<sup>(٣)</sup>.

وأمره بمحاسبة نفسه وموعظة جيشه، وأمرهم بالنية والحِسبة والصبر، فإن النصر يأتي من الله على قدر النية، والأجر على قدر الحِسبة، وسلوا الله العافية، وأكثروا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم<sup>(٤)</sup>.

ولما بلغ سعد العُدَيْب<sup>(٥)</sup> اعترض للمسلمين جيش للفرس مع

(١) المصدر نفسه (٤٨٨/٣).

(٢) المصدر نفسه (٤٨٨/٣).

(٣) المصدر نفسه (٤٩٠/٣).

(٤) المصدر نفسه (٤٩١/٣).

(٥) العُدَيْب: تصغير العذب، وهو: الماء الطيب، وهو ماء على حَدِّ السواد بين

القادسية والمغيثة. ياقوت، مصدر سابق (٩٢/٤).

شيرزاذ بن أزازيه، فغنموا مما معه شيئاً ووقع منهم موقعاً كبيراً، فخمّسها سعدٌ وقسم أربعة أحماسها بين الناس واستبشر الناس بذلك وفرحوا، وتفاءلوا، وأفرد سعد سرية تكون حياطةً لمن معهم من الحرّيم، وجعل على هذه السرية غالب بن عبد الله الليثي<sup>(١)</sup>.

#### مقدمات معركة القادسية:

ثم سار فنزل القادسية، وبث سراياه، وأقام بها شهراً لم ير أحداً من الفرس، فكتب إلى عمر بذلك، والسرايا تأتي بالميرة من كل مكان، فعجّت رعايا الفرس من أطراف بلادهم إلى يزدجرد من الذي يلقون من المسلمين. وقالوا: إن لم تنجدونا وإلا أعطينا ما بأيدينا وسلمنا إليهم الحصون، واجتمع رأي الفرس على إرسال رستم إليهم، فبعث إليه يزدجرد فأمره على الجيش فاستعفى رستم من ذلك، وقال: إن هذا ليس برأي في الحرب، إن إرسال الجيوش بعد الجيوش أشد على العرب من أن يكسروا جيشاً كثيفاً مرة واحدة، فأبى الملك إلا ذلك، فتجهز رستم للخروج، وكان سعد قد بعث كاشفاً إلى الحيرة وإلى صلوبا، فأتاه الخبر بأن الملك قد أمر على الحرب رستم بن الفرخزاذ الأرميني، وأمره بالعسكرة، فكتب سعد إلى عمر بذلك. فكتب إليه عمر:

لا يَكْرُبَنَّكَ ما يَأْتِيكَ عَنْهُمْ، ولا ما يَأْتُونَكَ بِهِ، واستعن بالله وتوكل عليه، وابعث إليه رجالاً من أهل النظر والرأي والجَلَد يدعونه، فإن الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم وفلجاً عليهم، واكتب إليّ في كل يوم.

(١) المصدر نفسه (٣/٤٩٤)، وغالب بن عبد الله الليثي، صحابي. انظر ترجمته في:

«الإصابة» (٥/٣١٥).

ولما اقترب رستم بجيوشه وعسكر بساباط<sup>(١)</sup> كتب سعد إلى عمر يقول: إن رستم قد عسكر بساباط، وجرد الخيول والفيول، وزحف علينا بها، وليس شيء أهم عندي ولا أكثر ذكراً مني لما أحببت أن أكون عليه من الاستعانة والتوكل<sup>(٢)</sup>.

وعبأ رستم جيشه فجعل على المقدمة - وهي أربعون ألفاً - الجالينوس، وعلى الميمنة - وهي ثلاثون ألفاً - الهُرْمُزَان، وعلى الميسرة - وهي ثلاثون ألفاً - مهران بن بهرام، وعلى الساقة البيرزان في عشرين ألفاً، فالجيش كله مائة وعشرين ألفاً.

وفي رواية: كان رستم في مائة وعشرين ألفاً، يتبعها ثمانون ألفاً، وكان معه ثلاثة وثلاثين فيلاً<sup>(٣)</sup>.

بعث الرسل إلى رستم ودعوته للإسلام<sup>(٤)</sup>؛

بعث سعد جماعة من السادات منهم: النعمان بن مقرن، وفرات ابن حيان، وحنظلة بن الربيع التميمي، وعطارد بن حاجب، والأشعث ابن قيس، والمغيرة بن شعبة وعمرو بن معدي كرب، يدعون رستم إلى الله عز وجل. فقال لهم رستم: ما أقدمكم؟ فقالوا: جئنا لموعد الله إيانا، أخذ بلادكم وسبي نسائكم وأبنائكم، وأخذ أموالكم، فنحن على

(١) ساباط: يقال له: ساباط كسرى، وهو موضع بالمدائن. ياقوت، مصدر سابق (١٦٦/٣).

(٢) المصدر نفسه (٤٩٥/٣).

(٣) المصدر نفسه بنحوه (٥٠٥/٣). وانظر: (٥١٦/٣).

(٤) «البداية والنهاية» (٣٨/٧).

يقين من ذلك<sup>(١)</sup>.

ولما دنا جيش رستم من سعد أحب سعدُ أن يَطَّلِعَ على أخبارهم على الجليّة، فبعث رجالاً سرية لتأتيه برجل من الفرس، وكان في السرية طليحة الأسدي الذي كان ادعى النبوة وتاب.

فلما بعث سعد السرية اخترق طليحة الجيوش والصفوف، وتخطى الألوف، وقتل جماعة من أبطال الفرس حتى أسر أحدهم وجاء به لا يملك من نفسه شيئاً، فسأله سعد عن القوم، فجعل يصف شجاعة طليحة، فقال: دعنا من هذا وأخبرنا عن رستم، فقال: هو في مائة وعشرين ألفاً، ويتبعها مثلها<sup>(٢)</sup>. وأسلم الرجل من فوره رحمه الله.

**بعث المغيرة بن شعبة:**

ولما تواجه الجيشان بعث رستم إلى سعد أن يبعث إليه برجل عاقل عالم بما أسأله عنه، فبعث إليه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه. فلما قدم عليه جعل رستم يقول له: إنكم جيراننا وكنا نحسن إليكم، ونكف الأذى عنكم، فارجعوا إلى بلادكم ولا نمنع تجارتكم من الدخول إلى بلادنا. فقال له المغيرة: إنا ليس طلبنا الدنيا، وإنما همُّنا وطلبنا الآخرة، وقد بعث الله إلينا رسولا قال له: إني قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بديني فأنا منتقم بهم منهم، وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به، وهو دين الحق، لا يرغب عنه أحد إلا ذلّ، ولا يعتصم به إلا عَزَّ، فقال له رستم: فما هو؟ فقال: أما عموده الذي لا يصلح

(١) «تاريخ الطبري» (٣/٣٩٦).

(٢) المصدر نفسه (٣/٥١٤).

شيء منه إلا به فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله، فقال: ما أحسن هذا! وأي شيء أيضًا؟ قال: وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله. قال: وحسن أيضًا! وأي شيء أيضًا؟ قال: والناس بنو آدم، فهم أخوة لأب وأم، قال: وحسن أيضًا، ثم قال رستم: رأيت إن دخلنا في دينكم أترجعون عن بلادنا؟ قال: إي والله ثم لا نقرب بلادكم إلا في تجارة أو حاجة. قال: ولما خرج المغيرة من عنده ذأكر رستم رؤساء قومه في الإسلام فأنفوا ذلك وأبوا أن يدخلوا فيه<sup>(١)</sup>.

بعث ربيعي بن عامر:

ثم بعث إليه سعد رسولاً آخر بطلبه، وهو ربيعي بن عامر، فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابي الحرير، وأظهر اليواقيت واللآليء الثمينة، والزينة العظيمة، وعليه تاجه وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل ربيعي بثياب صفيقة، وسيفٍ وترسٍ وفرسٍ قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودزعه وبيضته على رأسه فقالوا له: ضع سلاحك، فقال: إني لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت. فقال رستم: ائذنوا له. فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله بعثنا لنخرج من شاء من عبادة العبادة إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه

(١) المصدر نفسه (٣/٥١٧-٥١٨، ٥٢١-٥٢٣).

ورجعنا عنه، ومن أبي قاتلناه أبداً حتى نُقْضِي إلى موعود الله. قال: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبي، والظفر لمن بقي، فقال رستم: قد سمعت مقاتلكم فهل لكم أن تؤخروا هذا حتى ننظر فيه وتنظروا؟ قال: نعم! كم أحبُّ إليكم؟ يوماً أو يومين؟ قال: لا، بل حتى نكتب أهل رأينا ورؤساء قومنا. فقال: ما سنّ لنا رسول الله ﷺ أن تؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث، فانظر في أمرك وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل، فقال: أسيدهم أنت؟ قال: لا، ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم.

فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال: هل رأيتم قط أعز وأرجح من كلام هذا الرجل فقالوا: معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا، وتدع دينك إلى هذا الكلب، أما ترى إلى ثيابه؟ فقال: ويلكم لا تنظروا إلى الثياب، وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة، إن العرب يستخفون بالثياب والمأكل، ويصنونون الأحساب<sup>(١)</sup>.

بعث حذيفة بن مخصن:

ثم بعثوا يطلبون في اليوم الثالث رجلاً فبعث إليهم حذيفة بن مخصن فتكلم نحو ما قال ربي<sup>(٢)</sup>.

بعث وفد لمقابلة كسرى ودعوته إلى الإسلام<sup>(٣)</sup>؟

وكان سعد قد بعث طائفة من أصحابه إلى كسرى يدعونه إلى الله قبل الواقعة، فاستأذنوا على كسرى، فأذن لهم، وخرج أهل البلد

(١) المصدر نفسه (٣/٥١٩-٥٢١).

(٢) المصدر نفسه (٣/٥٢١)، وابن الجوزي «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٤/١٦٨).

(٣) «البداية والنهاية» (٧/٤١).



ينظرون إلى أشكالهم وأرديتهم على عواتقهم وسياطهم بأيديهم، والنعال في أرجلهم، وخيولهم الضعيفة، وخَبِطُهَا الأرض بأرجلها، وجعلوا يتعجبون منها غاية العجب كيف مثل هؤلاء يقهرون جيوشهم مع كثرة عَدَدِهَا وَعُدَدِهَا!!

ولما استأذنوا على الملك يزدجرد أذن لهم، وأجلسهم بين يديه - وكان متكبراً قليل الأدب - ثم جعل يسألهم عن ملابسهم هذه ما اسمها؟ عن الأردية، والنعال، والسياط، ثم كلما قالوا له شيئاً من ذلك تفاءل، فَرَدَّ اللهُ فَأَلَّهُ على رأسه، ثم قال لهم: ما الذي أقدمكم هذه البلاد؟ أظننتم أنا لما تشاغلنا بأنفسنا اجترأتم علينا؟

فقال له النعمان بن مقرن: إن الله رحمننا فأرسل إلينا رسولا يدلنا على الخير ويأمرنا به، ويعرفنا الشر وينهانا عنه، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة، فلم يَدْعُ إلى ذلك قبيلة إلا صاروا فرقتين: فرقة تقاربه، وفرقة تباعده، ولا يدخل معه في دينه إلا الخواص، فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث، ثم أمر أن ينهد إلى من خالفه من العرب ويبدأ بهم، ففعل فدخلوا معه جميعاً على وجهين، مكره عليه فاغتبط، وطائع إياه فازداد، فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق، وأمرنا أن نبداً بمن يلينا من الأمم، فندعوهم إلى الإنصاف، فنحن ندعوكم إلى ديننا، وهو دين الإسلام حَسَنَ الحسَنِ وَقَبَّحَ القبيح كله، فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه، الجزء (١)، فإن أبيتم فالمناجزة، وإن أجبتكم إلى ديننا خَلَفْنَا فيكم كتاب الله،

وأقمناكم عليه، على أن تحكموا بأحكامه، ونرجع عنكم، وشأنكم  
وبلاذكم، وإن اتقيتمونا بالجزاء قبلنا ومنعناكم، وإلا قاتلناكم.  
قال: فتكلم يزدجرد فقال: إني لا أعلم في الأرض أمة كانت  
أشقى ولا أقل عددًا ولا أسوأ ذات بين منكم، قد كنا نوكل بكم قري  
الضواحي ليكفوناكم، لا تغزوكم فارس، ولا تطمعون أن تقوموا لهم،  
فإن كان عددكم كثر فلا يغرنكم، وإن كان الجهد دعاكم، فرضنا لكم  
قوتًا إلى خضبتكم، وأكرمنا وجوهكم، وكسوناكم، ومَلَكْنَا عليكم مَلِكًا  
يَرْفِقُ بكم.

فأسكت القوم، ثم أجابه المغيرة بن زرارة بن النباش الأسيدي بما  
أسكته، ودعاه إلى دفع الجزية إذا لم يسلم وهو صاغر<sup>(١)</sup>.  
بدء القتال<sup>(٢)</sup>؟

كانت وقعة القادسية وقعة عظيمة، لم يكن بالعراق أعجب منها،  
ولما تواجه الصفان كان سعد رضي الله عنه قد أصابه عِرْقُ النساء،  
ودمامل في جسده، فهو لا يستطيع الركوب، وإنما هو في القصر متكئ  
على صدره فوق وسادة، وهو ينظر إلى الجيش ويدبر أمره، وقد جعل  
أمر الحرب إلى خالد بن عُرْفُطَةَ، وجعل على الميمنة جرير بن عبد الله  
البعجلي، وعلى الميسرة قيس بن مكشوح، وكان قيس والمغيرة بن شعبة  
قد قدما على سعد مددًا من عند أبي عبيدة من الشام بعد ما شهدا وقعة  
اليرموك<sup>(٣)</sup>. فصلى سعد بالناس الظهر ثم خطب الناس فوعظهم وحثهم

(١) انظر: المصدر نفسه (٣/٤٩٨-٥٠١)، وكذا ابن الجوزي، المصدر نفسه (٤/١٦٣).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/٤٣).

(٣) انظر: ابن جرير، المصدر السابق (٣/٥٣٠-٥٧٥).

وتلا قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء]، وقرأ القراء آيات الجهاد وسوره، ثم كبر سعد أربعاً، ثم حملوا بعد الرابعة فاقتتلوا حتى كان الليل فتحاجزوا، وقد قتل من الفرقتين بشر كثير، ثم أصبحوا إلى مواقفهم فاقتتلوا يومهم ذلك وعامة ليلتهم، ثم أصبحوا كما أمسوا على مواقفهم، فاقتتلوا حتى أمسوا، ثم اقتتلوا في اليوم الثالث كذلك حتى أمسوا، وهذه الليلة تسمى ليلة الهرير، فلما أصبح اليوم الرابع اقتتلوا قتالاً شديداً، وقد قاسوا من الفيلة بالنسبة إلى الخيول العربية بسبب نفرتها منها أمراً بليغاً، وقد أباد الصحابة الفيلة ومن عليها، وقلعوا عيونها، وأبلى جماعة من الشجعان في هذه الأيام مثل طليحة الأسدي، وعمرو بن معدي كرب، والقعقاع بن عمرو، وجريز بن عبدالله البجلي، وضرار بن الخطاب، وخالد بن عرفة، وأشكالهم وأضرابهم، فلما كان وقت الزوال من هذا اليوم ويسمى يوم القادسية<sup>(١)</sup>، وكان يوم الاثنين من المحرم سنة أربع عشرة على ما قاله سيف بن عمر التميمي، وقد هبت ريح شديدة فرفعت خيام الفرس عن أماكنها، وألقت سرير رستم الذي هو منصوب له، فبادر فركب بغلته وهرب فأدركه المسلمون فقتلوه وقتلوا الجالينوس مقدم الطلائع الفارسية، وانهزمت الفرس عن

(١) كان قبله ثلاثة أيام ولكل يوم اسم، يوم أرماث، ويوم أغواث، ويوم عماس، وتمسى الليلة التي بعد اليوم الأول: ليلة الهدأة، والليلة التي بعد اليوم الثاني: ليلة السواد، والليلة التي بعد اليوم الثالث: ليلة الهرير، وقد استمر القتال طوال هذه الليلة وسكت الناس فلا يسمع إلا صوت السلاح ثم استمر في اليوم الرابع يوم القادسية، وفيه حاقت الهزيمة المنكرة بالفرس. الطبري (٣/٥٤٧).

بكرة أبيهم، ولحقهم المسلمون في أقبائهم فقتلوا منهم ثلاثين ألفاً، وقُتِلَ في المعركة قبل ذلك عشرة آلاف، وقُتِلَ من المسلمين في هذا اليوم وما قبله من الأيام ألفان وخمسمائة رحمهم الله، وساق المسلمون خلف المنهزمين حتى دخلوا وراءهم مدينة الملك وهي المدائن التي فيها الإيوان الكسروي.

وكان الذي قتل رُستماً هلال بن عُلْفَةَ<sup>(١)</sup> التيمي، والذي قتل الجالينوس زُهْرَةَ بن حويّة السعدي.

وقد كان سعد رضي الله عنه بسبب ما به من القروح وعرق النساء، لم يباشر القتال، لكنه جالس في رأس القصر لشجاعته، ولو فرّ الناس لأخذته الفرس قبضاً باليد، لا يمتنع منهم، وعنده امرأته سلمى بنت خَصَفَةَ<sup>(٢)</sup> التي كانت قبله عند المثنى بن حارثة، فلما فرّ بعض الخيل يومئذ فرغت وقالت: وامُثنيّاه ولا مثنى لي اليوم، فغضب سعد من ذلك ولطم وجهها، فقالت: أغيرة وجُبْنَا<sup>(٣)</sup> - يعني أنها تعيره بجلوسه في القصر يوم الحرب - وهذا عناد منها، فإنها أعلم الناس بعذره وما هو فيه من المرض المانع من ذلك.

شجاعة أبي محجن<sup>(٤)</sup>؟

كان أبو محجن في القصر مسجوناً على الشراب كان قد حُدّ فيه

(١) في الأصل: «علقمة»، والتصحيح من «تاريخ الطبري» (٣/٥٧٦)، وقد أورد الطبري خبر القادسية مفصلاً مطولاً.

(٢) في الأصل: «حفص»، والتصحيح من «تاريخ الطبري» (٣/٥٤٨، ٥٧٠).

(٣) المصدر السابق (٣/٥٧٥).

(٤) «البداية والنهاية» (٧/٤٤).

مرات، فأمر به سعد فقيّد وأودع في القصر، فلما رأى الخيول تجول حول القصر حمي، وكان من الشجعان الأبطال فقال:

كَفَى حَزَنًا أَنْ تَدْحَمَ<sup>(١)</sup> الْخَيْلَ بِالْقَنَا وَأَتَرَكَ مَشْدُودًا عَلَيَّ وَثَاقِيَا  
 إِذَا قُمْتُ عَنَانِي الْحَدِيدُ وَأَغْلَقْتُ مَصَارِيْعُ مِنْ دُونِي تُصِمُّ الْمَنَادِيَا  
 وَقَدْ كُنْتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَإِخْوَةٍ وَقَدْ تَرَكُونِي مَفْرَدًا لَا أَخَا لِيَا  
 ثُمَّ سَأَلَ زِبْرَاءَ أُمِّ وَلَدِ سَعْدٍ أَنْ تَطْلُقَهُ وَتَعْبِرَهُ فَرَسَ سَعْدٍ، وَحَلَفَ لَهَا  
 أَنْ يَرْجِعَ آخِرَ النَّهَارِ فَيَضَعُ رِجْلَهُ فِي الْقَيْدِ فَأَطْلُقْتَهُ، وَرَكِبَ فَرَسَ سَعْدٍ  
 وَخَرَجَ فِقَاتِلَ قِتَالًا شَدِيدًا، وَجَعَلَ سَعْدٌ يَنْظُرُ إِلَى فَرَسِهِ فَيَعْرِفُهَا وَيُنْكِرُهَا  
 وَيَشَبِّهُ بِأَبِي مُحَجَّجٍ وَلَكِنْ يَشُكُّ لَظَنَّهُ أَنَّهُ فِي الْقَصْرِ مَوْثِقٌ، فَلَمَّا كَانَ آخِرَ  
 النَّهَارِ رَجَعَ فَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي قَيْدِهَا، وَنَزَلَ سَعْدٌ فَوَجَدَ فَرَسَهُ يَغْرَقُ.  
 فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَذَكَرُوا لَهُ قِصَّةَ أَبِي مُحَجَّجٍ، فَفَرَضِي عَنْهُ وَأَطْلُقَهُ رَضِيَ اللَّهُ  
 عَنْهُمَا<sup>(٢)</sup>.

كتاب سعد إلى عمر يخبره بالفتح<sup>(٣)</sup>؟

وكتب سعد إلى عمر يخبره بالفتح، وبعده من قتلوا من  
 المشركين، وبعده من قتل من المسلمين، وبعث بالكتاب مع سعد بن  
 عميلة الفزاري وصورته:

أما بعد، فإن الله نصرنا على أهل فارس ومنحناهم، سنن من كان

(١) في «تاريخ الطبري» (٣/٥٤٨، ٥٧٥): تزدي.

(٢) هذه رواية ابن إسحاق كما في تاريخ الطبري (٣/٥٧٥) وذكر رواية أخرى عن سيف (٣/٥٤٨) أن الذي فك قيده سلمى بنت خصفة امرأة سعد. وقال البلاذري في «فتوح البلدان» ص (٣١٧)، والأول - أي: رواية ابن إسحاق - أصح وأثبت.

(٣) «البداية والنهاية» (٧/٤٧).

قبلهم من أهل دينهم، بعد قتال طويل، وزلزال شديد، وقد لقوا المسلمين بعدة لم يرَ الراؤن مثل زُهائِها، فلم ينفَعهم الله بذلك، بل سَلَبَهُمُوه ونقله عنهم إلى المسلمين، واتبَعهم المسلمون على الأنهار، وعلى طفوف الآجام، وفي الفجاج، وأصيب من المسلمين سعد بن عُبَيْد القارِي، وفلان، وفلان، ورجال من المسلمين لا نعلمهم، الله بهم عالم، كانوا يُدَوُّون بالقرآن إذا جَنَّ عليهم الليل كدوي النحل، وهم آساد في النهار لا تشبِهم الأسود، ولم يُفْضَل من مضى منهم من بقي إلا بفضل الشهادة إذ لم تكتب لهم<sup>(١)</sup>.

فيقال: إن عمر قرأ هذه البشارة على الناس فوق المنبر. ثم قال عمر للناس: إني حريص على أن لا أرى حاجة إلا سدَدتها، ما اتسع بعضنا لبعض، فإذا عجز ذلك عنا تأسينا في عيشنا حتى نستوي في الكفاف، ولوددت أنكم علمتم من نفسي مثل الذي وقع فيها لكم، ولست معلِّمكم إلا بالعمل، إني والله لست بملك فاستعبدكم، ولكني عبد الله عَرَضَ عليَّ الأمانة فإن أبيتُها ورددتها عليكم واتبعتكم حتى تشبعوا في بيوتكم وترَوُوا سَعِدْتُ، وإن أنا حملتها واستتبعتها إلى بيتي شَقِيتُ، ففرحت قليلاً وحزنت طويلاً، فبقيت لا أقالُ ولا أَرُدُّ فاستعَبْتُ<sup>(٢)</sup>.

وقال سيف عن شيوخه: وكانت العرب من العُدَيْبِ إلى عَدَنَ أْبِينِ<sup>(٣)</sup>، ومن الأبلَّة إلى إيليا يتربصون وقعة القادسية هذه، يرون أن

(١) المصدر السابق (٣/٥٨٣) من طريق سيف بن عمر.

(٢) المصدر نفسه (٣/٥٨٤).

(٣) عدن أبين: المراد مدينة عدن المشهورة في اليمن، وأبين - بوزن أحمر -: مخلاف باليمن فيه مدينة عدن، وقيل: اسم موضع في جبل عدن، وقيل: اسم لمدينة =

ثبات ملكهم وزواله بها، وقد بعث أهل كل بلدة قاصداً يكشف ما يكون من خيبرهم<sup>(١)</sup>.

وقد كانت بلاد العراق بكمالها التي فتحها خالد نقضت العهود والذمم والمواثيق التي كانوا أعطوها خالدًا، سوى أهل بَانِقِيَا وبارُسُما، وأهل أليس الآخرة، ثم عاد الجميع بعد هذه الواقعة. بعث عتبة بن غزوان إلى البصرة<sup>(٢)</sup>؟

قال ابن جرير: وفي سنة أربع عشرة بعث عمر بن الخطاب، عتبة ابن غزوان إلى البصرة، وأمره أن ينزل فيها بمن معه من المسلمين، وقطع مادة أهل فارس عن الذين بالمدائن ونواحيها<sup>(٣)</sup>.

قال: وزعم سيف أن البصرة إنما مُصرت في ربيع من سنة ست عشرة<sup>(٤)</sup>، وأن عتبة بن غزوان إنما خرج إلى البصرة من المدائن بعد فراغ سعد من جلولاء وتكريت، وجهه إليها سعد بأمر عمر رضي الله عنهم<sup>(٥)</sup>. وقد وصل عتبة إلى أرض البصرة في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً،

= عدن. ياقوت، مصدر سابق (١/٨٦)، وابن الأثير، «النهاية في غريب الحديث»

(١/٢٠)، وإيليا هي: مدينة بيت المقدس.

(١) ابن جرير، المصدر السابق (٣/٥٨٣).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/٤٧).

(٣) الرواية التي اعتمدها الطبري هي رواية المدائني عن أبي مخنف (٣/٥٩٠)، وتابعه على ذلك الحافظ ابن كثير كما ترى.

(٤) قد رجح الدكتور يحيى بن إبراهيم اليحيى في رسالته العلمية، «مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري» ص (١٥٨) رواية سيف بن عمر، وذكر خمسة مرجحات لذلك فراجعها إن شئت.

(٥) انظر: تاريخ الطبري (٣/٥٩٠).

وسار إليه من الأعراب ما كَمَل معه خمسمائة، فنزلها، والبصرة يومئذ تدعى أرض الهند فيها حجارة بيض خشنة، وجعل يرتاد لهم منزلاً حتى جاءوا حيال الجسر الصغير فإذا فيه حلفاء وقَصَبُ نابت، فنزلوا<sup>(١)</sup>. فركب إليهم صاحب الفرات في أربعة آلاف من الأساورة فالتقاه عتبة بعد ما زالت الشمس، وأمر أصحابه فحملوا عليه فقتلوا الفرس عن آخرهم، وأسروا صاحب الفرات، وقام عتبة خطيباً فقال في خطبته: إن الدنيا قد آذنت بَصْرُم<sup>(٢)</sup>، وولت حِذَاء<sup>(٣)</sup>، ولم يبق منها إلا صُبَابَةُ الإِنَاء<sup>(٤)</sup>، وإنكم منتقلون منها إلى دار القرار، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم، فقد ذَكَرَ لي لو أن صخرة أُلقيت من سفير جهنم هوت سبعين خريفاً ولتُمْلَأَتْه، أو عجبتم؟ ولقد ذَكَرَ لي أن ما بين مِصْرَاعَيْنِ من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً، وليأتين عليه يوم وهو كَظِيظ<sup>(٥)</sup> من الزحام، ولقد رأيتني وأنا سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق السَّمُر، حتى تفرحت أشداقنا، والتقطت برودة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك، فما منا من أولئك السبعة من أحد إلا هو أمير على مصر من الأمصار، وستَجْرُبُونَ الناسَ بعدنا. وهذا الحديث في صحيح مسلم<sup>(٦)</sup> بنحو من هذا السياق.

(١) المصدر السابق (٣/٥٩١).

(٢) الصَّرْم: الانقطاع والذهاب.

(٣) حِذَاء: مسرعة.

(٤) صِبَابَةُ الإِنَاء: البقية اليسيرة.

(٥) كَظِيظ: ممتلئ.

(٦) الخبر ونص الخطبة عند الطبري (٣/٥٩١-٥٩٢)، وساقه بإسناده من طريق شيخه =



وروى علي بن محمد المدائني: أن عمر كتب إلى عتبة بن غزوان حين وجهه إلى البصرة: يا عتبة إني استعملتك على أرض الهند وهي حومة العدو، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها، وأن يعينك عليها، وقد كتبتُ إلى العلاء بن الحضرمي بمدك بعرفجة بن هرثمة. فإذا قدم عليك فاستشره وقربه، وادع إلى الله، فمن أجابك فاقبل منه، ومن أبى فالجزية عن صغار وذلة، وإلا فالسيف في غير هوادة، واتق الله فيما وُلّيت، وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبر فتفسد عليك آخرتك<sup>(١)</sup>، وقد صحبت رسول الله ﷺ فعززت بعد الذلة، وقويت بعد الضعف، حتى صرت أميراً مسلطاً، وملياً مطاعاً، تقول فيسمع منك، وتأمّر فيطاع أمرك، فيالها نعمة، إن لم ترفعك فوق قدرك، وتبترك على من دونك، احتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية، ولهي أخوفهما عندي عليك أن تستدرجك وتخدعك، فتسقط سقطة تصير بها إلى جهنم، أعيذك بالله ونفسي من ذلك، إن الناس أسرعوا إلى الله حتى رُفعت لهم الدنيا، فأرادوها، فأرد الله ولا تُرد الدنيا، واتق مصارع الظالمين<sup>(٢)</sup>.

وقد فتح عتبة الأبلّة في رجب أو شعبان من السنة الرابعة عشر<sup>(٣)</sup>.

= محمد بن بشار، والخطبة في صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفائق حديث رقم (٢٩٦٧) بنحو هذا السياق كما قال المصنف.

(١) عند الطبري: «إخوتك».

(٢) الخبر في المصدر السابق (٥٩٣/٣).

(٣) المصدر نفسه (٥٩٤/٣) وهذا هو الفتح الثاني بعد فتح خالد لها، حيث انتقضت فأعيد فتحها.

ولما مات عتبة بن غزوان<sup>(١)</sup> في هذه السنة استعمل عمر على البصرة المغيرة بن شعبة سنتين، ثم عزله وولّى عليها أبا موسى الأشعري رضي الله عنه.

### التمهيد لفتح المدائن<sup>(٢)</sup>؟

قال ابن جرير: وفي سنة خمس عشرة كانت بين المسلمين وفارس وقعات كثيرة في قول سيف بن عمر<sup>(٣)</sup>.

وقد بعث عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص يأمره بالمشير إلى المدائن، وأن يخلف النساء والعيال بالعتيق<sup>(٤)</sup> في خيل كثيرة كثيفة<sup>(٥)</sup>. فلما فرغ سعد من القادسية بعث على المقدمة زهرة بن حوية، ثم أتبعه بالأمرء واحدًا بعد واحد، ثم سار في الجيوش، وقد جعل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص على خلافته، مكان خالد بن عرفة، وجعل خالدًا هذا على الساقة، فساروا في خيول عظيمة، وسلاح كثير، وذلك لأيام بقين من شوال من هذه السنة، فنزلوا الكوفة، وارتحل زهرة

(١) وردت عدة روايات في تاريخ وفاة عتبة بن غزوان أكثرها على أنها سنة سبع عشرة، وقيل: سنة أربع عشرة، وقيل: خمسة عشر، وقيل: عشرين، وقال الخطيب البغدادي: والأشبه بالصواب أن عتبة مات سنة سبع عشرة لأن المدائن فتحت سنة ست عشرة، ثم مصرت البصرة بعد ذلك ونزلها المسلمون. (تاريخ بغداد ١٥٦/١-١٥٧).

قلت: على هذا يترجح القول بأن تمصير البصرة كان سنة ست عشرة.

(٢) «البداية والنهاية» (٦٠/٧).

(٣) انظر: «تاريخ الرسل والملوك» (٦١٨/٣).

(٤) في الأصل: العتيق، والتصحيح من «تاريخ الطبري» (٦١٨/٣). وهو اسم مكان.

(٥) انظر: الطبري، المصدر السابق (٦١٨/٣).

بين أيديهم نحو المدائن، فلقيه بَصْبُهْرِي في جيش من فارس فهزمهم زُهْرَةُ<sup>(١)</sup>.

وقعة بابل<sup>(٢)</sup>؛

بعث زُهْرَةُ بن حُوَيْة إلى سعد فأعلمه باجتماع المنهزمين من الفرس ببابل، فسار سعد بالجيوش إلى بابل، فتقابل هو والفيروزان عند بابل فهزمهم كأسرع من لَفَّه الرداء، وانهزموا بين يديه فرتقين، فرقة ذهبت إلى المدائن، وأخرى سارت إلى نهاوند، وأقام سعد ببابل أيامًا<sup>(٣)</sup>.

وقعة كوثي<sup>(٤)</sup>؛

سار سعد بالجيوش نحو المدائن، فلقوا جمعًا آخر من الفرس عند مكان يقال له كوثي<sup>(٥)</sup> فاقتتلوا قتالًا شديدًا وبارزوا أمير الفرس، وهو شَهْرِيَار، فبرز إليه رجل من المسلمين يقال له: نَائِلُ الأَعْرَجِي، أبونبّاة من شجعان بني تميم، فتجاولا ساعة بالرماح، ثم ألقياها، فانتضيا سيفيهما وتصاولا بهما، ثم تعانقا وسقطا عن فرسيهما إلى الأرض، فوقع شَهْرِيَار على صدر أبي نبّاة، وأخرج خنجرًا ليذبحه بها، ف وقعت أصبعه في فم أبي نبّاة فقضمها حتى شغله عن نفسه، وأخذ

(١) المصدر نفسه (٦١٩/٣).

(٢) «البداية والنهاية» (٦٠/٧).

(٣) «تاريخ الرسل والملوك» (٦٢٠/٣).

(٤) «البداية والنهاية» (٦٢٠/٣).

(٥) كوثي: موضع بسواد العراق بأرض بابل، وهي: سُرة السواد. ياقوت، مصدر

سابق (٤٨٧/٤).

الخنجر فذبح شهريار بها وأخذ فرسه وسواريه وسَلَبه، وانشكف أصحابه فهزموه، فأقسم سعد على نائل ليلبسن سواري شهريار وسلاحه، وليركبن فرسه إذا كان حرب فكان يفعل ذلك. قالوا: وكان أول من تسور بالعراق<sup>(١)</sup>.

وقعة بَهْرَسِير سنة (١٦هـ)<sup>(٢)</sup>؛

استهلت السنة السادسة عشرة وسعد بن أبي وقاص منازل مدينة بَهْرَسِير<sup>(٣)</sup>، وهي إحدى مدينتي كسرى مما يلي دجلة من الغرب، وكان قدوم سعد إليها في ذي الحجة من سنة خمس عشرة، واستهلت هذه السنة وهو نازل عندها، وامتنعت بَهْرَسِير من سعد أشد الامتناع، وقد بعث إليهم سعد سلمان الفارسي فدعاهم إلى الله عزوجل أو الجزية أو المقاتلة، فأبوا إلا المقاتلة والعصيان، ونصبوا المجانيق والدبابات، وأمر سعد بعمل المجانيق فعملت عشرين مَنَجْنِيقًا، ونُصِبَت على بَهْرَسِير، واشتد الحصار وكان أهل بَهْرَسِير يخرجون فيقاتلون قتالاً شديداً ويحلقون أن لا يفروا أبداً، فأكذبهم الله وهزمهم زُهْرَةُ بن حُوَيَّة بعد ما أصابه سهم، وقتل بعد مُصَابِه كثيراً من الفرس وفروا بين يديه ولجأوا إلى بلدهم، فكانوا يُحاصِرُونَ فيه أشد الحصار، وقد انحصر

(١) انظر: «تاريخ الرسل والملوك» (٣/٦٢١).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/٦٣).

(٣) في الأصل: «نهر شير»، والتصحيح من «تاريخ الرسل والملوك» (٣/٦٢٢)، و«معجم البلدان» (١/٥١٥). وقد ضبطها ياقوت: بالفتح ثم الضم، وفتح الراء وكسر السين المهملة، وياء ساكنة، وراء وقال: هي من نواحي سواد بغداد، قرب المدائن في غربي نهر دجلة.

أهل البلد حتى أكلوا الكلاب والسنانير، فرحلوا من البلد إلى المدائن، ثم أمر سعد الناس بالرحيل من هنالك إلى المدائن، فجازوا في السفن وبينهما دجلة، وهي قريبة منها جدًا، ولما دخل المسلمون بهرسير لاح لهم القصر الأبيض من المدائن، وهو قصر الملك الذي ذكر الرسول ﷺ أن سيفتحة الله على أمته<sup>(١)</sup>، فكان أول من رآه من المسلمين ضرار بن الخطاب<sup>(٢)</sup>، فقال: الله أكبر أبيض كسرى، هذا ما وعدنا الله ورسوله، ونظر الناس إليه فتتابعوا التكبير إلى الصبح<sup>(٣)</sup>.

فتح المدائن سنة ١٦هـ<sup>(٤)</sup>!

لما فتح سعد بهرسير واستقر بها، وذلك في صفر سنة ست عشرة لم يجد فيها أحدًا ولا شيئًا مما يغنم، بل قد تحولوا بكمالهم إلى المدائن، وركبوا السفن وضموها إليهم، ولم يجد سعد رضي الله عنه شيئًا من السفن وتعذر عليه تحصيل شيء منها بالكلية، وقد زادت دجلة زيادة عظيمة واسود ماؤها ورمت بالزبد من كثرة الماء بها، وأخبر سعد بأن كسرى يزدرج عازم على أخذ الأموال والأمتعة من المدائن إلى حلوان، وأنك إن لم تدركه قبل ثلاث فات عليك وتفارط الأمر<sup>(٥)</sup>.

(١) يشير إلى الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لنفتحن عصابة من المسلمين أو من المؤمنين كنز آل كسرى الذي في الأبيض». «صحيح مسلم» (٢٣٧/٤) برقم (٢٩١٩).

(٢) هو ضرار بن الخطاب بن مرداس القرشي الفهري، له صحبة وكان فارسًا شاعرًا. انظر ترجمته في: «الإصابة» (٤٨٣/٣).

(٣) انظر: «تاريخ الرسل والملوك» (٦٢٢/٣)، و(٨-٥/٤).

(٤) «البداية والنهاية» (٦٤/٧).

(٥) «تاريخ الرسل والملوك» (٨/٤، ١٠).

عبور المسلمين نهر دجلة من غير سفن<sup>(١)</sup>!

خطب سعد المسلمين على شاطئ دجلة، فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون إليه معه، وهم يخلصون إليكم إذا شأؤوا، فيناوشونكم في سفنهم، وليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتوا منه، وقد رأيت أن تبادروا جهاد العدو بيناتكم قبل أن تحصركم الدنيا، ألا أني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم، فقالوا جميعاً: عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل<sup>(٢)</sup>.

عبور كتيبة الأهوال:

ندب سعد الناس إلى العبور وقال: من يبدأ فيحمي لنا الفراض - يعني ثغرة المخاضة من الناحية الأخرى - ليجوز الناس إليهم آمنين، فانتدب عاصم بن عمرو، وذووا البأس قريب من ستمائة، فأمر سعد عليهم عاصم ابن عمرو فوقفوا على حافة دجلة، فقال عاصم: من ينتدب معي لنكون قبل الناس دخولاً في هذا البحر فنحمي الفراض من الجانب الآخر؟ فانتدب له ستون من الشجعان المذكورين، والأعاجم وقوفاً صفوفاً من الجانب الآخر، فتقدم رجل من المسلمين وقد أحجم الناس عن الخوض في دجلة، فقال: أتخافون من هذه التُّطفة؟ ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنَبَأً مُّوجَّلاً﴾ [آل عمران: ١٤٥]، ثم أقحم فرسه فيها واقتحم الناس، وقد افترق الستون فرقتين، أصحاب الخيل الذكور وأصحاب الخيل الإناث. فلما رأهم

(١) «البداية والنهاية» (٧/٦٤).

(٢) «تاريخ الرسل والملوك» (٩/٤).

الفرس يَطْفُون على وجه الماء قالوا: ديوانا، ديوانا، يقولون: مجانين<sup>(١)</sup>. ثم قالوا: والله ما تقاتلون إنسًا بل تقاتلون جنًا. ثم أرسلوا فرسانًا منهم في الماء يلتقون أول المسلمين ليمنعوهم من الخروج من الماء، فأمر عاصم بن عمرو أصحابه أن يشرعوا لهم الرماح ويتوخوا الأعين، ففعلوا ذلك بالفرس فقلعوا عيون خيولهم، فرجعوا أمام المسلمين لا يملكون كف خيولهم حتى خرجوا من الماء، واتبعهم عاصم وأصحابه فساقوا وراءهم حتى طردوهم، ووقفوا على حافة الدجلة مكانهم، ونزل بقية أصحاب عاصم من الستمائة في دجلة فخاضوها حتى وصلوا إلى أصحابهم فقاتلوا معهم حتى نفوا الفرس عن ذلك الجانب، وكانوا يسمون هذه الكتيبة كتيبة الأهوال، وأميرها عاصم بن عمرو<sup>(٢)</sup>.

عبور بقية الجيش:

نزل سعد إلى نهر دجلة ببقية الجيش، وذلك حين نظروا إلى الجانب الآخر قد تحصن بمن حصل فيه من الفرسان المسلمين، وقد أمر سعد المسلمين عند دخول الماء أن يقولوا: نستعين بالله ونتوكل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ثم اقتحم بفرسه واقتحم الناس لم يتخلف عنه أحد، فساروا فيها كأنما يسيرون على وجه الأرض، حتى ملؤوا ما بين الجانبين فلا يرى وجه الماء من الفرسان والرجالة، وجعل الناس يتحدثون على وجه الماء كما

(١) في «تاريخ الرسل والملوك» (١٤/٤) جعلوا يقولون بالفارسية: «ديوان آمد»، وفسرها في الهامش يعني: «قد جاء الشيطان».

(٢) المصدر نفسه (١٤-٩/٤).

يتحدثون على وجه الأرض، وذلك لما حصل لهم من الطمأنينة والأمن والوثوق بأمر الله ووعدته ونصرته وتأييده، ولأن أميرهم سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وقد توفي رسول الله ﷺ وهو عنه راض، ودعا له. فقال: «اللهم اجب دعوته، وسدد رميته»<sup>(١)</sup>. والمقطوع به أن سعدًا دعا لجيشه في هذا اليوم بالسلامة والنصر، وقد رمى بهم في هذا اليم فسددهم الله وسلمهم، فلم يُفقد من المسلمين رجلٌ واحدٌ، ولم يعدم للمسلمين شيء من أمتعتهم غير قدح من خشب لرجل يقال له: مالك بن عامر، كانت علاقته رثته فأخذه الموج، فدعا صاحبه الله عزوجل، وقال: اللهم لا تجعلني من بينهم يذهب متاعي. فرده الموج إلى الجانب الآخر على مثل النشز المرتفع فيقف عليه فيستريح، وحتى أن بعض الخيل ليسير وما يصل الماء إلى حزامها. وكان يومًا عظيمًا وأمرًا هائلًا، وخطبًا جليلاً، وخارقًا باهرًا، ومعجزة لرسول الله ﷺ، خلقها الله لأصحابه لم ير مثلها في تلك البلاد، ولا في بقعة من البقاع، سوى قضية العلاء بن الحضرمي، بل هذا أجل وأعظم، فإن هذا الجيش كان أضعاف ذلك.

وكان الذي يساير سعد بن أبي وقاص في الماء سلمان الفارسي، فجعل سعد يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، والله لينصرن الله وليه وليظهرن الله دينه، وليهزمن الله عدوه، إن لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات. فقال له سلمان: إن الإسلام جديد، ذلت لهم والله البحور كما ذلَّ لهم البر، أما والذي نفس سلمان بيده ليخرجن منه

(١) انظر: «فضائل الصحابة للإمام أحمد» (٢/٧٥٠) حديث رقم (١٣٠٨، ١٣٠٩).



أفواجًا كما دخلوا أفواجًا. فخرجوا منه كما قال سلمان لم يغرق منهم أحد، ولم يفقدوا شيئًا.

وقد قال أبو بؤجيد نافع بن الأسود<sup>(١)</sup> في ذلك:

وأملنا على المدائن خيلاً بخرها مثل برهن أريضا  
فانتثنا خزائن المرء كسرى يوم ولوا وحاص منا جريضا  
دخول المسلمين المدائن وفرار الفرس<sup>(٢)</sup>؟

ولما استقل المسلمون على وجه الأرض خرجت الخيول تنفض أعرافها صاهلة، فساقوا وراء الأعاجم حتى دخلوا المدائن، فلم يجدوا بها أحدًا؛ بل قد أخذ كسرى أهله وما قدروا عليه من الأموال والأمتعة والحواصل وتركوا ما عجزوا عنه من الأنعام، والثياب، والمتاع، والآنية، والألطف، والأدهان ما لا يدري قيمته، وكان في خزانة كسرى ثلاثة آلاف ألف ألف دينار<sup>(٣)</sup>، فأخذوا من ذلك ما قدروا عليه وتركوا ما عجزوا عنه وهو مقدار النصف من ذلك أو ما يقاربه.

فكان أول من دخل المدائن كتيبة الأهوال، ثم الكتيبة الخرساء، فأخذوا في سككها لا يلقون أحدًا، ولا يخشونه غير القصر الأبيض ففيه

(١) انظر ترجمته في: «الإصابة» (٦/٤٨٩)، و«الشعر في تاريخ الرسل والملوك» (٤/١٠). ومعنى حاص: أي أفلت، والجريض: المفلت بعد شراً والذي يغص بريقه.

(٢) «البدية والنهاية» (٧/٦٦).

(٣) أي ثلاثة آلاف بليون دينار، وفي «تاريخ الرسل والملوك» (٤/١٠، ١١)، ثلاثة آلاف ألف ألف، مرتين وذكر محقق الكتاب أن في بعض النسخ المخطوطة «ثلاث مرات»، ويرى أن الثالثة مقحمة.

مقاتلة وهو مُحَصَّن .

فلما جاء سعد بالجيش دعا أهل القصر الأبيض ثلاثة أيام على لسان سلمان الفارسي ، فلما كان اليوم الثالث نزلوا منه ، وسكنه سعد واتخذ الإيوان مُصَلًى ، وحين دخله تلا قوله تعالى : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ وَزُرُوعٍ وَمَقَارٍ كَرِيمٍ ۖ ﴾ (٢٦) وَنَعَمَ كَانُوا فِيهَا فَكِيهِينَ ﴿ ٢٧ ﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءآخَرِينَ ﴿ ٢٨ ﴾ [الدخان] ثم تقدم إلى صدره فصلى ثمان ركعات صلاة الفتح<sup>(١)</sup> ، وذكر سيف في روايته أنه صلاها بتسليمة واحدة ، وأنه جمع بالإيوان في صفر من هذه السنة ، فكانت أول جمعة أقيمت بالعراق<sup>(٢)</sup> ، وذلك لأن سعدًا نوى الإقامة بها .

وبعث إلى العيالات فأنزلهم دور المدائن واستوطنوها ، حتى فتحوا جَلُولَاءَ ، وَتَكَرَّيْتِ ، وَالْمَوْصِلَ ، ثم تحولوا إلى الكوفة بعد ذلك<sup>(٣)</sup> .

وقد أرسل سعد السرايا في إثر كسرى يزدجرد فلحقوا طائفة منهم ، فقتلوهم وشردوهم ، واستلبوا منهم أموالاً عظيمة ، وأكثر ما استرجعوا من ملابس كسرى وتاجه وحليته .

(١) ثبت أن رسول الله ﷺ صلى يوم فتح مكة ثمان ركعات في بيت أم هانئ كما في البخاري ، كتاب الجزية والموادعة ، باب أمان النساء وجوارهن (٢٧٣/٦) من فتح الباري) ، وانظر : «زاد المعاد» لابن القيم (٤١٠/٣) ، وترجيحه بأنها صلاة الفتح وليست صلاة الضحى .

(٢) راجع : «تاريخ الرسل والملوك» (١٦/٤) .

(٣) المصدر نفسه (٢١/٤) .

### تحصيل الغنائم<sup>(١)</sup>؛

وشرع سعد في تحصيل ما هنالك من الأموال والحواصل والتحف، مما لا يُقَوِّم، ولا يُحَدِّد، ولا يوصف كثرة وعظمة. وقد روينا أنه كان هناك تماثيل من جص فنظر سعد إلى أحدها وإذا هو يشير بأصبعه إلى مكان، فقال سعد: إن هذا لم يوضع هكذا سدى، فأخذوا ما يسامت أصبعه فوجدوا قبالتها كنزاً عظيماً من كنوز الأكاسرة الأوائل، فأخرجوا منه أموالاً عظيمة جزيلة وحواصل باهرة، وتحفاً فاخرة، واستحوذ المسلمون على ما هنالك أجمع مما لم يرَ أحد في الدنيا أعجب منه<sup>(٢)</sup>.

### وصف تاج كسرى:

وكان في جملة ذلك تاج كسرى وهو مكلل بالجواهر النفيسة التي تحير الأبصار، ومِنْطَقَتُهُ، وسيفُهُ، وسوارُهُ، وقباؤُهُ، وبساط إيوانه، وكان مربعاً ستون ذراعاً في مثلها من كل جانب، وهو منسوج بالذهب واللآلئ والجواهر الثمينة، وفيه مصور جميع ممالك كسرى، بلاده بأنهارها وقلاعها، وأقاليمها، وكنوزها، وصفة الزروع والأشجار التي في بلاده. فكان إذا جلس على كرسي مملكته ودخل تحت تاجه، وتاجه معلق بسلاسل من الذهب؛ لأنه لا يستطيع أن يُقَلِّه على رأسه لِثِقَلِهِ؛ بل كان يجيء فيجلس تحته ثم يدخل رأسه تحت التاج وسلاسل الذهب تحمله عنه، وهو يستره حال لُبْسِهِ، فإذا رُفِعَ الحجابُ عنه خَرَّتْ له

(١) «البداية والنهاية» (٦٦/٧).

(٢) «تاريخ الرسل والملوك» (١٦/٤).

الأمراء سجدًا، وعليه المنطقة والسواران والسيف والقباء المرصع بالجواهر، فينظر في البلدان واحدة، واحدة، فيسأل عنها ومن فيها من النواب، وهل حدث فيها شيء من الأحداث؟ فيخبره بذلك ولالة الأمور بين يديه، ثم ينتقل إلى الأخرى، وهكذا حتى يسأل عن أحوال بلاده في كل وقت لا يهمل أمر المملكة، وقد وضعوا هذا البساط بين يديه تذكيرًا له بشأن الممالك. وهو إصلاح جيد منهم في أمر السياسية.

فلما جاء قدر الله زالت تلك الأيدي عن تلك الممالك والأراضي وتسلمها المسلمون من أيديهم قسرًا، وكسروا شوكتهم عنها وأخذوها بأمر الله صافية ضافية، والله الحمد والمنة.

وقد جعل سعد بن أبي وقاص على الأقباض عمرو بن أبي عمرو المزني<sup>(١)</sup>، فكان أول ما حصل ما كان في القصر الأبيض ومنازل كسرى، وسائر دور المدائن، وما كان بالإيوان مما ذكرنا، وما يفد من السرايا الذين في صحبة زهرة بن حويّة، وكان فيما ردّ زهرة بغلّ كان قد أدركه وغصبه من الفرس، وكانت تحوطه بالسيوف فاستنقذه منهم، وقال: إن لهذا لشأنا، فرده إلى الأقباض، وإذا عليه سفطان فيهما ثياب كسرى وحلية ولبسه الذي كان يلبسه على السرير، وبغل آخر عليه تاجه في سفطين ردا من الطريق مما استلبه أصحاب السرايا، وكان فيما ردّت السرايا أموال عظيمة، وفيها أكثر أثاث كسرى وأمتعته، والأشياء النفيسة التي استصحبوها معهم، فلحقهم المسلمون فاستلبوها منهم، ولم تقدر الفرس على حمل البساط لثقله عليهم، ولا حمل كل الأموال لكثرتها،

(١) انظر ترجمته في الإصابة (٤/٦٦٤).

فقد كان المسلمون يجيئون بعض الدور فيجدون البيت ملآنًا إلى أعلاه من أواني الذهب والفضة، ويجدون من الكافور شيئًا كثيرًا، فيحسبونه ملحًا، وربما استعمله بعضهم في العجين فوجده مرًا حتى تبينوا أمره، فتحصل من الفيء على أمر عظيم من الأموال<sup>(١)</sup>.

وشرع سعد فخمسه وأمر سلمان الفارسي<sup>(٢)</sup> فقسم الأربعة الأخماس بين الغانمين، فحصل لكل واحد من الفرسان اثني عشر ألفًا، وكانوا كلهم فرسانًا، ومع بعضهم جنائب<sup>(٣)</sup>.

بعث الخمس وبعض التحف إلى عمر:

واستوهب سعد أربعة أخماس البساط ولبس كسرى من المسلمين، ليبعته إلى عمر والمسلمين بالمدينة لينظروا إليه ويتعجبوا منه، فطيبوا له ذلك وأذنوا فيه، فبعته سعد إلى عمر مع الخمس مع بشير بن الحصاصية، وكان الذي بشر بالفتح قبله خنيس بن فلان الأسدي<sup>(٤)</sup>، فروينا أن عمر لما نظر إلى ذلك قال: إن قومًا أدوا هذا لأمناء، فقال له علي بن أبي طالب: إنك عفت رعتك، ولو رعت لرعت<sup>(٥)</sup>. ثم قسم عمر ذلك في المسلمين فأصاب عليًا قطعة من البساط فباعها

(١) الطبري، المصدر السابق (١٧/٤-١٩).

(٢) في «تاريخ الرسل والملوك» (٢٠/٤) أن الذي تولى قسم الغنائم سلمان بن ربيعة الباهلي.

(٣) الجنائب: الإبل.

(٤) المصدر نفسه (٢٢/٤).

(٥) المصدر نفسه (٢٠/٤).

بعشرين ألفاً<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر سيف بن عمر أن عمر بن الخطاب ألبس ثياب كسرى لخشبه ونصبها أمامه ليرى ما في هذه الزينة من العجب، وما عليها من زهرة الحياة الفانية<sup>(٢)</sup>.

وقد رُوينا أن عمر ألبس سواري كسرى لسراقة بن مالك بن جعشم أمير بني مدلج رضي الله عنه. وقد ذكر الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة: أن عمر بن الخطاب أتى بفروة كسرى فوضعت بين يديه وفي القوم سراقة بن مالك بن جعشم، قال: فألقى إليه سواري كسرى بن هرمز فجعلهما في يده، فبلغا منكبيه فلما رأهما في يدي سراقة قال: الحمد لله الذي جعل سواري كسرى بن هرمز، في يدي سراقة بن مالك بن جعشم، أعرابي من بني مدلج. وذكر الحديث. هكذا ساقه البيهقي<sup>(٣)</sup>.

ثم حكى عن الشافعي أنه قال: وإنما ألبسهما سراقة لأن رسول الله ﷺ قال لسراقة - ونظر في ذراعيه -: «كأنني بك وقد ألبست سواري كسرى». قال الشافعي: وقد قال عمر لسراقة حين ألبسه سواري كسرى: قل الله أكبر. فقال: الله أكبر. ثم قال: قل الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز، وألبسهما سراقة بن مالك، أعرابي من بني مدلج<sup>(٤)</sup>.

(١) المصدر نفسه (٢٢/٤).

(٢) المصدر نفسه (٢٣/٤).

(٣) «دلائل النبوة» (٣٢٥/٦) عن الحسن البصري.

(٤) المصدر السابق (٣٢٥/٦)، وذكره في «الإصابة» (٤٢/٣)، من طريق ابن عيينة =

ثم قال عمر: اللهم إنك منعت هذا رسولك ونبيك، وكان أحب إليك مني وأكرم عليك مني، ومنعته أبابكر وكان أحب إليك مني، وأكرم عليك مني، وأعطيتنيه فأعوذ بك أن تكون أعطيتنيه لتمكر بي. ثم بكى حتى رحمه من كان عنده. ثم قال لعبدالرحمن بن عوف: أقسمتُ عليك لما بعثته ثم قسمته قبل أن تُمسي.

وقعة جُلُولَاء سنة (١٦هـ) (١)؛

لما سار كسرى يزدجرد بن شهريار من المدائن هاربًا من حُلُوان<sup>(٢)</sup>، شرع في أثناء الطريق في جمع رجال وأعوان وجنود، من البلدان التي هنالك، فاجتمع إليه خلق كثير من الفرس، وأمر على الجميع مهران، وسار كسرى إلى حُلُوان، فأقام الجَمْعُ الذي جمعه بينه وبين المسلمين في جُلُولَاء<sup>(٣)</sup>، فكتب سعد إلى عمر يخبره بذلك، فكتب إليه عمر أن يقيم هو بالمدائن ويبعث ابن أخيه هاشم بن عتبة أميرًا على الجيش الذي يبعثه إلى كسرى، ويكون على المقدمة القعقاع بن عمرو، وعلى الميمنة سِغْر<sup>(٤)</sup> بن مالك، وعلى الميسرة أخوه، عمرو بن

= عن الحسن البصري مرسلًا.

(١) «البداية والنهاية» (٦٩/٧).

(٢) حُلُوان: بالضم ثم السكون، وهي مدينة عامرة في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد. ياقوت، مصدر سابق (٢٩٠/٢).

(٣) جُلُولَاء: طسوج من طساسيج السواد في طريق خراسان، سميت جُلُولَاء بعد هزيمة الفرس فيها وكثرة القتلى حتى جُلُّوا وجه الأرض. المصدر نفسه (١٥٦/٢).

(٤) في الأصل: «سعد»، والتصحيح من «تاريخ الطبري» (٢٤/٤). وانظر ترجمته في: «الإصابة» (٢٥٧/٣).

مالك، وعلى الساقة عمرو بن مُرّة الجهني . ففعل سعد ذلك وبعث مع ابن أخيه جيشاً كثيفاً يقارب اثني عشر ألفاً من سادات المسلمين ووجوه المهاجرين والأنصار، ورؤوس العرب، وذلك في صفر سنة ست عشرة، فساروا حتى انتهوا إلى المجوس وهم بجلولاء قد خندقوا عليهم، فحاصرهم هاشم بن عتبة، وكانوا يخرجون من بلدهم للقتال في كل وقت فيقاتلون قتالاً لم يسمع بمثله، وجعل كسرى يبعث إليهم الأمداد، وكذلك سعد يبعث المدد إلى ابن أخيه، مرة بعد أخرى، وحمي القتال، واشتد النزال، واضطربت نار الحرب، وقام في الناس هاشم فخطبهم غير مرة، فحرضهم على القتال والتوكل على الله .

فشدّ القعقاع الحملة في جماعة من الفرسان والأبطال والشجعان، حتى انتهى إلى باب الخندق، وأقبل الليل بظلامه وجالت بقية الأبطال بمن معهم في الناس وجعلوا يأخذون في التحايز من أجل إقبال الليل، وفي الأبطال يومئذ: طليحة الأسدي، وعمرو بن معدي كرب الزبيدي، وقيس بن مَكشوح، وحجر بن عدي . ولم يعلموا بما صنعه القعقاع في ظلمة الليل، ولم يشعروا بذلك، لولا مناديه ينادي: أيها المسلمون، هذا أميركم على باب خندقهم<sup>(١)</sup> .

فلما سمع ذلك المجوس فروا وحمل المسلمون نحو القعقاع بن عمرو فإذا هو على باب الخندق قد ملكه عليهم، وهربت الفرس كل مهرب، وأخذهم المسلمون من كل وجه، وقعدوا لهم كل مرصد، فقتل منهم في ذلك الموقف مائة ألف حتى جملوا وجه الأرض بالقتلى،

(١) المصدر نفسه (٤/٢٦، ٢٧).



فلذلك سميت جُلُولاء، وغنموا من الأموال والسلاح والذهب والفضة قريبًا مما غنموا من المدائن قبلها<sup>(١)</sup>.  
فتح حُلوان<sup>(٢)</sup>؟

ولما انقضت الوقعة أقام هاشم بن عتبة بجُلُولاء، وتقدم القعقاع بن عمرو إلى حُلوان، عن أمر عمر ليكون ردءًا للمسلمين هنالك، ومرابطًا لكسرى، فسار حتى أدرك مِهْران الرازي، فقتله وهرب منه الفيرزان، فلما وصل إلى كسرى وأخبره بما كان من أمر جلُولاء، وما جرى على الفرس بعده، وكيف قُتل منهم مائة ألف، وأدرك مِهْران فقتل، فهرب كسرى من حُلوان إلى الرِّي، واستناب على حلوان أميرًا يقال له: خَسْرُوشْنوم، فتقدم إليه القعقاع بن عمرو، وبرز إليه خَسْرُوشْنوم إلى مكان خارج من حلوان، فاقتلوا هنالك قتالاً شديدًا ثم فتح الله ونصر المسلمين وانهزم خَسْرُوشْنوم، وساق القعقاع إلى حلوان فتسلمها ودخلها المسلمون فغنموا وسبوا، وأقاموا بها، وضربوا الجزية على من حولها من الكور والأقاليم، بعد ما دُعُوا إلى الدخول في الإسلام فأبوا إلا الجزية، فلم يزل القعقاع بها حتى تحول سعد من المدائن إلى الكوفة<sup>(٣)</sup>.

فتح تكريت<sup>(٤)</sup>؟

لما افتتح سعد المدائن بلغه أن أهل الموصل قد اجتمعوا

(١) المصدر نفسه (٢٩/٤).

(٢) «البداية والنهاية» (٧١/٧).

(٣) الطبري، المصدر السابق (٣٤/٤).

(٤) «البداية والنهاية» (٧١/٧).

بتكريت<sup>(١)</sup> على رجل من الكفرة يقال له: الأنطاق، فكتب إلى عمر يخبره بأمر أهل الموصل، فأمره أن يعين جيشاً لحربهم، ويؤمر عليه عبدالله بن المعتّم، وأن يجعل على مقدمته ربيعي بن الأفكل العنزي، وعلى الميمنة الحارث بن حسان الذهلي، وعلى الميسرة فرات بن حيان العجلي، وعلى الساقة هاني بن قيس، وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة، ففصل عبدالله بن المعتّم في خمسة آلاف من المدائن، فسار في أربع ليالٍ حتى نزل بتكريت على الأنطاق، وقد اجتمع إليه جماعة من الروم، ومن الشهرارجة، ومن نصارى العرب، من إياد وتغلب والنمر. وقد أحدقوا بتكريت، فحاصروهم عبدالله بن المعتّم أربعين يوماً. وزاحفوه في هذه المدة أربعة عشرة مرة، ما من مرة إلا وينتصر عليهم ويفل جموعهم، فضعف جانبهم، وعزمت الروم على الذهاب في السفن بأموالهم، وراسل عبدالله بن المعتّم من هنالك من الأعراب، فدعاهم إلى الدخول معه في النصره على أهل البلد، فجاءت القُصَادُ إليه عنهم بالإجابة إلى ذلك، فأرسل إليهم: إن كنتم صادقين فيما قلتم فاشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، وأقروا بما جاء من عند الله، فرجعت القُصَادُ إليه بأنهم قد أسلموا فبعث إليهم: إن كنتم صادقين فإذا كبرنا وحملنا على البلد الليلة فأمسكوا علينا أبواب السفن، وامنعوهم أن يركبوا فيها، واقتلوا منهم من قدرتم على قتله. ثم شد عبدالله وأصحابه، وكبروا تكبيرة رجل واحد، وحملوا على البلد فكبرت

(١) تكريت: بفتح التاء، والعامية يكسرونها، بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، لها قلعة حصينة على نهر دجلة. ياقوت، مصدر سابق (٣٨/٢).

الأعراب من الناحية الأخرى فحار أهل البلد، وأخذوا في الخروج من الأبواب التي تلي دجلة، فتلقتهم إياد والنمر وتغلب، فقتلوهم قتلاً ذريعاً، وجاء عبدالله بن المعتم بأصحابه من الأبواب الأخر فتمكن من النصر عليهم<sup>(١)</sup>.

فتح الموصل<sup>(٢)</sup>؟

وقد كان عمر عهد في كتابه إذا نُصِرُوا على تكريت أن يبعثوا ربعي ابن الأفكل إلى الموصل سريعاً، فسار إليها ومعه سرية كثيرة، وجماعة من الأبطال، حتى فاجأها قبل وصول الأخبار إليها، فما كان إلا أن واقفها حتى أجابوا إلى الصلح فضربت عليهم الذمة عن يد وهم صاغرون، ثم قسمت الأموال التي تحصلت من تكريت، فبلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف، وسهم الراجل ألف درهم. وبعثوا بالأخماس مع فرات بن حيان، وبالفتح مع الحارث بن حسان، وولي إمرة حرب الموصل ربعي بن الأفكل، وولي الخراج بها عرفة بن هرة<sup>(٣)</sup>.

فتح قرقيسيا وهيت في سنة (١١٦هـ)<sup>(٤)</sup>؟

قال ابن جرير وغيره: كان أهل الجزيرة قد أمدوا أهل حمص على قتال أبي عبيدة وخالده - لما كان هرقل يقنسرين - واجتمع أهل الجزيرة في مدينة هيت<sup>(٥)</sup>، وكتب سعد إلى عمر في ذلك، فكتب إليه أن يبعث

(١) انظر تفصيل الخبر في «تاريخ الرسل والملوك» (٣٥/٤).

(٢) «البداية والنهاية» (٧٢/٧).

(٣) «تاريخ الرسل والملوك» (٣٦/٤).

(٤) «البداية والنهاية» (٧٣/٧).

(٥) هيت: بالكسر وآخره تاء مثناة، سميت بذلك لأنها في هوة من الأرض، وهي بلدة =

إليهم جيشًا، وأن يؤمر عليهم عمرو بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبدمناف، فسار فيمن معه من المسلمين إلى هيت، فوجدهم قد خندقوا عليهم، فحاصرهم حينًا فلم يظفر بهم، فسار في طائفة من أصحابه واستخلف على محاصرة هيت الحارث بن يزيد، فراح عمرو بن مالك إلى قرقيسيا<sup>(١)</sup> فأخذها عنوة، وكتب إلى نائبه على هيت: إن لم يصلحوا أن يحفر من وراء خندقهم خندقًا، ويجعل له أبواب من ناحيته، فلما بلغهم ذلك أنابوا إلى المصالحة<sup>(٢)</sup>.

### فتح الأهواز ومناذر ونهر تيرى<sup>(٣)</sup>

قال ابن جرير: وفي سنة سبع عشرة، وقيل: في سنة ست عشرة. تغلب الهرمزان على بعض الأقاليم مثل: الأهواز<sup>(٤)</sup>، ومناذر<sup>(٥)</sup>، ونهر تيرى<sup>(٦)</sup>، - وكان ممن فرّ يوم القادسية من الفرس - فجهز عتبة بن غزوان

= على الفرات، فوق الأنبار ذات نخل كثير وهي مجاورة للبرية. ياقوت، مصدر سابق (٤٢١/٥).

(١) قرقيسيا: بالفتح ثم السكون، وقاف أخرى وياء ساكنة، بلد على نهر الخابور عند مصبه في الفرات. ياقوت، مصدر سابق (٣٢٨/٤).

(٢) «تاريخ الرسل والملوك» (٣٨/٤).

(٣) «البداية والنهاية» (٨٢/٧).

(٤) الأهواز: جمع هوز، وأصله خوز؛ لكنه عرب بالاستعمال ويسمى الأقليم خوزستان، وهي سبع كور بين البصرة وفارس، والاسم يطلق على سوق الأهواز. ياقوت، مصدر سابق (٢٨٤/١).

(٥) مناذر: بالفتح، والذال معجمة مكسورة، بلدتان بنواحي خوزستان، مناذر الكبرى، ومناذر الصغرى. المصدر نفسه (١٩٩/٥).

(٦) نهر تيرى: بكسر التاء المثناة من فوقها، وياء ساكنة، وراء مفتوحة، مقصور: بلد =

من البصرة جيشًا لقتاله واستمد سعد بن أبي وقاص فأمدته بُنَعِيم بن مسعود، وبنَعِيم بن مُقَرَّن، فنصرهم الله على الهرمزان وأخذوا منه ما بين دجلة إلى دُجَيْل<sup>(١)</sup>، وغنموا من جيشه ما أرادوا، ثم صانعهم وطلب مصالحتهم عن بقية بلاده، فشاوروا في ذلك عتبة بن غزوان فصالحه، وبعث الأحماس والبشارة إلى عمر، وبعث وفدًا فيهم الأحنف بن قيس، فأعجب به وحظي عنده. وكتب إلى عتبة يوصيه به ويأمره بمشاورته، والاستعانة برأيه<sup>(٢)</sup>.

ثم نقض الهرمزان العهد والصلح، واستعان بطائفة من الأكراد، وغرته نفسه، وحسن له الشيطان عمله في ذلك، فبرز إليه المسلمون فنصروا عليه وقتلوا من جيشه جمًا غفيرًا، واستلبوا منه ما بيده من الأقاليم والبلدان إلى تَسْتَر<sup>(٣)</sup>، فتحصن بها، وبعثوا إلى عمر بذلك<sup>(٤)</sup>. صلح تَسْتَر ورامَهْرَمَز وجُنْدِي سابور<sup>(٥)</sup>؛

قال ابن جرير: كان ذلك في سنة (١٧هـ) في قول سيف وروايته. وقال غيره: في سنة ست عشرة، وذلك أنه لما افتتح حرقوص بن

= من نواحي الأهواز. المصدر نفسه (٣١٩/٥).

(١) دُجَيْل: مصفرًا، نهر بالأهواز، حفره أردشير بن بابك أحد ملوك الفرس، مخرجه من أرض أصبهان ومصبه في الخليج قرب عبّادان. المصدر نفسه (٤٤٣/٢).

(٢) «تاريخ الرسل والملوك» (٧٤-٧٥).

(٣) تَسْتَر: بالضم ثم السكون، وفتح الياء الأخرى، أصلها: شوشتر فعربت، وهي مدينة بخوزستان. ياقوت، مصدر سابق (٢٩/٢).

(٤) «تاريخ الرسل والملوك» (٧٦/٤).

(٥) «البداية والنهاية» (٨٣/٧).

زهير سوق الأهواز، فرَّ الهُرْمُزَان بين يديه، فبعث في إثره جَزء بن معاوية حتى انتهى إلى رامَهْرُمُز فتحصن الهرمزان بها، وأعجز جزءً تطلبه، واستحوذ جَزء على البلاد والأقاليم التي تركها الهرمزان، فضرب الجزية على أهلها، وعمَّر عامرَها، وشق الأنهار إلى خرابها ومواتها، فصارت في غاية العمارة والجودة، ولما رأى الهرمزان ضيق بلاده عليه لمجاورة المسلمين، طلب من جزء بن معاوية المصالحة فكتب عتبة بن غزوان إلى عمر في ذلك، فجاء الكتاب العمري بالمصالحة على رامَهْرُمُز<sup>(١)</sup>، وتُسْتَر، وجُنْدِي سابور<sup>(٢)</sup>، ومدائن آخر مع ذلك، فوقع الصلح كما أمر به عمر رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>.

غزو بلاد فارس من ناحية البحرين<sup>(٤)</sup>؛

كان العلاء بن الحضرمي على البحرين في أيام الصديق، فلما كان عمر عزله عنها، وولاها لقدامة بن مظعون، ثم أعاد العلاء بن الحضرمي إليها، فلما افتتح سعد القادسية، وأزاح كسرى عن داره، وأخذ حدود ما يلي السواد، أحب العلاء أن يفعل فعلاً في فارس نظير ما فعله سعد

(١) رامَهْرُمُز: معناها، مقصود هرمز؛ لأن معنى رام بالفارسية، المراد والمقصود، وهي مدينة في إقليم خوزستان يكثر بها النخل والجوز والأترج. ياقوت، مصدر سابق (١٧/٣).

(٢) جندي سابور: بضم أوله، وتسكين ثانيه، وفتح الدال، وياء ساكنة: مدينة بخوزستان، بناها سابور بن أردشير فنسبت إليه، وهي مدينة خصبة واسعة الخير، بها النخيل والزروع والمياه. المصدر نفسه (١٧٠/٢).

(٣) «تاريخ الرسل والملوك» (٧٨/٤).

(٤) «البداية والنهاية» (٨٣/٧).

فيهم، فندب الناس إلى حربهم، فاستجاب له أهل بلاده، فجزأهم أجزاءً، فعلى فرقة الجارود بن المعلّى، وعلى الأخرى السوار بن همام، وعلى الثالثة خُلَيْد بن المنذر بن ساوى، وخُلَيْد هو أمير الجماعة.

فحملهم في البحر إلى فارس، وذلك بغير إذن عمر وكان عمر يكره ذلك؛ لأن رسول الله ﷺ وأبابكر ما أغزيا في البحر أحدًا من المسلمين، فعبرت تلك الجنود من البحرين إلى فارس، فخرجوا من عند إصطخر<sup>(١)</sup>، فحالت فارس بينهم وبين سفنهم، فقام في الناس خُلَيْد ابن المنذر فقال: أيها الناس، إنما أراد هؤلاء القوم بصنيعهم هذا محاربتكم، وأنتم جئتم لمحاربتهم، فاستعينوا بالله وقاتلوهم، فإنما الأرض والسفن لمن غلب، واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين، فأجابوه إلى ذلك فصلوا الظهر ثم ناهدوهم فاقتلوا قتالاً شديداً في مكان من الأرض يدعى طاؤس<sup>(٢)</sup>، ثم أمر خُلَيْد المسلمين فترجلوا وقاتلوا فصبروا، ثم ظفروا فقتلوا من فارس مقتلة لم يُقتلوا قبلها مثلها، ثم خرجوا يريدون البصرة فغرقت بهم سفنهم، ولم يجدوا إلى الرجوع في البحر سبيلاً، ووجدوا شَهْرَكَ<sup>(٣)</sup> في أهل إصطخر قد أخذوا على المسلمين بالطرق، فعسكروا وامتنعوا من العدو، ولما بلغ عمر ما صنع العلاء بن الحضرمي، اشتد غضبه عليه، وبعث إليه فعزله وتوعده، وكتب عمر إلى عُبَيْة بن غَزْوَان: إن العلاء بن الحضرمي

(١) إصطخر: بكسر أوله وسكون الخاء المعجمة من فوق، مدينة في إقليم فارس،

كانت عاصمة لملوك الفرس الأوائل. ياقوت، مصدر سابق (١/٢١١).

(٢) طاؤس: موضع بنواحي بحر فارس. المصدر نفسه (٤/٨).

(٣) أحد ملوك تلك النواحي من الفرس.

خرج بجيش فأقطعهم إلى أهل فارس وعصاني، فخشيت عليهم ألا يُنصروا وأن يُغلبوا وينشَبوا، فاندب إليهم الناس وضممهم إليك من قبل أن يُجتأحوا<sup>(١)</sup>.

فندب عتبة المسلمين وأخبرهم بكتاب عمر إليه في ذلك، فانتدب اثني عشر ألفاً، وعليهم أبوسبرة بن أبي رهم. فخرجوا على البغال يُجنبون الخيل سراعاً، فساروا على الساحل إلى المكان المسمى بطاوس، وإذا خُليد بن المنذر ومن معه من المسلمين محصورون قد أحاط بهم العدو من كل جانب، ولم يبق إلا القتال. فقدم المسلمون إليهم في أحوج ما هم فيه إليهم، فالتقوا مع المشركين رأساً، فكسر أبوسبرة المشركين كسرة عظيمة، وقتل منهم مقتلة عظيمة جداً، وأخذ منهم أموالاً جزيلة باهرة، واستنقذ خُليداً ومن معه من المسلمين من أيديهم، ثم عادوا إلى عتبة بن غزوان في البصرة.

ولما استكمل عتبة فتح تلك الناحية، استأذن عمر في الحج فأذن له فسار إلى الحج واستخلف على البصرة أباسبرة بن أبي رهم، واجتمع بعمر في الموسم، وسأله أن يقيه من الإمارة فلم يفعل، وأقسم عليه ليرجعن إلى عمله. فدعا عتبة الله عزوجل، فمات ببطن نخلة<sup>(٢)</sup>، وهو منصرف من الحج، فتأثر عليه عمر وأثنى عليه خيراً، وولى بعده البصرة

(١) الطبري «تاريخ الرسل والملوك» (٤/ ٨١).

(٢) ذكر ابن الأثير في «أسد الغابة» (٣/ ٥٦٦) نقلاً عن ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٩٩) أن مكان وفاته في معدن بني سليم، كما نقل عن المدائني أنه مات بالريذة، وأنه استخلف على البصرة مجاشع بن مسعود على الحرب، والمغيرة بن شعبة على الصلاة.



المغيرة بن شعبة، فوليها بقية تلك السنة والتي تليها، ولم يقع في زمانه حدث، وكان مرزوق السلامة في عمله<sup>(١)</sup>.

فتح رامهرمز بعد نقض الصلح سنة (١٧هـ)<sup>(٢)</sup>؟

قال ابن جرير: كان فتح رامهرمز والسوس وتستر، وأمر الهرمزان في هذه السنة (١٧هـ) في رواية سيف بن عمر<sup>(٣)</sup>.

وكان سبب ذلك أن يزدجرد كتب إلى أهل الأهواز وأهل فارس فتحركوا وتعاهدوا وتعاقدوا على حرب المسلمين، وأن يقصدوا البصرة. وبلغ الخبر إلى عمر، فكتب إلى سعد - وهو بالكوفة - أن ابعث جيشًا كثيفًا إلى الأهواز مع النعمان بن مقرن وعجل وليكونوا بازاء الهرمزان، وسمى رجالاً من الشجعان يكونون في هذا الجيش، منهم: جرير بن عبدالله البجلي، وجرير بن عبدالله الحميري، وسويد بن مقرن، وعبدالله بن ذي السهمين، وكتب عمر إلى أبي موسى وهو بالبصرة أن ابعث إلى الأهواز جنودًا كثيفًا، وأمر عليهم سهل بن عدي، وليكن معه البراء بن مالك، وعاصم بن عمرو، ومجزأة بن ثور، وكعب بن سؤر<sup>(٤)</sup>، وعرفجة بن هرثمة، وحذيفة بن مخصن، وعبدالرحمن بن سهل، والحصين بن معبد، وليكن على أهل الكوفة وأهل البصرة جميعًا أبوسبرة بن أبي رهم، وعلى كل من أتاه من المدد. فسار النعمان بن

(١) الطبري: المصدر السابق (٨٢/٤).

(٢) «البداية والنهاية» (٨٥/٧).

(٣) «تاريخ الرسل والملوك» (٨٣/٤).

(٤) في الأصل: ثور، والتصحيح من «تاريخ الطبري» (٨٤/٤). وانظر ترجمته في:

«الإصابة» (٦٤٥/٥).

مقرن بجيش الكوفة فسبق البصريين فأنتهى إلى رامهرمز، وبها الهرمزان في جنده وقد نقض العهد بينه وبين المسلمين، فبادره الهرمزان طمعاً أن يقطعته قبل مجيء أصحابه من أهل البصرة - وقد طمع أن ينصره أهل فارس - فالتقى معه النعمان بن مقرن، فاقتتلا قتالاً شديداً، فهُزِمَ الهرمزان وفر إلى تُسْتَر، وترك رامهرمز، فتسلمها النعمان عنوة وأخذ ما فيها من الحواصل والذخائر والسلاح<sup>(١)</sup>.

فتح تُسْتَر عنوة سنة (١٧هـ)<sup>(٢)</sup>؛

لما وصل الخبر إلى أهل البصرة بما صنع الكوفيون بالهرمزان وأنه فر فلبجاً إلى تُسْتَر، ساروا إليها ولحقهم أهل الكوفة حتى أحاطوا بها فحاصروها جميعاً، وعلى الجميع أبوسبرة، فوجدوا الهرمزان قد حشد بها خلقاً كثيراً، وكتبوا إلى عمر في ذلك وسألوه أن يمدهم، فكتب إلى أبي موسى أن يسير إليهم، فسار إليهم - وكان أمير أهل البصرة - واستمر أبوسبرة على الإمرة على جميع أهل الكوفة والبصرة، فحاصروهم شهراً وكثر القتل من الفريقين، وقتل البراء بن مالك أخو أنس بن مالك يومئذ مائة مَبَارِزٍ سوى من قتل غير ذلك، وكذلك فعل كعب بن سُور، ومجزأة بن ثور، وغيرهم من أهل البصرة، وكذلك أهل الكوفة قتل منهم جماعة مائة مَبَارِزٍ كحبيب بن قُرّة، وربيعي بن عامر، وعامر بن عبدالأسود. وقد تراخفوا أياماً متعددة، حتى إذا كان في آخر زحف قال المسلمون للبراء بن مالك - وكان مجاب الدعوة - : يا براء أقسم على ربك ليهزمنهم لنا.

(١) المصدر نفسه (٤/٨٣-٨٤).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/٨٥).

فقال: اللهم اهزمهم لنا، واستشهدني، قال: فهزمهم المسلمون حتى أدخلوهم خنادقهم واقتحموها عليهم، ولجأ المشركون إلى البلد فتحصنوا به، وقد ضاقت بهم البلد، وطلب رجل من أهل البلد الأمان من أبي موسى فأمنه، فبعث يدل المسلمين على مكان يدخلون منه إلى البلد، وهو من مدخل الماء إليها، فندب الأمراء الناس إلى ذلك فانتدب رجال من الشجعان والأبطال، وجاءوا فدخلوا إلى البوابين من قناة الماء فأناموهم وفتحوا الأبواب، وكبر المسلمين فدخلوا البلد<sup>(١)</sup>، وذلك وقت الفجر، ولم يصلوا الصبح يومئذ إلا بعد طلوع الشمس، كما حكاه البخاري عن أنس بن مالك قال: شهدت فتح تَسْتَرٍ، وذلك عند صلاة الفجر، فاشتغل الناس بالفتح فما صلوا الصبح إلا بعد ارتفاع النهار فما أُحِبُّ أن لي بتلك الصلاة حمر النعم<sup>(٢)</sup>.

أسر الهزْمَزَان وإرساله إلى المدينة<sup>(٣)</sup>؟

لما فتحت البلد لجأ الهزْمَزَان إلى القلعة، فتبعه جماعة من الأبطال وحصروه في مكان من القلعة ولم يبق إلا تَلَافِه أو تَلَافِهم، قال لهم بعد ما قتل البراء بن مالك، ومجزأة بن ثور رحمهما الله: إن معي جعبة فيها مائة سهم، وإنه لا يتقدم إلي منكم أحد إلا رميته بسهم يقتله، ولا يسقط لي سهم إلا في رجل منكم، فماذا ينفعكم إن أسرتموني بعدما قتلت منكم مائة رجل. قالوا: فماذا تريد؟ قال: تَوَمَّنُونِي حتى أسلمكم

(١) انظر تفصيل الخبر في «تاريخ الرسل والملوك» (٤/٨٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب صلاة الخوف، باب الصلاة عند مناهضة الحصون ولقاء العدو (٢/٤٣٤ من فتح الباري).

(٣) «البداية والنهاية» (٧/٨٦، ٨٨).

يَدِّي فتذهبوا بي إلى عمر بن الخطاب فيحكم فيّ بما يشاء . فأجابوه إلى ذلك فألقى قوسه ونشابه وأسرّوه فشدوه وثاقًا، وتسلموا ما في البلد من الأموال والحواصل فاققسموا أربعة أخماسه فنال كل فارس ثلاثة آلاف وكل راجل ألف درهم<sup>(١)</sup>.

ثم بعث أبوسبرة بالخمس وبالهرمزان مع وفد فيهم أنس بن مالك، والأحنف بن قيس، فلما اقتربوا من المدينة هياأوا الهرمزان بلبسه الذي كان يلبسه من الديباج والذهب المكلل بالياقوت واللاليء، ثم دخلوا المدينة وهو كذلك فتيّمموا به منزل أمير المؤمنين، فسألوا عنه فقالوا: إنه ذهب إلى المسجد، فجاءوا المسجد فإذا هو متوسد برنسا له ونام، وليس في المسجد غيره، والدرة معلقة في يده. فقال الهرمزان: أين عمر؟ فقالوا: هو ذا. وجعل الناس يخفضون أصواتهم لئلا ينبهوه، وجعل الهرمزان يقول: وأين حجاب؟ أين حرسه؟ فقالوا: ليس له حجاب ولا حرس، فقال: ينبغي أن يكون نبيًا، فقالوا: بل يعمل عمل الأنبياء، وكثر الناس فاستيقظ عمر بالجلبة فاستوى جالسًا، ثم نظر إلى الهرمزان، فقال: الهرمزان؟ قالوا: نعم. فتأمله وتأمل ما عليه، ثم قال: أعوذ بالله من النار وأستعين بالله، ثم قال: الحمد لله الذي أذل بالإسلام هذا وأشياعه، يا معشر المسلمين تمسكوا بهذا الدين، واهتدوا بهدي نبيكم، ولا تبطنكم الدنيا فإنها غدارة. فقال له الوفد: هذا ملك الأهواز فكلمه، فقال: لا، حتى لا يبقى عليه من حلّيته شيء، ففعلوا ذلك وألبسوه ثوبًا صفيقًا، فقال عمر: يا هرمزان كيف رأيت وبال الغدر

(١) انظر: «تاريخ الرسل والملوك» (٤/٨٦).

وعاقبة أمر الله؟ فقال: يا عمر، إنا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم إذ لم يكن معنا ولا معكم، فلما كان معكم غلبتمونا. فقال عمر: إنما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا. ثم قال: ما عذرك وما حاجتك في انقاضك العهد مرة بعد مرة؟ فقال: أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك. قال: لا تخف ذلك، فاستسقى الهرمزان ماء، فأتي به في قدح غليظ، فقال: لو ميتٌ عطشاً لم أستطع أن أشرب في هذا فأتي به في قدح آخر يرضاه فلما أخذه جعلت يده ترعد وقال: إني أخاف أن أقتل وأنا أشرب. فقال عمر: لا بأس عليك حتى تشربه، فأكفاه. فقال عمر: أعيده عليه ولا تجمعوا عليه القتل والعطش، فقال: لا حاجة لي في الماء، إنما أردت أن استأمن به. فقال له عمر: إني قاتلك، فقال: إنك أمتنتني. قال: كذبت، فقال أنس: صدق يا أمير المؤمنين، فقال عمر: ويحك يا أنس أنا أو من من قتل مجزأة والبراء؟ لتأتيني بمخرج وإلا عاقبتك، قال: قلت: لا بأس عليك حتى تخبرني، وقلت: لا بأس عليك حتى تشربه، وقال له من حوله مثل ذلك<sup>(١)</sup>. فأقبل على الهرمزان فقال: خدعتني، والله لا أنخدع إلا أن تسلم، فأسلم، ففرض له في ألفين وأنزله المدينة<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: وقد حسن إسلام الهرمزان، وكان لا يفارق عمر حتى قتل عمر، فاتهمه بعض الناس بممالة أبي لؤلؤة جفينة، فقتل

(١) قصة تأمينه وشهادة أنس بذلك ذكرها ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٩٠/٥)، والبلاذري في «فتوح البلدان» ص (٤٦٩) من طريق مروان بن معاوية عن حميد الطويل عن أنس.

(٢) أخرج الخبر بطوله الطبري في «تاريخه» (٨٦/٤-٨٨) من طريق سيف بن عمر.

عبيدالله بن عمر الهرمزان وجفينة<sup>(١)</sup>.  
وقد رُوينا أن الهرمزان لما علاه عبيدالله بالسيف قال: لا إله إلا  
الله، وأما جفينةُ فَصَلَّبَ على وجهه<sup>(٢)</sup>.  
حال كسرى وبعض أصحابه<sup>(٣)</sup>؟

هذا وقد تحول يزدجرد من بلد إلى بلد، حتى انتهى أمره إلى  
الإقامة بأصبهان، وقد كان صرف طائفة من أشرف أصحابه قريبًا من  
ثلاث مائة من العظماء عليهم رجل يقال له: سياه، فكانوا يفرون من  
المسلمين من بلد إلى بلد حتى فتح المسلمون تُسْتَرَ وأصطخر، فقال  
سياه لأصحابه: إن هؤلاء بعد الشقاء والذلة ملكوا أماكن الملوك  
الأقدمين، ولا يلقون جنْدًا إلا كسروه والله ما هذا عن باطل - ودخل في  
قلبه الإسلام وعظمته - فقالوا له: نحن تبع لك، فأرسلوا إلى أبي موسى  
الأشعري بإسلامهم، وكتب فيهم إلى عمر في ذلك، فأمره أن يفرض  
لهم في ألفين ألفين، وفرض لسته منهم في ألفين وخمسمائة، وحسن  
إسلامهم، وكان لهم نكاية عظيمة في قتال قومهم حتى بلغ من أمرهم

(١) أخرج ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/٣٤٩) بإسناد صحيح أن عبدالرحمن بن  
عوف لما رأى السكين التي قتل بها عمر قال: رأيت هذه أمس مع الهرمزان  
وجفينة... إلخ، وأخرجه البلاذري في «أنساب الأشراف» ص (٣٥٧) حدثني  
أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثنا وهب بن جرير - بمثل إسناد ابن سعد - وانظر  
طريقًا آخر عند ابن سعد (٣/٣٥٥).

(٢) أخرج ذلك ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/٣٥٥) بإسناد صحيح إلى سعيد بن  
المسيب أن عبدالرحمن بن أبي بكر قال حين قُتِلَ عمر: قد مررت على أبي لؤلؤة  
ومعه جفينة والهرمزان وهيم نجى.

(٣) «البداية والنهاية» (٧/٩٠).

أنهم حاصروا حصناً فامتنع عليهم فجاء أحدهم فرمى بنفسه في الليل على باب الحصن وضَمَّخ ثيابه بدم، فلما نظروا إليه حسبوا أنه منهم، ففتحوا باب الحصن ليأووه فثار إلى البواب فقتله، وجاء بقية أصحابه ففتحوا ذلك الحصن، وقتلوا من فيه من المجوس<sup>(١)</sup>.  
وقعة نهاوند وفتحها سنة (٥٢١هـ)<sup>(٢)</sup>؛

تبدأ المرحلة الرابعة من الفتوحات في المشرق بمعركة نهاوند وهي وقعة عظيمة جداً لها شأن رفيع ونبأ عجيب، وكان المسلمون يسمونها فتح الفتوح<sup>(٣)</sup>.

قال ابن إسحاق والواقدي: كانت وقعة نهاوند<sup>(٤)</sup> في سنة إحدى وعشرين<sup>(٥)</sup>.

وقال سيف: كانت في سنة سبع عشرة<sup>(٦)</sup>. وقيل: في سنة تسع عشرة<sup>(٧)</sup>.

وقد ساق أبو جعفر بن جرير قصتها في سنة إحدى وعشرين فتبعناه

(١) الطبري، «تاريخ الرسل والملوك» (٩٠/٤).

(٢) «البيدانية والنهاية» (١٠٥/٧).

(٣) انظر: البلاذري، فتوح البلدان ص (٣٧٤).

(٤) نهاوند: بفتح النون الأولى، وتكسر، والواو مفتوحة، ونون ساكنة، مدينة كبيرة في الهضبة الإيرانية. ياقوت، مصدر سابق (٣١٣/٥).

(٥) الطبري، المصدر السابق (١١٤/٤)، والبلاذري، المصدر السابق ص (٣٧٤).

(٦) في «تاريخ الطبري» (١١٤/٤) نقل عن سيف أنه قال: في سنة ثمان عشرة في سنة ست من إمرة عمر. ولعل ما ذكره ابن كثير سبق قلم أو تصحيف. وذكر الطبري في موطن آخر (١٢٩/٤، ١٣٦) عن سيف أنها كانت في أول سنة تسع عشرة.

(٧) هذه رواية ابن الكلبي، عن أبي مخنف. انظر: المصدر السابق ص (٣٧٤).

في ذلك وجمعنا كلام هؤلاء الأئمة في هذا الشأن سياقاً واحداً، حتى دخل سياق بعضهم في بعض.

### سبب الواقعة:

وكان الذي أهاج هذه الواقعة أن المسلمين لما افتتحوا الأهواز واستولوا على إصطخر، وهي دار مملكتهم القديمة، حَمِيَ الفرس واستجاشهم يزدجرد الذي تقهر من بلد إلى بلد حتى صار إلى أَصْبَهان مبعداً طريداً، وكتب إلى ناحية نهاوند وما والاها من الجبال والبلدان، فاجتمعوا من كل فج عميق بأرض نهاوند، حتى اجتمع منهم مائة ألف وخمسون ألف مقاتل، وعليهم الفَيْرُزَان ويقال: بُنْدَار، وتذاَمروا فيما بينهم، وقالوا: إن محمداً الذي جاء العرب لم يتعرض لبلادنا، ولا أبوبكر الذي قام بعده، وإن عمر بن الخطاب هذا لما طال مُلْكُه انتهك حرمتنا وأخذ بلادنا، ولم يكفه ذلك حتى أغزانا في عقر دارنا، وأخذ بيت المملكة وليس بمنته حتى يخرجكم من بلادكم، فتعاهدوا وتعاقدوا على أن يقصدوا البصرة والكوفة، ثم يشغلوا عمر عن بلادهم، وتواثقوا من أنفسهم وكتبوا بذل عليهم كتاباً. فكتب سعد بذلك إلى عمر، ثم شافه سعدُ عمرَ يوم قدم المدينة بما تمالؤا عليه، وأنه قد اجتمع منهم مائة وخمسون ألفاً<sup>(١)</sup>.

### استعداد المسلمين:

وجاء كتاب عبدالله بن عبدالله بن عثبان من الكوفة إلى عمر مع قريب بن ظفر العبدي بأنهم قد اجتمعوا وهم متحرقون متذاَمرون على

(١) ابن جرير، المصدر السابق (٤/١٢٠، ١٢٢) من طريق سيف بن عمر عن شيوخه.



الإسلام وأن المصلحة يا أمير المؤمنين أن نقصدهم فنعاجلهم عما همُّوا به وعزموا عليه من المسير إلى بلادنا .

فقال عمر لحامل الكتاب: ما اسمك؟ قال: قريب. قال: ابن من؟ قال: ابن ظفر. فتفاءل عمر بذلك وقال: ظفر قريب إن شاء الله، ثم أمر فنودي الصلاة جامعة، فاجتمع الناس وكان أول من دخل المسجد لذلك سعد بن أبي وقاص، فتفاءل عمر أيضاً بسعد، فصعد عمر المنبر حتى اجتمع الناس فقال: إن هذا يوم له ما بعده من الأيام، ألا وإنني قد هممت بأمر فاسمعوا وأطيعوا وأوجزوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، إنني قد رأيت أن أسير بمن قبلي حتى أنزل منزلاً وسطاً بين هذين المصرين<sup>(١)</sup>، فاستنفر الناس، ثم أكون لهم رداءً حتى يفتح الله عليهم.

فقام عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبدالرحمن بن عوف في رجال من أهل الرأي، فتكلم كل منهم بانفراده فأحسن وأجاد، واتفق رأيهم على أن لا يسير من المدينة، ولكن يبعث البعوث ويحضرهم برأيه ودعائه، وكان من كلام علي رضي الله عنه أن قال:

يا أمير المؤمنين، إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة، هو دينه الذي أظهر، وجنده الذي أعز، وأمدته بالملائكة حتى بلغ ما بلغ، فنحن على موعود من الله، والله منجز وعده، وناصر جنده، ومكانك منهم يا أمير المؤمنين: مكان النظام من الخرز، يجمعه ويمسكه، فإذا انحل تفرق ما فيه وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً،

(١) يقصد الكوفة والبصرة.

والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً فهم كثيرٌ عزيزٌ بالإسلام، فأقم مكانك واكتب إلى أهل الكوفة فهم أعلام العرب ورؤساؤهم، فليذهب منهم الثلثان ويقيم الثلث، واكتب إلى أهل البصرة يمدونهم أيضاً<sup>(١)</sup>.

فأعجبَ عمرُ بقول علي وسُرَّ به - وكان عمر إذا استشار أحداً لا يبرم أمراً حتى يشاور العباس - فلما أعجبه كلام الصحابة في هذا المجال، عرضه على العباس، فقال: يا أمير المؤمنين خَفِّضْ عليك، فإنما اجتمع هؤلاء الفرس لنقمة تنزل عليهم<sup>(٢)</sup>.

ثم قال عمر: أشيروا عليّ بمن أوليه أمر الحرب وليكن عراقياً، فقالوا: أنت أبصر بجندك يا أمير المؤمنين. فقال: أما والله لأولين رجلاً يكون أول الأُسنة إذا لقيها غداً، قالوا: مَنْ يا أمير المؤمنين؟ قال: النعمان بن مُقَرَّن. فقالوا: هو لها. وكان النعمان قد كتب إلى عمر وهو على كَسْكَر<sup>(٣)</sup> وسأله أن يعزله عنها ويوليه قتال أهل نَهَاوَنَد، فلهذا أجابه إلى ذلك<sup>(٤)</sup>، ثم كتب عمر إلى حذيفة أن يسير من الكوفة بجنود منها، وكتب إلى أبي موسى أن يسير بجنود البصرة<sup>(٥)</sup>.

(١) المصدر نفسه (١٢٣/٤) من طريق سيف.

(٢) في «تاريخ الطبري» (١٢٤/٤) نسب هذا القول لسعد بن أبي وقاص.

(٣) كسكر: بالفتح ثم السكون، وكاف أخرى، وراء، معناه عامل الزرع، وهي كورة واسعة، وقصبتها واسط التي بناها الحجاج، بين البصرة والكوفة. ياقوت، مصدر سابق (٤٦١/٤).

(٤) ابن جرير: المصدر السابق (١٢٦/٤)، والبلاذري، «فتوح البلدان» ص (٣٧١).

(٥) البلاذري، المصدر السابق ص (٣٧١).

### تولية النعمان قيادة الجيش:

وكتب إلى النعمان - وكان بالبصرة - أن يسير بمن هناك من الجنود إلى نَهَاوَنْد، وإذا اجتمع الناس فكل أمير على جيشه، والأمير على الناس كلهم النعمان بن مقرن، فإذا قتل فالأمير حذيفة بن اليمان، فإن قُتِلَ فجرير بن عبدالله، فإن قتل فقيس بن مَكْشُوح، فإن قتل قيس، ففلان ثم فلان، حتى عد سبعة أحدهم المغيرة بن شعبة<sup>(١)</sup>، وقيل لم يُسَمَّ فيهم والله أعلم.

### وصورة الكتاب:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله عمر أمير المؤمنين، إلى النعمان بن مقرن سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإنه قد بلغني أن جموعاً من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نَهَاوَنْد، فإذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله، وبعون الله، وبنصر الله، بمن معك من المسلمين، ولا توطئهم وِعْرًا فتؤذِيهِمْ، ولا تمنعهم حقهم فتكفّرهم، ولا تُدْخِلْهم غيضة، فإن رجلاً من المسلمين أحب إلي

(١) هذه رواية ابن إسحاق كما ذكرها الطبري (١١٥/٤) ورواية سيف بن عمر تخالفها فقد ذكر بعد حذيفة، نعيم بن مقرن فقط. انظر: (١٢٧/٤) من المصدر نفسه، وعند البلاذري في «فتوح البلدان» ص (٣٧١) ترتيب القادة هكذا: النعمان، فإن أصيب فحذيفة بن اليمان، فإن أصيب فجرير بن عبدالله البجلي، فإن أصيب فالمغيرة بن شعبة، فإن أصيب فالأشعث بن قيس. وفي رواية ابن إسحاق، ورواية صاحب «فتوح البلدان» نكارة، وهي ذكر قيس بن مكشوح، والأشعث بن قيس، فإنهما ممن ارتدا، ولم يكن من سياسية الصديق وعمر تولية القيادة من ارتد عن الإسلام.

من مائة ألف دينار، فسر في وجهك ذلك حتى تأتي ماه<sup>(١)</sup> فإني كتبت إلى أهل الكوفة أن يوافوك بها، فإذا اجتمع إليك جنودك فسر إلى الفيرزان ومن جمع معه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم، واستنصروا، وأكثروا من «لا حول ولا قوة إلا بالله»<sup>(٢)</sup>.

وكتب عمر إلى نائب الكوفة - عبدالله بن عبدالله بن عتبان - أن يعين جيشاً ويبعثهم إلى نهاوند، وليكن الأمير عليهم حذيفة بن اليمان حتى ينتهي إلى النعمان بن مقرن، وولّى السائب بن الأقرع قسم الغنائم، فسار حذيفة في جيش كثيف نحو النعمان بن مقرن ليوافوه ببلدة ساه، وسار مع حذيفة خلق كثير من أمراء العراق، وقد أرصد في كل كورة ما يكفيها من المقاتلة، وجعل الحرس في كل ناحية، واحتاطوا احتياطاً عظيماً، ثم انتهوا إلى النعمان بن مقرن حيث اتعدوا، فدفع حذيفة بن اليمان إلى النعمان كتاب عمر وفيه الأمر له بما يعتمده في هذه الواقعة، فكمل جيش المسلمين ثلاثين ألفاً من المقاتلة فيما رواه سيف عن الشعبي، ومنهم من سادات الصحابة ورؤوس العرب خلف كثير، منهم: عبدالله بن عمر، وجريير بن عبدالله البجلي، وحذيفة بن اليمان، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن معدي كرب الزبيدي، وطليحة بن خويلد الأسدي، وقيس بن مكشوح المرادي، فسار الناس نحو نهاوند<sup>(٣)</sup>.

إرسال النعمان طليعة أمامه:

وبعث النعمان بن مقرن بين يديه طليعة، ثلاثة وهم: طليحة،

(١) بلدة بأرض فارس . ياقوت، مصدر سابق (٤٩/٥).

(٢) انظر النص عند الطبري (١١٤/٤) بنحوه.

(٣) المصدر نفسه (١٢٧/٤).

وعمر بن معدى كرب الزبيدي، وعمرو بن أبي سلمة، ليكشفوا له خبر القوم وما هم عليه. فسارت الطليعة يوماً وليلة فرجع عمرو بن أبي سلمة فقيل له: ما رجعتك؟ فقال: كنت في أرض العجم وقتلت أرض جاهلها وقتل أرضاً عالمها. ثم رجع بعده عمرو بن معدى كرب وقال: لم نر أحداً وخفت أن يؤخذ علينا الطريق. ونفذ طليحة ولم يحفل برجوعهما، فسار بعد ذلك نحو من بضعة عشر فرسخاً حتى انتهى إلى نهاوند، ودخل في العجم وعلم من أخبارهم ما أحب، ثم رجع إلى النعمان فأخبره بذلك، وأنه ليس بينه وبين نهاوند شيء يكرهه<sup>(١)</sup>.

تحرك الجيش الإسلامي نحو نهاوند<sup>(٢)</sup>؟

سار النعمان على تعبته وجعل على المقدمة نعيم بن مقرن، وعلى المجنبتين حذيفة بن اليمان، وسويد بن مقرن، وعلى المُجرّدة (الخيل) القعقاع بن عمرو، وعلى الساقة مجاشع بن مسعود، حتى انتهوا إلى الفرس وعليهم الفيرزان، ومعه الجيش مائة وخمسين ألفاً، فلما تراء الجمعان كبر النعمان وكبر المسلمون ثلاث تكبيرات، فزلزلت الأعاجم ورُعِبُوا من ذلك رعباً شديداً، ثم أمر النعمان بحط الأثقال وهو واقف، فحط الناس أثقالهم، وتركوا رحالهم، وضربوا خيامهم وقبابهم، وضربت خيمة للنعمان عظيمة، فأمر النعمان بالقتال وكان يوم الأربعاء، فاقتلوا ذلك اليوم والذي بعده والحرب سجال، فلما كان يوم الجمعة انحجزوا في حصنهم، وحاصرهم المسلمون فأقاموا عليهم ما

(١) المصدر نفسه (٤/١٢٨).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/١٠٩).

شاء الله، والأعاجم يخرجون إذا أرادوا ويرجعون إلى حصونهم إذا أرادوا<sup>(١)</sup>.

بعث المغيرة رسولاً إلى أمير الفرس:

. وقد بعث أمير الفرس يطلب رجلاً من المسلمين ليكلمه، فذهب إليه المغيرة بن شعبة، فذكر من عظم ما رأى عليه من لبسه ومجلسه، وفيما خاطبه به من كلام في احتقار العرب واستهانته بهم، وأنهم كانوا أطول الناس جوعاً، وأقلهم داراً وقدراً.

قال: فتشهدت وحمدت الله وقلت: لقد كنا أسوأ حالاً مما ذكرت، حتى بعث الله رسوله فوعدنا النصر في الدنيا، والخير في الآخرة، وما زلنا نتعرف من ربنا النصر منذ بعث الله رسوله إلينا، وقد جئناكم في بلادكم وإنا لن نرجع إلى ذلك الشقاء أبداً حتى نغلبكم على بلادكم وما في أيديكم، أو نقتل بأرضكم. فقال: أما والله إن الأعور لقد صدقكم ما في نفسه.

مشاورة النعمان أهل الرأي في جيشه:

فلما طال على المسلمين هذا الحال، جمع النعمان بن مقرن أهل الرأي من الجيش، وتشاوروا في ذلك، وكيف يكون من أمرهم حتى يتواجهوا هم والمشركون في صعيد واحد.

فتكلم عمرو بن أبي سلمة أولاً - وهو أسن من كان هناك - فقال: إن بقاءهم على ما هم عليه أضر عليهم من الذي نطلبه منهم وأبقى على المسلمين، فرد الجميع عليه وقالوا: إنا لعلى يقين من إظهار ديننا،

(١) الطبري، «تاريخ الرسل والملوك» (٤/١٢٩).

وإنجاز موعود الله لنا .

وتكلم عمرو بن معديكرب، فقال: ناهدكم وكاثرهم ولا تحفهم . فردوا جميعاً عليه وقالوا: إنما تناطح بنا الجدران، والجدران أعوان لهم علينا .

وتكلم طليحة الأسدي فقال: إنهما لم يصيبا، وإنني أرى أن تبعث سرية فتحدق بهم ويناوشوهم بالقتال ويحمشوهم فإذا برزوا إليهم فليفروا إلينا هُرَّابًا، فإذا استطردوا وراءهم ووصلوا إلينا أظهرنا الفرار كلنا، فإنهم حينئذ لا يشكُّون في الهزيمة فيخرجون من حصونهم عن بكرة أبيهم، فإذا تكامل خروجهم رجعنا إليهم فجالدناهم حتى يقضي الله بيننا . فاستجاد الناس هذا الرأي<sup>(١)</sup> .

وأمر النعمان القعقاع بن عمرو قائد المجردة أن يذهبوا إلى البلد فيحاصروهم ويهربوا بين أيديهم إذا برزوا إليهم، ففعل القعقاع ذلك، فلما برزوا من حصونهم نكص القعقاع بمن معه، ثم نكص، فاغتنمها الأعاجم ففعلوا ما ظن طليحة، وقالوا: هَيَّ، هَيَّ، فخرجوا بأجمعهم ولم يبق بالبلد من المقاتلة إلا من يحفظ لهم الأبواب، حتى انتهوا إلى الجيش، والنعمان بن مقرن على تعبئته، وذلك في صدر نهار جمعة، فعزم الناس على مصادمتهم، فنهاهم النعمان وأمرهم أن لا تقاتلوا حتى تزول الشمس، وتهب الرياح، وينزل النصر كما كان رسول الله ﷺ يفعل، وألحَّ الناس على النعمان في الحملة فلم يفعل - وكان رجلاً ثابتاً - فلما حان الزوال صلى بالمسلمين ثم ركب برذوناً له أحوى قريباً من

(١) المصدر نفسه (٤/١٣٠) .

الأرض، فجعل يقف على كل راية ويحثهم على الصبر ويأمرهم بالثبات، ويُقدّم إلى المسلمين أنه يُكَبِّرُ الأولى فيتأهب الناس للحملة، ويكبر الثانية فلا يبقى لأحد أهبة، ثم الثالثة ومعها الحملة الصادقة. ثم رجع إلى موقفه، وتعبأت الفرس تعبئة عظيمة واصطفوا صفوفًا هائلة في عدد وعُدَد لم ير مثلها، وقد تغلغل كثير منهم بعضهم في بعض، وألقوا حسك الحديد وراء ظهورهم حتى لا يمكنهم الهرب ولا الفرار، ولا التحيز<sup>(١)</sup>.

#### التحام المعركة<sup>(٢)</sup>؛

ثم إن النعمان بن مقرن رضي الله عنه كبر الأولى وهزّ الراية فتأهب الناس للحملة، ثم كبر الثانية وهزّ الراية فتأهبوا أيضًا، ثم كبر الثالثة وحمل وحمل الناس على المشركين، وجعلت راية النعمان تنقض على الفرس كانقضاض العقاب على الفريسة، حتى تصافحوا بالسيوف، فاقتتلوا قتالاً لم يعهد مثله في موقف من المواقف المتقدمة، ولا سمع السامعون بوقعة مثلها، قُتِلَ من المشركين ما بين الزوال إلى الظلام ما طبق وجه الأرض دمًا، بحيث إن الدواب كانت تقع فيه، حتى قيل إن الأمير النعمان بن مقرن زكّ قَبْه حصانه في ذلك الدم فوق وقع وجاءه سهم في خاصرته فقتله، ولم يشعر أحد سوى أخيه سويد، وقيل: نعيم، فغطاه بثوبه وأخفى موته، ودفع الراية إلى حذيفة بن اليمان، فأقام حذيفة نعيمًا مكانه، وأمر بكتف موته حتى لا ينفصل الحال لثلا ينهزم

(١) المصدر نفسه (٤/ ١٣٠-١٣٢) وفيه تفاصيل أكثر.

(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ١١٠).



الناس . فلما أظلم الليل انهزم المشركون مدبرين وتبعهم المسلمون ، وكان الكفار قد قرنوا منهم ثلاثين ألفاً بالسلاسل ، وحفروا حولهم خندقاً ، فلما انهزموا وقعوا في الخندق ، وجعلوا يتساقطون في أودية بلادهم فهلك منهم بشر كثير نحو مائة ألف أو يزيدون ، سوى من قتل في المعركة ، ولم يفلت منهم إلا الشريد<sup>(١)</sup> .

#### حال عمر وقت المعركة:

وأما أمير المؤمنين عمر فإنه كان يدعو الله ليلاً ونهاراً لهم ، دعاء الحوامل المُقَرَّبَات ، وابتهاج ذوي الضرورات ، وقد استبطن الخبير عنهم ، فبينما رجل من المسلمين ظاهر المدينة إذا هو براكب فسأله من أين أقبل؟ فقال: من نهاوند . فقال: ما فعل الناس؟ قال: فتح الله عليهم وقُتِلَ الأميرُ ، وغنم المسلمون غنيمة عظيمة ، وعاد الرجل إلى المدينة فأخبر الناس وشاع الخبر حتى بلغ أمير المؤمنين فطلبه فسأله عمن أخبره ، فقال: راكب . فقال: إنه لم يجئني ، وإنما هو رجل من الجن وهو يريدهم<sup>(٢)</sup> .

#### قدوم الخبير بالفتح:

وأرسل حذيفة بالفتح مع طريف بن سَهْم . ثم قدم طريف بخبير الفتح ، فسأله عمن قُتِلَ من المسلمين فلم يكن معه علم حتى قدم السائب بن الأقرع بالأخماس فأخبر بالأمر على جليته . ولما أخبر عمر بمقتل النعمان بكى وسأل السائب عمن قُتِلَ من

(١) ابن جرير، «تاريخ الرسل والملوك» (٤/١٣٢) .

(٢) المصدر نفسه (٤/١٣٤) بنحوه .

المسلمين، فقال: فلان وفلان وفلان، لأعيان المسلمين وأشرفهم، ثم قال: وآخرون من أفناء الناس ممن لا يعرفهم أمير المؤمنين، فجعل يبكي ويقول: وما ضرهم أن لا يعرفهم أمير المؤمنين؟ لكن الله يعرفهم وقد أكرمهم بالشهادة، وما يصنعون بمعرفة عمر. ثم أمر بقسمة الخمس على عادته<sup>(١)</sup>.

قال ابن عساكر: ذكر أبو الحسين محمد بن أحمد الوراق أن طليحة استشهد بنهاوند سنة إحدى وعشرين مع النعمان بن مقرن، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي<sup>(٢)</sup>.

قال سيف عن الشعبي قال: لما قدم سبي نهاوند إلى المدينة جعل أبولؤلؤة فيروز - غلام المغيرة بن شعبة - لا يلقي منهم صغيراً إلا مسح رأسه وبكى، وقال: أكل عمر كبدي - وكان أصل أبي لؤلؤة من نهاوند<sup>(٣)</sup>.

فتح هَمْدَان سنة (٢١هـ)<sup>(٤)</sup>؛

كان الفيرزان قد صرع في نهاوند فانفلت وانهزم، واتبعه نعيم بن مقرن، وقَدَّم القعقاع بين يديه، فقصد الفيرزان هَمْدَان فلحقه القعقاع وأدركه عند ثنية هَمْدَان<sup>(٥)</sup>، وقد أقبلت منها بغال كثير وحُمُر تحمل

(١) المصدر نفسه (٤/١٣٥).

(٢) «تاريخ دمشق» (٨/٦٠٣ خط).

(٣) ابن جرير، المصدر السابق (٤/١٣٦).

(٤) «البداية والنهاية» (٧/١١١).

(٥) هَمْدَان: بالتحريك، والذال معجمة، وآخره نون، تقع في إقليم الجبال في الهضبة الإيرانية، وهي شديدة البرد في الشتاء. ياقوت، مصدر سابق (٥/٤١٠).

عسلاً، فلم يستطع الفيرزان صعودها منهم - وذلك لحينه وهلاكه - فترجل وتعلق في الجبل فاتبعه القعقاع حتى قتله، وقال المسلمون يومئذ: إن لله جنوداً من عسل. ثم غنموا ذلك العسل وما خالطه من الأحمال، وسميت تلك الثنية ثنية العسل. ثم لحق القعقاع بقية المنهزمين منهم إلى همدان، وحاصرهم وحوى ما حولها، فنزل إليها صاحبها - خسرو شنوم - فصالحه عليها. ثم رجع القعقاع إلى حذيفة ومن معه من المسلمين، وقد دخلوا بعد الواقعة نهاوند عنوة<sup>(١)</sup>.

(١) ابن جرير، المصدر السابق (٤/١٣٤).

## الانسياح في بلاد الأعاجم<sup>(١)</sup>

(المرحلة الخامسة للفتوحات في المشرق):

بعد انتصار المسلمين في وقعة نهاوند لم يبق للفرس أمر، وانساح المسلمون في بلاد الأعاجم، وأذن لهم عمر في ذلك فافتتح المسلمون بعد نهاوند مدينة جَيّ - وهي مدينة أصبهان<sup>(٢)</sup> بعد قتال كثير وأمور طويلة، فصالحوا المسلمين وكتب لهم عبدالله بن عبدالله كتاب أمان وصلح وفر منهم ثلاثون نفرًا إلى كَرْمَانَ لم يصالحوا المسلمين، وفي سنة إحدى وعشرين افتتح أبو موسى قُمَّ وقاشان<sup>(٣)</sup>، وافتتح سهيل بن عدي مدينة كَرْمَانَ<sup>(٤)</sup>.

فتح هَمْدَانَ ثانية سنة (٢٢٢هـ)<sup>(٥)</sup>؛

تقدم أن المسلمين لما فرغوا من نهاوند فتحوا حُلوان وهَمْدَانَ، ثم إن أهل هَمْدَانَ نقضوا عهدهم الذي صالحهم عليه القعقاع بن عمرو،

(١) «البداية والنهاية» (١١٢/٧).

(٢) أصبهان: بفتح الهمزة، ومنهم من يكسرها، مدينة عظيمة من أعلام المدن في بلاد فارس، وهي من إقليم الجبل. ياقوت، مصدر سابق (٢٠٦/١).

(٣) قم: بالضم وتشديد الميم، وهي كلمة فارسية، مدينة قريبة من قاشان، ويذكران جميعًا وأهلها شيعة إمامية، وهما يقعان بالقرب من أصبهان. المصدر السابق (٣٩٧، ٢٩٦) على التوالي.

(٤) كرمان: بالفتح ثم السكون، وهي ولاية مشهورة، وناحية كبيرة معمورة ذات قرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان. المصدر السابق (٤٥٤/٤).

(٥) «البداية والنهاية» (١٢١/٧).

فكتب عمر إلى نعيم بن مقرن أن يسير إلى همدان، فسار حتى نزل على ثنية العسل، ثم نزل على همدان، واستولى على بلادها، وحاصرها فسألوه الصلح فصالحهم ودخلها، فبينما هو فيها ومعه اثني عشر ألفاً من المسلمين إذ تكاتب الديلم، وأهل الري، وأهل أذربيجان، واجتمعوا على حرب نعيم بن مقرن في جمع كثير، فخرج إليهم بمن معه من المسلمين حتى التقوا بمكان يقال له: واج الرُّوذ<sup>(١)</sup>، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند ولم تك دونها، فقتلوا من المشركين جمًّا غفيرًا لا يحصون كثرة، وقُتل ملك الديلم وتمزق شملهم، وانهمزوا بأجمعهم، فكان نعيم بن مقرن أول من قاتل الديلم من المسلمين، وقد كتب نعيم إلى عمر يعلمه باجتماعهم فهتمه ذلك واغتم له، فلم يفجأه إلا البريد بالبشارة فحمد الله وأثنى عليه، وأمر بالكتاب فقريء على الناس، وفرحوا وحمدوا الله عز وجل<sup>(٢)</sup>.

فتح الري سنة (٥٢٢هـ)<sup>(٣)</sup>!

استخلف نعيم بن مقرن على همدان يزيد بن قيس الهمداني، وسار هو بالجيوش حتى لحق بالري<sup>(٤)</sup>، فلقي هناك جمعًا كثيرًا من المشركين، فاقتتلوا عند سفح جبل الري، فصبروا صبرًا عظيمًا، ثم انهزموا فقتل منهم نعيم بن مقرن مقتلة عظيمة بحيث عُدوا

(١) واج رُوذ: موضع بين همدان وقزوين. المصدر السابق (٣٤١/٥).

(٢) ابن جرير، المصدر السابق (١٤٨/٤).

(٣) «البداية والنهاية» (١٢١/٧).

(٤) الري: بفتح أوله وتشديد ثانية، مدينة مشهورة، تعتبر قصبه بلاد الجبال بينها وبين

قزوين سبعة وعشرون فرسخًا. ياقوت، مصدر سابق (١١٦/٣).

بالقصب<sup>(١)</sup>، وغنموا منهم غنيمة عظيمة قريبًا مما غنم المسلمون من المدائن، وصالح أبا الفُرَّخَان الملقب بالزيني على الري، وكتب له أمانًا بذلك، ثم كتب نعيم إلى عمر بالفتح ثم بالأخماس والله الحمد والمنة<sup>(٢)</sup>.

فتح قَوْمِسَ وَجُرْجَانَ وَطَبْرِسْتَانَ سنة (٢٢٢هـ)<sup>(٣)</sup>؛

لما ورد البشير بفتح الري وأخماسها، كتب عمر إلى نعيم بن مقرن أن يبعث أخاه سويد بن مقرن إلى قَوْمِسَ<sup>(٤)</sup>. فسار إليها سويد، فلم يبق له شيء حتى أخذها سلمًا وعسكر بها وكتب لأهلها كتاب أمان وصلاح<sup>(٥)</sup>.

ولما عسكر سويد بقَوْمِسَ بعث إليه أهل بلدان شتى منها: جُرْجَانَ<sup>(٦)</sup>، وَطَبْرِسْتَانَ<sup>(٧)</sup>، وغيرها يسألونه الصلح على الجزية،

(١) لكثرة القتلى يستخدمون القصب في إحصائهم بأن يلقوا على كل قتيل قصب، وبهذا ينضبط الإحصاء؛ لأن القصب معدود قبل ذلك.

(٢) ابن جرير، المصدر السابق (٤/١٥٠).

(٣) «البداية والنهاية» (٧/١٢٢).

(٤) قَوْمِسَ: بالضم ثم السكون وكسر الميم وسين مهملة، كورة واسعة تقع في نهاية جبال طبرستان، وهي بين الري ونيسابور. ياقوت، مصدر سابق (٤/٤١٤).

(٥) ابن جرير، المصدر السابق (٤/١٥١).

(٦) جرجان: بالضم وآخره نون. وهي مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان. ياقوت، مصدر سابق (٢/١١٩).

(٧) طبرستان: بفتح أوله ثانيه وكسر الراء، بلد واسع والغالب عليها الجبال، وخرج منها ما لا يحصى من أهل العلم والأدب، والنسبة إليها: «طبري». المصدر نفسه (٤/١٣).

فصالح الجميع، وكتب لأهل كل بلدة كتاب أمان وصلاح<sup>(١)</sup>، وحكى المدائني أن جُرْجَانَ فتحت في سنة ثلاثين أيام عثمان<sup>(٢)</sup>، فالله أعلم. فتح أذربيجان سنة (٢٢٢هـ)<sup>(٣)</sup>؟

اتفق الواقدي وأبامعشر على أن أذربيجان فتحت في سنة اثنتين وعشرين، وتبعهما ابن جرير وغيره<sup>(٤)</sup>.

لما افتتح نُعَيْم بن مقرن همدان ثانية، ثم الري، بعث بين يديه بُكَيْر بن عبدالله من همدان إلى أذربيجان<sup>(٥)</sup>، وأردفه بِسِمَاك بن خَرَشَةَ - وليس بأبي دجانة<sup>(٦)</sup> - وذلك عن أمر عمر بن الخطاب. فلقى أسفندياذ بن الفرُّخزاذ بكيراً وأصحابه، قبل أن يقدم عليهم سماك، فاقتتلوا فهزم الله المشركين، وأسر بكيرُ أسفندياذ، فقال له أسفندياذ: الصلح أحب إليك أم الحرب؟ فقال: بل الصلح. قال: فأمسكني عندك، فأمسكه ثم جعل يفتح أذربيجان بلدًا بلدًا، وعتبة بن فرقد في مقابله في الجانب الآخر من أذربيجان يفتحها بلدًا بلدًا.

(١) ابن جرير، المصدر السابق (١٥٢/٤).

(٢) المصدر نفسه (١٥٣/٤).

(٣) «البداية والنهاية» (٧/١٢٠-١٢٢).

(٤) ابن جرير، المصدر السابق (١٤٦/٤).

(٥) أذربيجان: بالفتح ثم السكون، وفتح الراء، وكسر الباء الموحدة، إقليم واسع، الغالب عليه الجبال وتحدها بلاد الديلم من الشمال، ومن مدنها المراغة وتبريز، وأردبيل وغيرها. ياقوت، مصدر سابق (١٢٨/١).

(٦) أبودجانة: الصحابي المشهور، اسمه: سماك بن أوس بن خرشة، وفي الأنصار صحابي آخر اسمه: سماك بن خرشة، وهو هذا. انظر: ابن حجر، «الإصابة» (١٧٤/٣).

ثم جاء كتاب عمر بأن يتقدم بـكبير إلى الباب، وجعل سِماكًا موضعه - نائبًا لعتبة بن فرقد وجمع عمر أذربيجان كلها لعتبة بن فرقد، وسَلَّم إليه بكبيرُ أسفندياذ، وقد كان اعترض بهرام بن فرخزاد لعتبة بن فرقد فهزمه عتبة وهرب بهرام، فلما بلغ ذلك أسفندياذ قال: الآن تم الصلح وطفئت الحرب. فصالحه وعادت أذربيجان سلمًا، وكتب بذلك عتبة، وبكبير إلى عمر، وبعثوا بالأخماس إليه، وكتب عتبة حين انتهت إليه إمرة أذربيجان كتاب أمان و صلح لأهلها<sup>(١)</sup>.  
فتح الباب سنة (٢٢٢هـ)<sup>(٢)</sup>؛

قال ابن جرير: وزعم سيف أنه في هذه السنة (سنة ٢٢٢هـ) كتب عمر بن الخطاب كتابًا بالإمرة على هذه الغزوة لسراقة بن عمرو - الملقب ذي النور - فسار كما أمر عمر وهو على تعبته، فلما انتهى مقدم العساكر - وهو عبدالرحمن بن ربيعة - إلى الملك الذي هناك عند الباب<sup>(٣)</sup>، وهو: شهر براز، ملك أرمينية - وهو من بيت الملك الذي قتل بني إسرائيل وغزا الشام في قديم الزمان - فكتب شهر براز لعبدالرحمن واستأمنه، فأمنه عبدالرحمن بن ربيعة، فقدم عليه الملك، فأنهاى إليه صُغُوهُ<sup>(٤)</sup> إلى المسلمين، وأنه مناصح للمسلمين. فقال له:

(١) ابن جرير، المصدر السابق (١٥٣/٤).

(٢) «البداية والنهاية» (١٢٢/٧ - ١٢٣).

(٣) الباب: ويقال لها: باب الأبواب، وهي مدينة عظيمة على بحر طبرستان، وهو بحر الخزر، وهي فرضة على ذلك البحر، وحولها أمم شتى من الخزر، والسرير، والكرج، والديلم، وغيرهم. ياقوت، مصدر سابق (٣٠٣/١).

(٤) صغوه، أي: ميله.



إن فوقي رجلاً فاذهب إليه، فبعث إلى سراقه بن عمرو أمير الجيش، فسأل من سراقه الأمان، فكتب إلى عمر فأجاز ما أعطاه من الأمان، واستحسنه، فكتب له سراقه كتاباً بذلك. ثم بعث سراقه بكير بن عبدالله الليثي، وحبیب بن مسلمة، وحذيفة بن أسيد، وسلمان بن ربيعة، إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية، جبال اللان، وتقليس، وموقان، فافتتح بكير موقان، وكتب لهم كتاب أمان، ومات في غضون ذلك أمير المسلمين هنالك، سراقه بن عمرو، واستخلف بعده عبدالرحمن بن ربيعة، فلما بلغ عمر ذلك أقره وأمره بغزو الترك<sup>(١)</sup>.  
أول غزو الترك<sup>(٢)</sup>؟

لما جاء كتاب عمر إلى عبدالرحمن بن ربيعة يأمره بأن يغزو الترك، سار حتى قطع الباب قاصداً لما أمره، فقال له شهربراز: أين تريد؟ قال: أريد ملك الترك بكنجبر، فقال له شهربراز: إنا لنرضى منهم بالموادعة نحن من وراء الباب. فقال له عبدالرحمن: إن الله بعث إلينا رسولاً، ووعدنا على لسانه بالنصر والظفر، ونحن لا نزال منصورين. فقاتل الترك، وسار في بلاد بلنجر مائتي فرسخ، وغزا مرات متعددة. ثم كانت له وقائع هائلة في زمن عثمان رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>، وهذا تصديق الحديث الثابت في الصحيح عن أبي هريرة، وعمرو بن تغلب، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً عراض الوجوه، ذُلف الأنوف، حُمِر الوجوه، كأن وجوههم المَجَان المطرقة» وفي

(١) الطبري، المصدر السابق (٤/١٥٥-١٥٨).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/١٢٣).

(٣) الطبري، المصدر السابق (٤/١٥٨).

رواية: «ينتعلون الشَّعْر»<sup>(١)</sup>.

غزو خراسان سنة (٢٢٢هـ)<sup>(٢)</sup>؛

كان الأحنف بن قيس قد أشار على عمر بأن يتوسع المسلمون بالفتوحات في بلاد العجم، ويُضَيِّقُوا على كسرى ويزدجرد، فإنه هو الذي يستحث الفرس والجنود على قتال المسلمين، فأذن عمر بن الخطاب في ذلك عن رأيه، وأمر الأحنف، وأمره بغزو بلاد خراسان، فركب الأحنف في جيش كثيف إلى خراسان قاصداً حرب يزيدجرد، فدخل خراسان، فافتتح هَرَاة<sup>(٣)</sup> عنوةً، واستخلف عليها صُحَّار بن فلان العبدي، ثم سار إلى مَرَوَ الشَّاهِجَان<sup>(٤)</sup> وفيها يزيدجرد، وبعث الأحنف بين يديه مُطَّرَف بن عبدالله بن الشَّحِير إلى نَيْسَابُور<sup>(٥)</sup>، والحرث بن حسان إلى سَرَّخَس<sup>(٦)</sup>.

ولما اقترب الأحنف من مرو والشاهجان، خرج منها يزيدجرد إلى

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب قتال الذين ينتعلون الشعر (٦/١٠٤) من فتح الباري.

(٢) «البداية والنهاية» (٧/١٢٧).

(٣) هراة: بالفتح، مدينة مشهورة من أمهات مدن خراسان، ينسب إليها جمع من أهل العلم والفضل. ياقوت، مصدر سابق (٥/٣٩٦).

(٤) مرو والشاهجان: هي مدينة مرو العظمى، وهي قسبة خراسان. المصدر نفسه (٥/١١٢).

(٥) نيسابور: بفتح أوله، مدينة مشهورة في هذا الأقليم. المصدر نفسه (٥/٣٣١).

(٦) سرخس: بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الخاء المعجمة، مدينة بين نيسابور ومرو في وسط الطريق. المصدر نفسه (٣/٢٠٨).

مرو الروذ<sup>(١)</sup> فافتتح الأحنف مرو الشاهجان، فنزلها. وكتب يزدجرد حين نزل مرو الروذ إلى خاقان ملك الترك يستمده، وكتب إلى ملك الصغد يستمده، وقصده الأحنف بن قيس إلى مرو الروذ، وقد استخلف على مرو الشاهجان حارثة بن النعمان، وقد وفدت إلى الأحنف أمداد من أهل الكوفة مع أربعة أمراء، فلما بلغ ذلك يزدجرد ترحل إلى بلخ<sup>(٢)</sup>، فالتقى معه ببلخ فهزمه الله عز وجل، وهرب هو ومن بقي معه من جيشه فعبر نهر جيحون، واستوثق مُلكُ خراسان على يدي الأحنف ابن قيس، واستخلف في كل بلدة أميرًا، ورجع الأحنف فنزل مرو الروذ، وكتب إلى عمر بما فتح الله عليه من بلاد خراسان بكمالها.

وكتب عمر إلى الأحنف ينهاه عن العبور إلى ما وراء النهر. وقال: احفظ ما بيدك من بلاد خراسان<sup>(٣)</sup>.

ولما وصل رسولاً يزدجرد إلى اللذين استنجد بهما «ملك الترك، وملك الصغد» لم يحتفلا بأمره، فلما عبر يزدجرد النهر ودخل في بلادهما تعين عليهما لإنجاده في شرع الملوك، فسار معه خاقان الأعظم ملك الترك، ورجع يزدجرد بجنود عظيمة فيهم ملك التتار خاقان،

(١) مرو الروذ: المرو، الحجارة البيض التي تقدح بها النار، والروذ بالفارسية، معناها: النهر، وهي مدينة تقع على نهر عظيم؛ ولكنها أصغر من مرو الأخرى. المصدر نفسه (١١٢/٥).

(٢) بلخ: بفتح أوله وسكون اللام وآخره خاء معجمة من فوق، مدينة من أجمل مدن خراسان تقع بالقرب من نهر جيحون بينها وبينه عشرة فراسخ. ياقوت، مصدر سابق (٤٧٩/١).

(٣) الطبري، المصدر السابق (١٦٦/٤-١٦٧).

فوصل إلى بلخ واسترجعها، وفر عمال الأحنف إليه إلى مرو الروذ، وخرج المشركون من بلخ حتى نزلوا على الأحنف بمرو الروذ، فتبرز الأحنف بمن معه من أهل البصرة والكوفة والجميع عشرون ألفاً فسمع رجلاً يقول لآخر: إن كان الأمير ذا رأي فإنه يقف دون هذا الجبل فيجعله وراء ظهره، ويبقى هذا النهر خندقاً حوله فلا يأتيه العدو إلا من جهة واحدة. فلما أصبح الأحنف أمر المسلمين فوقفوا في ذلك الموقف بعينه، وكان أمارة النصر والرشد، وجاءت الأتراك والفرس في جمع عظيم هائل مزعج، فقام الأحنف في الناس خطيباً فقال: إنكم قليل وعدوكم كثير، فلا يهولنكم ﴿كَم مِّن فِئْتَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئْتَةً كَثِيرَةً﴾ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١١٩﴾ [البقرة] فكان الترك يقاتلون بالنهار، ولا يدري الأحنف أين يذهبون في الليل، فسار ليلة مع طليعة من أصحابه نحو جيش خاقان، فلما كان قريب الصبح خرج فارس من الترك طليعة وعليه طوق وضرب بطبله فتقدم إلى الأحنف فاختلفا طعنتين فطعنه الأحنف فقتله وهو يرتجز:

إِنَّ عَلَى كُلِّ رَيْسٍ حَقًّا أَنْ يُخْضِبَ الصَّعْدَةَ أَوْ تَنْدَقًا  
 إِنَّ لَهَا شَيْخًا بِهَا مُلْقَى سَيْفَ أَبِي حَفْصِ الَّذِي تَبَقَّى  
 قال: ثم استلب التركي طوقه ووقف موضعه، فخرج آخر عليه طوق. ومعه طبل فجعل يضرب بطبله، فتقدم إليه الأحنف فقتله أيضاً واستلبه طوقه ووقف موضعه، فخرج ثالث فقتله وأخذ طوقه، ثم أسرع الأحنف الرجوع إلى جيشه ولا يعلم بذلك أحد من الترك بالكلية، وكان من عادة الترك أنهم لا يخرجون حتى تخرج ثلاثة من كهولهم بين أيديهم يضرب الأول بطبله، ثم الثاني، ثم الثالث. فلما خرجت الترك وجدوا

فرسانهم مُقْتَلِينَ فتشاءم بذلك الملك خاقان وتطير، وقال لعسكره: قد طال مقامنا وقد أصيب هؤلاء القوم بمكان لم نصب بمثله، مالنا في قتال هؤلاء القوم من خير، فانصرفوا بنا، فرجعوا إلى بلادهم<sup>(١)</sup>.

وقد قال المسلمون للأحنف: ما ترى في اتباعهم؟ فقال: أقيموا بمكانكم ودعوهم. وقد أصاب الأحنف في ذلك، فقد جاء في الحديث: «اتركوا الترك ما تركوكم»<sup>(٢)</sup> ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا﴾ [الأحزاب]. ورجع كسرى خاسرًا الصفقة لم يُشَفَّ له غليل، ولا حصل على خير، ولا انتصر كما كان في زعمه، بل تخلى عنه من كان يرجو النصر منه، وتنحنى عنه وتبرأ منه أحوج ما كان إليه، وبقي مذنبًا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء]. وتحير في أمره ماذا يصنع؟ وإلى أين يذهب؟ ثم بعث إلى ملك الصين يستغيث به ويستنجده فجعل ملك الصين يسأل الرسول عن صفة هؤلاء القوم الذين قد فتحوا البلاد، وظهروا على الملوك، فجعل يخبره عن صفتهم،

(١) المصدر نفسه (٤/٦٨-١٧٠).

(٢) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود مرفوعًا كما في مجمع الزوائد للهيثمي (٣١٢/٧) وله تكملة وهي قوله: فإن أول من يسلب من أمتي ملكهم وما خولهم الله عزوجل بنوقنطوراء. قال الشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم (١٠٥): موضوع، وكذا قال في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة برقم (١٧٤٧) وذكر أن القسم الأول منه لا يكون موضوعًا لما له من شواهد تمنع من ذلك.

قلت: لكنه يبقى في دائرة الضعيف.

وكيف يركبون الخيل والإبل، وماذا يصنعون؟ وكيف يُصَلُّون؟ فكتب معه إلى يزيد جرد: إنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجيش أوله بمر وآخر بالصين الجهالة بما يحق عليّ، ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك صفتهم لو يحاولون الجبال لهدوها، ولو جئت لنصرك أزالوني ما داموا على ما وصف لي رسولك، فسالمهم وارض منهم بالمسالمة. فأقام كسرى وآل كسرى في بعض البلاد مقهورين، ولم يزل ذلك دأبه حتى قتل بعد سنتين من إمارة عثمان<sup>(١)</sup>.

خطبة عمر لما وصله كتاب الفتح:

لما بعث الأحنف بكتاب الفتح وما أفاء الله عليهم من أموال الترك ومن كان معهم، وأنهم قتلوا منهم مقتلة عظيمة، وردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً، قام عمر على المنبر وقُرئَ الكتابُ بين يديه، ثم قال عمر: إن الله بعث محمداً بالهدى ووعد على اتباعه من عاجل الثواب وآجله خير الدنيا والآخرة، فقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة] فالحمد لله الذي أنجز وعده، ونصر جنده ألا وإن الله قد أهلك مُلكَ المجوسية وفرق شملهم، فليسوا يملكون من بلادهم شبراً يضير بمسلم، ألا وإن الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون، فقوموا في أمره على وجل، يُوفِّ لكم بعهده، ويؤتكم وعده، ولا تغيروا فيستبدل قومًا غيركم، فإنني لا أخاف على

(١) ابن جرير، المصدر السابق (٤/١٧٢).

هذه الأمة أن تؤتى إلا من قبلكم<sup>(١)</sup>.

فتح أصطخر سنة (٥٢٣هـ)<sup>(٢)</sup>؟

افتتح المسلمون أصطخر - للمرة الثانية - في سنة ثلاث وعشرين، وكان أهلها قد نقضوا العهد بعد ما كان جند العلاء بن الحضرمي افتتحوها حين جاز في البحر - من أرض البحرين - والتقوا هم والفرس في مكان يقال له: طاوس، ثم صالحه الهريذ على الجزية، وأن يضرب لهم الذمة. ثم إن شهرک خلع العهد، ونقض الذمة، ونشط الفرس، فنقضوا العهد، فبعث إليهم عثمان بن أبي العاص - والي البحرين -، ابنه وأخاه الحكم، فاقتلوا مع الفرس فهزم الله جيوش المشركين، وقتل الحكم بن أبي العاص شهرک<sup>(٣)</sup>.

فتح فسأودارا بجرد سنة (٥٢٣هـ)<sup>(٤)</sup>؟

ذكر سيف عن مشايخه: أن سارية بن زئيم قصد فسأودارا بجرد<sup>(٥)</sup>، فاجتمع له جموع - من الفرس والأكراد - عظيمة، ودهم المسلمين منهم أمر عظيم، فرأى عمر في تلك الليلة فيما يرى النائم

(١) المصدر نفسه (٤/١٧٣).

(٢) «البدایة والنهاية» (٧/١٣٠).

(٣) انظر تفاصيل أكثر في «تاريخ الطبري» (٤/١٧٥-١٧٧) وذكر رواية عن أبي معشر أن فتح اصطخر الثاني كان سنة تسع وعشرين.

(٤) «البدایة والنهاية» (٧/١٣٠).

(٥) فسأودار بجرد: فسأ: بالفتح والقصر، كلمة أعجمية، وهم ينطقونها بالباء: بسا، وهي مدينة في فارس، وهي أكبر مدن كورة داربجرد بينها وبين شيراز أربع مراحل، وقد نسب إليها جمع من أهل العلم من أشهرهم يعقوب بن سفيان الفسوي، صاحب كتاب «المعرفة والتاريخ». ياقوت، مصدر سابق (٤/٢٦٠).

معركتهم وعددهم، وأنهم في صحراء، وهناك جبل إن أسندوا إليه لم يؤتوا إلا من وجه واحد فنأدى في الغد الصلاة جامعة، حتى إذا كانت الساعة التي رأى أنهم اجتمعوا فيها، خرج إلى الناس وصعد المنبر، فخطب الناس وأخبرهم بصفة ما رأى، ثم قال: يا سارية: الجبل، الجبل. ثم أقبل عليهم وقال: إن لله جنوداً ولعل بعضها أن يبلغهم. قال: ففعلوا ما قال عمر، فنصرهم الله على عدوهم، وفتحوا البلد<sup>(١)</sup>.

وقال عبدالله بن وهب، عن يحيى بن أيوب، عن ابن عجلان، عن نافع، عن ابن عمر، أن عمر وجه جيشاً ورأس عليهم رجلاً يقال له: سارية، قال: فبينما عمر يخطب فجعل ينادي: يا سارية، الجبل، يا سارية، الجبل، ثلاثاً، ثم قَدِمَ رسولُ الجيش فسأله عمر: فقال: يا أمير المؤمنين، هُزِمْنَا فبينما نحن كذلك إذ سمعنا منادياً يا سارية الجبل - ثلاثاً - فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله. قال: فقيل لعمر: إنك كنت تصيح بذلك<sup>(٢)</sup>.

- (١) القصة أخرجها الطبري في «تاريخه» (١٧٨/٤) من طريق سيف بن عمر.  
 (٢) ذكرها الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٦/٣) وقال: أخرجها البيهقي في «الدلائل»، واللالكائي في «شرح السنة»، وابن الأعرابي في «كرامات الأولياء» من طريق ابن وهب عن يحيى بن أيوب عن ابن عجلان عن نافع عن ابن عمر، قال: وهكذا ذكره حرمله في حديث ابن وهب، وهو إسناد حسن.  
 قلت: أخرجها البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/٣٧٠) من هذا الطريق، وأخرجها اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» من هذا الطريق (حديث رقم (٢٥٣٧)، وبرقم (٢٥٣٨) من طريق أخرى. وانظر: «كرامات الأولياء» لأبي القاسم اللالكائي ص (١٢٧) وحسن إسنادها الألباني كما في «مشكاة المصابيح» (١٦٧٨/٣) وبرقم (٥٩٥٤).



قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد حسن.

فتح كَرْمَانَ وَسِجِسْتَانَ سنة (٥٢٢هـ)<sup>(١)</sup>؛

ذكر ابن جرير من طريق سيف عن شيوخه فتح كَرْمَانَ<sup>(٢)</sup> في هذه السنة على يدي سهيل بن عدي وأمه عبدالله بن عبدالله بن عَتْبَانَ. وقيل: كان الفتح على يدي عبدالله بن بُدَيْل بن ورقاء الخزاعي<sup>(٣)</sup>.

وذكر فتح سجستان<sup>(٤)</sup> على يدي عاصم بن عمرو، بعد قتال شديد، وكانت ثغورها متسعة، وبلادها متناثرة، ما بين السند إلى نهر بلخ، وكانوا يقاتلون القُنْدَهَارَ والترك من ثغورها وفروجها<sup>(٥)</sup>.

فتح مُكْرَانَ سنة (٥٢٣هـ)<sup>(٦)</sup>؛

وذكر ابن جرير، فتح مُكْرَانَ<sup>(٧)</sup> في السنة الثالثة والعشرين على

(١) «البداية والنهاية» (١٣٢/٧).

(٢) كرمان: بالفتح ثم السكون، بلاد واسعة بين فارس ومكران، وشمالها مفازة خراسان، وجنوبها بحر فارس. ياقوت، مصدر سابق (٤٥٤/٤).

(٣) هذه رواية المدائني عن علي بن مجاهد. ابن جرير، المصدر السابق (١٨٠/٤).

(٤) سجستان: بكسر أوله وثانيه وسين أخرى مهملة، وهي إقليم واسع، أرضه سبخة ورمال حارة لا تسكن بها الريح، وأرضها سهلة لا يرى فيها جبل، وهي من إقليم خراسان. ياقوت، مصدر سابق (١٩٠/٣).

(٥) ابن جرير، المصدر السابق (١٨٠/٤).

(٦) «البداية والنهاية» (١٣٢/٧).

(٧) مكران: بالضم ثم السكون، وراء وآخره نون. كلمة أعجمية معناها: سيف البحر، وهي ولاية واسعة تشمل على مدن وقرى، وتقع بين كرمان من غربها والهند في شرقها، وسجستان شمالها، والبحر العربي جنوبها. ياقوت، مصدر سابق (١٧٩/٥).

يدي الحكم بن عمرو، وأمه شهاب بن المخارق بن شهاب، ولحق به سهيل بن عدي، وعبدالله بن عبدالله بن عتبان واقتلوا مع ملك السند فهزم الله جموع السند، وغنم المسلمون منهم غنيمة كثيرة، وكتب الحكم بن عمرو بالفتح وبعث بالأخماس مع صُحار العبدى، فلما قدم على عمر سأله عن أرض مُكران فقال: يا أمير المؤمنين، أرض سهلها جبل، وماؤها وشل<sup>(١)</sup>، وتمرها دقل<sup>(٢)</sup>، وعدوها بطل، وخيرها قليل، وشرها طويل، والكثير بها قليل، والقليل بها ضائع، وما وراءها شر منها. فقال عمر: أسجاع أنت أم مخبر؟ فقال: لا؛ بل مخبر. فكتب عمر إلى الحكم بن عمرو، أن لا يجوزون مكران، وليقتصروا على ما دون النهر<sup>(٣)</sup>.

غزوة الأكراد<sup>(٤)</sup>؛

ذكر ابن جرير بسنده عن سيف عن شيوخه: أن جماعة من الأكراد والتف إليهم طائفة من الفرس، اجتمعوا فلقبهم أبو موسى بمكان من أرض بَيْرُود قريب من نهر تَيْرِي<sup>(٥)</sup>، ثم سار عنهم أبو موسى إلى أصبهان وقد استخلف على حربهم الربيع بن زياد - بعد مقتل أخيه المهاجر بن

(١) البوشل: القليل.

(٢) الدقل: ردىء التمر.

(٣) الطبري، المصدر السابق (٤/١٨١)، وقد نسب ياقوت في «معجم البلدان» (٥/١٨٠) هذا القول إلى حكيم بن جبلة العبدى، وأنه قال ذلك بين يدي عثمان في خلافته.

(٤) «البداية والنهاية» (٧/١٣٢).

(٥) بيروذ، ونهر تيرى، بلدان من نواحي الأهواز.

زياد - فتسلم الحرب وحنق عليهم، فهزم الله العدو وله الحمد والمنة، كما هي عادته المستمرة وسنته المستقرة، في عباده المؤمنين، وحزبه المفلحين، من أتباع سيد المرسلين، ثم خمست الغنيمة وبعث بالفتح والخمس إلى عمر رضي الله عنه<sup>(١)</sup>.

(١) انظر الطبري، المصدر السابق (٤/١٨٣) وفيه تفصيل أوسع.

## الباب الثالث

خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه

(٢٣-٢٥هـ)

## الفصل الأول ترجمته

نسبه ومكانته<sup>(١)</sup>؛

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف<sup>(٢)</sup>.  
أبو عمرو، وأبو عبد الله<sup>(٣)</sup>، القرشي، الأموي، أمير المؤمنين، ذو  
النورين، وصاحب الهجرتين، وزوج الابتين.

وأمه أروى بنت كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب بن عبدشمس. وأمها أم  
حكيم وهي البيضاء بنت عبدالمطلب عمه رسول الله ﷺ.

وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب  
الشورى، وأحد الثلاثة الذين خلصت لهم الخلافة من الستة، ثم تعينت  
فيه بإجماع المهاجرين والأنصار - رضي الله عنهم -، فكان ثالث  
الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، المأمور باتباعهم والاقتداء بهم.

صِفَاتُهُ الْخَلْقِيَّةُ وَالْخُلُقِيَّةُ<sup>(٤)</sup>؛

كان - رضي الله عنه - حسن الوجه رقيق البشرة، كبير اللحية،

(١) البداية والنهاية: ١٩٨/٧.

(٢) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (٥٣/٣)، وابن جرير، تاريخ الرسل والملوك  
(٤٢٠/٤).

(٣) له عدة كنى واقتصر البخاري في الصحيح (٥٢/٧ من الفتح) على أبي عمر، وقال  
الحافظ في الفتح (٥٤/٧) هي التي استقر عليها الأمر، قال: وكان بعض من ينتقصه  
يكنيه أبا ليلى، يشير إلى لين جانبه، حكاه ابن قتيبة. وأشهر ألقابه: ذو النورين.

(٤) البداية والنهاية: ١٩٢/٧، ٢٠٠، ٢٥١.

معتدل القامة، عظيم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين، كثير شعر الرأس، حسن الثغر، فيه سُمْرة، وقيل كان في وجهه شيء من آثار الجُدري، - رضي الله عنه -<sup>(١)</sup>.

وقد كان - رضي الله عنه -، كريم الأخلاق، ذا حياء كثير، وكرم غزير، يؤثر أهله وأقاربه في الله، تأليفاً لقلوبهم من متاع الحياة الدنيا الفاني، لعله يرغبهم في إيثار ما يبقى على ما يفنى، كما كان النبي ﷺ يعطي أقواماً ويدع آخرين، يعطي أقواماً خشية أن يكبهم الله على وجوههم في النار، ويكل آخرين إلى ما جعل الله في قلوبهم من الهدى والإيمان، وقد تعنت عليه بسبب هذه الخصلة أقوام، كما تعنت بعض الخوارج على رسول الله ﷺ في الإيثار في غزوة حنين حين قسم غنائمها.

قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ثنا يونس - يعني ابن عبيد - حدثني عطاء ابن فرّخ مولى القرشيين، أن عثمان إشتري من رجل أرضاً فأبطأ عليه فلقيه فقال: ما منعك من قبض مالك؟ قال: إنك غبنتني، فما ألقى من الناس أحداً إلا وهو يلومني، قال: أذلك يمنعك؟ قال: نعم! قال: فاختر بين أرضك ومالك، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «أدخل الله الجنة رجلاً كان سهلاً مشترياً وبائعاً وقاضياً ومقتضياً»<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن سعد، المصدر السابق (٥٨/٣)، وابن جرير المصدر السابق (٤١٩/٤) والكراديس: عظام المفاصل.

(٢) المسند (٥٨/١) وصححه أحمد شاكر (٤١٠) وأخرجه النسائي في المجتبى من سننه (٣١٨/٧)، كتاب البيوع «باب حسن المعاملة والرفق في المطالبة بدون القصة»، وابن ماجه في التجارات، «باب السماحة في البيع»، (٧٤٢/٢).

وروي ابن جرير أن طلحة لقي عثمان وهو خارج إلى المسجد فقال له طلحة: إن الخمسين ألفاً التي لك عندي قد حصلت فأرسل من يقبضها، فقال له عثمان: إنا قد وهبناكها لمروءتك.

وقال الأصمعي: استعمل ابن عامر، قطن بن عوف الهلالي على كَرْمَانَ، فأقبل جيش من المسلمين - أربعة آلاف - وجرى الوادي فقطعهم عن طريقهم، وخشي قطن الفوت فقال: من جاز الوادي فله ألف درهم، فحملوا أنفسهم على العظم، فكان إذا جاز الرجل منهم قال قطن: أعطوه جائزته، حتى جازوا جميعاً وأعطاهم أربعة آلاف ألف درهم، فأبي ابن عامر أن يحسبها له، فكتب بذلك إلى عثمان بن عفان، فكتب عثمان: أن أحسبها له، فإنه إنما أعان المسلمين في سبيل الله، فمن ذلك اليوم سميت الجوائز لإجازة الوادي<sup>(١)</sup>.

### إسلامه وجهاده<sup>(٢)</sup>!

أسلم عثمان - رضي الله عنه - قديماً على أبي بكر الصديق، وهاجر إلى الحبشة أول الناس ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، ثم عاد إلى مكة، وهاجر إلى المدينة، فلما كانت وقعة بدر اشتغل بتمريض ابنة رسول الله ﷺ، وأقام بسببها في المدينة، وضرب له رسول الله ﷺ بسهمه منها وأجره فيها، فهو معدود فيمن شهدها. فلما توفيت زوجته رسول الله ﷺ بأختها أم كلثوم فتوفيت أيضاً في صحبته، وشهد أحداً، وشهد الخندق، والحديبية، وبايع عنه رسول الله ﷺ يومئذ بإحدى يديه، وشهد خيبر، وعُمرة القضاء، وحضر الفتح، وهوازن، والطائف،

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (١١/٢٦٥ خط).

(٢) البداية والنهاية: ١٩٨/٧.

وغزوة تبوك، وجهاز جيش العسرة بثلاثمائة بعير بأقتابها وأحلاسها.  
وعن عبدالرحمن بن سمرة أنه جاء يومئذ بألف دينار فصبتها في حجر  
رسول الله ﷺ فقال ﷺ: «ما ضر عثمان ما فعل بعد هذا اليوم مرتين»<sup>(١)</sup>.  
وحج مع رسول الله ﷺ حجة الوداع، وتوفي وهو عنه راض،  
وصحب أبا بكر فأحسن صحبته، وتوفي وهو عنه راض، وصحب عمر  
فأحسن صحبته وتوفي وهو عنه راض، ونص عليه في أهل الشورى  
السته، فكان خيرهم.

فولي الخلافة بعد عمر، ففتح الله على يديه كثيرًا من الأقاليم  
والأمصار، وتوسعت المملكة الإسلامية، وامتدت الدولة المحمدية،  
وبلغت الرسالة المصطفوية في مشارق الأرض ومغاربها، وظهر للناس  
مصدق قوله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ  
الَّذِي أَرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [سورة النور: ٥٥].  
وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ  
كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [سورة الصف].

وقوله ﷺ: «إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، وإذا هلك كسرى فلا  
كسرى بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله»<sup>(٢)</sup> وهذا

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦٣/٥)، والترمذي في سننه، كتاب المناقب، «باب  
مناقب عثمان - رضي الله عنه» وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه  
(٦٢٦/٥) (ح/٣٧٠١).

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٢٣٧/٤)  
(ح/٢٩١٨-٢٩١٩) من حديث أبي هريرة وجابر بن سمرة - رضي الله عنهما - =



كله تحقق وقوعه وتأكد وتوطد في زمان عثمان - رضي الله عنه .

### فضائله رضي الله عنه

قال الإمام البخاري في صحيحه<sup>(١)</sup>: باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمر القرشي - رضي الله عنه -:

تبشيره بالجنة:

- ١- قال النبي ﷺ: «مَنْ يَخْفِرْ بَثْرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ . فَحَفَرَهَا عَثْمَانُ» .
- ٢- وقال: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعَسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ . فَجَهَّزَهُ عَثْمَانُ» .
- ٣- عن أبي موسى - رضي الله عنه - «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ حَائِطًا وَأَمْرَنِي بِحِفْظِ بَابِ الْحَائِطِ ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ : أئْذِنُ لَهُ وَبَشْرَهُ بِالْجَنَّةِ ، فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ . ثُمَّ جَاءَ آخَرٌ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ : أئْذِنُ لَهُ وَبَشْرَهُ بِالْجَنَّةِ ، فَإِذَا عُمَرُ . ثُمَّ جَاءَ آخَرٌ يَسْتَأْذِنُ ، فَسَكَتَ هَنِيهَةً ثُمَّ قَالَ : ائْذِنُ لَهُ وَبَشْرَهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى سَتَصِيبُهُ ، فَإِذَا عَثْمَانُ بْنُ عَفَانَ» .

عثمان ممن استجاب لله ولرسوله وهاجر الهجرتين:

- ٤- عن ابن شهاب، أخبرني عروة، أن عبيدالله بن عدي بن الخيار أخبره، أن المسور بن مخرمة، وعبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قالوا: ما يمنعك أن تكلم عثمان لأخيه الوليد فقد أكثر الناس

= وقد قُتل كسرى يزدجر آخر ملوك الاكاسرة بمرو، سنة إحدى وثلاثين في خلافة

عثمان - رضي الله عنه - كما سيأتي .

(١) من هنا إلى نهاية النص السابع إضافة ليست في الأصل، أوردتها لأهميتها وجرياً

على المنهج الذي سلكته في ذكر فضائل الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - .

انظر: صحيح البخاري - فتح الباري (٧/٥٢-٥٤) . وقد جعلت عناوين للأحاديث

تبرز المقصد منها .

فيه؟ فقصدت لعثمان حتى خرج إلى الصلاة، قلت إن لي إليك حاجة، وهي نصيحة لك. قال: يا أيها المرء منك - قال معمر: أراه قال: أعود بالله منك - فانصرفت فرجعت إليهما، إذ جاء رسول عثمان؛ فأتيته، فقال: ما نصيحتك؟ فقلت: إن الله سبحانه بعث محمدًا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، وكنت ممن استجاب لله ولرسوله ﷺ، فهاجرت الهجرتين، وصحبت رسول الله ﷺ ورأيت هدية. وقد أكثر الناس في شأن الوليد. قال: أدركت رسول الله ﷺ؟ قلت: لا، ولكن خلص إلي من علمه ما يخلص إلى العذراء في سترها.

قال: أمّا بعد: فإن الله بعث محمدًا ﷺ بالحق، فكنت ممن استجاب لله ولرسوله، وآمنت بما بعث به وهاجرت الهجرتين - كما قلت - وصحبت رسول الله ﷺ وباعته، فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله. ثم أبوبكر مثله. ثم عمر مثله. ثم استخلفت، أفليس لي من الحق مثل الذي لهم؟ قلت: بلى. قال: فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم؟ أمّا ما ذكرت من شأن الوليد فسناخذ فيه بالحق إن شاء الله. ثم دعا عليًا فأمره أن يجليده، فجلده ثمانين.

تبشيره بالشهادة:

٥- عن قتادة أن أنسًا - رضي الله عنه - قال: «صعد النبي ﷺ أحدًا ومعه أبوبكر وعمر وعثمان، فرجف، فقال: اسكن أحدًا - أظنه ضرب به برجله - فليس عليك إلا نبي وصدّيق وشهيدان».

ترتيبه في الفضل:

٦- عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدّل بأبي بكر أحدًا، ثم عمر ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا

## نفاضلُ بينهم .

### شهادة ابن عمر بفضائل عثمان ودفاعه عنه:

٧- عن عثمان بن مَوْهَب قال: جاء رجل من أهل مصر وَحَجَّ البيتَ، فرأى قومًا جلوسًا فقال: من هؤلاء القومُ؟ فقالوا: هؤلاء قريشُ. قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبدالله بن عمر. قال: يا ابن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني عنه: هل تعلم أن عثمان فرَّ يومَ أُحُدٍ؟ قال: نعم. فقال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم. قال الرجل: هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهداها؟ قال: نعم. قال الله أكبر. قال ابن عمر: تعال أبين لك. أمَّا فرارُهُ يومَ أُحُدٍ فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له. وأمَّا تغيبُهُ عن بدر فإنه كانت تحته بنتُ رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له رسولُ الله ﷺ: «إن لك أجرَ رجل ممن شهد بدرًا وسهمه». وأمَّا تغيبُهُ عن بيعة - الرضوان - فلو كان أحدٌ أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسولُ الله ﷺ عثمانَ وكانت بيعةُ الرضوان بعد ما ذهبَ عثمانُ إلى مكة، فقال رسولُ الله ﷺ بيده اليمنى: هذه يد عثمان. فضرب بها على يده فقال: هذه لعثمان. فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك.

### حياء عثمان<sup>(١)</sup>!

٨- قال الإمام أحمد: حدثنا حجاج، ثنا ليث، حدثني عقيل عن ابن شهاب عن يحيى بن سعيد بن العاص أن سعيد بن العاص أخبره أن

(١) من هذا النص إلى اجتهاده في العبادة من البداية والنهاية: ٢٠٢/٧-٢٠٤،

عائشة زوج النبي ﷺ، وعثمان، حدثاه: أن أبا بكر استأذن علي النبي ﷺ وهو مضطجع على فراشه لا بس مرط عائشة، فأذن له وهو على تلك الحالة ففضى إليه حاجته ثم انصرف، فاستأذن عمر، فأذن له وهو على تلك الحالة، ففضى إليه حاجته ثم انصرف. قال عثمان: ثم استأذنتُ عليه فجلس وقال: إجمعي عليكِ ثيابك ففضيتُ إليه حاجتي ثم انصرفتُ، فقالت عائشة: يا رسول الله! ما لي لا أراك فزعتَ لأبي بكر وعمر كما فزعتَ لعثمان؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن عثمان رجل حيي، وإني خشيتُ إن أذنتُ له على تلك الحالة لا يُبلِّغُ إليَّ حاجته».

قال الليث: وقال جماعة الناس: إن رسول الله ﷺ قال لعائشة: «ألا استحي ممن تستحي منه الملائكة؟»<sup>(١)</sup>.

ورواه مسلم<sup>(٢)</sup> من حديث محمد بن أبي حرملة، عن عطاء وسليمان ابني يسار، وأبي سلمة بن عبدالرحمن، عن عائشة. ورواه أبو يعلي الموصلي من حديث سهيل، عن أبيه، عن عائشة. ورواه جبير بن نفير، وعائشة بنت طلحة عنها.

٩- قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، عن سفيان، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي أبو بكر، وأشدّها في دين الله عمر، وأشدّها حياة عثمان، وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأقرؤها لكتاب الله أبي، وأعلمها بالفرائض

(١) المسند (٧١/١)، وقال أحمد شاكر، (٥١٤) إسناده صحيح.

(٢) الصحيح، كتاب الفضائل (٢٤٠٢) من طريق عقيل عن ابن شهاب به، كما أخرجه من الطريق التي أشار لها المصنف (٢٤٠١).

زيد بن ثابت، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح<sup>(١)</sup> ورواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه من حديث خالد الحذاء، وقال الترمذي: حسن صحيح<sup>(٢)</sup>.

### منزلة عثمان في الأمة:

١٠- قال الإمام أحمد: حدثنا أبو داود - عمر بن سعد - ثنا بدر بن عثمان، عن عبيد الله بن مروان، عن أبي عائشة، عن عمر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات غداة بعد طلوع الشمس فقال: «رأيت قبل الفجر كأنني أعطيتُ المقاليدَ والموازينَ، فأما المقاليدُ فهذه المفاتيحُ، وأما الموازينُ فهي التي يوزنُ بها، فوضعتُ في كِفَّةٍ ووضعتُ أمتي في كِفَّةٍ فوزنتُ بهم فرجحتُ، ثم جيء بأبي بكر فوزنَ، فوزنَ بهم، ثم جيء بعمر فوزنَ، فوزنَ بهم، ثم جيء بعثمان فوزنَ، فوزنَ بهم، ثم رُفعتُ» تفرد به أحمد<sup>(٣)</sup>.

١١- قال يعقوب بن سفيان: حدثنا هشام بن عمار، ثنا عمرو بن واقد، ثنا يونس بن ميسرة، عن أبي إدريس، عن معاذ بن جبل. قال: قال رسول الله ﷺ: «إني رأيتُ أني وضعتُ في كِفَّةٍ وأمّي في كِفَّةٍ فعدلتُها، ثم وضع أبو بكر في كِفَّةٍ وأمّي في كِفَّةٍ فعدلتُها، ثم وضع عمر في كِفَّةٍ وأمّي في كِفَّةٍ فعدلتُها، ثم وضع عثمان في كِفَّةٍ وأمّي في كِفَّةٍ فعدلتُها»<sup>(٤)</sup>.

(١) المسند (٣/ ١٨٤، ٢٨١)، وقد صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير (٩٠٨)، وقد سبق في فضائل عمر.  
 (٢) انظر لتخريجه: المزي: تحفة الأشراف (١/ ٢٥٧)، (ح/ ٩٥٢).  
 (٣) المسند (٢/ ٧٦)، وقال أحمد شاکر: (٥٤٦٩) إسناده صحيح.  
 (٤) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣٥٧). وهو شاهد للحديث السابق.

وصية النبي لعثمان بالصبر وعدم الاستجابة لطلب خلعه:

١٢- قال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة، ثنا الوليد بن سليمان<sup>(١)</sup> حدثني ربيعة بن يزيد، عن عبدالله بن عامر، عن النعمان بن بشير، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان ابن عفان فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فلما رأينا إقبال رسول الله ﷺ على عثمان أقبلت إحدانا على الأخرى فكان من آخر كلام كلمه أن ضرب منكبه وقال: يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصاً فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخله حتى تلقاني ثلاثاً. فقلت لها: يا أم المؤمنين، فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيته والله فما ذكرته، قال: فأخبرته معاوية بن أبي سفيان فلم يرض بالذي أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين: أن اكتبي إليّ به، فكتبت إليه به كتاباً<sup>(٢)</sup>. وقد رواه أبو عبدالله الجسري<sup>(٣)</sup> عن عائشة وحفصة، بنحو ما تقدم<sup>(٤)</sup> ورواه قيس بن أبي حازم<sup>(٥)</sup>، وأبوسهلة عنها<sup>(٦)</sup>.

ورواه أبوسهلة عن عثمان: «إن رسول الله ﷺ عهد إليّ عهداً فأنا

- (١) في الأصل الوليد بن مسلم والتصحيح من مسند أحمد (٨٦/٦).  
 (٢) المسند (٨٦/٦)، وله طريق أخرى أخرجه أيضاً في (١٤٩/٦)، وأخرجه الترمذي مختصراً في مناقب عثمان (٦٢٨/٥)، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب، وأخرجه ابن ماجه في سننه، المقدمة، (باب (١١) (٤١/١) من طريق الفرج بن فضالة عن ربيعة بن يزيد.  
 (٣) في الأصل (الجرى) والتصحيح من مسند أحمد (٢٦٣/٦).  
 (٤) المسند (٢٦٣/٦).  
 (٥) المسند (٢١٤/٦).  
 (٦) المسند (٥٢/٦).

صابر نفسي عليه<sup>(١)</sup> ورواه فرج بن فضالة عن محمد بن الوليد الزبيدي، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، فذكره<sup>(٢)</sup>.  
قال الدراقطني: تفرد به الفرّج بن فضالة<sup>(٣)</sup>.

شهادة عائشة لعثمان رضي الله عنه:

١٣- قال الإمام أحمد: حدثنا عبدالصمد، حدثني فاطمة بنت عبدالرحمن قالت: حدثني أمي، أنها سألت عائشة، وأرسلها عمها فقال: إن أحد بنيك يقرئك السلام ويسألك عن عثمان فإن الناس قد شتموه، فقالت: لعن الله من لعنه، فوالله لقد كان قاعدًا عند رسول الله ﷺ، وإن رسول الله لمسند ظهره إليّ، وإن جبريل ليوحى إليه القرآن، وإنه ليقول له: اكتب يا عثيم، قالت عائشة: فما كان الله لينزل تلك المنزلة إلا كريمًا على الله ورسوله<sup>(٤)</sup>.

ثم رواه الإمام أحمد عن يونس، عن عمر بن إبراهيم الشكري، عن أمه، عن أمها أنها سألت عائشة عند الكعبة عن عثمان فذكرت مثله<sup>(٥)</sup>.

إخبار النبي بوقوع الفتنة التي قُتِلَ فيها عثمان وأنه على الحق:

١٤- قال الإمام أحمد: حدثنا أسود بن عامر، ثنا سنان بن هارون، ثنا كليب بن وائل، عن ابن عمر قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقال

- (١) المسند (٥٨/١)، وقال أحمد شاكر في تحقيقه (٤٠٧) إسناده صحيح.
- (٢) رواية الفرّج بن فضالة أخرجه ابن ماجه (٤١/١) كما سبقت الإشارة إلى ذلك.
- (٣) لم يتفرد به الفرّج بن فضالة، بل رواه معاوية بن صالح، عن ربيعة بن يزيد، كما عند الترمذي، ورواه الوليد بن سليمان عن ربيعة كما في هذا الحديث.
- (٤) المسند (٢٥٠/٦).
- (٥) المسند (٢٦١/٦).

يقتل فيها هذا المقنع يومئذ مظلوماً، فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان. <sup>(١)</sup> ورواه الترمذي، عن إبراهيم بن سعد، عن شاذان به، وقال: حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن عمر <sup>(٢)</sup>.

١٥- قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، ثنا وهيب، ثنا موسى بن عقبة، حدثني جدي أبو أمي - أبو حبيبة - <sup>(٣)</sup>، أنه دخل الدار وعثمان محصور فيها، وأنه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان في الكلام فأذن له، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنكم تلقون بعدي فتنة واختلافاً - أو قال اختلافاً وفتنة - فقال له قائل من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟ قال: عليكم بالأمين وأصحابه وهو يشير إلى عثمان بذلك <sup>(٤)</sup>». قال ابن كثير: تفرد به أحمد وإسناده جيد حسن، ولم يخرجوه من هذا الوجه.

١٦- وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو أسامة حماد بن أسامة <sup>(٥)</sup>، ثنا كههمس بن الحسن، عن عبد الله بن شقيق، حدثني حرمي بن الحارث، وأسامه بن خريم - وكانا يغازيان - فحدثاني حديثاً ولم يشعر كل واحد منهما أن صاحبه حدثنيه، عن مرة البهزي قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في طريق من طرق المدينة فقال:

- (١) صححه أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (١٧١/٨).  
 (٢) سنن الترمذي، كتاب المناقب (٥/٦٣٠) (ح/٣٧٠٨).  
 (٣) في الأصل: حدثني أبو أمي حبيبة، والتصحيح من المسند.  
 (٤) المسند (٢/٣٤٥)، ومثله سنداً ومثلاً في فضائل الصحابة له (١/٤٥٠)، (٧٢٣) وقال محققه: إسناده صحيح.  
 (٥) في الأصل: حدثنا أبو أسامة حدثنا حماد بن سلمة، والتصحيح من المسند.



«كيف تصنعون في فتنة ثور في أقطار الأرض كأنها صياصي بقر؟  
قالوا: نصنع ماذا يا رسول الله؟ قال: عليكم هذا وأصحابه - أو  
اتبعوا هذا وأصحابه - قال: فأسرعتُ حتى عَيَّيتُ فأدركتُ الرجلَ  
فقلتُ: هذا يا رسول الله؟ قال: هذا، فإذا هو عثمان بن عفان.  
فقال: هذا وأصحابه فذكره<sup>(١)</sup>.

١٧- وقال الترمذي في جامعة: حدثنا محمد بن بشار، ثنا عبدالوهاب  
الثقفي، ثنا أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي الأشعث الصنعاني، أن  
خطباء قامت بالشام وفيهم رجال من أصحاب النبي ﷺ فقام آخرهم  
رجل يقال له مُرّة بن كَعْبٍ، فقال: لولا حديث سمعته من رسول  
الله ﷺ ما تكلمتُ، وذكر الفتن ففقرَ بها، فَمَرَّ رجل مقنع في ثوب،  
فقال: هذا يومئذ على الهدى، فقمت إليه فإذا عثمان بن عفان.  
قال: فأقبلتُ عليه بوجهه فقلتُ: هذا؟ قال نعم. ثم قال الترمذي:  
هذا حديث حسن صحيح<sup>(٢)</sup>.

### اجتهاده في العبادة:

وقد روي من غير وجه أنه صَلَّى بالقرآن العظيم في ركعة واحدة  
عند الحجر الأسود، أيام الحج، وقد كان هذا من دأبه - رضي الله

(١) المسند (٣٥/٥)، بإسناد صحيح وله طرق أخرى في المسند (٣٣/٥) حدثنا بهز،  
وعبد الصمد قالوا حدثنا أبو هلال عن قتادة عن عبدالله بن شقيق عن مرة البهزي  
- هكذا بدون واسطة - وانظر فضائل الصحابة (١/٤٤٩). وطريق ثالثة في المسند  
(٤/٢٣٥). ويشهد له الحديث الآتي.

(٢) سنن الترمذي كتاب المناقب حديث (٣٧٠٤)، قال: وفي الباب عن ابن عمّره،  
وعبدالله بن حوالة، وكعب بن عُجْرة.

عنه (١)

ولهذا رُوينا عن ابن عمر أنه قال في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ  
ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [سورة الزمر: ٩] قال:  
هو عثمان بن عفان (٢).

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ  
وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة النحل] قال: هو عثمان (٣).  
وقال حسان - رضي الله عنه:

ضَحَّوْا بِأَشْمَطِ عُنْوَانِ السُّجُودِ بِهِ      يَقُطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقِرَانًا  
ذَكَرَ زَوْجَاتِهِ وَبَنِيهِ وَبَنَاتِهِ (٤)؛

- تزوج رُقِيَّةَ بنت رسول الله ﷺ، فولد له منها، عبدالله، وبه كان يُكْنَى.  
- ثم لما توفيت تزوج بأختها أم كلثوم، ثم توفيت.  
- وتزوج بفاختة بنت غزوان بن جابر، فولد له منها عبدالله الأصغر.  
- وتزوج بأم عمرو بنت جندب بن عمرو الأزدي، فولدت له عمراً، وبه  
كان يُكْنَى، وخالداً، وأبان، وعمراً، ومريم.  
- وتزوج بفاطمة بنت الوليد بن عبدشمس بن المغيرة المخزومية،  
فولدت له، الوليد، وسعيداً، وأم عثمان.

(١) أخرج ذلك البيهقي في السنن الكبرى (٢٤/٣) وابن سعد في الطبقات الكبرى  
(٧٦/٣) وصححه الذهبي في تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين (٤٧٦)  
وانظر مزيداً من الروايات في ذلك في طبقات ابن سعد (٧٦٧٥/٣).  
(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤٧/٤).  
(٣) المصدر نفسه (٥٧٩/٢).  
(٤) البداية والنهاية: ٢١٨/٧.

- وتزوج أمّ البنين بنت عيينة بن حصن الفزارية، فولدت له،  
عبدالمك، ويقال: وعُتْبة.

- وتزوج رَمْلَةَ بنت شيبه بن ربيعة بن عبدشمس بن عبدمناف بن قُصَيّ،  
فولدت له عائشة، وأمّ أبان، وأمّ عمرو، بنات عثمان.

- وتزوج نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن  
الحارث بن حصن بن ضَمْضَم بن عدي بن جناب بن كَلْب، فولدت له،  
مريم، ويقال: وعنيسة<sup>(١)</sup>.

وقتل رضي الله عنه وعنده أربع: نائلة، ورَمْلَةَ، وأمّ البنين،  
وفاخته.

ويقال: إنه طلق أم البنين وهو محصور<sup>(٢)</sup>.

### وَصِيَّتُهُ<sup>(٣)</sup>؟

قال هشام بن عروة عن أبيه: إن عثمان - رضي الله عنه - أوصى  
إلى الزبير<sup>(٤)</sup>.

وقال الأصبغي، عن العلاء بن الفضل، عن أبيه. قال: لما قتل  
عثمان فتشوا خزائنه فوجدوا فيها صندوقاً مقفلاً ففتحوه، فوجدوا فيها

(١) انظر عن زوجاته وأولاده: مصعب الزبيري. نسب قريش (١٠٤-١٠٥) لكنه خالف  
في ولده من نائلة فقال: أمّ خالد، وأروى، وأم أبان الصغرى، بنات عثمان، أمهم  
نائلة بنت الفرافصة. وانظر: أيضاً ابن جرير، تاريخ الرسل والملوك (٤/٤٢٠)،  
مع اختلاف يسير في أسماء الأولاد.

(٢) ابن جرير، المصدر السابق (٤/٤٢١)، وابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك  
والأمم (٤/٣٣٦).

(٣) البداية والنهاية: ٧/١٨٣-١٨٤.

(٤) مصعب الزبيري. المصدر السابق (١٠٦).

ورقة مكتوب فيها: «هذه وصية عثمان . بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن الله يبعث من في القبور ، ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد ، عليها يحيى وعليها يموت ، وعليها يبعث إن شاء الله تعالى .

مُدَّة خلافته وعمره<sup>(١)</sup>!

كانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يومًا ، لأنه بويع له في مستهل المحرم سنة أربع وعشرين ، وقتل يوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين<sup>(٢)</sup> .

أمَّا عمره فقد جاوز ثنتين وثمانين سنة ، قال صالح بن كيسان : توفى عن ثنتين وثمانين سنة وأشهر ، وقيل : أربع وثمانون سنة ، وقال قتادة : توفى عن ثمان وثمانين سنة أو تسعين سنة<sup>(٣)</sup> .

(١) البداية والنهاية : ٧ / ١٩٠ .

(٢) هذه رواية جمهور المؤرخين كما ذكر الطبري (٤ / ٤١٥) .

(٣) انظر هذه الأقوال عند الطبري ، المصدر السابق (٤ / ٤١٧-٤١٨) . وصحح الذهبي

في تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين (٤٨١) القول بأن عمره اثنتين وثمانين سنة .

## الفصل الثاني

### استخلافه

#### قصة الشورى والاتفاق على بيعته<sup>(١)</sup>!

كان عمر - رضي الله عنه - قد جعل الأمر بعده شورى بين ستة نفر وهم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيدالله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالرحمن بن عوف - رضي الله عنهم -. وتخرج أن يجعلها لواحد من هؤلاء على التعيين<sup>(٢)</sup>، وقال: لا أتحمل أمركم حيًا وميتًا، وإن يرد الله بكم خيرًا يجمعكم على خير هؤلاء كما جمعكم على خيركم بعد نبيكم ﷺ. ومن تمام ورعه لم يذكر في الشورى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل لأنه ابن عمه خشى أن يراعى فيولّى لكونه ابن عمه، فلذلك تركه - وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة - بل جاء في رواية المدائني عن شيوخه، أنه استثناه من بينهم، وقال: لست مدخله فيهم<sup>(٣)</sup>. وقال لأهل الشورى: يحضركم عبدالله - يعني ابنه - وليس له من الأمر شيء - يعني بل يحضر الشورى ويشير بالنصح ولا يؤلّى شيئًا - وأوصى أن يُصَلّي بالناس

(١) البداية والنهاية: ٧/ ١٤٤-١٤٧.

(٢) لأنه - رضي الله عنه - نظر في فعل رسول الله ﷺ وفعل الصديق قبله، فوجد رسول الله ﷺ قد ترك التعيين، ووجد الصديق قد عين واستخلف، فأراد أن يجمع بين الطريقتين فجعل الأمر شورى في ستة عينهم بأسمائهم، وهذه صورة ثالثة من صور الشورى.

(٣) أخرجها ابن جرير، المصدر السابق (٤/ ٢٢٨).

صهيب بن سنان الرومي ثلاثة أيام حتى تنقضي الشورى، وأن يجتمع أهل الشورى حتى ينبرم الأمر.

فخلص القوم في بيت يتشاورون في أمرهم، ثم صار الأمر إلى أن فوض ثلاثة منهم ما لهم في ذلك إلى ثلاثة، ففوض الزبير ما يستحقه من الإمارة إلى علي، وفوض سعد ما له في ذلك إلى عبدالرحمن بن عوف، وترك طلحة حقه إلى عثمان بن - رضي الله عنه.

فقال عبدالرحمن لعلي وعثمان: أيكما يبرأ من هذا الأمر فنفوض الأمر إليه، والله عليه والإسلام ليولين أفضل الرجلين الباقيين، فأسكت الشيخان علي وعثمان، فقال عبدالرحمن: إني أترك حقي من ذلك والله علي والإسلام أن أجتهد فأولي أولا كما بالحق، فقالا: نعم! ثم خاطب كل واحد منهما بما فيه من الفضل، وأخذ عليه العهد والميثاق لثن ولاء ليعدّ لثن ولثني ولي عليه ليسمعن وليطيعن، فقال كل منهما: نعم! ثم تفرقوا<sup>(١)</sup>. فسعى في ذلك عبدالرحمن ثلاثة أيام بلياليها لا يغمض بكثير نوم إلا صلاة ودعاء واستخارة، وسؤالاً من ذوي الرأي عنهم، فلم يجد أحداً يعدل بعثمان بن عفان - رضي الله عنه - فلما كانت الليلة التي يسفر صباحها عن اليوم الرابع من موت عمر بن الخطاب جاء إلى منزل ابن اخته المسور بن مخرمة فقال: أنائم يامسور؟ والله لم أغمض بكثير نوم منذ ثلاث، اذهب فادع لي علياً وعثمان، قال المسور: فقلت بأيهما أبدأ؟ فقال بأيهما شئت، قال فذهبت إلى علي فقلت أجب خالي، فقال أمرك أن تدعو معي أحداً؟ قلت: نعم! قال: من؟ قلت: عثمان بن عفان، قال: بأينا بدأ؟ قلت لم يأمرني بذلك، بل قال ادعوا لي أيهما

(١) هذا مضمون رواية البخاري لخبر الشورى وبيعة عثمان وسوف أوردها بعد.

شئت أولاً، فجئت إليك، قال: فخرج معي، فلما مررنا بدار عثمان بن عفان جلس علي حتى دخلت فوجدته يوتر مع الفجر، فقال لي كما قال لي علي سواء، ثم خرج فدخلت بهما على خالي وهو قائم يصلي، فلما انصرف أقبل عليّ وعثمان فقال: إني قد سألت الناس عنكما فلم أجد أحداً يعدل بكما أحداً، ثم أخذ العهد على كل منهما أيضاً لئن ولّاه ليعدلن، ولئن ولّني عليه ليسمعن وليطيعن، ثم خرج بهما إلى المسجد وقد لبس عبدالرحمن العمامة التي عمّمه بها رسول الله ﷺ، وتقلد سيفاً، وبعث إلى وجوه الناس من المهاجرين والأنصار، ونودي في الناس عامة، الصلاة جامعة، فامتأ المسجد حتى غصّ بالناس، وتراصّ الناس حتى لم يبق لعثمان موضع يجلس إلا في أخريات الناس - وكان رجلاً حَيِّياً - رضي الله عنه - ثم صعد عبدالرحمن بن عوف منبر رسول الله ﷺ، فوقف وقوفاً طويلاً، ودعى دعاءً طويلاً لم يسمعه الناس، ثم تكلم فقال: أيها الناس، إني سألتكم سرّاً وجهراً بأمانيتكم فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين: إما علي، وإما عثمان، فقم إلى يا علي، فقام إليه فوقف تحت المنبر فأخذ عبدالرحمن بيده فقال: هل أنت مبايعي علي كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم لا، ولكن علي جهدي من ذلك وطاقتي، قال: فأرسل يده<sup>(١)</sup>

(١) ذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٣/١٩٧) أن عرض عبدالرحمن البيعة لعليّ على كتاب الله وسنة رسوله، وسيرة أبي بكر وعمر، قد أخرجها عبدالله بن أحمد في زيادات المسند، من طريق سفيان بن وكيع، وهو ضعيف. قلت: والأصح في ذلك هو سياق الإمام البخاري لخبر البيعة - كما سيأتي - وليس فيه هذا العرض.

وقال: قم إلي يا عثمان، فأخذ بيده فقال: هل أنت مبايعي علي كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم نعم! قال: فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان فقال: اللهم اسمع واشهد، اللهم اسمع واشهد، اللهم اسمع واشهد، اللهم إني قد خلعت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان. قال: وازدحم الناس يبايعون عثمان حتى غشوه تحت المنبر، قال فقعد عبدالرحمن مقعد النبي ﷺ، وأجلس عثمان تحته على الدرجة الثانية، وجاء إليه الناس يبايعونه، وبايعه علي بن أبي طالب أولاً، ويقال آخرًا<sup>(١)</sup>.

وما يذكره كثير من المؤرخين، كابن جرير<sup>(٢)</sup>، وغيره، عن رجال لا يعرفون، أن عليًا قال لعبدالرحمن خدعتني، وإنك إنما وليته لأنه صهرك وليشاورك كل يوم في شأنه، وأنه تلكأ - أي بالبيعة - حتى قال عبدالرحمن: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ. وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَبُّوْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الفتح]. إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت في الصحاح فهي مردودة على قائلها وناقليها.

والمظنون بالصحابة خلاف ما يتوهم كثير من الرافضة وأغبياء القصاص الذين لا تمييز عندهم بين صحيح الأخبار وضعيفها، ومستقيمها وسقيمها، ومباذها وقويمها.

(١) الذي ذكره ابن كثير هو مضمون رواية المسور بن مخرمة التي أخرجه ابن جرير الطبري في تاريخ الرسل والملوك (٢٣٧/٤) وسيأتي في آخر خبر البيعة في صحيح البخاري التصريح أن عليًا كان أول من بايع.

(٢) انظر: تاريخ الرسل والملوك (٢٣٨-٢٣٩).



تكملة لخبر بيعة عثمان من صحيح البخاري<sup>(١)</sup>؛

قالوا - أي لعمر بن الخطاب - : أوصي يا أمير المؤمنين ، استخلف .  
قال : ما أجد أحقَّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر - أو الرهط - الذين توفّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض : فسمى عليّاً وعثمانَ والرُّبَيْرَ وطلحةَ وسعدًا وعبد الرحمن ، وقال : يشهدكم عبد الله ابن عمر ، وليس له من الأمر شيء - كهيئة التعزية له - فإن أصابتِ الإمرةُ سعدًا فهو ذاك ، وإلّا فليسنعن به أيكم ما أمر - فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة . وقال : أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأوّلين ، أن يعرف لهم حقهم ، ويحفظ لهم حرمتهم . وأوصيه بالأنصار خيرًا ، الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ، أن يقبل من محسنيهم ، وأن يعفى عن مسيئهم . وأوصيه بأهل الأمصار خيرًا ، فإنهم ردء الإسلام ، وجباة المال وغيظ العدو ، وأن لا يؤخذ منهم إلّا فضلهم عن رضاهم .

وأوصيه بالأعراب خيرًا ، فإنهم أصل العرب ، ومادة الإسلام ، أن يؤخذ من حواشي أموالهم ، ويردّ على فقرائهم ، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ ، أن يوفى لهم بعهدهم ، وأن يُقاتل من ورائهم ولا يكلفوا إلّا طاقتهم .

فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي<sup>(٢)</sup> ، فسلم عبد الله بن عمر

(١) إضافة ليست في الأصل ، انظر : صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان - رضي الله عنه - (٧/٦١ من الفتح) من حديث عمرو بن ميمون وفي أوله قصة مقتل عمر - رضي الله عنه - .

(٢) أي بجنابة عمر ، فسلم عبد الله على عائشة أم المؤمنين واستأذنها ثانية كما أمره عمر - رضي الله عنه - .

قال: يستأذن عمر بن الخطاب. قالت: ادخلوه فأدخل، فوُضِعَ هنالك مع صاحبيه.

فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبدالرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم. فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي. فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبدالرحمن بن عوف. فقال عبدالرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه، والله عليه والإسلام لينظرون أفضلهم في نفسه؟ فسكت الشيخان. فقال عبدالرحمن: أفتجعلونه إليّ والله عليّ أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالوا: نعم، فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمرتكَ لتعدلن، ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن. ثم خلا بالآخر فقال مثل ذلك. فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه، فبايع له عليّ، وولج أهل الدار فبايعوه.

تاريخ بيعته<sup>(١)</sup>؛

وقد اختلف علماء السير في اليوم الذي بويع فيه لعثمان بن عفان - رضي الله عنه -، فروى الواقدي عن شيوخه أنه بويع يوم الاثنين لليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، واستقبل بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين<sup>(٢)</sup> وهذا غريب جدًا.

(١) البداية والنهاية: ١٤٧/٧.

(٢) انظر: تاريخ ابن جرير، المصدر السابق (٢٤٢/٤) وطبقات ابن سعد (٦٣/٣) وقول المصنف: وهذا غريب جدًا، لم يتضح لي وجه غرابته، وهذا القول موافق لما قرر المصنف في مدة خلافته وما ذكر أيضًا في تاريخ مقتل عمر - رضي الله =

وقد روى الواقدي أيضاً عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة قال: بويع لعثمان بن عفان لعشر خلون من المحرم بعد مقتل عمر بثلاث ليال<sup>(١)</sup> وهذا أغرب من الذي قبله.

وروى سيف بن عمر عن عمر بن شبة عن عامر الشعبي أنه قال: اجتمع أهل الشورى على عثمان لثلاث خلون من المحرم سنة أربع وعشرين، وقد دخل وقت العصر وقد أذن مؤذن صهيب، واجتمع الناس بين الأذان والإقامة فخرج فصلى بهم العصر<sup>(٢)</sup>. وزاد الناس - يعنى في أعطياتهم - مائة، ووفد أهل الأمصار، وهو أول من صنع ذلك<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: ظاهر ما ذكرناه من سياق بيعته يقتضى أن ذلك كان قبل الزوال وكأنه لم تتم البيعة إلا بعد الظهر وصلى صهيب يومئذ الظهر في المسجد النبوي، وكان أول صلاة صلاها الخليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان بالمسلمين صلاة العصر، كما ذكره الشعبي وغيره.

#### خطبة عثمان عند بيعته<sup>(٤)</sup>؟

أول خطبة خطبها بالمسلمين كما رواه سيف بن عمر عن بدر بن عثمان عن عمه قال: لما بايع أهل الشورى عثمان خرج وهو أشدهم

= عنه.. انظر: خلافة عمر (ص ٢٢)، من هذا التهذيب. والخلاف بين رواية الواقدي وبين رواية الشعبي التي ذكرها المصنف وسكت عليها يسير.

(١) المصدر السابق (٤/٢٤٢).

(٢) قلت: ظاهر رواية البخاري في صحيحه (١٣/١٩٤) أن البيعة لعثمان تمت بعد صلاة الصبح.

(٣) انظر: ابن جرير، المصدر السابق (٤/٢٤٢).

(٤) البداية والنهاية: ٧/١٤٧.

كآبة فأتى منبر النبي ﷺ فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ، وقال: إنكم في دار قلعة<sup>(١)</sup> وفي بقية أعمار، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه، فلقد أتيتم، صُبحتم أو مسيتم، ألا وإن الدنيا طويت على الغرور، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور. واعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا فإنه لا يُغفل عنكم، أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها ومُتّعوا بها طويلاً؛ ألم تلفظهم!! ازموا بالدنيا حيث رمى الله بها، واطلبوا الآخرة؛ فإن الله قد ضرب لها مثلاً، بالذي هو خير، فقال تعالى: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقَدِّرًا ﴿١٥﴾ أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً ﴿١٦﴾﴾ [سورة الكهف] قال: وأقبل الناس يبايعونه<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: وهذه الخطبة: إما بعد صلاة العصر يومئذ، أو قبل الزوال، وعبدالرحمن بن عوف جالس في رأس المنبر، وهو الأشبه. والله أعلم.

وقد كان أبوبكر إذا خطب يقوم على الدرجة التي تحت الدرجة التي كان رسول الله ﷺ يقف عليها، فلما وليَ عمر نزل درجة أخرى عن درجة أبي بكر - رضي الله عنهما -، فلما وليَ عثمان قال: إن هذا يطول، فصعد إلى الدرجة التي كان يخطب عليها رسول الله ﷺ.

(١) أي: ارتحال وتحول.

(٢) أورد الخطبة بنصها ابن جرير، المصدر السابق (٢٤٣/٤)، من طريق سيف بن عمر عن شيوخه.

تنبيه<sup>(١)</sup>!

وما يذكره بعض الناس من أن عثمان لما خطب أول خطبة ارتج عليه فلم يدر ما يقول، حتى قال: أيها الناس، إن أول مَرَكَبٍ صَعَبٌ، وإن أعش فستأتيكم الخطبة على وجهها. فهو شيء يذكره صاحب العقد<sup>(٢)</sup> وغيره، ممن يذكر طرف الفوائد، ولكن لم أر هذا بإسناد تسكن النفس إليه. والله أعلم.

كُتِبَ إِلَى أَهْلِ الْأَمْصَارِ بَعْدَ بَيْعَتِهِ<sup>(٣)</sup>

كتب عثمان بن عفان إلى عماله على الأمصار، وأمراء الحرب، والأئمة على الصلوات، والأمناء على بيوت المال، والعامّة، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحثهم على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، ويحرضهم على الاتباع وترك الابتداع<sup>(٤)</sup>.

(١) البداية والنهاية: ١٤٨/٧.

(٢) المراد ابن عبدربه الأندلسي، صاحب كتاب العقد الفريد، وهو كتاب في طرف الأخبار والحكايات والنوادر، ولا يهتم بسند الخبر أو صحته. والنص الذي يشير إليه أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٦٢/٣) من طريق الواقدي وهو متروك.

(٣) البداية والنهاية: ١٤٩/٧.

(٤) أورد ابن جرير نص كتبه إلى عمال الولايات، وأمراء الأجناد، وعمال الخراج والعامّة. انظر تاريخ الرسل والملوك (٤/٢٤٤-٢٤٥).

## الفصل الثالث أعماله والأحداث في عصره

### أول قضية نظر فيها<sup>(١)</sup>؛

أول حكومة حكم فيها قضية عبيدالله بن عمر، وذلك أنه غدا على ابنة أبي لؤلؤة قاتل عمر فقتلها، وضرب رجلاً نصرانياً يقال له جُفينة بالسيف فقتله، وضرب الهُرْمَزَانَ الذي كان صاحب تُسْتَرٍ فقتله، وكان قد قتل إنهما مالا أبا لؤلؤة على قتل عمر<sup>(٢)</sup>.

وكان عمر قد أمر بسجن عبيدالله ليحكم فيه الخليفة من بعده، فلما وليَ عثمان وجلس للناس كان أول ما تحوكم إليه في شأن عبيدالله. فقال عَلِيٌّ: ما من العدل تركه، وأشار بقتله، وقال بعض المهاجرين: أيقتل أبوه بالأمس ويقتل هو اليوم؟ فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين قد براك الله من ذلك، فَضِيَّةٌ لم تكن في أيامك فدَعُها عنك<sup>(٣)</sup>.

(١) البداية والنهاية: ١٤٨/٧-١٤٩.

(٢) انظر: ابن جرير، المصدر السابق (٢٤٠/٤) وراجع ما سبق في خلافة عمر (١٤٤).

هامش (٢، ٣) من النصوص الصحيحة الدالة على المؤامرة على قتله.

(٣) المصدر نفسه (٢٣٩/٤) من طريق عبدالله بن جعفر عن أبيه عن المسور بن

مخرمة، وهذا إسناد ضعيف فيه راوي مجهول هو جعفر بن عبدالرحمن بن

المسور، والقول المنسوب لعمر بن العاص غير مقبول من الناحية الشرعية، وقد

وردت رواية عند ابن جرير، المصدر السابق (٢٤٣/٤) من طريق سيف بن عمر أن

عثمان دفع عبيدالله بن عمر إلى ابن الهرمزان ليقتله فعفى عنه.

فودى عثمان - رضي الله عنه - أولئك القتلى من ماله، لأن أمرهم إليه، إذ لا وارث لهم إلا بيت المال، والإمام يرى الأصلح في ذلك، وخلقى سبيل عبيد الله.

### حوادث سنة أربع وعشرين<sup>(١)</sup>؛

قال ابن جرير: وفي هذه السنة (سنة ٢٤هـ) عزل عثمان المغيرة بن شعبة عن الكوفة، وولى عليها سعد بن أبي وقاص، فكان أول عامل وآه، لأن عمر قال: فإن أصابت الإمرة سعدًا فذاك، وإلّا فليستن به أيكم ولى، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة. فاستعمل سعدًا عليها سنة وبعض أخرى<sup>(٢)</sup>.

وقال الواقدي فيما ذكره عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر أوصى أن تُقرَّ عمّاله سنة، فلما ولى عثمان أقر المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة ثم عزله، واستعمل سعدًا ثم عزله وولى الوليد بن عقبة بن أبي معيط<sup>(٣)</sup>.

### حوادث سنة ست وعشرين<sup>(٤)</sup>؛

- قال الواقدي: فيها أمر عثمان بتجديد أنصاب الحرم، ووسع المسجد الحرام<sup>(٥)</sup>.

= وتفسير ابن كثير لتصرف الخليفة عثمان - رضي الله عنه - تفسير مقبول وموافق للأصول الشرعية إذ لم يكن لهم ورثة.

(١) البداية والنهاية: ١٤٩/٧.

(٢) تاريخ الرسل والملوك (٢٤٤/٣).

(٣) المصدر نفسه (٢٤٤/٤).

(٤) البداية والنهاية: ١٥١/٧.

(٥) المصدر نفسه (٢٥١/٤).

- وفيها عزل سعدًا عن الكوفة وولاها الوليد بن عقبة، وكان سبب عزل سعد أنه اقترض من ابن مسعود مالا من بيت المال، فلما تقاضاه به ابن مسعود ولم يتيسر قضاؤه تقاولا، وجرت بينهما خصومة، فغضب عليهما عثمان، فعزل سعدًا واستعمل الوليد بن عقبة - وكان عاملاً لعمر على عرب الجزيرة - فلما قدمها أقبل عليه أهلها، فأقام بها خمس سنين وليس على داره باب، وكان فيه رفق برعيته<sup>(١)</sup>.

عزل عمرو بن العاص عن مصر سنة سبع وعشرين<sup>(٢)</sup>؟

- قال الواقدي وأبو مَعْشَرٍ: وفيها عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولى عليها عبدالله بن سعد بن أبي سرح - وكان أخو عثمان لأمه<sup>(٣)</sup> - وهو الذي شفع له يوم الفتح حين كان أهدر رسول الله ﷺ دمه<sup>(٤)</sup>.

حوادث سنة ثمان وعشرين<sup>(٥)</sup>؟

قال الواقدي: وفي هذه السنة تزوج عثمان نائلة بنت الفرافصة الكلبية - وكانت نصرانية فأسلمت قبل أن يدخل بها. - وفيها بنى عثمان داره بالمدينة الزوراء.

(١) المصدر نفسه (٢٥٢/٤) عن طريق سيف بن عمر، وتاريخ الإسلام للذهبي عهد الخلفاء الراشدين (٣١٥).

(٢) البداية والنهاية: ١٥١/٧.

(٣) تاريخ خليفة (١٥٩). وعند مصعب الزبيري في نسب قريش (٤٣٣) أخوه من الرضاعة.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية (٤٩/٤)، وابن القيم، زاد المعاد (٤١١/٣)، وعبدالله ابن سعد بن أبي سرح من بني عامر بن لؤي. انظر: مصعب الزبيري، نسب قريش (٤٣٣).

(٥) البداية والنهاية: ١٥٣/٧.



- وفيها حج بالناس أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه <sup>(١)</sup>.

### كِتَابَةُ الْمَصَاحِفِ <sup>(٢)</sup>

ومن مناقبه الكبار، وحسناته العظيمة، أنه جمع الناس على قراءة واحدة، وكتب المصحف على العرضة الأخيرة، التي درسها جبريل على رسول الله ﷺ في آخر سنِّي حياته، وكان سبب ذلك أن حذيفة بن اليمان كان في بعض الغزوات، وقد اجتمع فيها خلق من أهل الشام، ممن يقرأ على قراءة المقداد بن الأسود، وأبي الدرداء. وجماعة من أهل العراق، ممن يقرأ على قراءة عبدالله بن مسعود، وأبي موسى، وجعل من لا يعلم بَسَوغَانَ القراءة على سبعة أحرف، يفضل قراءته على قراءة غيره، وربما خَطَأَ الآخر أو كَفَّرَه، فأدى ذلك إلى إختلاف شديد، وانتشار في الكلام السَّيِّء بين الناس، فركب حذيفة إلى عثمان فقال: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف في كتابها كاختلاف اليهود والنصارى في كتبهم، وذكر له ما شاهد من اختلاف الناس في القراءة، فعند ذلك جمع عثمان الصحابة وشاورهم في ذلك، ورأى أن يكتب المصحف على حرف واحد، وأن يجمع الناس في سائر الأقاليم على القراءة به، دون ما سواه، لما رأى في ذلك من مصلحة كف المنازعة، ودفع الاختلاف، فاستدعى بالصحف التي كان الصديق أمر زيد بن ثابت بجمعها، فكانت عند الصديق أيام حياته، ثم كانت عند عمر، فلما توفي صارت إلى حفصة أم المؤمنين، فاستدعى بها عثمان وأمر زيد بن ثابت الأنصاري أن يكتب وأن يملي عليه سعيد بن العاص الأموي، بحضرة عبدالله بن

(١) ابن جرير، المصدر السابق (٤/٢٦٣).

(٢) البداية والنهاية: ٧/١٦٢-٢١٧.

الزبير الأسدي وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، وأمرهم إذا اختلفوا في شيء أن يكتبوه بلغة قريش<sup>(١)</sup>  
فكتب لأهل الشام مُصَحَّفًا، ولأهل مصر آخر، وبعث إلى البصرة مُصَحَّفًا وإلى الكوفة بآخر، وأرسل إلى مكة مصحَّفًا وإلى اليمن مثله، وأقر بالمدينة مصحَّفًا.

ويقال لهذه المصاحف، الأئمة، والعثمانية، وليست بخط عثمان، وإنما هي بخط زيد بن ثابت، وإنما يقال لها المصاحف العثمانية، نسبة إلى أمره، وزمانه، وإمارته، كما يقال دينار هرقل، أي ضرب في زمانه ودولته.

ثم عمد إلى بقية المصاحف التي بأيدي الناس مما يخالف ما كتبه فحرقه، لئلا يقع بسببه اختلاف<sup>(٢)</sup>.

قال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر وعبدالرحمن قالوا: ثنا شعبة عن علقمة بن مرثد عن رجل عن سويد بن غفلة قال: قال لي علي حين حرق عثمان المصاحف: لو لم يصنعه هو لصنعت<sup>(٣)</sup>. وهكذا رواه أبو داود الطيالسي، وعمرو بن مرزوق عن شعبة مثله.

وقد رواه البيهقي وغيره، من حديث محمد بن أبان - زوج أخت حسين - عن علقمة بن مرثد قال: سمعت العيزار بن حريث سمعت

(١) انظر: ذلك في صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن (٩/١١ من فتح الباري).

(٢) انظر: خبر ذلك في صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن (٩/١١ من فتح الباري).

(٣) كتاب المصاحف ص (١٢).

سويد بن غفلة قال: قال علي: أيها الناس إياكم والغلو في عثمان، تقولون حرق المصاحف، والله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب محمد ﷺ ولو وليت مثل ما ولي لفعلت مثل الذي فعل<sup>(١)</sup>.

وقد روي عن ابن مسعود أنه تعتب لما أخذ منه مصحفه فحرق، وتكلم في تقدم إسلامه على زيد بن ثابت الذي كتب المصاحف، وأمر أصحابه أن يغلوا مصاحفهم، وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة آل عمران: ١٦١]<sup>(٢)</sup>.

فكتب إليه عثمان - رضي الله عنه - يدعو إلى اتباع الصحابة فيما أجمعوا عليه من المصلحة في ذلك، وجمع الكلمة، وعدم الاختلاف، فأجاب وأجاب إلى المتابعة وترك المخالفة - رضي الله عنهم أجمعين<sup>(٣)</sup>.

وقد قال أبو إسحاق، عن عبدالرحمن بن يزيد، أن عبدالله بن مسعود، دخل مسجد منى فقال: كم صلى أمير المؤمنين الظهر؟ قالوا: أربعاً، فصلى ابن مسعود أربعاً، فقالوا: ألم تحدثنا أن رسول الله ﷺ

(١) المصدر السابق (٢٢-٢٣) وقد صحح الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٨/٩) إسناده.

قلت: والرجل المبهم في رواية ابن أبي داود سمّاه في هذه الرواية، وهو العيزار بن حريث.

(٢) المصدر السابق (١٥).

(٣) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٩/٩) والعدر لعثمان في ذلك أنه فعله (أي نسخ المصاحف) بالمدينة، وعبدالله بالكوفة، ولم يؤخر ما عزم عليه من ذلك إلى أن يرسل إليه ويحضر، وأيضاً فإن عثمان إنما أراد نسخ الصحف التي كانت جمعت في عهد أبي بكر وأن يجعلها مصحفاً واحداً، وكان الذي نسخ ذلك في عهد أبي بكر هو زيد بن ثابت.

وأبابكر وعمر صلوا ركعتين؟ فقال: نعم وأنا أحدثكموه الآن، ولكني أكره الاختلاف. وفي رواية الخلاف شر. وقال: ليت حظي من أربع ركعات ركعتين متقبلتين<sup>(١)</sup>.

فإذا كان هذا متابعة من ابن مسعود إلى عثمان في هذا الفرع فكيف بمتابعته إياه في أصل القرآن والافتداء به في التلاوة التي عزم على الناس أن يقرأوا بها لا بغيرها!!!.

### حوادث سنة تسع وعشرين<sup>(٢)</sup>؟

- فيها عزل عثمان بن عفان أبا موسى الأشعري عن البصرة، بعد عمله ست سنين وقيل ثلاث، وأمر عليها عبدالله بن عامر بن كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب بن عبدشمس، وهو ابن خال عثمان بن عفان، وجمع له بين جند أبي موسى وجند عثمان بن أبي العاص<sup>(٣)</sup>، وله من العمر خمس وعشرين سنة فأقام بها ست سنين.

- وفيها وسَّع عثمان بن عفان مسجد النبي ﷺ، وبناه بالقصة - وهي الكِلْس<sup>(٤)</sup> - كان يؤتي به من بطن نَحْل<sup>(٥)</sup>، والحجارة المنقوشة،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تقصير الصلاة، باب الصلاة بمنى بنحوه (٥٦٣/٢) - من فتح الباري) وكذا أبو داود في سننه كتاب المناسك، باب الصلاة بمنى (٤٩١/٢).

(٢) البداية والنهاية: ٧/١٥٣-١٥٤.

(٣) انظر: ابن جرير، مصدر سابق (٤/٢٦٤، ٢٦٦) وعثمان بن أبي العاص كان والياً على البحرين وعمان.

(٤) القصة: بفتح القاف وكسرهما - الجص، لغة حجازية، وقيل الحجارة من الجص (لسان العرب ٧/٧٦).

(٥) نخل: ذكر ياقوت الحموي عدّة مواضع بهذا الاسم. منها منزل لبني ثعلبة، ومنزل لبني مُرّة بن عوف وكلاهما على مرحلتين من المدينة فلعلّ أحدهما هو المقصود =

وجعل عُمَدَه حجارة مُرَصَّعة، وسَقَّفَه بالساج، وجعل طوله ستين ومائة ذراع، وعرضه خمسين ومائة ذراع، وجعل أبوابه ستة، على ما كانت عليه في زمان عمر بن الخطاب، وابتدأ ببناءه في ربيع الأول منها<sup>(١)</sup>.

- وفيها حج بالناس عثمان بن عفان، وضرب له بمنى فسطاطا، وأتم الصلاة عامه هذا، فأنكر ذلك عليه غير واحد من الصحابة، علي، وعبدالرحمن بن عوف، وعبدالله بن مسعود، حتى قال ابن مسعود: ليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان<sup>(٢)</sup>.

وقد ناظره عبدالرحمن بن عوف فيما فعله، فروى ابن جرير أنه قال: تأهلت بمكة، فقال له: ولك أهل بالمدينة، وإنك تقيم حيث أهلك بالمدينة. قال: وإن لي مالا بالطائف أريد أن أطلعه بعد الصدر، قال: إن بينك وبين الطائف مسيرة ثلاث، فقال: وإن طائفة من أهل اليمن قالوا: إن الصلاة بالحضر ركعتان فربما رأوني أصلي ركعتين فيحتجون بي، فقال له: قد كان رسول الله ﷺ ينزل عليه الوحي والناس يومئذ الإسلام فيهم قليل، وكان يصلي هاهنا ركعتين، وكان أبوبكر يصلي هاهنا ركعتين، وكذلك عمر بن الخطاب، وصلت أنت ركعتين صدرا من إمارتك، قال: فسكت عثمان ثم قال: إنما هو رأي رأيت<sup>(٣)</sup>.

= (انظر معجم البلدان ٥/٢٧٦).

(١) ابن جرير، مصدر سابق (٤/٢٦٧) وتجديد عثمان لبناء مسجد النبي ﷺ وتوسعته أخرج البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب بنیان المسجد (١/٥٤٠ من فتح الباري).

(٢) أخرج قول ابن مسعود البخاري في صحيحه، كتاب تقصير الصلاة، باب الصلاة بمنى (٢/٥٦٣ من فتح الباري).

(٣) تاريخ الرسل والملوك (٤/٢٦٨) من طريق الواقدي وهو متروك. والصواب: أن =

عثمان - رضي الله عنه - تأول في فعله هذا وهو إمام راشد من أهل الاجتهاد - ولهذا قال عروة كما في صحيح البخاري (٣/٥٦٩ من فتح الباري) لما أتمت أم المؤمنين عائشة الصلاة في السفر: تأولت ما تأول عثمان. وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٣/٥٧٠) عند شرح قول عروة بن الزبير: أن عائشة تأولت ما تأول عثمان: هذا فيه رد على من زعم أن عثمان إنما أتم لكونه تأهل بمكة، أو لأنه أمير المؤمنين وكل موضع له دار، أو لأنه عزم على الإقامة بمكة، أو لأنه استجد له أرضاً بمنى، أو لأنه كان يسبق الناس إلى مكة، قال: لأن جميع ذلك متنف في حق عائشة، وأكثره لا دليل عليه، بل هي ظنون ممن قالها ويزدّ الأول أن النبي ﷺ كان يسافر بزوجاته وقصر، والثاني: أن النبي كان أولى بذلك، والثالث: أن المقام بمكة حرام على المهاجرين، والرابع والخامس: لم ينقلا فلا يكفي التخرص في ذلك، .. ثم قال: والمنقول أن سبب إتمام عثمان أنه كان يرى القصر مختصاً بمن كان شاخصاً سائرًا، وأما من أقام في مكان في أثناء سفره فله حكم المقيم فيتم. والحجة في هذا ما رواه أحمد بإسناد حسن عن عباد بن عبدالله بن الزبير قال: لما قدم علينا معاوية حاجًا صلى بنا الظهر ركعتين بمكة، ثم انصرف إلى دار الندوة، فدخل عليه مروان، وعمرو بن عثمان، فقالا: لقد عبت أمر ابن عمك لأنه كان قد أتم الصلاة. قال: وكان عثمان حيث أتم الصلاة إذا قدم مكة صلى بها الظهر والعصر والعشاء أربعًا أربعًا، ثم إذا خرج إلى منى وعرفة قصر الصلاة، فإذا فرغ الحج وأقام بمنى أتم الصلاة، ثم ذكر ترجيح ابن بطلال ومن تبعه لوجه قصر عثمان، وأنه أخذ بالأسر. ثم تعبه بقوله: لكن الوجه الذي قبله أولى لتصريح الراوي بالسبب، ثم ذكر رواية الطحاوي عن الزهري قال: إنما صَلَّى عثمان بمنى أربعًا لأن الأعراب كانوا كثروا ذلك العام فأحب أن يعلمهم أن الصلاة أربع أهـ.

قلت: على كل حال فإن عثمان مجتهد - رضي الله عنه - في فعله هذا وهو أهل للاجتهاد، قال محمد بن سيرين: كان أعلمهم بالمناسك ابن عفان وبعده ابن عمر. (الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/٦٠) وإسناده صحيح.

### حوادث سنة ثلاثين<sup>(١)</sup>؟

- وفي هذه السنة عزل عثمان بن عفان، الوليد بن عقبة، عن الكوفة، وولى عليها سعيد بن العاص، وكان سبب عزله أنه صلى بأهل الكوفة الصبح أربعاً ثم التفت فقال: أزيدكم؟ فقال قائل: مازلنا منك منذ اليوم في زيادة. ثم إنه تصدى له جماعة يقال كان بينهم وبينه شنان، فشكوه إلى عثمان، وشهد بعضهم عليه أنه شرب الخمر وشهد آخر أنه رآه يتقيأها، فأمر عثمان بإحضاره، وأمر بجلده، فيقال: إن علياً نزع عنه حلته، وأن سعيد بن العاص جلده بين يدي عثمان بن عفان<sup>(٢)</sup>. وعزله عثمان وأمر مكانه على الكوفة سعيد بن العاص.

- وفي هذه السنة سقط خاتم النبي ﷺ من يد عثمان في بئر أريس<sup>(٣)</sup>، وهي على ميلين من المدينة، وهي من أقل الآبار ماء، فلم

(١) البداية والنهاية: ١٥٥/٧-١٥٦.

(٢) قصة إقامة الحد على الوليد بن عقبة ثابتة في الصحيحين، البخاري في كتاب المناقب، باب مناقب عثمان من حديث عدي بن الخيار (٥٣/٧، ٨٧، من فتح الباري) وصحيح مسلم، كتاب الحدود حديث رقم (١٧٠٧) وفيه أنه صلى الصبح ركعتين ثم قال: أزيدكم، وأن الذي جلده هو عبدالله بن جعفر، بأمر علي، وأنه جلده أربعين. وما في الصحيح أصح. وسياق هذا الخبر عند ابن جرير الطبري (٢٧٦/٤) من طريق سيف بن عمر.

(٣) بئر أريس: بفتح الهمزة، وكسر الراء وسكون الياء آخر الحروف، وسين مهملة. بئر بقاء مقابل مسجدها كان فيها مال لعثمان - رضي الله عنه -. ونسبت إلى رجل من يهود المدينة يسمى: أريس. والأريس في لغة أهل الشام: الفلاح (معجم البلدان ٢٩٨/١).

يدرك خبره بعد بذل مال جزيل ، والاجتهاد في طلبه<sup>(١)</sup> ، حتى الساعة ، فاستخلف عثمان بعده خاتماً من فضة ، ونقش عليه : محمد رسول الله فلما قتل عثمان ذهب الخاتم فلم يُدرَ مَنْ أخذه<sup>(٢)</sup> .

- وفي هذه السنة وقع بين معاوية وأبي ذر بالشام ما وقع ، وذلك أن أباذر أنكر على معاوية بعض الأمور<sup>(٣)</sup> وكان ينكر على من يقتنى مالا من الأغنياء ويمنع أن يُدخِر فوق القوت ، ويوجب أن يتصدق بالفضل ، ويتأول قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [سورة التوبة] فيها معاوية عن إشاعة ذلك ، فلا يمتنع ، فبعث يشكوه إلى عثمان ، فكتب عثمان إلى أبي ذر أن يقدم عليه المدينة ، فقدمها ، فلامه عثمان على بعض ما صدر منه ، واسترجعه فلم يرجع<sup>(٤)</sup> ، فأمره بالمقام

(١) انظر: ابن جرير، مصدر سابق (٤/٢٨٢).

(٢) المصدر نفسه (٤/٢٨٣).

(٣) أورد ابن جرير الطبري خبر ذلك وقال: وقد ذُكر في سبب إشخاص أبي ذر من الشام إلى المدينة أمور كثيرة، كرهت ذكر أكثرها - أي لما فيها من الغرابة والنكارة - وقال أيضاً بعد إيراده بعض أخبار أبي ذر في الربذة من طريق سيف بن عمر: وأما الآخرون - أي من الرواة - فإنهم رووا لي في سبب ذلك أشياء كثيرة وأموراً شنيعة كرهت ذكرها. تاريخ الرسل والملوك (٤/٢٨٣-٢٨٦).

(٤) أخرج البخاري في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب ما أدى زكاته فليس بكنز (٣/٢٧١ من فتح الباري) عن زيد بن وهب قال : مررت بالربذة فإذا أنا بأبي ذر ، فقلت له : ما أنزلك هذا ، قال : كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾ الآية . قال معاوية : أنزلت في أهل الكتاب ، فقلت : نزلت فينا وفيهم ، فكان بيني وبينه في ذلك ، وكتب إلى عثمان - رضي الله عنه - يشكوني ، فكتب إلى عثمان : أن أقدم المدينة ، =



بالرَبْذَة<sup>(١)</sup> - وهي شرقي المدينة - ويقال إنه سأل عثمان أن يقيم بها<sup>(٢)</sup>.  
وقال: إن رسول الله ﷺ قال لي: إذا بلغ البناء سَلْعًا فاخرج منها<sup>(٣)</sup>.  
وقد بلغ البناء سَلْعًا، فأذن له عثمان بالمقام بالرَبْذَة وأمره أن يتعاهد  
المدينة في بعض الأحيان، حتى لا يرتد أعريبًا بعد هجرته، ففعل فلم  
يزل مقيمًا بها حتى مات.

- وفيها زاد عثمان الأذان الأول يوم الجمعة وجعله على  
الزوراء<sup>(٤)</sup>.

= فقدمتها، فكثرت على الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذلك لعثمان،  
فقال لي: إن شئت تنحيت فكننت قريبًا. فذاك الذي أنزلني هذا المنزل، ولو أمروا  
عليّ حبشيًا لسمعت وأطعت. فهذا الحديث واضح الدلالة على أن أبا ذر - رضي  
الله عنه - لما غشية الناس وكثروا عليه استشار عثمان فأشار عليه بالتنحي عن  
المدينة فاختر هو الرَبْذَة.

(١) الرَبْذَة: قرية على ثلاثة أيام من المدينة على طريق الحاج العراقي، بين قَيْد، وذات  
عرق. وهي جنوب شرق بلدة الحناكية الواقعة على طريق السيارات اليوم الواصل  
بين المدينة والقصيم. انظر: معجم البلدان (٢٤/٣).

(٢) قلت: هذا هو الصواب وهو الذي دلت عليه النصوص من أقوال التابعين - رضي  
الله عنهم -، منهم الحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وأشار له الحديث السابق،  
وكان قد أمره النبي ﷺ بالخروج من المدينة عندما يبلغ البنيان سَلْعًا.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣/٣٤٤) وقال على شرط الشيخين ولم يخرجاه،  
ووافقه الذهبي في التلخيص. وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣/٢٧٤)  
أخرجه أبو يعلى. وسمع: جبل صغير في المدينة وقد غشاه البنيان من جميع جوانبه

(٤) الزوراء: مكان مرتفع كالمنارة عند سوق المدينة. (معجم البلدان ٣/١٥٦) وهذا  
الخبر أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجمعة، باب الأذان يوم الجمعة  
(٢/٣٩٢ من فتح الباري).

### أحوال الناس في عصر عثمان<sup>(١)</sup>؟

قال البخاري في التاريخ: ثنا موسى بن إسماعيل ثنا مبارك بن فضالة قال سمعت الحسن يقول: أدركت عثمان على ما نقموا عليه، قل ما يأتي على الناس يوم إلا وهم يقتسمون فيه خيراً، يقال لهم: يا معشر المسلمين اغدوا على أعطيّاتكم، فياخذونها وافرة، ثم يقال لهم: اغدوا على أرزاقكم فياخذونها وافرة، ثم يقال لهم اغدوا على السمن والعسل. الأعطيّاتُ جاريةٌ، والأرزاقُ دارةٌ، والعدو متقى، وذات البين حسن، والخير كثير، وما على الأرض مؤمن يخاف مؤمناً، ومن لقيه فهو أخوه، وقد كان من نصيحته ومودته ﷺ أنه قد عهد إليهم أنها ستكون أثره، فإذا كانت فاصبروا.

قال الحسن: فلو أنهم صبروا حين رأوها لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق والخير الكثير، قالوا: لا والله ما نصابرها، فوالله ما وَرَدُوا وما سَلِمُوا، والأخرى كان السيف مغمداً عن أهل الإسلام فسألوه على أنفسهم، فوالله مازال مسلولاً إلى يوم الناس هذا، وأيم الله إنى لأراه سيفاً مسلولاً إلى يوم القيامة<sup>(٢)</sup>.

### من سيرته في الرعيّة<sup>(٣)</sup>؟

مما كان يعتمد عليه عثمان بن عفان، أنه كان يلزم عمّاله بحضور الموسم كل عام. ويكتب إلى الرعايا: من كانت له عند أحد منهم

(١) البداية والنهاية: ٢١٣/٧.

(٢) أخرج الطبراني نحوه بإسناد حسن كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٤/٩).

(٣) البداية والنهاية: ٢١٨/٧.

مظلمة فليواف إلى الموسم، فإني آخذ له حقه من عامله<sup>(١)</sup>.  
 وكان عثمان قد سمح لكثير من كبار الصحابة في المسير حيث  
 شاءوا من البلاد، وكان عمر يحجر عليهم في ذلك، حتى في الغزو،  
 ويقول: إني أخاف أن تروا الدنيا وأن يراكم أبناؤها<sup>(٢)</sup> فلما خرجوا في  
 زمان عثمان اجتمع عليهم الناس، وصار لكل واحد أصحاب، وطمع  
 كل قوم في تولية صاحبهم الإمارة العامة بعد عثمان، فاستعجلوا موته،  
 واستطالوا حياته، حتى وقع ما وقع من بعض أهل الأمصار، فإنا لله وإنا  
 إليه راجعون.

(١) انظر: ابن جرير، مصدر سابق (٣٤٢/٤) عن طريق سيف بن عمر.

(٢) المصدر نفسه (٣٩٧/٤) من طريق سيف بن عمر.

## الفصل الرابع الفتوحات في عصره

### أولاً : الفتوحات في المشرق

#### غزوة أذربيجان وأرمينية<sup>(١)</sup>؛

قال ابن جرير : وفي سنة أربع وعشرين غزا الوليد بن عقبة أذربيجان وأرمينية حين منع أهلها ما كانوا صالحوا عليه أهل الإسلام في أيام عمر بن الخطاب ، وهذا في رواية أبي مخنف ، وأمّا في رواية غيره ، فإن ذلك كان في سنة ست وعشرين ، وقد سار الوليد بن عقبة بجيش الكوفة نحو أذربيجان وأرمينية ، حين نقضوا العهد فوطىء بلادهم ، وغنم وسبى وأخذ أموالاً جزيلة ، فلما أيقنوا بالهلكة صالحهم أهلها على ما كانوا صالحوا عليه حذيفة بن اليمان سنة اثنتين وعشرين ، ثمان مائة ألف درهم كل سنة ، فقبض منهم جزية سنة ثم رجع سالمًا غانمًا إلى الكوفة<sup>(٢)</sup> .

#### فتح الري ثانية سنة أربع وعشرين<sup>(٣)</sup>؛

وفيها افتتح أبو موسى الأشعري الري بعد ما نقضوا العهد الذي

(١) البداية والنهاية : ١٤٩/٧ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك (٢٤٦/٤) وعند خليفة بن خياط (١٦٠) أن فتح أذربيجان سنة ثمان وعشرين .

(٣) البداية والنهاية : ١٥٠/٧ .

كان واثقهم عليه حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه<sup>(١)</sup>.

فتح اصطخر ثانية سنة سبع وعشرين<sup>(٢)</sup>؟

قال الواقدي: وفي هذه السنة افتتحت اصطخر ثانية على يدي عثمان بن أبي العاص<sup>(٣)</sup>.

فتح طبرستان سنة ثلاثين<sup>(٤)</sup>؟

فيها افتتح سعيد بن العاص طبرستان، في قول الواقدي، وأبي معشر، والمدائني، وقال: هو أول من غزاها. وزعم سيف أنهم كانوا صالحوا سويد بن مقرن قبل ذلك على أن لا يغزوها على مال بذله له اصهبذها، فالله أعلم. فذكر المدائني: أن سعيد بن العاص ركب في جيش فيه الحسن، والحسين، والعبادلة الأربعة، وحذيفة بن اليمان، في خلق من الصحابة فسار بهم فمرّ على بلدان شتى يصلحونه على أموال جزيلة، حتى انتهى إلى بلدان شتى يصلحونه على أموال جزيلة، حتى انتهى إلى بلد في ناحية جرجان، فقاتلوه حتى احتاجوا إلى صلاة الخوف فسأل حذيفة: كيف صلى رسول الله ﷺ؟ فأخبره، فصلّى كما أخبره، ثم سأله أهل ذلك الحصن الأمان، فأعطاهم على أن لا يقتل منهم رجلاً واحداً ففتحوا الحصن فقتلهم إلا رجلاً واحداً، وحوى ما كان في الحصن<sup>(٥)</sup>.

(١) خليفة بن خياط، التاريخ (١٥٧) والبلاذري فتوح البلدان (٣٩١).

(٢) البداية والنهاية: ١٥٢/٧.

(٣) انظر: ابن جرير، مصدر سابق (٢٥٧/٤).

(٤) البداية والنهاية: ١٥٤/٧.

(٥) انظر: تاريخ خليفة (١٦٥-١٦٦) وقد أخرج قصة صلاة الخوف وسؤال سعيد بن =

قَتْلُ كِسْرَى يَزْجِرُ مَلِكَ الْفَرَسِ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ<sup>(١)</sup>؟

قال ابن إسحاق: هرب يزيدجر من كَرْمَانَ في جماعة يسيرة إلى مرو، فسأل من بعض أهلها مالاً فمنعوه وخافوه على أنفسهم، فبعثوا إلى التبرك يستفزونهم عليه، فأتوه فقتلوا أصحابه، وهرب هو حتى أتى منزل رجل ينقر الأرحية<sup>(٢)</sup> على شط المرغاب<sup>(٣)</sup>، فأوى إليه ليلاً، فلما نام قتله<sup>(٤)</sup>.

وقال المدائني: لما هرب بعد قتل أصحابه انطلق ماشياً عليه تاجه ومِنْطَقَتَهُ وسيفه، فانتهى إلى منزل هذا الرجل الذي ينقر الأرحية، فجلس عنده فاستغفله وقتله وأخذ ما كان عليه، وجاءت الترك في طلبه فوجدوه قد قتله وأخذوا حاصله، فقتلوا ذلك الرجل وأهل بيته، وأخذوا ما كان مع كِسْرَى، ووضعوا كِسْرَى في تابوت وحملوه إلى اصطخر<sup>(٥)</sup>. وكان مُلْكُ يَزْدَجَرْدَ عَشْرِينَ سَنَةً، منها أربع سنين في دَعَاة، وباقي ذلك هارباً من بلد إلى آخر، خوفاً من الإسلام وأهله، وهو آخر ملوك الفرس في الدنيا على الإطلاق، قال رسول الله ﷺ: «إذ هلك قيصر فلا قيصر بعده، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده والذي نفسي

= العاص حذيفة بن اليمان عن كيفية صلاة الخوف بإسناد صحيح. وانظر: ابن جرير، مصدر سابق (٢٦٩/٤).

(١) البداية والنهاية: ١٥٨-١٥٩/٧.

(٢) الأرحية: جمع رَحَى.

(٣) المرغاب: اسم نهر بمر والشاهجان. (ياقوت، معجم البلدان ١٠٨/٤).

(٤) ابن جرير الطبري، المصدر السابق (٢٩٣/٤) والبلاذري المصدر السابق (٣٨٧).

(٥) المصدر نفسه (٢٩٣/٤) وقد ذكر روايات أخرى في كيفية هروبه ثم قتله انظر:

(٤/٢٩٤-٣٠٠).

بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله»<sup>(١)</sup>.

وثبت في الحديث الصحيح أنه لما جاء كتاب النبي ﷺ مَرَّقه كسرى، فدعا عليه النبي ﷺ أن يُمَزَّق مُلكه كل مُمَزَّق، فوقع الأمر كذلك<sup>(٢)</sup>.

فتوحات ابن عامر سنة إحدى وثلاثين<sup>(٣)</sup>

وفي هذه السنة فتح عبدالله بن عامر فتوحات كثيرة، كان قد نقض أهلها ما كان لهم من الصلح، فمن ذلك ما فُتِح عنوة، ومن ذلك ما فُتِح صلحًا، فكان في جملة ما صالح عليه بعض المدائن وهي: مرو، على ألفي ألف ومائتي ألف، وقيل على ستة آلاف ألف ومائتي ألف، وطوس، وأبرشهر، وبيورد، ونسا، وسار حتى بلغ سرخس<sup>(٤)</sup>.

غزو الباب وبلنجر سنة اثنتين وثلاثين<sup>(٥)</sup>

وفيها استعمل سعيد بن العاص<sup>(٦)</sup>، سلمان بن ربيعة الباهلي على جيش وأمره أن يغزو الباب، وكتب إلى عبدالرحمن بن ربيعة<sup>(٧)</sup> نائب تلك الناحية بمساعدته، فسار سلمان حتى بلغ بلنجر فحصرها ونصبت عليها المجانيق والعرادات، ثم إن أهل بلنجر خرجوا إليهم وعاونهم

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٦/٦٣٥ من فتح الباري) ومسلم في الفتن برقم (٢٩١٨-٢٩١٩).

(٢) أخرج ذلك البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب كتاب النبي إلى كسرى وقيصر. (٨/١٢٦ من فتح الباري).

(٣) البداية والنهاية: ١٥٩/٧.

(٤) انظر تفصيل ذلك في: تاريخ الرسل والملوك (٤/٣٠٠-٣٠٣).

(٥) البداية والنهاية: ١٥٩/٧-١٦٠.

(٦) والي الكوفة.

(٧) أخو سلمان الباهلي، وهو أسن منه، انظر ترجمته في الإصابة (٤/٣٠٤).

الترك فاقتتلوا قتالا شديداً، وكانت الترك تهاب قتال المسلمين، ويظنون أنهم لا يموتون، فلما كان هذا اليوم التقوا معهم فاقتتلوا، فقتل يومئذ عبدالرحمن بن ربيعة - وكان يقال له ذو النور<sup>(١)</sup> - وانهزم المسلمون فافترقوا فرقتين؛ فرقة ذهبت إلى بلاد الخزر، وفرقة سلكوا ناحية جيلان وجرجان، وفي هؤلاء أبوهريرة وسلمان الفارسي. وأخذت الترك جسد عبدالرحمن بن ربيعة - وكان من سادات المسلمين وشجعانهم - فدفنوه في بلادهم فهم يستقون عنده إلى اليوم<sup>(٢)</sup>، ولما قتل عبدالرحمن بن ربيعة استعمل سعيد بن العاص على ذلك الفرع سلمان بن ربيعة، وأمدهم عثمان بأهل الشام عليهم حبيب بن مسلمة، فتنازع حبيب وسلمان في الإمرة حتى اختلفا، فكان أول اختلاف وقع بين أهل الكوفة وأهل الشام<sup>(٣)</sup>.

#### فتوحات ابن عامر سنة اثنتين وثلاثين<sup>(٤)</sup>؛

وفيهما فتح ابن عامر مرو الروذ، والطالقان، والفارياب، والجوزجان، وطخارستان.

فأما مرو الروذ، فبعث إليها ابن عامر، الأحنف بن قيس فحصرها فخرجوا إليه فقاتلهم حتى كسرهم فاضطروهم إلى حصنهم، ثم صالحوه

(١) في الأصل: ذو النون والتصحيح من تاريخ الرسل والملوك (٣٠٤/٤) والإصابة لابن حجر.

(٢) أي إلى وقت المصنف في القرن الثامن الهجري وهذا العمل منهم غير مشروع، بل هو من التبرك الممنوع شرعاً.

(٣) انظر: تفصيلاً أوسع في تاريخ الرسل والملوك (٣٠٧-٣٠٤/٤).

(٤) البداية والنهاية: ١٦٠/٧.



على مال جزيل وعلى أن يضرب على أراضي الرعية الخراج، ويدع الأرض التي كان اقتطعها كسرى لوالد المرزبان، صاحب مرو، فصالحهم الأحنف، وكتب لهم كتاب صلح بذلك<sup>(١)</sup>.

ثم بعث الأحنف الأقرع بن حابس إلى الجوزجان ففتحها بعد قتال وقع بينهم، قتل فيه خلق من شجعان المسلمين، ثم نُصِرُوا فقال في ذلك أبو كثير النهشلي<sup>(٢)</sup> قصيدة طويلة فيها:

سقى مُزَنَ السَّحَابِ إِذَا اسْتَهَلَّتْ مِصَارِعَ فِتْيَةٍ بِالْجُوزْجَانِ  
إِلَى الْقَصْرَيْنِ مِنْ رُسْتَاقِ خُوطٍ أَبَادَهُمْ هُنَاكَ الْأَقْرَعَانِ

ثم سار الأحنف من مرو الروذ إلى بلخ فحاصرهم حتى صالحوه على أربعمئة ألف، واستتاب ابن عمه أسيد بن المُتَشَمُّس على قبض المال، ثم ارتحل يريد الجهاد، وداهمه الشتاء فقال لأصحابه: ما تشاءون؟ فقالوا: قد قال عمرو بن معد يكرب:

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعِهِ وَجَاوِزِهِ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ  
فَأَمَرَ الْأَحْنَفُ بِالرَّحِيلِ إِلَى بَلْخٍ فَأَقَامَ بِهَا مَدَّةَ الشِّتَاءِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى  
ابْنِ عَامِرٍ فِي نَيْسَابُورِ<sup>(٣)</sup>.

فَقِيلَ لِابْنِ عَامِرٍ: مَا فَتَحَ عَلَى أَحَدٍ مَا فَتَحَ عَلَيْكَ: فَارِسَ،  
وَكِرْمَانَ، وَسَجِسْتَانَ وَعَامَّةَ خِرَاسَانَ، فَقَالَ: لَا جَرْمَ، لِأَجْعَلَنِي شَكْرِي  
لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ أَنْ أُحْرِمَ بَعْضَ مَوْقِفِي هَذَا، فَأَحْرَمَ بَعْضَ مَوْقِفِي مِنْ نَيْسَابُورِ<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: تفصيلاً أوسع في المصدر السابق (٣١١/٤-٣١٢).

(٢) في تاريخ الرسل والملوك (٣١٣/٤) فقال: كَثِيرٌ.

(٣) انظر: المصدر السابق (٣١٣/٤) وما بعدها.

(٤) نيسابور: من مدن خراسان.

فلما قدم على عثمان لأمه على إحرامه من خراسان<sup>(١)</sup>.

هزيمة قارن في خراسان<sup>(٢)</sup>؛

لما رجع ابن عامر من الغزو إستخلف قيس بن الهيثم<sup>(٣)</sup> على خراسان، فأقبل قارن في جمع من الترك، أربعين ألفاً، فالتقاء عبدالله بن خازم السلمي<sup>(٤)</sup> في أربعة آلاف، وجعل لهم مقدمة ستمائة رجل، وأمر كلاً منهم أن يجعل على رأس رُمحِه ناراً، وأقبلوا إليهم في وسط الليل فبيتوهم فثاروا إليهم، فناوشتهم المقدمة، فاشتغلوا بهم، وأقبل عبدالله بن خازم بمن معه من المسلمين فأحاطوا بهم، فولّى المشركون مدبرين، واتبعهم المسلمون يقتلون من شاؤوا، وقُتِلَ قارن في من قُتِلَ، وغنموا سبيًا كثيرًا وأموالاً جزيلة، ثم بعث عبدالله بن خازم بالفتح إلى ابن عامر، فرضي عنه وأقره على خراسان، وذلك أنه كان قد احتال على الوالي السابق قيس بن الهيثم السلمي حتى أخرجه من خراسان، ثم تولّى حرب قارن، فلما هزمه وغنم عسكره، رضي عليه ابن عامر، وأقره على ولاية خراسان<sup>(٥)</sup>.

(١) لأمه عثمان - رضي الله عنه - لأنه خالف السنة في الإحرام بالعمرة قبل الميقات بمراحل، وهذا فيه مشقة وتكلف، والسنة الإحرام بالحج أو العمرة من الميقات الذي حدده الشارع، انظر: الخبر في المصدر السابق (٣١٤/٤).

(٢) البداية والنهاية: ١٦١/٧.

(٣) قيس بن الهيثم السلمي، له ترجمه في التاريخ الكبير للبخاري (١٤٥/٧) والذهبي في تجريد أسماء الصحابة (٢٦/٢) والإصابة لابن حجر (٥٠٨/٥).

(٤) عبدالله بن خازم بن أسماء السلمي، أبو صالح، الأمير المشهور، انظر: ترجمته عند ابن حجر في الإصابة (٦٩/٤).

(٥) انظر: تاريخ الرسل والملوك (٣١٦-٣١٤/٤).

## ثانيًا: الفتوحات في الشام والمغرب

غزو الروم سنة أربع وعشرين<sup>(١)</sup>؛

قال ابن جرير: وفي هذه السنة جاشت الروم حتى خاف أهل الشام وبعثوا إلى عثمان - رضي الله عنه - يستمدونه، فكتب إلى الوليد بن عقبة: أن إذا جاءك كتابي هذا فابعث رجلاً أميناً كريماً شجاعاً في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إلى إخوانكم بالشام. فقام الوليد بن عقبة في الناس خطيباً حين وصل إليه كتاب عثمان فأخبرهم بما أمره به أمير المؤمنين، وندب الناس وحثهم على الجهاد، ومعاونة معاوية وأهل الشام، وأمر سلمان بن ربيعة الباهلي على الناس الذين يخرجون إلى الشام، فانتدب في ثلاثة أيام ثمانية آلاف فبعثهم إلى الشام وعلى جند أهل الشام حبيب بن مسلمة بن خالد الفهري، فلما اجتمع الجيشان شنوا الغارات على بلاد الروم، فغنموا وسبوا شيئاً كثيراً وفتحوا حصوناً كثيرة<sup>(٢)</sup> والله الحمد.

وزعم الواقدي أن الذي أمد أهل الشام بسلمان بن ربيعة إنما هو سعيد بن العاص عن كتاب عثمان - رضي الله عنه -، فبعث سعيد بن العاص، سلمان بن ربيعة بستة آلاف فارس حتى انتهى إلى حبيب بن مسلمة وقد أقبل إليه الموريان الرومي في ثمانين ألفاً من الروم والترك، وكان حبيب بن مسلمة شجاعاً شهماً صاحب كيد، فعزم على أن يبيت

(١) البداية والنهاية: ١٥٠/٧.

(٢) تاريخ الرسل والملوك (٤/٢٤٧).

جيش الروم فسمعتة امرأته يقول للأمرء ذلك فقالت له: فأين موعدي معك - تعني أين أجمع بك غدًا - فقال لها: موعديك سرادق الموريان أو الجنة، ثم نهض إليهم في ذلك الليل بمن معه من المسلمين فقتل من أشرف له وسبقته امرأته إلى سرادق الموريان فكانت أول امرأة من العرب ضربَ عليها سرادق<sup>(١)</sup>.

فتح الإسكندرية بعد نقضهم الصلح سنة خمس وعشرين<sup>(٢)</sup>؟

وفيها نقض أهل الإسكندرية العهد، وذلك أن ملك الروم بعث إليهم مَنُوبِل<sup>(٣)</sup> الخَصِي في مراكب من البحر فطمعوا في النصره ونقضوا ذمتهم، فغزاهم عمرو بن العاص في ربيع الأول، فافتتح الأرض عنوة وافتتح المدينة صلحًا.

غزو أفريقية سنة سبع وعشرين<sup>(٤)</sup>؟

أمر عثمان، عبدالله بن سعد بن أبي سرح، أن يغزو بلاد إفريقية فإذا افتتحها الله عليه فله خمس الخمس من الغنيمة نفلًا، فسار إليها في عشرة آلاف فافتتحها سهلها وجبلها، وقتل خلقًا كثيرًا من أهلها، ثم اجتمعوا على الطاعة والإسلام، وحسن إسلامهم، وأخذ عبدالله بن سعد خمس الخمس من الغنيمة وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان،

(١) المصدر نفسه (٢٤٨/٤) وانظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ (٨٤/٣) وقد جعلها في حوادث سنة ٢٥هـ.

(٢) البداية والنهاية: ١٥١/٧.

(٣) في الأصل: معويل والتصويب من فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم (٢٣٥) وانظر: تفصيل ذلك عنده.

(٤) البداية والنهاية: ١٥١/٧.

وقسم أربعة أخماس الغنمية بين الجيش، فأصاب الفارس ثلاثة آلاف دينار والراجل ألف دينار<sup>(١)</sup>.

### وقعة جرجير والبربر مع المسلمين<sup>(٢)</sup>؛

قصد المسلمون وهم عشرون ألفاً إفريقية، وعليهم عبدالله بن سعد بن أبي سرح، وفي جيشه عبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير. وصمد إليهم ملك البربر جرجير في عشرين ومائة ألف، وقيل في مائتي ألف، فلما تراءى الجمعان أمر جيشه فأحاطوا بالمسلمين، فوقف المسلمون في موقف لم ير أشنع منه ولا أخوف عليهم منه، قال عبدالله بن الزبير: فنظرت إلى الملك جرجير من وراء الصفوف وهو راكب على برذون، وجاريتان تظلاله بريش الطواويس، فذهبت إلى عبدالله بن سعد بن أبي سرح، فسألته أن يبعث معي من يحمي ظهري وأقصد الملك، فجهز معي جماعة من الشجعان، قال فأمر بهم، فحموا ظهري وذهبت حتى خرقت الصفوف إليه وهم يظنون أنني في رسالة إلى الملك، فلما اقتربت منه أحس مني الشر ففر على برذونه، فلحقته فطعنته برمحي، وذقت عليه بسيفي، وأخذت رأسه فنصبته على رأس الرمح وكبرت، فلما رأى ذلك البربر فرقوا وفرّوا كفرار القطا، واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فغنموا غنائم جمّة وأموالاً كثيرة، وسبيًا عظيمًا، وذلك ببلد يقال له سبيطة - على يومين من القيروان - فكان هذا أول موقف اشتهر فيه أمر عبدالله بن الزبير - رضي الله عنه - وعن

(١) ابن عبدالحكم، المصدر السابق (٢٤٦-٢٤٧) وانظر: ابن جرير، المصدر السابق (٢٥٣/٤).

(٢) البداية والنهاية: ١٥٢/٧.

أبيه<sup>(١)</sup>

غزو الأندلس سنة سبع وعشرين<sup>(٢)</sup>؛

لما افتتحت إفريقية بعث عثمانُ إلى عبدالله بن نافع بن قيس، وعبدالله بن نافع بن الحصين الفهريين أن يسيرا من فورهما إلى الأندلس، فيأتيانها من قبل البحر، وكتب عثمان إلى الذين خرجوا إليها يقول: إن القسطنطينية إنما تفتح من قبل البحر، وأنتم إذا فتحتم الأندلس فأنتم شركاء لمن يفتح قسطنطينية في الأجر آخر الزمان، والسلام. فساروا فافتتحوها<sup>(٣)</sup>.

فتح قبرس سنة ثمان وعشرين<sup>(٤)</sup>؛

ذكر ابن جرير فتح قبرس في هذه السنة تبعًا للواقدي<sup>(٥)</sup>، وهي جزيرة غربي بلاد الشام في البحر، مُخْلِصَةٌ وحدها، ولها ذنب مستطيل

(١) ابن عبدالحكم المصدر السابق (٢٤٨) وما بعدها بسياق مختلف.

(٢) البداية والنهاية: ١٥٢/٧.

(٣) ذكر ذلك الطبري في تاريخ الرسل والملوك (٢٥٥/٤) من طريق سيف بن عمر عن شيوخه وانظر: الدكتور عبدالرحمن الحججي، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (ص ٤٤) وقد استقصى المراجع التي ذكرت ذلك وخاصة الأندلسية، وهذه الغزوة، كانت لاكتشاف جزيرة الأندلس، فدخلوها وغنموا ورجعوا سالمين، ولم تكن فتحًا مستقرًا، وإنما كانت محاولة مبكرة، ولم تتبعها محاولات أخرى إلا في العصر الأموي، ولعل للأحداث الداخلية في الدولة الإسلامية أثر على تأخر ذلك.

(٤) البداية والنهاية: ١٥٣/٧.

(٥) تاريخ الرسل والملوك (٢٥٨/٤) ونقل عن أبي معشر أنها سنة ثلاث وثلاثين. وقال: وقال بعضهم: كانت قبرس سنة سبع وعشرين.

إلى نحو الساحل مما يلي دمشق، وغربها أعرضها، وفيها فواكه كثيرة، ومعادن، وهي بلد جيد، وكان فتحها على يدي معاوية بن أبي سفيان، ركب إليها في جيش كثيف من المسلمين ومعه عبادة بن الصامت، وزوجته أم حرام بنت ملحان، التي نام رسول الله ﷺ في بيتها، ثم استيقظ وهو يضحك فقالت: ما أضحكك يا رسول الله؟ فقال: «ناس من أمتي عُرضوا عليّ يركبون ثَبَجَ هذا البحر مثل الملوكة على الأسرة». فقالت: يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم فقال: أنت منهم، ثم نام فاستيقظ وهو يضحك، فقال: مثل ذلك، فقالت أدع الله أن يجعلني منهم، قال: أنت من الأولين»<sup>(١)</sup>، فكانت في هذه الغزوة وماتت بها.

والمقصود أن معاوية ركب البحر في مراكب فقصد الجزيرة المعروفة بقبرس ومعه جيش عظيم من المسلمين، وذلك بأمر عثمان بن عفان - رضي الله عنه - له بعد سؤاله إياه، وقد كان سأل في ذلك عمر بن الخطاب، فأبي أن يمكنه من حمل المسلمين على هذا الخلق العظيم، الذي لو اضطرب لهلكوا عن آخرهم، فلما كان عثمان ألحَّ معاوية عليه في ذلك فأذن له، فركب في المراكب فأنتهى إليها، ووفاه عبدالله بن سعد بن أبي سرح إليها من الجانب الآخر، فالتقيا على أهلها فقتلوا خلقاً كثيراً وسبوا سبايا كثيرة، وغنموا مالا جزيلاً جيداً<sup>(٢)</sup>.

ولما جيء بالأسارى جعل أبو الدرداء يبكي، فقال له جبير بن نفير: أتبكي وهذا يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ فقال: ويحك إن هذه

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب غزو المرأة في البحر (٦/٧٦ من فتح الباري).

(٢) ابن جرير، المصدر السابق (٤/٢٦١) بسياق مقارب.

كانت أمة قاهرة لهم مُلْكُ، فلما ضيعوا أمر الله صيرهم إلى ما ترى، سلط الله عليهم السَّيْبِي، وإذا سلط على قوم السبى فليس لله فيهم حاجة، ثم قال: ما أهون العباد على الله تعالى إذا تركوا أمره<sup>(١)</sup>.

ثم صالحهم على سبعة آلاف دينار في كل سنة، وهادنهم، فلما أرادوا الخروج منها قُدِّمَتْ لأم حرام بغلة لتركبها، فسقطت عنها فاندقت عنقها، فماتت فقبرها هنالك<sup>(٢)</sup>.

### غزوة ذات الصواري سنة إحدى وثلاثين<sup>(٣)</sup>

في هذه السنة كانت غزوة الصواري في البحر فيما ذكره الواقدي. وقال أبو معشر: كانت غزوة الصواري سنة أربع وثلاثين<sup>(٤)</sup>.

وملخص ذلك فيما ذكره الواقدي، وسيف، وغيرهما أنه لما أصاب عبدالله بن سعد بن أبي سرح، من أصاب من الفرنج والبربر، ببلاد إفريقية والأندلس، حميت الروم واجتمعت على قسطنطين بن هرقل، وساروا إلى المسلمين في جمع لم ير مثله منذ كان الإسلام، وخرجوا في خمسمائة مركب، وقصدوا عبدالله بن أبي سرح في أصحابه من المسلمين الذين ببلاد المغرب، فلما تراءى الجمعان بات الروم يقسقسون ويصلُّون، وبات المسلمون يقرؤون ويصلُّون، فلما أصبحوا

(١) أخرج قول أبي الدرداء أبو إسحاق الفزاري في كتابه السير (١٤٢) بإسناد صحيح. وكذا ابن جرير، المصدر السابق (٤/٢٦٢).

(٢) أشار حديث البخاري إلى وفاتها في قبرص وانظر ترجمتها في الإصابة (٨/١٨٩) وانظر: تاريخ الطبري (٤/٢٦٢).

(٣) البداية والنهاية: ١٥٧/٧.

(٤) ابن جرير، المصدر السابق (٤/٢٨٨).



صف عبدالله بن سعد أصحابه صفوفًا في المراكب، وأمرهم بذكر الله وتلاوة القرآن، قال بعض من حضر ذلك: فأقبلوا إلينا في أمر لم يُر مثله من كثرة المراكب، فقلنا لهم: إن شئتم خرجنا نحن وأنتم إلى البرّ فمات الأَعْجَلُ منا ومنكم، قال فنخروا نخرة رجل واحد وقالوا: الماء الماء، قال: فدنونا منهم وربطنا سفننا بسفنهم، ثم اجتلدنا وإياهم بالسيوف، يثب الرجال على الرجال بالسيوف والخناجر، وضربت الأمواج في عيون تلك السفن حتى ألجأتها إلى الساحل وألقت الأمواج جثث الرجال إلى الساحل حتى صارت مثل الجبل العظيم، وغلب الدم على الماء، وصبر المسلمون يومئذ صبرًا لم يعهد مثله قط، وقتل منهم بشر كثير، ومن الروم أضعاف ذلك، ثم أنزل الله نصره على المسلمين فهرب قسطنطين وجيشه - وقد قَلُّوا جدًّا - وبه جراحات شديدة مكث حينًا يداوى منها، وأقام عبدالله بن سعد بذات الصواري أيامًا، ثم رجع مؤيدًا منصورًا مظفرًا<sup>(١)</sup>.

### غزو بلاد الروم سنة اثنتين وثلاثين<sup>(٢)</sup>؟

وفيها غزا معاوية بلاد الروم حتى بلغ المضيق - مضيق القسطنطينية - ومعه زوجته عاتكة ويقال فاختة<sup>(٣)</sup> بنت قرطبة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبدمناف. قاله أبو معشر، والواقدي.

(١) المصدر نفسه (٤/٢٩٠) وانظر: ابن عبدالحكم، فتوح مصر والمغرب (٢٢٥).

(٢) البداية والنهاية: ١٥٩/٧.

(٣) في الأصل فاطمة والتصحيح من تاريخ الطبري (٤/٣٠٤). وانظر: جمهرة أنساب

العرب لابن حزم (١١٦).

## الفصل الخامس الفتنة ومقتل عثمان

سبب تألب الثائرين على عثمان وولاته<sup>(١)</sup>؛

ذكر سيف بن عمر<sup>(٢)</sup>، أن سبب تألب الأحزاب على عثمان، أن رجلاً يقال له عبدالله بن سبأ، كان يهودياً فآظهر الإسلام وصار إلى مصر، فأوحى إلى طائفة من الناس كلاماً اخترعه من عند نفسه، مضمونه أنه يقول للرجل: أليس قد ثبت أن عيسى بن مريم سيعود إلى هذه الدنيا؟ فيقول الرجل: نعم! فيقول له: فرسول الله ﷺ أفضل منه فما تنكر أن يعود إلى هذه الدنيا، وهو أشرف من عيسى بن مريم - عليه السلام -؟ ثم يقول: وقد كان أوصى إلى علي بن أبي طالب، فمحمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء.

ثم يقول: فهو أحق بالإمرة من عثمان، وعثمان مُعتدٍ في ولايته ما ليس له، فأنكروا عليه وابدءوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ تستميلوا الناس، فافتتن به بشر كثير من أهل مصر وكتبوا إلى جماعات من عوام أهل الكوفة والبصرة، فتمالخوا على ذلك، وتكاتبوا فيه، وتواعدوا أن يجتمعوا في الإنكار على عثمان.

(١) البداية والنهاية: ٧/١٦٧-١٦٨.

(٢) انظر: ابن جرير، مصدر سابق (٤/٣٤٠) وما بعدها.

وأرسلوا إليه من يناظره ويذكر له ما ينقمون عليه، من توليته أقربائه وذوي<sup>(١)</sup> رحمه، وعزله كبار الصحابة، فدخل هذا في قلوب كثير من الناس<sup>(٢)</sup>.

إخراج جماعة من أهل الكوفة إلى الشام سنة ثلاث وثلاثين<sup>(٣)</sup>؟

وفيهما سير أمير المؤمنين جماعة من أهل الكوفة إلى الشام، وكان

(١) هذه دعوى من أهل الفتنة يشيرون بها الناس، وقد بلغ عدد الولاة في عهد عثمان - رضي الله عنه - قرابة أربعين واليًا، (راجع الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، للدكتور عبدالعزيز العمري، الفصل الثالث) ولم يكن منهم من أقارب عثمان سوى خمسة فقط، أي بنسبة ٥، ١٢٪ أمّا ٥، ٨٧٪ فهم من غير أقاربه، وقد عزل بعض أقاربه من الولاية كما عزل غيرهم.

(٢) ذكر المصنف بعد هذا (١٦٨/٧-١٧٠) روايات عن الواقدي، وسيف بن عمر، أعرضت عنها لما فيها من النكارة.

قلت: وأثر عبدالله بن سبأ في إثارة الفتنة أمرٌ بيّنٌ لا مرية فيه، وقد تواردت النصوص الكثيرة على ذلك وليس هو وحده، وإنما كان من الرؤوس المحركة للفتنة، وهو يعمل في نطاق جماعة وحزب مضاد للشريعة الإسلامية، ويسعى لإفسادها، وفك وحدة الأمة الإسلامية، وهم اليهود، والنصارى، والمجوس، والمنافقون، الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر وسعوا إلى إيقاع الفتنة والعدواة بين المسلمين، ولم ينفرد سيف بن عمر بذكر ابن سبأ وبيان أثره في الأحداث، بل ذكر ذلك عدد من المؤرخين والرواة، انظر مزيدًا من التفصيل في بحث الدكتور سليمان العوده، عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام (٥٣، ١٠٤)، ومحمد عبدالله الغبان، الفتنة بعد مقتل عثمان - رضي الله عنه -، القسم التاسع من الملاحق. وخالد بن محمد الغيث، استشهاد عثمان - رضي الله عنه - ووقعة الجمل (٨٦-٧٥)، (٢٢٥-٢٣٠).

(٣) البداية والنهاية: ١٦٥-١٦٦.

سبب ذلك أنهم تكلموا بكلام قبيح في مجلس سعيد بن العاص<sup>(١)</sup>، فكتب إلى عثمان في أمرهم، فكتب إليه عثمان أن يجليهم عن بلده إلى الشام، وكتب عثمان إلى معاوية أمير الشام، أنه قد أُخْرِجَ إليك قراء من أهل الكوفة، فَأَنْزِلْهُمْ وَأَكْرِمْهُمْ وتَأَلَّفْهُمْ.

فلما قدموا، أنزلهم معاوية وأكرمهم، واجتمع بهم، ووعظهم ونصحهم فيما يعتمدون من اتباع الجماعة، وترك الانفراد والابتعاد، فأجابه متكلمهم بكلام فيه بشاعة وشناعة، فاحتملهم معاوية لحلمه، وأخذ في مدح قريش - وكانوا قد نالوا منهم - وأخذ في المدح لرسول الله ﷺ والثناء عليه<sup>(٢)</sup>.

ثم بذل لهم النصح مرة أخرى، فإذا هم يتمادون في غيهم، ويستمرون على جهالتهم وحمافتهم، فعند ذلك أخرجهم ونفاهم عن الشام، لئلا يشوشوا عقول الطغام، وذلك أنه كان يشتمل مطاوي كلامهم على القدح في قريش، وكونهم فرطوا وضيعوا ما يجب عليهم من القيام فيه من نصره الدين، وقمع المفسدين؛ وإنما يريدون بهذا التنقيص والعيب، وكانوا يشتمون عثمان، وسعيد بن العاص<sup>(٣)</sup>

وكانوا عشرة، وقيل تسعة وهو الأشبه وهم: كُمَيْل بن زياد،

(١) في الأصل: سعيد بن عامر، وهو تصحيف، وسعيد بن العاص هو والي الكوفة من قبل عثمان - رضي الله عنه - وقد أخرج خبر نزاعهم في مجلس الوالي، ابن شبة: تاريخ المدينة (٣/١١٤١)، وابن جرير، مصدر سابق (٤/٣١٨) من طريق سيف بن عمر، وفي (٤/٣٢٣) من طريق الواقدي.

(٢) ابن جرير، مصدر سابق (٤/٣٢٠).

(٣) المصدر نفسه (٤/٣٢٠، ٣٢٥).

والأشتر مالك بن الحارث النخعي، وعَلَقْمَة بن قيس النخعي، وصَعَصَعَة بن صَوْحان العبدي، وثابت بن قيس النخعي، وجُنْدُب بن زهير الغامدي، وجُنْدُب بن كعب الأزدي، وعروة بن الجعد، وعمرو بن الحَمِيق الخزاعي<sup>(١)</sup>. فلما خرجوا من دمشق آوؤا إلى الجزيرة فاجتمع بهم عبدالرحمن بن خالد بن الوليد، وكان نائباً على الجزيرة<sup>(٢)</sup> فهددهم وتوعدهم، فاعتذروا إليه وأنابوا إلى الإقلاع عما كانوا عليه، فسير الأشتر النخعي إلى عثمان بن عفان ليعتذر عن أصحابه بين يديه، فقبل عثمان منهم وخيّرهم أن يقيموا حيث أحبوا، فاخترتوا أن يكونوا في معاملة عبدالرحمن بن خالد بن الوليد، فقدموا عليه حمص، فأمرهم بالمقام بالساحل، وأجرى عليهم الرِّزْق<sup>(٣)</sup>.

ويقال بل لما مقتهم معاوية كتب فيهم إلى عثمان، فجاءه كتاب عثمان أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة، فردهم إليه، فلما رجعوا كانوا أذلق السنة، وأكثر شراً، فضج منهم سعيد بن العاص إلى عثمان، فأمره أن يسيرهم إلى عبدالرحمن بن خالد بن الوليد بحمص، وأن يَلْزَمُوا الدروب<sup>(٤)</sup>.

(١) في رواية الواقدي عند ابن جرير (٣٢٦/٤) سمى ثمانية ولم يذكر علقمة بن قيس وجعل مكان صعصعة، أخوه زيد بن صوحان.

(٢) ثم ولي حمص بعد ذلك.

(٣) المصدر نفسه (٣٢٢/٤، ٣٢٦).

(٤) المراد: المسالك والطرق التي بين المسلمين والروم وهي أمكنة رباط للجهاد، والذي أشار إليه المصنف هو رواية الواقدي (ابن جرير ٣٢٥/٤).

### تسيير جماعة من أهل البصرة سنة ثلاث وثلاثين<sup>(١)</sup>؛

وفي هذه السنة سَيرَ عثمان بعض أهل البصرة منها إلى الشام، وإلى مصر بأسباب مُسَوِّغَة لما فعله - رضي الله عنه -، فكان هؤلاء ممن يؤلَّب عليه ويماليء الأعداء في الحط والكلام فيه، وهم الظالمون في ذلك، وهو البار الراشد - رضي الله عنه -<sup>(٢)</sup>.

### طلب أهل الكوفة عزل واليهم سعيد بن العاص<sup>(٣)</sup>؛

وفي سنة أربع وثلاثين تكاتب المنحرفون عن عثمان - وكان جمهورهم من أهل الكوفة - وهم في معاملة عبدالرحمن بن خالد بن الوليد بحمص منفيون عن الكوفة - وثاروا على سعيد بن العاص أمير الكوفة، وتألَّبوا عليه، ونالوا منه ومن عثمان، وبعثوا إلى عثمان من يناظره فيما فعل وفيما اعتمد من عزل كثير من الصحابة<sup>(٤)</sup> وتولية جماعة من بني أمية من أقربائه، وأغلظوا له في القول، وطلبوا منه أن يعزل عُمَّاله ويستبدل بهم غيرهم، حتى شق ذلك عليه جدًّا<sup>(٥)</sup>.

(١) البداية والنهاية: ١٦٦/٧.

(٢) انظر: ابن جرير، مصدر سابق (٣٢٦/٤).

(٣) البداية والنهاية: ١٦٦-١٦٧/٧.

(٤) غالب ولاية عثمان من الصحابة، والذين عزلهم من الولاية عدد قليل لأسباب موجبة لذلك، وفي بعضها تحقيق لمطالب أهل المصر الذي هو والٍ عليه، وقد عزل قبله عمر بن الخطاب، سعد بن أبي وقاص، لَمَّا شكاه أهل الكوفة، ثم اعتذر بأنه لم يعزله بسبب عجز أو خيانة، وإنما تحقيقًا لمطلب أهل البلد عسى أن يكون في ذلك صلاحهم وقطع حجتهم، ثم أدخله في الشورى والولاية العامة.

(٥) ابن جرير، المصدر السابق (٣٣٣-٣٣٢/٤) من طرق ضعيفة لكن ورد في صحيح مسلم الاشارة إلى منعهم سعيد بن العاص من دخول الكوفة بعد عودته من المدينة =

### طريقة مواجهة عثمان للفتنة<sup>(١)</sup>؛

بعث عثمان - رضي الله عنه - إلى أمراء الأجناد فأحضرهم عنده ليستشيرهم، فاجتمع إليه معاوية بن أبي سفيان أمير الشام، وعمرو بن العاص أمير مصر، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح أمير المغرب، وسعيد بن العاص أمير الكوفة، وعبدالله بن عامر أمير البصرة فاستشارهم فيما حدث من الأمر، فأشار عبدالله بن عامر أن يشغلهم بالغزو عما هم فيه من الشر، فلا يكون همّ أحدهم إلا نفسه، وما هو فيه من دَبْرٍ<sup>(٢)</sup> دابته، وحمل فروته، وأشار سعيد بن العاص بأن يستأصل شأفة المفسدين ويقطع دابرهم، وأشار معاوية بأن يرد عمالة إلى أقاليمهم وأن لا يلتفت إلى هؤلاء وما تألبوا عليه من الشر، فإنهم أقل وأضعف جنداً، وأشار عبدالله بن سعد بن أبي سرح بأن يتألفهم بالمال فيعطيه من ما يَكْفُ به شرهم، ويأمن غائلتهم، ويعطف به قلوبهم إليه<sup>(٣)</sup>.

فعند ذلك قرر عثمان عماله على ما كانوا عليه، وتألف قلوب أولئك بالمال، وأمر بأن يبعثوا إلى الغزو في الثغور، فجمع بين المصالح كلها<sup>(٤)</sup>.

= يوم الجرعه (٢٢١٩/٤) (ح/٢٨٩٣).

(١) البداية والنهاية: ١٦٧/٧.

(٢) دَبْرُ الدابة: مؤخرتها وقيل هو قرحة تصيب الدواب، وكنى بذلك عن اتباع الدواب التي يجاهد عليها ومعالجة ما بها من قروح. (لسان العرب ٢٧٣/٤).

(٣) أورد المصنف كلاماً منسوباً لعمر بن العاص، انظره في البداية والنهاية (١٦٧/٧) لا أرى أنه يصح لما فيه من الألفاظ المنكرة، ولم يسنده وفي سنده. عند ابن جرير (٣٣٣/٤) من لا يعرف.

(٤) ابن جرير، المصدر السابق (٣٣٥/٤، ٣٤٢).

وقد امتنع أهل الكوفة من أن يدخل عليهم سعيد بن العاص ولبسوا السلاح وحلفوا لا يمكنوه من الدخول فيها حتى يعزله عثمان، ويولي عليهم أبا موسى الأشعري، فكَرَّ سعيد راجعًا إلى المدينة وكسر الفتنة، فأعجب ذلك أهل الكوفة، وكتبوا إلى عثمان فأجابهم عثمان إلى ما سألوا إزاحة لعذرهم، وإزالة لشبههم، وقطعًا لعلهم<sup>(١)</sup>.

تكملة لطريقة مواجهة عثمان للفتنة<sup>(٢)</sup>؛

من خلال النصوص التاريخية في العديد من المصادر يتضح أن عثمان - رضي الله عنه - قد واجه الفتنة بعدد من الأساليب<sup>(٣)</sup> وهي:

١- جَمَعَ أهل الشورى من الصحابة وشاورهم فيما يتخذه من أساليب لمواجهة شغب الثائرين في بعض الأمصار، ثم عمل - رضي الله عنه - بما أشاروا به عليه.

٢- بعث رجالاً من قبله إلى الأمصار للتحقيق في القضايا مثار الشكوى، فرجعوا ولم يجدوا أسباباً حقيقية، وإنما هي إثارات لا حقيقة لها في الواقع.

٣- طلب قدوم الولاة عليه في المدينة، ثم ناقشهم عن أسباب الشكاوى، ووجههم إلى الإحسان إلى الناس، وتلافي أي سبب يدعو للإثارة أو الشكوى.

٤- منع الولاة من التنكيل بمثيري الشغب - حبسهم أو قتلهم - عسى أن

(١) المصدر نفسه (٤/٣٣٦).

(٢) إضافة ليست في الأصل.

(٣) أشار إلى بعض هذه الأساليب، د. سليمان بن حمد العودة، في كتابه: «عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام»، الفصل الثالث (١٢٣-١٦٧).



يكون في المعاملة بالحسنى ما يهدىء من ثورتهم .

٥- إقامة الحجّة على الثائرين، وذلك بمناقشتهم والرد على دعاويهم وكشف زيفها في مسجد رسول الله ﷺ، وأمام جمع من الصحابة وأهل المدينة، ثم ذكّرهم بالله، ونصحهم بلزوم الجماعة واتباع الحق حتى أظهروا التراجع والتوبة .

٦- الاستجابة لبعض مطالبهم في خلع بعض الولاة، وتولية من طلبوا توليته .

وهذه الأساليب كافية في المعالجة وإقامة الحق والعدل، لو كانت الأمور تسير في وضعها الطبيعي، لكن الواقع أن وراء هذه الشكاوى والإثارات أمور خفية، وأحقاد جاهلية، تسعى لإثارة الفتنة بين المسلمين وتفريق وحدتهم، حتى وقع ما أخبر به النبي ﷺ من استشهاد عثمان - رضي الله عنه - وقتله ظلماً، وما تبع ذلك من الفتن والتفرق، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا .

**قدوم وفد من مصر في رجب سنة خمس وثلاثين<sup>(١)</sup>!**

كان الخوارج من المصريين محصورين من عمرو بن العاص، فجعلوا يعملون عليه، حتى شكوه إلى عثمان لينزعه عنهم، ويولي عليهم من هو ألين منه، فلم يزل ذلك دأبهم حتى عزل عمراً عن الحرب وتركه على الصلاة، وولى على الحرب والخراج عبدالله بن سعد بن أبي سرح، ثم سعوا فيما بينهما بالنميمة حتى كان بينهما كلام، فأرسل عثمان فجمع لابن أبي سرح جميع عمالة مصر - خراجها وحرّبها

(١) البداية والنهاية: ١٧٠/٧ .

وصلاتها - وبعث إلى عمرو يقول له: لا خير لك في المقام عند من يكرهك، فاقدم إليّ، فانتقل عمرو بن العاص إلى المدينة.

وقد اشتغل عبدالله بن سعد بقتال أهل المغرب، وفتح بلاد البربر، وإفريقية، ونشأ بمصر طائفة يؤلبون الناس على حرب عثمان والإنكار عليه، وكان عظم ذلك مسنداً إلى محمد بن أبي بكر، ومحمد ابن حذيفة، حتى استنفروا نحواً من ستمائة راكب يذهبون إلى المدينة في صفة معتمرين في شهر رجب، لينكروا على عثمان.

وكتب عبدالله بن سعد بن أبي سرح إلى عثمان يعلمه بقدوم هؤلاء القوم إلى المدينة منكرين عليه في صفة معتمرين، فلما اقتربوا من المدينة أمر عثمان عليّ بن أبي طالب أن يخرج إليهم ليردهم إلى بلادهم قبل أن يدخلوا المدينة<sup>(١)</sup>.

ويقال: بل ندب الناس إليهم، فانتدب عليّ لذلك فبعثه، وخرج معه جماعة من الأشراف، فلقبهم وهم بالجُحْفَةِ<sup>(٢)</sup>، وكانوا يعظمونه

(١) تشير رواية ابن أبي داود في كتاب المصاحف (٣٦) أن عثمان أمر عليّاً - رضي الله عنه - بمقابلة وفد المصريين في الجحفة، لكنها ضعيفة فيها عثمان بن هشام بن دلهم، مجهول. والصحيح أن وفد المصريين لما قرب من المدينة علم أن عثمان خارج المدينة في قرية له، فقدموا عليه فيها، وناظروه وناظرهم حتى عادوا مقتنعين. أخرج ذلك ابن أبي شيبة في المصنف (٢٥/١٥) بإسناد صحيح. انظر: محمد الغبان، فتنة مقتل عثمان (١٢٣-١٢٥).

(٢) الجُحْفَةُ: بالضم ثم السكون وفتح الفاء الموحدة، كانت قرية عامرة، وهي ميقات أهل مصر والشام ثم أندثر، وهي تقع قرب مدينة رابغ على بعد (٢٢) كيلاً (انظر معجم البلدان (١١١/٢) والمعالم الجغرافية في السيرة، لعاتق بن غيث البلادي (٨٠). وهذه الرواية ضعيفة، كما سبق بيانه في الهامش السابق.

ويبالغون في أمره، فردهم وأبهم وشتمهم، فرجعوا على أنفسهم بالملامة، وقالوا: هذا الذي تحاربون الأمير بسببه، وتحتجون عليه به. ويقال: إنه ناظرهم في عثمان، وسألهم ماذا ينقمون عليه، فذكروا أشياء، منها: أنه حمى الحمى، وأنه حرق المصاحف، وأنه أتم الصلاة، وأنه ولى الأحداث، وأنه أعطى بني أمية أكثر من الناس. فأجاب علي عن ذلك: أمّا الحمى، فإنما حماه لإبل الصدقة لتسمن، ولم يحمه لإبله ولا لغنمه، وقد حماه عمر قبله.

وأما المصاحف فإنما حرق ما وقع فيه اختلاف، وأبقى لهم المتفق عليه كما ثبت في العرضة الأخيرة.

وأما إتمامه الصلاة بمكة، فإنه كان قد تأهل بها ونوى الإقامة فأتَمَّها. (١)

وأما توليته الأحداث، فلم يولّ إلا رجلاً سويّاً عدلاً، وقد ولى رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد على مكة وهو ابن عشرين سنة، وولى أسامة بن زيد بن حارثة، وهو شاب حتى طعن بعض الناس في إمارته. وأما إثارة قومه بني أمية، فقد كان رسول الله ﷺ يؤثر قريشا على الناس.

ويروى أنهم بعثوا طائفة منهم فشهدوا خطبة عثمان في هذا الشأن، فلما تمهدت الأعذار وانزاحت عليهم ولم يبق لهم شبهة، أشار جماعة من الصحابة على عثمان بتأديبهم، فصفح عنهم، - رضي الله عنه - . وردّهم إلى قومهم فرجعوا خائبين من حيث أتوا، ولم ينالوا شيئاً

(١) راجع ما سبق بيانه عن سبب إتمامه الصلاة بمنى، في حوادث سنة تسع وعشرين، في الفصل الثالث.

مما كانوا أمَلُوا وراموا، ورجع عليٌّ إلى عثمان، فأخبره برجوعهم عنه، وسماعهم منه<sup>(١)</sup>.

مجيء الأحزاب من مِصرَ وغيرها في شوال سنة خمس وثلاثين<sup>(٢)</sup>؛

تَكَاتَبَ أهل مصر، وأهل الكوفة، وأهل البصرة، وتراسلوا، وزوَّرت كتب علي لسان الصحابة الذين بالمدينة، علي، وطلحة، والزبير، وعائشة، يدعون الناس إلى قتال عثمان ونصر الدين، وأنه أكبر الجهاد اليوم<sup>(٣)</sup>.

ذكر سيف بن عمر التميمي عن محمد، وطلحة، وأبي حارثة، وأبي عثمان، وقاله غيرهم أيضاً، قالوا: لما كان في شوال سنة خمس وثلاثين، خرج أهل مصر في أربع رفاق على أربعة أمراء، المقلل لهم يقول ستمائة، والمكثّر يقول: ألف، وعلى الرفاق عبدالرحمن بن عُدَيْس البلوي، وكِنَانة بن بِشْرِ الثَّجِيبِي، وسُودان بن حُمران السَّكُونِي، وقُتَيْرة السَّكُونِي، وعلى القوم جميعاً الغافقي بن حرب العَكِّي، وخرجوا - فيما يُظهِرُونَ للناس حجاجاً -، ومعهم ابن السوداء، وكان أصله يهودياً فأظهر الإسلام وأحدث بدعاً قولية وفعلية، قَبَّحه الله.

(١) ذكر المصنف بعد هذا (١٧١-١٧٣/٧) كلاماً طويلاً أعرضت عنه لما فيه من الالفاظ المنكرة والشذوذ والمخالفة.

(٢) البداية والنهاية: ١٧٣-١٧٤.

(٣) تزوير الكتب على كبار الصحابة - رضي الله عنهم - أحد وسائلهم في إثارة الناس على الخليفة، وقد ثبت ذلك بأسانيد صحيحة كما في تاريخ خليفة (١٦٩)، كما أنهم قد اتخذوا إثارة الشعب على الولاة في الأمصار، وتضخيم الأخطاء وإشاعتها بين الناس أسلوباً آخر، وكذا إكثار الشكاوى إلى الخليفة من ولائهم، وطلب عزلهم وتولية آخرين غيرهم.

وخرج أهل الكوفة في عدتهم في أربع رفاق أيضًا، وأمراؤهم: زيد بن صوحان، والأشتر النخعي، وزيد بن النضر الحارثي، وعبدالله بن الأصم، وعلى الجميع عمرو بن الأصم.

وخرج أهل البصرة في عدتهم أيضًا في أربع رايات مع حُكَيْم بن جَبَلَة العَبْدِي، وبشر بن شُرَيْح بن ضُبَيْعَة القَيْسِي، وذَرِيح بن عَبَاد العَبْدِي، وعليهم كلهم حُرْقُوص بن زهير السَّعْدِي، وأهل مصر مصرون على ولاية علي بن أبي طالب، وأهل الكوفة عازمون على تأمير الزبير، وأهل البصرة مصممون على تولية طلحة، لا تشك كل فرقة أن أمرها سيتم، فسار كل طائفة من بلدهم حتى توافوا حول المدينة، كما تواعدوا في كتبهم، في شهر شوال سنة خمس وثلاثين، فنزل طائفة منهم بذي حُشْب<sup>(١)</sup>، وطائفة بالأعوص<sup>(٢)</sup>، والجمهور بذي المروة<sup>(٣)</sup>، وهم على وجل من أهل المدينة، فبعثوا قُصَادًا وعيونًا بين أيديهم ليخبروا الناس أنهم إنما جاءوا للحج لا لغيره، وليستعفوا هذا الوالي من بعض عَمَّاله، ما جئنا إلا لذلك، واستأذنوا للدخول، فكل الناس أبي دخولهم ونهى عنه، فتجاسروا واقتربوا من المدينة، وجاءت طائفة من المصريين إلى علي وهو في عسكر عند أحجار الزيت<sup>(٤)</sup>، عليه حُلَّة

(١) خشب: بضم أوله وثانيه، وإد على مسيرة ليلة من المدينة (ياقوت، معجم البلدان ٣٧٢/٢).

(٢) الأعوص: موضع على أميال من المدينة، ويقع إلى الشمال الشرقي، وفيه مطار المدينة اليوم (ياقوت، المصدر السابق ٢٢٣/١ ومعجم المعالم الجغرافية ٣١).

(٣) ذو المروة: موضع مشهور بوادي القرى يبعد عن المدينة بثلاث مائة كيلو (ياقوت، المصدر السابق ١١٦/٥ والبلادي، المصدر السابق ٢٩٠).

(٤) أحجار الزيت موضع عند سوق المدينة (الزوراء) استقى عنده النبي ﷺ وكانت هذه =

أَفْوَاف<sup>(١)</sup>، معتم بشقيقة حمراء يمانية، متقلداً السيف، فسلم عليه المصريون، فصاح بهم وطردهم، وقال: لقد علم الصالحون أن جيش ذي المروة وذي حُشْب ملعونون على لسان محمد ﷺ، فارجعوا لا صبحكم الله، قالوا: نعم! وانصرفوا من عنده على ذلك.

وأتى البصريون طلحة وهو في جماعة أخرى إلى جنب علي - وقد أرسل بنيه إلى عثمان - فسلموا عليه فصاح بهم وطردهم وقال لهم كما قال علي لأهل مصر.

وكذلك كان ردّ الزبير على أهل الكوفة<sup>(٢)</sup>.

إظهار أهل الأحزاب أنهم راجعون إلى بلدانهم<sup>(٣)</sup>!

لقد رجع كل فريق من أهل الأحزاب إلى قومهم، وأظهروا للناس أنهم راجعون إلى بلدانهم، وساروا أياماً راجعين، ثم كَرَّوا عائدين إلى المدينة، فلم يفجأ أهل المدينة إلاّ التكبير في نواحيها، وإذا القوم قد

= الأحجار بارزة ويضع عليها الزياتون زيتهم، وقد علاها الطريق واندفنت، انظر: السهمودي: وفاء الوفاء (١١٢١/٤).

(١) حلة أفواف: هي ضرب من الحلل والبرد بيضاء اللون تنسج من القطن رقيقة، قال ابن الأعرابي: الفوف ثياب رقاق من ثياب اليمن موشاة (لسان العرب ٩/٢٧٤).

(٢) ذكر ذلك ابن جرير في تاريخ الرسل والملوك (٤/٣٤٨-٣٥٠) من طريق سيف بن عمر عن شيوخه، وما ورد من لعن الصحابة - رضي الله عنهم - لتلك الفئة الخارجة كان استدلالاً منهم - رضي الله عنهم - بحديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه البخاري في صحيحه (٩٧/٤ من فتح الباري) من حديث أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: المدينة حرم من كذا إلى كذا، لا يقطع شجرها، ولا يحدث فيها حدث، من أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

(٣) البداية والنهاية: ١٧٤/٧.

زحفوا على المدينة وأحاطوا بها، وجمهورهم عند دار عثمان بن عفان، وقالوا للناس: من كف يده فهو آمن، فكف الناس ولزموا بيوتهم، وأقام الناس على ذلك أيامًا. هذا كله ولا يدري الناس ما القوم صانعون ولا على ما هم عازمون، وفي كل ذلك وأمير المؤمنين عثمان بن عفان يخرج من داره فيصلي بالناس، فيصلى وراءه أهل المدينة وأولئك الآخرون، وذهب الصحابة إلى هؤلاء يؤنبونهم على رجوعهم، حتى قال علي لأهل مصر: ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم؟ فقالوا: وجدنا مع بريد كتابًا بقتلنا. وكذلك قال طلحة للبصريين، وكذا قال الزبير للكوفيين. فقال أهل كل مصر: إنما جئنا لننصر أصحابنا. فقال لهم الصحابة: كيف علمتم بذلك من أصحابكم، وقد افترقتم وصار بينكم مراحل؟ إنما هذا أمر اتفقتم عليه، فقالوا: ضعه على ما أردتم، لا حاجة لنا في هذا الرجل، ليعتزلنا، ونحن نعتزله، يعنون أنه إن نزل عن الخلافة تركوه آمنًا<sup>(١)</sup>.

#### قصة الراكب والكتاب المزور<sup>(٢)</sup>؟

وكان المصريون - فيما ذكروا - لما رجعوا إلى بلادهم وجدوا في الطريق بريدًا يسير، فأخذوه ففتشوه، فإذا معه في إداوة كتابًا على لسان عثمان، فيه الأمر بقتل طائفة منهم، وبصلب آخرين، وبقطع أيدي آخرين منهم وأرجلهم، وكان على الكتاب طابع بخاتم عثمان، والبريد أحد غلمان عثمان وعلى جميله، فلما رجعوا جاءوا بالكتاب وداروا به على الناس، فكلم الناس أمير المؤمنين في ذلك، فقال: بَيِّنْهُ عَلَيَّ بِذَلِكَ،

(١) انظر: نحوه عند ابن جرير، مصدر سابق (٤/٣٥٠).

(٢) البداية والنهاية: ٧/١٧٤-١٧٥.

وإلا فوالله لا كتبت، ولا أملت، ولا دريت بشيء من ذلك، والخاتم قد يُرَوَّرُ على الخاتم، فصدقه الصادقون في ذلك، وكذبه الكاذبون<sup>(١)</sup>.  
ويقال: إن أهل مصر كانوا قد سألوا من عثمان أن يعزل عنهم ابن أبي سرح، ويولّي محمد بن أبي بكر، فأجابهم إلى ذلك، فلما وجدوا ذلك البريد ومعه الكتاب بقتل محمد بن أبي بكر، وآخرين معه، رجعوا، وقد حنقوا عليه حَنَقًا شديدًا، وطافوا بالكتاب على الناس، فدخل ذلك في أذهان كثير من الناس.

وروى ابن جرير من طريق محمد بن إسحاق، عن عمه عبدالرحمن بن يسار، أن الذي كان معه هذه الرسالة من جهة عثمان إلى مصر أبو الأعور السلمي<sup>(٢)</sup> على جمل لعثمان<sup>(٣)</sup>.

وذكر ابن جرير من هذا الطريق أن الصحابة كتبوا إلى الآفاق من المدينة يأمرون الناس بالقدوم على عثمان ليقاتلوه<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: وهذا كذب على الصحابة، وإنما كُتِبَتْ كتب مزورة عليهم، كما كتبوا من جهة علي، وطلحة، والزبير، إلى الخوارج كتبًا مزورة عليهم أنكروها، وهكذا زُوِّرَ هذا الكتاب على عثمان أيضًا، فإنه

(١) أخرج خبر الكتاب المزور خليفة بن خياط في تاريخه (١٦٩) بإسناد رجاله ثقات. والذي يظهر أن الثوار أنفسهم هم الذين زوروا الكتاب، ابن سبأ أو أحد أعوانه، ولا مصلحة لأحد غيرهم في تزويره، لا مروان - الذي اتهم به - ولا غيره. وتزوير الكتب - كما عرفنا - هو أحد وسائلهم في الإثارة ومحاولة إقناع الآخرين بمشروعية مطالبهم.

(٢) اسمه عمرو بن سفيان مشهور بكنيته، صحابي، له ترجمة في الإصابة (٦٤١/٤).

(٣) تاريخ الطبري (٣٦٧/٤). والسند ضعيف لإرساله وعننة ابن إسحاق.

(٤) المصدر نفسه، والسند ضعيف، والمتن منكر.



لم يأمر به ولم يعلم به .

### عودة الأحزاب وحصار الخليفة في داره<sup>(١)</sup>؛

ذكر سيف بن عمر، أن عثمان بعد أن صلى بالناس يوم الجمعة صعد المنبر فخطبهم فقال في خطبته: يا هؤلاء الغرباء! الله الله، فوالله إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد ﷺ، فامحوا الخطأ بالصواب، فإن الله لا يمحو السياء إلا بالحسن، فقام محمد بن مسلمة<sup>(٢)</sup> فقال: أنا أشهد بذلك، فأخذه حكيم بن جبلة فاقعده، فقام زيد بن ثابت فقال: إنه في الكتاب، فثار إليه من ناحية أخرى رجل وقال: يانطع، وثار القوم بأجمعهم، فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد، وحصبوا عثمان حتى صرع من المنبر مغشياً عليه، فاحتمل وأدخل داره<sup>(٣)</sup>. وانقطع عثمان عن المسجد فكان لا يخرج إلا قليلاً في أول الأمر، ثم انقطع بالكلية في آخره، وكان يصلي بالناس في هذه الأيام الغافقي بن حرب. وقد استمر الحصر أكثر من شهر. وقيل أربعين يوماً، حتى كان آخر ذلك أن قتل شهيداً - رضي الله عنه - . والذي ذكره ابن جرير أن الذي كان يصلي بالناس في هذه المدة وعثمان محصور، طلحة بن عبيدالله<sup>(٤)</sup>.

(١) البداية والنهاية: ١٧٦/٧-١٧٧.

(٢) الأنصاري صحابي مشهور، ترجمته في الإصابة (٣٣/٦).

(٣) هذه رواية سيف بن عمر كما أخرجها ابن جرير، المصدر السابق (٣٥٣/٤)، ويشهد لها ما أخرج في موضع آخر (٣٦٧/٤) أن جهجاه الغفاري أخذ عصا كانت في يد عثمان فكسرها على ركبته، فرمى في ذلك المكان بأكلة. وإسناده صحيح.

(٤) لم يذكر ابن جرير طلحة بن عبيدالله في من صلى بالناس وعثمان محصور، وإنما =

ورُوي عن الواقدي أن عليًا صلى بهم، وصلى أبوأيوب، وصلى بهم سهل بن حنيف<sup>(١)</sup>، وكان يُجمَعُ بهم علي وهو الذي صلى بهم العيد نصوص في بيان دفاع عثمان عن نفسه بالخجة والبيان<sup>(٢)</sup>؟

قال الإمام أحمد: حدثنا بهز ثنا أبو عوانة ثنا حصين عن عمر بن جاوران قال: قال الأحنف: انطلقنا حجاجًا فمررنا بالمدينة، فبينما نحن في منزلنا إذ جاءنا آت فقال: الناس في المسجد، فانطلقت أنا وصاحبي، فإذا الناس مجتمعون على نفر في المسجد، قال: فتخللتهم حتى قمت عليهم، فإذا علي بن أبي طالب، والزبير، وطلحة، وسعد بن أبي وقاص، قال: فلم يكن ذلك بأسرع من أن جاء عثمان يمشي، فقال: هاهنا علي؟ قالوا: نعم! قال: هاهنا الزبير؟ قالوا نعم! قال: هاهنا طلحة؟ قالوا: نعم! قال: هاهنا سعد بن أبي وقاص؟ قالوا: نعم! قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «من يبتاع مربد بنى فلان غفر الله له؟» فابتعته فأتيت رسول الله ﷺ

= اكتفى برواية الواقدي (٤/٤٢٣) وهي التي ذكرها المصنف وذكر في (٤/٣٥٤) أن الذي صلى بالناس أمير الثائرين الغافقي، وهذه الرواية من طريق سيف بن عمر.

(١) هذا يخالف ما رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب إمامة المفتون والمبتدع، (٢/١٨٨ من فتح الباري). من سؤال عبيدالله بن عدي بن الخيار عثمان - رضي الله عنه - في وقت الحصار بقوله: إنك إمام عامة ونزل بك ما ترى، ويصلي للناس إمام فتنة وتخرج، فقال له: الصلاة أحسن ما يعمل الناس... الحديث. فلو كان الذي يصلي بهم أحد هؤلاء الصحابة لما سماه إمام فتنة، فالذي يصلي بهم مدة الحصار بعد منع عثمان من الخروج من داره، هو أحد الثوار وسماه في رواية سيف بن عمر، الغافقي بن حرب.

(٢) البداية والنهاية: ٧/١٧٧-١٧٩.

فقلت: إني قد ابتعته، فقال: «أجعله في مسجدنا وأجره لك». قالوا: نعم! قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «من يبتاع بئر رومة؟» فابتعتها بكذا وكذا، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إني قد ابتعتها - يعني بئر رومة - قال: «أجعلها سقاية للمسلمين ولك أجرها». قالوا: نعم! قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو تعلمون أن رسول الله ﷺ نظر في وجوه القوم يوم جيش العُسرة فقال: «من يجهز هؤلاء غفر الله له؟» فجهزتهم حتى ما يفتقدون خطأً ولا عقلاً قالوا: اللهم نعم! فقال: اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد، ثم انصرف<sup>(١)</sup>. وزواه النسائي من حديث حصين، وعنده إذ جاء رجل وعليه ملاءة صفراء<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن سليمان قال سمعت مغيرة بن مسلم أبا سلمة، يذكر عن مطر، عن نافع، عن ابن عمر، أن عثمان أشرف على أصحابه وهو محصور، فقال: عَلَامَ تَقْتُلُونَنِي؟ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحل دم امرئ إلا بإحدى ثلاث، رجل زنى بعد إحصائه فعليه الرجم، أو قتل عمداً فعليه القود، أو إرتد بعد إسلامه فعليه القتل». فوالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام، ولا قتلت أحداً فأقيدُ نفسي منه، ولا ارتددت منذ أسلمت، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. ورواه النسائي عن أحمد بن الأزهر عن

(١) المسند (تحقيق أحمد شاكر ١/٣٨٠ برقم: ٥١١) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) سنن النسائي، كتاب الأحباس (٦/٢٣٤).

إسحاق بن سليمان به<sup>(١)</sup>.

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، ثنا حماد بن زيد، ثنا يحيى بن سعيد، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، قال: كنت مع عثمان في الدار وهو محصور، قال: وكنا ندخل مدخلاً إذا دخلناه سمعنا كلام من على البلاط<sup>(٢)</sup>، قال: فدخل عثمان يوماً لحاجته فخرج إلينا منتقماً لونه، فقال، إنهم ليتوعدوني بالقتل آنفاً. قال: قلنا يكفيكهم الله يا أمير المؤمنين، قال: ولم يقتلونني؟ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث، رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفساً بغير نفس». فوالله ما زنت في جاهلية ولا إسلام قط، ولا تمنيت بدلاً بديني منذ هداني الله له، ولا قتلت نفساً، فبم يقتلونني؟<sup>(٣)</sup>. وقد رواه أهل السنن الأربعة من حديث حماد بن زيد، عن يحيى بن سعيد، حدثني أبو أمامة. زاد النسائي - وعبدالله بن عامر بن ربيعة قالوا: كنا مع عثمان، فذكره<sup>(٤)</sup>. وقال الترمذي: حسن. وقد رواه حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد فرفعه.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو قطن، ثنا يونس - يعني ابن أبي إسحاق - عن أبيه، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن. قال: أشرف عثمان

(١) المسند (٦٣/١) وقال أحمد شاكر (٤٥٢) إسناده صحيح، وسنن النسائي باب الحكم في المرتد (١٠٣/٧)، وكان الإسناد في الأصل هكذا: حدثنا إسحاق بن سليمان بن مسلم أنا سلمة يذكر عن مطرف... وهو تصحيف ظاهر والتصحيح من المسند.

(٢) البلاط: ساحة بين المسجد النبوي ودار عثمان - رضي الله عنه -.

(٣) المسند (٦٥/١) وقال أحمد شاكر (٤٦٨) إسناده صحيح.

(٤) سنن النسائي، باب ما يحل به دم المسلم، (٩٢/٧).

من القصر وهو محصور فقال: أنشد الله من شهد رسول الله ﷺ يوم حراء إذا اهتز الجبل فركله بقدمه ثم قال: «اسكن حراء ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد، وأنا معه»، فانتشد له رجال. ثم قال: أنشد الله من شهد رسول الله يوم بيعة الرضوان إذا بعثني إلى المشركين إلى أهل مكة فقال: «هذه يدي وهذه يد عثمان. فبايع لي»، فانتشد له رجال. ثم قال: أنشد الله من شهد رسول الله قال: «من يوسع لنا بهذا البيت في المسجد بيت له في الجنة». فابتعته من مالي فوسعت به المسجد، فانتشد له رجال. ثم قال: أنشد الله من شهد رسول الله يوم جيش العسرة قال: «من ينفق اليوم نفقة متقبلة؟ فجهزت نصف الجيش من مالي، فانتشد له رجال. ثم قال: أنشد الله من شهد رومة يباع ماؤها ابن السبيل فابتعتها من مالي فأباحتها ابن السبيل قال: فانتشد له رجال<sup>(١)</sup>. وراه النسائي عن عمران بن بكار، عن خطاب بن عثمان، عن عيسى بن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن جده أبي إسحاق السبيعي، به<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسماعيل، ثنا قيس، عن أبي سهلة، عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «ادعوا لي بعض أصحابي»، قلت: أبوبكر؟ قال: «لا» قلت: عمر؟ قال: «لا». قلت: ابن عمك علي؟ قال: «لا». قلت: عثمان؟ قال: «نعم». فلما جاء قال: تنحني فجعل يساره، ولون عثمان يتغير، فلما كان يوم الدار وحُصر فيها، قلنا: يا أمير المؤمنين ألا تقاتل؟ قال: لا، إن رسول الله

(١) المسند (٥٩/١)، وقال أحمد شاكر (٤٢٠) إسناده صحيح.

(٢) سنن النسائي، كتاب الأحباس (٢٣٦/٦).

ﷺ عهد إليّ عهدًا وإني صابر نفسي عليه . تفرد به أحمد<sup>(١)</sup> .

وقال محمد بن عائد الدمشقي: حدثنا الوليد بن مسلم، ثنا عبدالله بن لهيعة، عن يزيد بن عمرو، أنه سمع أبا ثور الفهمي يقول: قدمت على عثمان فبينما أنا عنده فخرجت فإذا بوفد أهل مصر قد رجعوا، فدخلت على عثمان فأعلمته، قال: فكيف رأيتمهم؟ فقلت: رأيتُ في وجوههم الشر، وعليهم ابن عُدَيْس البلوي، فصعد ابن عُدَيْس منبر رسول الله ﷺ فصلى بهم الجمعة، وتنقص عثمان في خطبته، فدخلت على عثمان فأخبرته بما قال فيهم، فقال: كذب والله ابن عديس، ولولا ما ذكر ما ذكرتُ، إني رابع أربعة في الإسلام، ولقد أنكحني رسول الله ﷺ ابنته، ثم توفيتُ، فأنكحني ابنته الأخرى، ولا زنيْتُ ولا سرقتُ في جاهلية ولا إسلام، ولا تغنيْتُ ولا تمنيتُ منذ أسلمتُ، ولا مسستُ فرجي بيمني منذ بايعت بها رسول الله ﷺ، ولقد جمعتُ القرآن على عهد رسول الله ﷺ، ولا أتت عليّ جُمعةٌ إلا وأنا أعتق فيها رقبة منذ أسلمت، إلا أن لا أجدها في تلك الجمعة فأجمعها في الجمعة الثانية<sup>(٢)</sup> .

(١) المسند (٥٢/٦)، وقال أحمد شاكر صحيح الإسناد (ح/٤٠٧) وأخرجه ابن ماجه في سننه، المقدمة، (ح/١١٣) من حديث قيس بن أبي حازم عن عائشة به . وقال في الزوائد إسناده صحيح رجاله ثقات، وأخرجه ابن حبان في صحيحه كما في موارد الظمان (٥٤٠)، (ح/٢٢٨٧) من حديث قيس عن عائشة . وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٦٦/٣) من حديث قيس بن أبي حازم عن أبي سهلة مرسلًا .

(٢) فيه ابن لهيعة مختلف في توثيقه قال ابن حجر في التقریب (٣١٩) صدوق اختلط، ويزيد بن عمرو المعافري، صدوق (التقریب ٦٠٤) وأبو ثور الفهمي - وليس القيمي كما ورد في الأصل - ترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣٥١/٩) =

ورواه يعقوب بن سفيان<sup>(١)</sup> عن يحيى بن عبدالله بن بكير عن ابن لهيعة، قال: لقد اختبأت عند ربي عشرًا، فذكرهن.

قال ابن كثير: وقد كان هؤلاء الجهلة البغاة متعنتون خونة، ظلمة مفترون، ولهذا صمموا على حصره والتضييق عليه بعد ما خاطبهم بهذا الخطاب الذي يوضح فيه مناقبه وأنه لا يستحق ما فعلوا معه، حتى منعوه الميرة والماء، والخروج إلى المسجد، وتهددوه بالقتل، ومنعوا الناس من الدخول إليه والخروج من عنده.

#### موقف عثمان بعد اشتداد الحصار<sup>(٢)</sup>؟

كان الحصار مستمرًا من أواخر ذي القعدة إلى يوم الجمعة الثامن عشر<sup>(٣)</sup> من ذي الحجة، فلما كان قبل ذلك بيوم، قال عثمان للذين عنده في الدار من المهاجرين والأنصار - وكانوا قريبًا من سبعمائة - فيهم عبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، والحسن، والحسين، ومروان، وأبوهريرة، وخلق من مواليه، ولو تركهم لمنعوه، فقال لهم: أقسم على من لي عليه حق أن يكف يده وأن ينطلق إلى منزله، وكان عنده من

= وقال: مصري سمع النبي ﷺ. وقال أبو زرعة: له صحبة، وذكره يعقوب بن سفيان في ثقات التابعين من أهل مصر (المعرفة والتاريخ ٤٨٧/٢).

(١) المعرفة والتاريخ (٤٨٨/٢) وقد تصحّف في طبعة البداية والنهاية، يحيى بن عبدالله بن بكير، إلى عبدالله بن أبي بكر.

(٢) البداية والنهاية: ١٨١-١٨٣.

(٣) هذا قول جمهور المؤرخين، ولكن الذي صح إسناده ووافق فلكيًا، هو أنه قتل يوم الجمعة الثاني عشر من ذي الحجة، الطبقات الكبرى (٧٩/٣) ومصنف ابن أبي شيبة (٢٣٠/١٥) ومسند أحمد (١٠/٢) تحقيق أحمد شاكر وصححه، وانظر مزيدًا من الأقوال الأخرى في فتنة مقتل عثمان، د/ محمد عبدالله الغبان (١٨٩ وما بعدها).

أعيان الصحابة وأبنائهم جم غفير، وقال لرفيقه: من أغمد سيفه فهو حر<sup>(١)</sup>. فَبَرَدَ الْقِتَالُ مِنْ دَاخِلٍ، وَحَمِيَ مِنْ خَارِجٍ، وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ، وَكَانَ سَبَبَ ذَلِكَ أَنَّ عَثْمَانَ رَأَى فِي الْمَنَامِ رُؤْيَا دَلَّتْ عَلَى اقْتِرَابِ أَجَلِهِ فَاسْتَسَلَّمَ لِأَمْرِ اللَّهِ رَجَاءَ مَوْعُودِهِ، وَشَوْقًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلِيَكُونَ خَيْرَ ابْنِي آدَمَ حَيْثُ قَالَ حِينَ أَرَادَ أَخُوهُ قَتْلَهُ: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة المائدة: ٢٩] وكان آخر من خرج من عند عثمان من الدار، بعد أن عزم عليهم في الخروج، الحسن بن علي، وكان أمير الحرب على أهل الدار عبد الله بن الزبير - رضي الله عنهم<sup>(٢)</sup>.

وروى موسى بن عقبة عن سالم أو نافع أن ابن عمر لم يلبس سلاحه بعد رسول الله ﷺ إلا يوم الدار ويوم نجدة الحروري<sup>(٣)</sup>.

قال أبو جعفر الرازي<sup>(٤)</sup>، عن أيوب السختياني، عن نافع، عن ابن عمر: أن عثمان - رضي الله عنه - أصبح يحدث الناس، قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقال: يا عثمان افطر عندنا فأصبح صائمًا، وقُتل من يومه<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٣/٧٠-٧١) بأسانيد صحيحة.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى (٣/٧٠) بإسناد صحيح.

(٣) نجدة بن عامر الحنفي من رؤوس الخوارج الحرورية، خرج باليمامة بعد موت يزيد بن معاوية، وقدم على ابن الزبير مكة، وقد وقف بأصحابه يوم عرفه منفردًا، وقد خاف الناس من وقوع فتنة وقتال في الحج ولكن الله سلم (تاريخ الطبري ٦/١٣٨-١٣٩)، وتاريخ الإسلام (٣/٢٦٠)، ولسان الميزان (٦/١٤٨) وانظر النص في نسب قريش للزبير (١٠٢).

(٤) في الأصل «الدرابي» والتصحيح من مصادر تخريج النص.

(٥) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٧/١٣٥٤) من هذا الطريق =



وقال سيف بن عمر، عن عبدالرحمن بن زياد بن أنعم، عن رجل، قال: دخل عليه كثير بن الصلت فقال: يا أمير المؤمنين أخرج فاجلس بالفناء فيرى الناس وجهك فإنك إن فعلت ارتدعوا. فضحك وقال: يا كثير رأيت البارحة وكأني دخلت على نبي الله وعنده أبوبكر وعمر، فقال: أرجع فإنك مفطر عندي غداً. ثم قال عثمان: ولن تغيب الشمس والله غداً - أو كذا وكذا - إلا وأنا من أهل الآخرة<sup>(١)</sup>.

وقال موسى بن عقبة: حدثني أبو علقمة - مولى لعبدالرحمن بن عوف - حدثني ابن الصلت قال: أغفى عثمان بن عفان في اليوم الذي قتل فيه فاستيقظ فقال: لولا أن يقول الناس تمنى عثمان أمنية لحدثتكم. قال: قلنا أصلحك الله، حدثنا فلسنا نقول ما يقول الناس، فقال: إنني رأيت رسول الله ﷺ في منامي هذا، فقال إنك شاهد معنا الجمعة<sup>(٢)</sup>.

= والحاكم في المستدرک (١٠٣/٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، كما أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٣٥٣/١١ خط).

قلت: لهذا الأثر شواهد أخرى تقويه، منها حديث كثير بن الصلت، أخرجه اللالكائي في المصدر السابق (٧/١٣٥٥) وابن سعد في الطبقات (٣/٧٥)، وانظر المسند (١/٧٢-٧٣) والهيتمي في مجمع الزوائد (٩/٩٦)، وانظر محمد الغبان، فتنة مقتل عثمان (١٦٩).

(١) خبر كثير بن الصلت أخرجه ابن عساكر (٣٥٣/١١) من هذا الطريق، وأخرجه ابن سعد، في الطبقات الكبرى (٣/٧٥) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٧/١٣٥٥) من غير هذا الطريق.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق (٣٥٢/١١ خط).

وقال أبو يعلي الموصلي، وعبدالله بن الإمام أحمد: حدثني عثمان بن أبي شيبة، ثنا يونس بن أبي يعفور العبدي، عن أبيه، عن مسلم أبي سعيد، مولى عثمان بن عفان، أن عثمان أعتق عشرين مملوكًا، ودعا بسرًا وويل فشدّها ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام، وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام، وأبابكر وعمر، وأنهم قالوا لي: اصبر فإنك تفطر عندنا القابلة، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه فقتل وهو بين يديه<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير: إنما لبس السراويل - رضي الله عنه - في هذا اليوم لثلاث تبدو عورته إذا قتل فإنه كان شديد الحياء، كانت تستحي منه ملائكة السماء، كما نطق بذلك النبي ﷺ، ووضع بين يديه المصحف يتلو فيه، واستسلم لقضاء الله عز وجل، وكف يده عن القتال، وأمر الناس وعزم عليهم أن لا يقاتلوا دونه، ولولا عزيمة عليهم لنصروه من أعدائه، ولكن كان أمر الله قَدْرًا مقدورًا.

مُدَّةُ الْحَصَارِ وَتَارِيخُ قَتْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ<sup>(٢)</sup>؛

كانت مدة حصار عثمان - رضي الله عنه - في داره أربعين يومًا على المشهور، وقيل كانت بضعة وأربعين يومًا.  
وقال الشعبي: كانت ثنتين وعشرين ليلة<sup>(٣)</sup>. ثم كان قتله - رضي الله عنه - في يوم الجمعة بلا خلاف<sup>(٤)</sup>.

(١) مسند أحمد (٥٢٦) وقال الشيخ أحمد شاکر إسناده صحيح.

(٢) البداية والنهاية: ٧/١٩٠-١٩١.

(٣) انظر: تاريخ الطبري (٤١٦/٤).

(٤) الذي ذكره المصنف هو قول الجمهور، وذكر ابن عساكر قولين آخرين عن ابن =

قال سيف بن عمر عن مشايخه: في آخر ساعة منها<sup>(١)</sup>، ونص عليه مصعب بن الزبير وآخرون<sup>(٢)</sup>.

وقال آخرون: ضحوة نهارها، وهذا أشبه، وكان ذلك لثمانى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة - على المشهور - سنة خمس وثلاثين<sup>(٣)</sup> وموضع قبره بلا خلاف في حُش كوكب<sup>(٤)</sup> شرقي البقيع.

وقد اعتنى معاوية في أيام إمارته بقبر عثمان، وأزال الجدار بينه وبين البقيع، وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حوله.

قال ابن عبد البر: دفنوا عثمان - رضي الله عنه - بحش كوكب، وكان قد اشتراه وزاده في البقيع<sup>(٥)</sup>.

صِفَةُ قَتْلِهِ رضي الله عنه<sup>(٦)</sup>؟

لقد عزم عثمان على الناس أن ينصرفوا إلى بيوتهم فانصرفوا، فلم

إسحاق، يوم الاثنين، ويوم الأربعاء وقول الجمهور هو الراجح (انظر محمد الغبان، فتنة مقتل عثمان ١٩٥).

(١) ابن جرير، مصدر سابق (٤/٤١٦).

(٢) الزبيرى، نسب قريش (١٠١).

(٣) ابن جرير، مصدر سابق (٤/٤١٦)، ورواه عن الشعبي، وآخرين، وهذا هو الراجح في ساعة مقتله أما تاريخه من الشهر فالراجح أنه يوم ١٢/١٢/٣٥هـ كما سبق بيانه.

(٤) الحش: البستان، وكوكب، رجل من الأنصار، اشترى منه عثمان هذا الحش وزاده في البقيع، فنسب إليه. قاله ابن عبد البر (الاستيعاب ٣/١٠٤٨) وانظر: الإصابة (٥/٦٢٦).

(٥) الاستيعاب (٣/١٠٤٨).

(٦) البداية والنهاية: ٧/١٨٤-١٨٦، ١٨٨-١٨٩.

يبقى عنده أحد سوى أهله، فدخلوا عليه من الباب، ومن الجدران، وفرغ عثمان إلى الصلاة وافتتح سورة طه - وكان سريع القراءة - فقرأها، والناس في غلبة عظيمة، قد احترق الباب والسقيفة التي عنده، وخافوا أن يصل الحريق إلي بيت المال، ثم فرغ عثمان من صلاته وجلس وبين يديه المصحف، وجعل يتلو هذه الآية: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَّ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخَشَوْهُمْ فزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٤﴾﴾ [سورة آل عمران] فكان أول من دخل عليه رجل يقال له: الموت الأسود، فخنقه خنقاً شديداً حتى غشي عليه، وجعلت نفسه تتردد في حلقة، فتركه وهو يظن أنه قد قتله.

ودخل ابن أبي بكر، فمسك بلحيته ثم ندم وخرج. ثم دخل عليه آخر، ومعه سيف فضربه به فاتقاه بيده فقطعها، فقيل: إنه أبانها، وقيل: بل قطعها ولم يُبِنها، إلا أن عثمان قال: والله إنها أول يد كتبت المفصل<sup>(١)</sup>.

ثم جاء آخر شاهراً سيفه فاستقبلته نائلة بنت الفرافصة لتمنعه منه، وأخذت السيف فانتزعه منها فقطع أصابعها، وتقدم إليه فوضع السيف في بطنه فتحامل عليه ويقال: إنه سُودان بن حُمران، فجاء غلام لعثمان فضرب سُودان فقتله، فضرب الغلام رجُلُ يقال له قُتيرة فقتله.

ثم مال هؤلاء الفجرة على ما في البيت فنهبوه، وذلك أنه نادى مناد منهم: أيجل لنا دمه ولا يحل لنا ماله؟ فانتهبوه، ثم خرجوا فأغلقوا الباب على عثمان وقتيلين معه، فلما خرجوا إلى صحن الدار وثب غلام لعثمان على قُتيرة فقتله، وجعلوا لا يمرون على شيء إلا أخذوه حتى

(١) أخرج هذا المقطع خليفة في تاريخه (١٧٤) بإسناد صحيح.

استلب رجل يقال له: كلثوم التجيبي، ملاءة نائلة، فضربه غلام لعثمان فقتله، وَقُتِلَ الْغَلَامُ أَيْضًا.

ثم تنادى القوم: أن أدركوا بيت المال لا تُسَبِّقُوا إِلَيْهِ، فسمعهم حفظة بيت المال فقالوا: يا قوم النجاء النجاء، فإن القوم إنما يحاولون الدنيا، فانهزموا، وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال، وكان فيه شيء كثير جدًا<sup>(١)</sup>.

قال خليفة بن خياط: حدثنا ابن عُلَيَّةَ، نا ابن عون، عن الحسن، قال أنباني وثَّاب<sup>(٢)</sup>، قال: بعثني عثمان فدعوت له الأشر فقال: ما يريد الناس؟ قال: ثلاث ليس من إحداهن بُدٌّ، قال: ما هن؟ قال: يُخَيِّرُونَكَ بين أن تخلع لهم أمرهم فتقول: هذا أمركم فاختراروا من شئتم، وبين أن تقتص من نفسك، فإن أبيت فإن القوم قاتلوك. قال: ما من إحداهن بُدٌّ؟ قال: لا، ما من إحداهن بد.

فقال: أمَّا أن أخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سربالاً سربلنيه الله، وأمَّا أن أقتص لهم من نفسي، فوالله لئن قتلتهموني لا تتحابون بعدي، ولا تُصَلُّون بعدي جميعًا، ولا تقاتلون بعدي جميعًا عدوًّا أبدًا<sup>(٣)</sup>.

(١) هذا السياق ذكره ابن جرير (٣٨٩/٤-٣٩١) باختلاف يسير، وقد لخصه الحافظ ابن كثير وانظر نصوصًا بهذا المعنى ساقها ابن عساكر في تاريخه (١١/٣٦٢-٣٦٨ خط).

(٢) وثَّاب مولى عثمان، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٤٨/٩)، وقال روى عنه الحسن البصري، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

(٣) تاريخ خليفة (١٧٠).

قال: وجاء رويجل كأنه ذئب فاطَّلَع من باب ثم رجع. وجاء محمد بن أبي بكر في ثلاثة عشر رجلاً، فأخذ بلحيته فمال بها حتى سَمِعَتْ وقع أضراسه، فقال: ما أغنى عنك معاوية، وما أغنى عنك ابن عامر، وما أغنت عنك كتبك، قال: أرسل لحييتي يا ابن أخي قال: فأنا رأيته استعدى رجلاً من القوم بعينه - يعنى أشار إليه - فقام إليه بمشقص فوجأ به رأسه. قلت: ثم مه؟ قال: ثم تعاوروا عليه حتى قتلوه<sup>(١)</sup>.

وروى ابن عساكر، عن ابن عون، أن كِنَانَةَ بنِ بِشْرٍ ضرب جبينه ومقدم رأسه بعمود حديد فخر لجنبه، وضربه سُودَان بن حُمْرَانَ المرادي بعد ما خَرَّ لجنبه فقتله، وأمَّا عمرو بن الحَمِيق فوثب على عثمان فجلس على صدره، وبه رَمَقٌ، فطعنه تسع طعنات، وقال: أمَّا ثلاث منهن فله، وسِتٌّ لما كان في صدري عليه<sup>(٢)</sup>.

وثبت من غير وجه أن أول قطرة من دمه سقطت على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(٣)</sup> [سورة البقرة] ويروى أنه كان قد وصل إليها في التلاوة حين دخلوا عليه، وليس ببعيد فإنه كان قد وضع المصحف يقرأ فيه القرآن.

أثرُ مَقْتَلِ عثمان رضي الله عنه<sup>(٤)</sup>؛

ولما وقع هذا الأمر العظيم، الفظيع الشنيع، أسْقَط في أيدي الناس، فأعظموه جدًّا، وندم أكثر هؤلاء الجهلة الخوارج على ما

(١) تاريخ خليفة (١٤٧) بالإسناد السابق، وانظر طبقات ابن سعد (٧٢/٣).

(٢) تاريخ دمشق (٣٦٥/١١) من طريق الواقدي، وانظر طبقات ابن سعد (٧٤/٣).

(٣) انظر تاريخ خليفة (١٧٥) فقد أخرج ذلك من طريقين، أحدها إسناده صحيح.

(٤) البداية والنهاية: ١٨٩/٧.

صنعوا، أشبهوا من تقدمهم ممن قص الله علينا خبرهم في كتابه العزيز، من الذين عبدوا العجل، في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الأعراف].

ولما بلغ الزبير مقتل عثمان - وكان قد خرج من المدينة - قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم ترحم على عثمان، وبلغه أن الذين قتلوه ندموا فقال: تبتا لهم، ثم تلا قوله تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [١٩] فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة يس].

وبلغ علياً قتله فترحم عليه، وسمع بندم الذين قتلوه فتلا قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الحشر].

ولما بلغ سعد بن أبي وقاص قتل عثمان استغفر له وترحم عليه، وتلا في حق الذين قتلوه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [١٠٦] الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [سورة الكهف]، ثم قال سعد: اللهم أندمهم ثم خذهم<sup>(١)</sup>.

وقد أقسم بعض السلف بالله، أنه ما مات أحد منهم حتى جن<sup>(٢)</sup>. وهكذا ينبغي أن يكون لوجوه: منها دعوة سعد المستجابة كما ثبت في الحديث الصحيح<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر هذه الأقوال في تاريخ ابن جرير (٣٩٢/٤) من رواية سيف بن عمر عن شيوخه

(٢) الأجرى: كتاب الشريعة (١٩٩٧/٤).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب سعد بن أبي وقاص

(٦٤٩/٥).

من أقوال الصحابة والتابعين في مقتل عثمان رضي الله عنه<sup>(١)</sup>؛

روى الحافظ ابن عساكر من طريق شَبَّابة بن سَوَّار، عن حفص بن مروان الباهلي، عن حجاج بن أبي عثمان الصَّواف، عن زيد بن وهب، عن حذيفة. قال: أول الفتن قتل عثمان، وآخر الفتن خروج الدجال، والذي نفسي بيده لا يموت رجل وفي قلبه مثقال حَبَّة من حُبِّ قتل عثمان إلاَّ تبع الدجال إن أدركه، وإن لم يدركه آمن به في قبره<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا وغيره: أنا محمد بن سعد، أنا عمرو بن عاصم الكلابي، ثنا أبو الأشهب، حدثني عوف، عن محمد بن سيرين، أن حذيفة بن اليمان قال: اللهم إن كان قتل عثمان بن عفان خيراً فليس لي فيه نصيب، وإن كان قتله شراً فأنا منه بريء، والله لئن كان قتله خيراً ليحلبتُه لبنا، وإن كان قتله شراً ليمتصنُّ به دماً<sup>(٣)</sup> وقد ذكره البخاري في صحيحه<sup>(٤)</sup>.

وقال الحسن بن عرفة: ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عُلَيْتة، عن سعيد بن أبي عَرُوبَةَ، عن قتادة، عن أبي موسى الأشعري، قال: لو كان قتل عثمان هُدًى لا حلتبت به الأمة لبنا، ولكنه كان ضلالاً فاحتلتبت به الأمة دماً<sup>(٥)</sup>. وهذا منقطع.

(١) البداية والنهاية: ٧/١٩٢-١٩٦.

(٢) تاريخ دمشق (١١/٣٨٧ خط) وتصحفت الأسماء في السند هكذا، من طريق سياه عن حفص بن مورك عن حجاج بن أبي عمار، والتصحيح من تاريخ دمشق.

(٣) الطبقات الكبرى (٣/٨٣).

(٤) هكذا قال المصنف، ولم أقف عليه في صحيح البخاري.

(٥) جزء الحسن بن عرفة (٤٥) (ح/٧). والانقطاع بين قتادة وأبي موسى.



وقال محمد بن سعد: أنا عارم بن الفضل، أنا الصّعق بن حزن، ثنا قتادة، عن زهّد الجرمي. قال: خطب ابن عباس فقال: لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرمّوا بالحجارة من السماء<sup>(١)</sup>. وقد روي من غير هذا الوجه عنه<sup>(٢)</sup>.

وقال الأعمش وغيره: عن ثابت بن عبيد، عن أبي جعفر الأنصاري، قال: لما قتل عثمان جئت عليًا وهو جالس في المسجد وعليه عمامة سوداء، فقلت له: قُتِلَ عثمان، فقال: تبّأ لهم آخر الدهر. وفي رواية: خيبة لهم<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو القاسم البغوي: أنبأنا علي بن الجعد، أنا شريك، عن عبدالله بن عيسى، عن ابن أبي ليلى، قال: سمعت عليًا وهو بباب المسجد أو عند أحجار الزيت رافعًا صوته يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان<sup>(٤)</sup>.

وقال أبو هلال، عن قتادة، عن الحسن، قال: قُتِلَ عثمانٌ وَعَلِيٌّ غَائِبٌ فِي أَرْضٍ لَهُ، فلما بلغه قال: اللهم إني لم أرض ولم أماليء<sup>(٥)</sup>.

وقال الثوري، وغيره: عن طاووس، عن ابن عباس، قال: قال علي يوم قتل عثمان: والله ما قتلت، ولا أمرت، ولكنني غُلبتُ<sup>(٦)</sup>.

(١) الطبقات الكبرى (٣/٨٠).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق (١١/٣٨٨ خط).

(٤) المصدر نفسه (١١/٣٨٨ خط) وانظر طبقات ابن سعد (٣/٨٢).

(٥) المصدر نفسه (١١/٣٩٠ خط) من طرق كثيرة.

(٦) المصدر نفسه (١١/٣٨٩ خط). وانظر طبقات ابن سعد (٣/٨٢).

وقد روي من غير وجه عن علي بنحوه .

وقد اعتنى الحافظ الكبير أبو القاسم ابن عساكر بجمع الطرق الواردة عن علي أنه تبرأ من دم عثمان، وكان يقسم على ذلك في خطبه وغيرها، أنه لم يقتله، ولا أمر بقتله، ولا مالا، ولا رضي به، ولقد نهى عنه فلم يسمعوا منه . ثبت ذلك عنه من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث (١) .

وثبت عنه أيضاً من غير وجه أنه قال : إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّنتَقِلِينَ ﴾ [سورة الحجر] وثبت عنه أيضاً من غير وجه أنه قال : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة المائدة] . وفي رواية أنه قال : كان عثمان - رضي الله عنه - خيرنا وأوصلنا للرحم، وأشدنا حياءً، وأحسننا طهوراً، وأتقانا للرب عز وجل (٢) .

وروي يعقوب بن سفيان، عن سليمان بن حرب، عن حماد بن زيد، عن مجالد، عن عمير بن روذي أبي كثيرة، قال : خطب علي فقطع الخوارج عليه خطبته فنزل فقال : إن مثلي ومثل عثمان كمثل أثوار ثلاثة : أحمر، وأبيض، وأسود، ومعهم في أجمة أسد، فكان كلما أراد قتل أحدهم منعه الآخرون، فقال للأسود والأحمر : إن هذا الأبيض قد فضحنا في هذه الأجمة فخلياً عنه حتى آكله، فخلياً عنه فأكله . ثم كان كلما أراد أحدهما منعه الآخر، فقال للأحمر : إن هذا الأسود قد فضحنا في هذه الأجمة، وإن لوني على لونك فلو خليت عنه أكلته فخلياً عنه الأحمر

(١) انظر هذه الطرق في تاريخ دمشق (١١/٣٨٧-٣٩٤) (نسخة المكتبة الظاهرية) .

(٢) المصدر نفسه (١١/٣٩٥-٣٩٧) .

فأكله ثم قال للأحمر: إني آكلُكَ، فقال: دعني حتى أصبح ثلاثاً صبيحات فقال: دونك، فقال: ألا إني إنما أكلتُ يوم أكل الثور الأبيض، ثلاثاً. ثم قال علي: وإنما أنا وهنتُ يوم قتل عثمان، قالها ثلاثاً<sup>(١)</sup>.

وقال محمد بن سعد، أنا عبد الله بن إدريس، أنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، قال: لقد رأيتني وأن عمر موثقي وأخته على الإسلام، ولو أرفض أحد فيما صنعتهم بآبن عفان لكان حقيقاً. وهكذا رواه البخاري في صحيحه<sup>(٢)</sup>.

وروى محمد بن عائذ، عن إسماعيل بن عياش، عن صفوان بن عمرو، عن عبد الرحمن بن جبير. قال: سمع عبد الله بن سلام رجلاً يقول لآخر: قُتِلَ عثمانُ بن عفان فلم ينتطح فيه عنزان. فقال ابن سلام: أجل! إن البقر والمعز لا تنتطح في قتل الخليفة، ولكن ينتطح فيه الرجال بالسلاح، والله ليقتلن به أقواماً إنهم لفي أصلاب آبائهم ما ولدوا بعد<sup>(٣)</sup>.

وقال محمد بن سيرين: قالت عائشة: مُصْتَمَوْهُ مَوْصَ الإِنَاءِ ثُمَّ قَتَلْتُمُوهُ<sup>(٤)</sup>.

وقال خليفة بن خياط: ثنا أبو قتيبة، ثنا يونس بن أبي إسحاق،

(١) المعرفة والتاريخ (١١٨/٣) باختلاف يسير، وعمير بن روذي أبو كثيرة، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣٧٦/٦) وقال: روى عن علي وروى عنه مجالد بن سعيد. وانظر تاريخ دمشق (٤٠٠/١١).

(٢) الطبقات الكبرى (٧٩/٣) وصحيح البخاري، كتاب المناقب باب إسلام سعيد بن زيد (١٧٦/٧ من فتح الباري).

(٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق (٤٠٤/١١).

(٤) تاريخ خليفة (١٧٦) والطبقات الكبرى (٨٢/٣). بإسنادين صحيحين ومعنى مصتموه: أي غسلتموه غسل الإناء.

عن عون بن عبد الله بن عتبة . قال : قالت عائشة : غضبت لكم من السوط ولا أغضب لعثمان من السيف؟ استعتبتموه حتى إذا تركتموه كالقلب المصْفَى قتلتموه<sup>(١)</sup> .

وقال أبو معاوية : عن الأعمش ، عن خيثمة ، عن مسروق ، قال : قالت عائشة حين قتل عثمان : تركتموه كالثوب النقي من الدنس . ثم قرَّبتموه تذبحونه كما يذبح الكبش؟ فقال لها مسروق : هذا عمَلِكِ ، أنت كتبتِ إلى الناس تأمرينهم أن يخرجوا إليه ، فقالت : لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون؛ ما كتبت لهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا<sup>(٢)</sup> .

قال الأعمش : فكانوا يرون أنه كُتِبَ على لسانِها<sup>(٣)</sup> . وهذا إسناد صحيح إليها .

وفي هذا وأمثاله دلالة ظاهرة على أن هؤلاء الخوارج قبحهم الله ، زوَّروا كتبًا على لسان الصحابة إلى الآفاق يحرضونهم على قتال عثمان ، كما قدَّمنا بيانه .

وكلام أئمة التابعين في هذا المعنى كثير جدًا يطول ذكرنا له ، فمن ذلك : قول أبي مسلم الخولاني<sup>(٤)</sup> حين رأى الوفد الذين قدموا من قبَلِه : أما مررتم ببلاد ثمود؟ قالوا : نعم ! قال : فأشهد أنكم مثلهم ،

(١) المصدر نفسه .

(٢) الطبقات الكبرى (٣/٨٢) .

(٣) المصدر نفسه بإسناد رجاله ثقات وانظر : تاريخ خليفة (١٧٦) .

(٤) أبو مسلم الخولاني ، من سادة التابعين الزهاد ، له ترجمة حافلة في سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/٤) ، وكان قد سكن الشام .

لخليفة الله أكرم عليه من ناقته<sup>(١)</sup>.

قال ابن عُلَيَّة، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، قال: لو كان قتل عثمان هدى لا حلتبت به الأمة لبناً، ولكنه كان ضلالاً فاحتلتبت به الأمة دمًا<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو جعفر الباقر: كان قتل عثمان على غير وجه الحق<sup>(٣)</sup>.  
وقد أحسن بعض السلف إذ يقول، وقد سئل عن عثمان: هو أمير البررة، وقتيل الفجرة، مخذول من خذله منصور من نصره.  
وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي في آخر ترجمة عثمان: الذين قتلوه أو ألّبوا عليه قتلوا إلى عفو الله ورحمته، والذين خذلوه خذلوا وتنغص عيشتهم، وكان المُلْكُ بعده في نائبة معاوية وبنيه، ثم في وزيره مروان وثمانية من ذريته، استطالوا حياته وملّوه مع فضله وسوابقه، فتملك عليهم من هو من بني عمّه بضعا وثمانين سنة، فالحكم لله العلي الكبير.  
بعض ما رُئي به من الشغْرِ<sup>(٤)</sup>؛

قال مجالد عن الشعبي: ما سمعت من مرثي عثمان أحسن من قول كعب بن مالك:

فَكَفَّ يَدِيهِ ثُمَّ أَغْلَقَ بَابَهُ      وَأَيَقِنَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِغَافِلٍ  
وَقَالَ لِأَهْلِ الدَّارِ لَا تَقْتُلُوهُمْ      عَفَا اللَّهُ عَنْ كُلِّ امْرِيءٍ لَمْ يِقَاتِلْ  
فَكَيْفَ رَأَيْتَ اللَّهَ صَبَّ عَلَيْهِمُ      الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ بَعْدَ التَّوَاصُلِ

(١) ابن عساکر، تاریخ دمشق (١١/٤٠٩).

(٢) المصدر نفسه (١١/٤٠٩).

(٣) المصدر نفسه (١١/٤١٠).

(٤) البداية والنهاية: ٧/١٩٦.

وكيف. رأيتَ الخير أدبر بعده  
وقال حسان بن ثابت:

ماذا أردتم من أخي الدين باركت  
قتلتهم وليّ الله في جوف داره  
فهلا رعيتهم ذمة الله بينكم  
ألم يك فيكم ذا بلاء مصدق  
فلا ظفرت أيمان قوم تباعوا  
على قتل عثمان الرشيد المسدد<sup>(٢)</sup>

تفسير موقوف الصحابة في ترك قتال الثائرين على عثمان رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>؟  
إن قال قائل: كيف وقع قتل عثمان - رضي الله عنه - بالمدينة

وفيها جماعة من كبار الصحابة - رضي الله عنهم؟ فجوابه من وجوه:  
أحدها: أن كثيرًا منهم، بل أكثرهم أو كلهم، لم يكن يظن أنه يبلغ  
الأمر إلى قتله، فإن أولئك الأحزاب لم يكونوا يحاولون قتله عينًا، بل  
طلبوا منه أحد أمور ثلاثة: إما أن يعزل نفسه، أو يسلم إليهم مروان بن  
الحكم، أو يقتلوه. فكانوا يرجون أن يُسَلَّم إلى الناس مروان، أو أن  
يعزل نفسه ويستريح من هذه الضائقة الشديدة.

وأما القتل فما كان يظن أحد أنه يقع، ولا أن هؤلاء يجترؤن عليه  
إلى ما هذا حده، حتى وقع ما وقع.

الثاني: أن الصحابة مانعوا دونه أشد الممانعة، ولكن لما وقع

(١) ابن عساکر، المصدر السابق (١١/٤٣٣).

(٢) المصدر نفسه (١١/٤٣١).

(٣) البداية والنهاية: ٧/١٩٧-١٩٨.

التضييق الشديد، عزم عثمان على الناس أن يكفوا أيديهم ويُعْمِدُوا أسلحتهم ففعلوا، فتمكن أولئك مما أرادوا، ومع هذا ما ظن أحد من الناس أنه يقتل بالكلية.

الثالث: أن هؤلاء الخوارج اغتنموا غيبة كثير من أهل المدينة في أيام الحج، ولم تقدم الجيوش من الآفاق للنصرة، فانتهزوا فرصتهم قبحهم الله، وصنعوا ما صنعوا من الأمر العظيم.

الرابع: أن هؤلاء الخوارج كانوا قريبًا من ألفى مقاتل، وربما لم يكن في أهل المدينة هذه العدة من المقاتلة، لأن الناس كانوا في الثغور، وفي الأقاليم في كل جهة، ومع هذا كان كثير من الصحابة اعتزل هذه الفتنة ولزموا بيوتهم، ومن كان يحضر منهم المسجد لا يجيء إلاّ ومعه السيف، يضعه على حبوته إذا حتبى، والخوارج محدقون بدار عثمان - رضي الله عنه -، وربما لو أرادوا صرفهم عن الدار لما أمكنهم ذلك، ولكن كبار الصحابة قد بعثوا أولادهم إلى الدار يحاجون عن عثمان - رضي الله عنه -.

فما فجيء الناس إلاّ وقد ظفر أولئك بالدار من خارجها، وأحرقوا بابها، وتسوروا عليه حتى قتلوه.

وأما ما يذكره بعض الناس من أن بعض الصحابة أسلمه ورضى بقتله، فهذا لا يصح عن أحد من الصحابة أنه رضى بقتل عثمان - رضي الله عنه -، بل كلهم كرهه، ومقته، وسب من فعله.

## الملاحق

الملحق الأول : من كتاب الشريعة.

للإمام أبي بكر الأجري (ت ٣٦٠هـ)

الملحق الثاني : من رسالة ماجستير

مقدمة إلى الجامعة الإسلامية، شعبة التاريخ والسيرة من الباحث/

محمد بن عبدالله الغبان بعنوان: فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه.



## الملحق الأول

من كتاب الشريعة للإمام أبي بكر الأجرى (ت: ٣٦٠هـ) (١)

سبب قتل عثمان، أيس السبب الذي قتل به رضي الله عنه؟

قال محمد بن الحسين رحمه الله :

فإن قال قائل : قد ذكرت عن النبي ﷺ أنه ذكر فتنة تكون من بعده ثم قال في عثمان : فاتبعوا هذا وأصحابه، فإنهم يومئذ على هدى، فأخبرنا عن أصحابه من هم؟

قيل له : أصحابه، أصحاب رسول الله ﷺ المشهود لهم بالجنة، المذكور نعتهم في التوراة والإنجيل، الذين من أحبهم سعد، ومن أبغضهم شقي .

فإن قال قائل : فاذا ذكرهم؟

قيل له : علي بن أبي طالب، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد - رضي الله عنهم -، وسائر الصحابة في وقتهم - رضي الله عنهم - كلهم كانوا على هدى، كما قال النبي ﷺ وكلهم أنكر قتله، وكلهم استعظم ما جرى على عثمان - رضي الله عنه -، وشهدوا على قتله أنهم في النار .

فإن قال قائل : فمن الذي قتله؟

قيل له : طوائف أشقاهم الله عز وجل بقتله حسداً منهم له، وبغياً، وأرادوا الفتنة، وأن يوقعوا الضغائن بين أمة محمد ﷺ لما سبق عليهم من الشقوة في الدنيا، وما لهم في الآخرة أعظم .

(١) الجزء الرابع (١٩٧٨، ١٩٨٣)، تحقيق د/ عبدالله بن عمر الدميحي .

فإن قال : فمن أين اجتمعوا على قتله؟

قيل له : أول ذلك وبدوّ شأنه أن بعض اليهود يقال له : ابن السوداء ويعرف بعبدالله بن سبأ، لعنة الله عليه، زعم أنه أسلم فأقام بالمدينة فحمله الحسد للنبي ﷺ ولصحابته وللإسلام، فانغمس في المسلمين كما انغمس ملك اليهود بولس بن ساؤل في النصاري حتى أضلهم وفرقهم فرقاً، وصاروا أحزاباً، فلما تمكن فيهم البلاء والكفر تركهم، وقصته تطول، ثم عادوا إلى التهود بعد ذلك.

فهكذا عبدالله بن سبأ أظهر الإسلام، وأظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصار له أصحاب في الأمصار، ثم أظهر الطعن على الأمراء، ثم أظهر الطعن على عثمان - رضي الله عنه - ثم طعن على أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -، ثم أظهر أنه يتولى علياً - رضي الله عنه -، وقد أعاد الله الكريم علي بن أبي طالب وولده وذريته - رضي الله عنهم - من مذهب ابن سبأ وأصحابه السبائية.

فلما تمكنت الفتنة والضلال في ابن سبأ وأصحابه صار إلى الكوفة فصار له بها أصحاب، ثم ورد إلى البصرة فصار له بها أصحاب، ثم ورد إلى مصر فصار له بها أصحاب، كلهم أهل ضلالة، ثم تواعدوا الوقت وتكاتبوا ليجتمعوا في موضع، ثم يصيروا كلهم إلى المدينة، ليفتنوا المدينة وأهلها ففعلوا، ثم ساروا إلى المدينة فقتلوا عثمان - رضي الله عنه -، ومع ذلك فأهل المدينة لا يعلمون حتى وردوا عليهم.

فإن قال قائل : فلم لم يقاتل عنه أصحاب رسول الله ﷺ؟

قيل له : إن عثمان - رضي الله عنه - وصحابته لم يعلموا حتى فاجأهم الأمر، ولم يكن بالمدينة جيش قد أعد للحرب، فلما فاجأهم

ذلك اجتهدوا - رضي الله عنهم - في نصرته والذب عنه، فما أطاقوا ذلك، وقد عرضوا أنفسهم على نصرته ولو تلفت أنفسهم فأبى عليهم، وقال: أنتم في حل من بيعتي، وفي حرج من نصرتي، وإني لأرجو أن ألقى الله عز وجل سالمًا مظلومًا.

وقد خاطب علي بن أبي طالب، وطلحة، والزبير - رضي الله عنهم - وكثير من الصحابة هؤلاء القوم بمخاطبة شديدة، وغلظوا لم في القول، فلما أحسوا أن أصحاب رسول الله ﷺ قد أنكروا عليهم أظهرت كل فرقة منهم أنهم يتولون الصحابة، فلزمت فرقة منهم باب علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وزعمت أنها تتولاه، وقد برأه الله عز وجل منهم، ومنعوه الخروج، ولزمت فرقة منهم باب طلحة، وزعموا أنهم يتولونه وقد برأه الله عز وجل منهم، ولزمت فرقة منهم باب الزبير، وزعموا أنهم يتولونه، وقد برأه الله عز وجل منهم، وإنما أرادوا أن يشغلوا الصحابة عن الانتصار لعثمان - رضي الله عنه -، ولجسوا على أهل المدينة أمرهم للمقدور الذي قدره الله عز وجل أن عثمان يقتل مظلومًا، فورد على الصحابة أمر لا طاقة لهم به، ومع ذلك فقد عرضوا أنفسهم على عثمان - رضي الله عنه - ليأذن لهم بنصرته، مع قلة عددهم، فأبى عليهم، ولو أذن لهم لقاتلوا.

١٤٥٧<sup>(١)</sup> - حدثنا العباس بن أحمد الختلي المعروف بابن أبي

(١) إسناده: فيه ضعف.

\* فيه دهشم بن الفضل أبوسعيد الرملي. ذكره الخطيب في تاريخه (٣٨٦/٨)، وساق عنه أثرًا غريبًا، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً.

\* وفيه المؤمل بن إسماعيل: صدوق. سيء الحفظ. تقدم في (ح/١٩٢). وبقية =

شحمة، قال: حدثنا دهثم بن الفضل أبوسعيد الرملي، قال: حدثنا المؤمن بن إسماعيل قال: حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، وهشام، عن محمد بن سيرين، قال: لقد كان في الدار جماعة من المهاجرين والأنصار وأبناؤهم منهم عبدالله بن عمر، والحسن، والحسين، وعبدالله بن الزبير، ومحمد بن طلحة، الرجل منهم خير من كذا وكذا، يقولون: يا أمير المؤمنين خلّ بيننا وبين هؤلاء القوم، فقال: أعزم على كل رجل منكم، وإن لي عليه حقاً أن لا يهريق فيّ دمًا، وأُخْرِجَ على كلِّ رجل منكم لما كفاني اليوم نفسه.

فإن قال قائل: فقد علموا أنه مظلوم، وقد أشرف على القتل، فكان ينبغي لهم أن يقاتلوا عنه، وإن كان قد منعهم.  
قيل له: ما أحسنت القول، لأنك تكلمت بغير تمييز.

فإن قال: ولم؟

قيل: لأن القوم كانوا أصحاب طاعة، وفقهم الله تعالى للصواب من القول والعمل، فقد فعلوا ما يجب عليهم من الإنكار بقلوبهم وألسنتهم، وعرضوا أنفسهم لنصرته على حسب طاقتهم، فلما منعهم عثمان - رضي الله عنه - من نصرته علموا أن الواجب عليهم السمع

رجاله ثقات.

تخرجه: أورده البلاذري في أنساب الأشراف (٧٣/٥)، وذكره خليفة بن خياط في تاريخه (١٧٤).

وأخرج ابن سعد في الطبقات (٧١/٣) والخلال في السنة (ح/٤٣٢)، (٣٣٣) من حديث ابن عون عن ابن سيرين قال: كان مع عثمان يومئذ في الدار سبعمائة لو يدعهم لضربوهم إن شاء الله حتى يخرجوهم من أقطارها منهم: ابن عمر، والحسن بن علي، وعبدالله بن الزبير.

والطاعة له، وأنهم إن خالفوه لم يسعهم ذلك، وكان الحق عندهم في ما رآه عثمان - رضي الله عنه - .

فإن قال: فلم منعهم عثمان من نصرته وهو مظلوم، وقد علم أن قتالهم عنه نهى عن منكر، وإقامة حق يقيمونه؟ .  
قيل له: وهذا أيضًا غفلة منك .

فإن قال: وكيف؟

قيل له: منعه إياهم عن نصرته يحتمل وجوها كلها محمودة:  
أحدها: علمه بأنه مقتول مظلوم لا شك فيه، لأن النبي ﷺ قد أعلمه أنك تقتل مظلومًا فاصبر، فقال: أصبر . فلما أحاطوا به علم أنه مقتول، وأن الذي قاله النبي ﷺ له حق كما قال، لا بد من أن يكون، ثم علم أنه قد وعده من نفسه الصبر، فصبر كما وعد، وكان عنده أن من طلب الانتصار لنفسه والذب عنها فليس هذا بصابر، إذ وعد من نفسه الصبر، فهذا وجه .

ووجه آخر: وهو أنه قد علم أن في الصحابة - رضي الله عنهم - قلة عدد، وأن الذين يريدون قتله كثير عددهم، فلو أذن لهم بالحرب لم يأمن أن يتلف من صحابة نبيه بسببه، فوقاهم بنفسه، إشفاقًا منه عليهم؛ لأنه راع، والراعي فواجب عليه أن يحيط رعيته بكل ما أمكنه، ومع ذلك فقد علم أنه مقتول فصانهم بنفسه، وهذا وجه .

ووجه آخر: وهو أنه لما علم أنها فتنة، وأن الفتنة إذا سُل فيها السيف لم يؤمن أن يقتل فيها من لا يستحق، فلم يختر لأصحابه أن يسلوا في الفتنة السيف، وهذا أيضًا إشفاق منه عليهم، نعم؛ وتذهب فيها الأموال، ويهتك فيها الحريم، فصانهم عن جميع هذا .

ووجه آخر: يحتمل أن يصبر عن الانتصار ليكون الصحابة - رضي الله عنهم - شهودًا على من ظلمه، وخالف أمره، وسفك دمه بغير حق، لأن المؤمنين شهداء الله عز وجل في أرضه، ومع ذلك فلم يحب أن يهراق بسببه دم مسلم، ولا يخلف النبي ﷺ في أمته بإهراقه دم مسلم، وكذا قال - رضي الله عنه - . فكان عثمان - رضي الله عنه - بهذا الفعل موفقًا معذورًا رشيدًا، وكان الصحابة - رضي الله عنهم - في عذر، وشقي قاتله .

## الملحق الثاني:

من رسالة الماجستير المقدمة إلى الجامعة الإسلامية، شعبة التاريخ  
والسيرة من الباحث/ محمد بن عبد الله الغبان  
بعنوان فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه (١\*).

إن أهم النتائج التي ظهرت لي من خلال هذا البحث، هي كما يلي:

أولاً: أنه قد صح عن رسول الله - ﷺ - إخباره بوقوع فتنة يقتل فيها عثمان - رضي الله عنه -، وأنه دعا الناس إلى أن يكونوا معه عند اشتعالها، وأنه حدد زمن وقوعها، وأن عثمان وأصحابه على الحق والهدى فيها.

ثانياً: أنه أشار إلى عظم هذه الفتنة، حتى قرنها بموته - ﷺ -، وبفتنة الدجال، وأن من نجا منها فقد نجا، وأنه سيستشهد فيها عثمان - رضي الله عنه - وهو على الحق صابراً على القتل معطياً له، شهيداً، ينتقل بعد شهادته هذه إلى جنة الخلد إن شاء الله.

ثالثاً: أنه أخبر عثمان - رضي الله عنه - بوقوع هذه الفتنة، وأنه سيطلب منه خلع الخلافة، وأمره بأن لا يفعل.

رابعاً: أن النبي - ﷺ - بين عظم هذه الفتنة وأن من نجا منها فقد نجا، وأن ذلك يشمل من عاصرها، ومن لم يعاصرها، ونجاة من لم يعاصرها تكون بترك الخوض فيها بالباطل.

خامسًا: أن ما تناقلته المصادر من معائب الصِّقَّت بعثمان - رضي الله عنه - منها ما صح صدوره من الخارجين عليه، ومنها: ما لم يصح، ومنها: ما اشتهر ولم أقف على إسناد له.

وأن هذه المعائب بأقسامها الثلاثة، إنما هي في الحقيقة إما مناقب له، وإما مفتراه عليه، وإما اجتهاد منه مأجور عليه.

سادسًا: أن شخصية ابن سبأ؛ شخصية حقيقية دلت على وجودها الروايات الصحيحة، ولم تنفرد بإثباتها روايات سيف بن عمر التميمي، بل رواها غيره بأسانيد صحيحة وضعيفة.

سابعًا: وجوب الحذر عند الحديث عن مواقف عثمان - رضي الله عنه - في الفتنة، فإن النبي - ﷺ - أرشده إلى مواقف يقفها عند حدوث هذه الفتنة لم يصلنا منها إلا اليسير.

ثامنًا: أن عقيدة السلف في الصحابة هي: عدم الخوض فيما شجر بينهم إلا عند ظهور مبتدع يقدر فيهم بالباطل، فيجب عندئذ الدفاع عنهم بالحق والعدل.

تاسعًا: أن الله لا يرضى عن أحد من خلقه إلا وهو يعلم - سبحانه - أنه سيوافيه على مرضاته، وبما أن الصحابة قد رضي الله عنهم، فإن خاتمهم حتمًا ستكون على خير، وهذا ما وقع فعلاً.

عاشرًا: أن عثمان - رضي الله عنه - بذل ما بوسعه في سبيل إخماد الفتنة منذ قدوم أهل الأمصار، وإلى فتحه الباب ودخول القاتل عليه وقتله له.

حادي عشر: أن الصحابة - رضوان الله عليهم - بذلوا ما بوسعهم للدفاع عن عثمان يوم الدار، إلا أنه منعهم، بل شدد في منعهم، فحال



بينهم وبين ما يريدون من الدفاع عنه، وبما أنه أميرهم، وتجب عليهم طاعته نفذوا أمره ولم يقاتلوا الخارجين عليه بعد يأسهم من إذنه لهم بالدفاع عنه.

ثاني عشر: أن من أسباب رفض عثمان القتال ما يلي:

- أ - علمه بأن هذه الفتنة ستنتهي بقتله لإخبار النبي - ﷺ - له بذلك .
- ب - عدم رغبته بأن يكون أول من خلف رسول الله - ﷺ - في أمته بسفك الدماء .
- ج - ظنه بأن البغاة لا يريدون غيره، فكره أن يتوقى بالمؤمنين، وأحب أن يقيهم بنفسه .
- د - عملاً بمشورة عبدالله بن سلام - رضي الله عنه - له بالكف عن القتال .

ثالث عشر: أنه لم يقع يوم الدار قتال عنيف، بل وقع اشتباك خفيف، أدى إلى جرح الحسن بن علي - رضي الله عنهما - وحمله من الدار على إثر هذا الجرح .

رابع عشر: أن عثمان - رضي الله عنه - رأى - في النوم - في آخر يوم من حياته النبي ﷺ، ومعه أبابكر وعمر - رضي الله عنهما - يقول له: «يا عثمان أفطر عندنا»، فأصبح صائماً، وأخرج من كان معه في الدار ممن يريدون الدفاع عنه، ثم وضع المصحف بين يديه، وأمر بفتح الباب، وأخذ يقرأ القرآن فدخل عليه رجل أسود من أهل مصر يلقب بجبلة . لسواد بشرته، ولا أستبعد أن يكون عبدالله بن سبأ اليهودي .

خامس عشر: أنه لم يشترك في التحريض على عثمان - رضي الله عنه - فضلاً عن قتله أحد من الصحابة - رضي الله عنهم -؛ وأن كل ما

رُوي في ذلك ضعيف الإسناد.

سادس عشر: أن روايات محمد بن عمر الواقدي عن فتنة مقتل عثمان - رضي الله عنه - فيها دس كثير، وتخالف الروايات الصحيحة - في أكثر الحقائق -، وأنها تعكس صورة مشوهة عن الفتنة، وتبرز مواقف غير صحيحة للصحابة، وتظهر فيها ملامح التشيع.

سابع عشر: أن روايات سيف بن عمر التميمي عن فتنة مقتل عثمان - رضي الله عنه - عبارة عن مجموعة روايات مسندة يحذف سيف أسانيدھا، ثم يرويها من طريق عدد من شيوخه يصلون - أحيانا - إلى أربعة شيوخ، وأن روايات سيف هذه لا تخلو من القدح في بعض الصحابة واتهامهم بما هم منه برآء، وتعتدل أحيانا فتظهر الصورة الصحيحة لمواقفهم.

## الباب الرابع

خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

(٣٦ - ٤٠ هـ)

## الفصل الأول ترجمته رضي الله عنه

### نسبه ومكانته

هو علي بن أبي طالب بن عبدمناف بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة. أبوالحسن، والحسين، ويكنى بأبي تراب<sup>(١)</sup>، ابن عم رسول الله ﷺ، وختنه علي ابنته فاطمة الزهراء. وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبدمناف بن قصي، ويُقال: إنها أول هاشمية ولدت هاشمياً<sup>(٢)</sup>. وكان له من الأخوة، طالب، وعقيل، وجعفر، وكانوا أكبر منه، بين كل واحد منهم وبين الآخر عشر سنين، وله أختان: أم هانئ، وجمانة، وكلهم من فاطمة بنت أسد، وقد أسلمت وهاجرت<sup>(٣)</sup>.

(١) كنيته المشهورة: أبوالحسن، وقد كناه النبي ﷺ بأبي تراب، في قصة مشهورة ذكرها البخاري في صحيحه حديث رقم: (٤٤١، ٣٧٠٣، ٣٢٨٠) ومسلم في صحيحه برقم: (٢٤٠٩).

(٢) قال ذلك الزبير بن بكار كما في سير أعلام النبلاء (١١٨/٢)، والبداية والنهاية (٢٩/١١) والنص عند ابن حجر في الإصابة: هي أول هاشمية ولدت خليفة، ثم بعدها فاطمة الزهراء.

قُلْتُ: ولعل هذا هو الصواب.

(٣) انظر ترجمتها في: الطبقات الكبرى (٢٢/٨) والإصابة (٦٠/٨).

وأبوه أبوطالب هو العمُّ الشقيق الرفيق برسول ﷺ، واسمه عبدمناف، كذا نصَّ عليه الإمام أحمد، وغير واحدٍ من علماء النسب وأيام الناس، وزعمت الروافض أن اسم أبي طالب: عمران، وأنه المراد من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعِيسَىٰ وَمَعَالِ إِبْرَاهِيمَ وَمَعَالِ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣] وقد أخطئوا في ذلك خطأً كبيراً، ولم يتأملوا القرآن قبل أن يقولوا هذا البهتان من القول في تفسيرهم له، فإنه تعالى قد ذكر بعدها قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران: ٣٥] فذكر بعدها ميلاد مريم بنت عمران عليها السلام، وهو ظاهر والله الحمد.

وقد كان أبوطالب كثير المحبة للرسول ﷺ ولم يؤمن به، بل مات على الكفر كما ثبت ذلك في صحيح البخاري<sup>(١)</sup>.

وعلي هو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وكان ممن توفي رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنهم، وكان رابع الخلفاء الراشدين.

صفته:

كان رجلاً آدم شديد الأدمة أشكل<sup>(٢)</sup> العينين عظيمهما، ذو بطن، أصلع، وهو إلى القصر أقرب وكان عظيم اللحية، قد ملأت صدره ومنكبيه، أبيضها، وكان كثير شعر الصدر والكتفين، حسن الوجه،

(١) الصحيح برقم: (٣٨٨٤) كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب.

(٢) أشكل العينين: هي الحمرة في بياض العين، لسان العرب، مادة: «شكل» (٣٥٨/١١).

ضحوك السنن، خفيف المشي على الأرض<sup>(١)</sup>.

إسلامه ومشاركاته قبل الخلافة:

أسلم عليٌّ قديمًا وهو ابن سبع وقيل ابن ثمان، وقيل عشر<sup>(٢)</sup>. ويُقال: إنَّه أوَّل من أسلم. والصحيح أنَّه أوَّل من أسلم من الغلمان، كما أنَّ خديجة أوَّل من أسلمت من النساء، وزيد بن حارثة أوَّل من أسلم من الموالي، وأبوبكر الصديق أوَّل من أسلم من الرِّجال الأحرار، وكان سبب إسلام عليٍّ صغيرًا أنَّه كان في كفالة رسول الله ﷺ؛ لأنَّه كان قد أصابتهُم سنَّةٌ مَجاعةٌ، فأخذه من أبيه، فكان عنده، فلما بعثه الله بالحق أمنت خديجة وأهل البيت ومن جملتهم عليٌّ - رضي الله عنه -، وكان الإيمان النَّافع المتعدِّي نفعه إلى النَّاس إيمان الصديق - رضي الله عنه - . وقد ورد عن عليٍّ أنَّه قال: أنا أوَّل من أسلم، ولا يصح إسناده إليه.

وهاجر عليٌّ بعد خروج رسول الله ﷺ من مكَّة، وكان قد أمره بقضاء ديونه ورَدَّ ودائعِهِ، ثمَّ يلحق به، فامتثل ما أمره به، ثمَّ هاجر، وأخى النَّبي ﷺ بينه وبين سهل بن حنيف.

وذكر ابن إسحاق وغيره من أهل السير والمغازي: أنَّ رسول الله ﷺ أخى بينه وبين نفسه، وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة لا يصح شيءٌ منها لضعف أسانيدِها، ورَكَّةٌ بعض متونها، فإنَّ في بعضها «أنت أخي ووارثي وخليفتي وخيرٌ من أمرٍ بعدي» وهذا الحديث موضوع مخالفٌ لما ثبت في الصحيحين وغيرهما.

(١) انظر صفته في: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/٢٥، ٢٧)، وتاريخ الطبري (١٥٣/٥).

(٢) رجع هذا ابن حجر في فتح الباري (٧/٧١).

وقد شهد بدرًا وكانت له اليد البيضاء فيها، وشهد أحدًا وكان على الميمنة ومعه الرأية بعد مصعب بن عمير، وشهد يوم الخندق فقتل يومئذ فارس العرب، وأحد شجعانهم المشاهير، عمرو بن عبد ود العامري، وشهد الحديبية وبيعة الرضوان، وشهد خيبرًا، وكانت له بها مواقف هائلة، ومشاهد طائلة، ففتح الله على يديه، وقتل مرحبًا اليهودي.

وشهد عُمرة القضاء وفيها قال له النبي ﷺ: «أنت مني، وأنا منك»<sup>(١)</sup>، وما يذكره كثير من القصاص في مقاتلته الجن في بئر ذات العلم<sup>(٢)</sup> - وهو بئر قريب من الجحفة - فلا أصل له، وهو من وضع الجهلة من الأخباريين فلا يغتر به.

وشهد الفتح وحنينا والطائف، وقاتل في هذه المشاهد قتالًا كثيرًا، واعتمر من الجعرانة مع رسول الله ﷺ، ولمَّا خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك واستخلفه على المدينة، قال له: يارسول الله أتخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي»<sup>(٣)</sup>. وبعثه رسول الله ﷺ أميرًا وحاكمًا على اليمن، ومعه خالد بن الوليد، ثم وافى رسول الله ﷺ عام حجّة الوداع إلى مكة، وساق معه هديًا، وأهل كاهلال النبي ﷺ، فأشركه في هديه<sup>(٤)</sup>،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٤٢٥١) في قصة النزاع في حضانة ابنة حمزة حيث حكم النبي بحضانتها لخالتها امرأة جعفر، وقال لعلي هذا القول ولجعفر «أشبهت خلقي وخلقي»، وقال لزيد بن حارثة: «أنت أخونا ومولانا».

(٢) لم أقف على من ذكرها.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٧٠٦)، ومسلم برقم: (٢٤٠٤).

(٤) انظر: البداية والنهاية (٥٥٦/٧).

واستمرَّ على إحرامه، ونحرا هديهما بعد فراغ نسكهما. ولمَّا مرض رسول الله ﷺ قال له العباس: سل رسول الله ﷺ فيمن الأمر بعده؟ فقال: والله لا أسأله فإنَّه إن منعناها لا يعطيناها النَّاس بعده أبدًا<sup>(١)</sup>.

والأحاديث الصحيحة الصريحة دالَّة على أنَّ رسول الله ﷺ لم يوص إليه ولا إلى غيره بالخلافة، بل لوَّح بذكر الصديق، وأشار إشارة مفهومة ظاهرة جدًّا إليه، كما قدَّمنا ذلك والله الحمد<sup>(٢)</sup>.

وأما ما يفتره كثيرٌ من جهلة الشيعة والقصاص الأغبياء، من أنَّه أوصى إلى علي بالخلافة، فكذبٌ وبهتٌ وافتراءٌ عظيم يلزم منه خطأ كبير، من تخوين الصحابة وممالأتهم بعده على ترك إنفاذ وصيته وإيصالها إلى من أوصى إليه، وصرْفهم إيَّاه إلى غيره، لا لمعنى ولا لسبب، وكل مؤمن بالله ورسوله يتحقَّق أنَّ دين الإسلام هو الحق، يعلم بطلان هذا افتراء؛ لأنَّ الصحابة كانوا خير الخلق بعد الأنبياء، وهم خير قرون هذه الأمة، التي هي أشرف الأمم في الدنيا والآخرة بنص القرآن، وإجماع السلف والخلف، والله الحمد.

ثمَّ لمَّا مات رسول الله ﷺ كان عليٌّ من جملة من غسَّله وكفَّنه وولى دفنه. ولمَّا بويع الصديق يوم السقيفة كان عليٌّ من جملة من بايع بالمسجد كما قدَّمنا<sup>(٣)</sup>. وكان علي بين يدي الصديق كغيره من أمراء الصحابة يرى طاعته فرضًا عليه، وأحب الأشياء إليه، ولما توفيت

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (٤٤٤٧).

(٢) انظر: خلافة الصديق من البداية والنهاية ص (٦٤) وما بعدها، بتهديتنا.

(٣) انظر: خلافة الصديق من البداية والنهاية ص (٦١) بتهديتنا.



فاطمة بعد ستة أشهر - وكانت قد تغضبت بعض الشيء على أبي بكر بسبب الميراث الذي فاتها من أبيها عليها السلام، ولم تكن اطلعت على النص المختص بالأنبياء وأنهم لا يورثون، فلما بلغها سألت أبا بكر أن يكون زوجها ناظرًا على هذه الصدقة، فأبى ذلك عليها، فبقي في نفسها شيء كما قدمنا، واحتاج عليٌّ أن يُداريها بعض المداراة - فلما توفيت جَدَّد البيعة مع الصديق رضي الله عنهما .

فلما توفيَّ أبوبكر وقام عمر في الخلافة بوصية أبي بكر إليه بذلك، كان عليٌّ من جملة من بايعه، وكان معه يشاوره في الأمور، ويقال: .إنه استقضاه في أيام خلافته، وقَدِمَ معه من جملة سادات أمراء الصحابة إلى الشَّام، وشهد خطبته بالجابية .

فلما طعن عمر وجعل الأمر شورى في ستة أحدهم عليٌّ، ثمَّ خُلِصَ منهم بعثمان وعليٌّ، فَقُدِّمَ عُثْمَانُ عَلَى عَلِيٍّ، فسمع وأطاع .  
فضائله:

قال الإمام أحمد، وإسماعيل القاضي، والنسائي، وأبو علي النيسابوري: لم يرد في حق أحدٍ من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء في عليٍّ<sup>(١)</sup> .

قال الحافظ ابن حجر: وكان السبب في ذلك أنه تأخر، أي آخر الخلفاء الراشدين، ووقع الاختلاف في زمانه وخرج من خرج عليه فكان ذلك سببًا لانتشار مناقبه من كثرة من كان بينها من الصحابة ردًّا على من

(١) فتح الباري (٧/٧١) .

خالفه فاحتاج أهل السنة إلى بث فضائله فكثر الناقل لذلك وإلا فالذي في نفس الأمر أن لكل من الأربعة من الفضائل، إذا حرر بميزان العدل لا يخرج عن قول أهل السنة والجماعة أصلاً<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: ومن فضائله أنه أقرب العشرة المشهود لهم بالجنة نسباً إلى رسول الله ﷺ.

ومن فضائله خطبته ﷺ في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة حجة الوداع في مكان يقال له «غدير خم» فقال في خطبته: «من كنت مولاه فعلي مولاه»<sup>(٣)</sup>، وفي بعض الروايات: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأخذل من خذله».

قال: والمحفوظ الأول.

وقد شهد علي بدرًا، وقد قال رسول الله ﷺ لعمر: «وما يدريك لعل الله أطلع علي أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»<sup>(٤)</sup>.

وشهد علي بيعة الرضوان، وقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

وقال رسول الله ﷺ: «لن يدخل أحدٌ بايع تحت الشجرة

(١) المصدر نفسه، والمراد أن ترتيبهم في الفضل هو حسب ترتيبهم في الخلافة.

(٢) البداية والنهاية (٢٩/١١).

(٣) مروى بأسانيد وطرق كثيرة حتى قال الذهبي: صدر الحديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» متواتر نجزم أن رسول الله ﷺ قاله، البداية والنهاية (٦٨١/٧) لكن فيه زيادات منكورة نثه عليها الحافظ الذهبي وابن كثير، وانظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث رقم: (١٧٥٠).

(٤) متفق عليه البخاري رقم: (٣٩٨٣) ومسلم رقم: (٢٤٩٤).

النار»<sup>(١)</sup> اهـ.

وفيما يلي نسوق بقية فضائل علي - رضي الله عنه - من الصحيحين علي حسب المنهج الذي سلكناه في فضائل الخلفاء - رضي الله عنهم - . قال الإمام البخاري في صحيحه<sup>(٢)</sup> :

باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن - رضي الله عنه - وقال النبي ﷺ لِعَلِيِّ : «أنت مني وأنا منك»<sup>(٣)</sup> .

وقال عمر : «توفي عنه رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ»<sup>(٤)</sup> .

علي ممن يحب الله ورسوله:

عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : «لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، قال : فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال : أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا : يشتكي عينيه يا رسول الله، قال : فأرسلوا إليه فأتوني به، فلما جاء بصق في عينيه ودعا له، فقرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاها الراية، فقال علي : يا رسول الله! أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال : انفذ علي رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله

(١) متفق عليه البخاري رقم : (٤٨٤٠) ومسلم برقم : (١٨٥٦) .

(٢) الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي (٧/٧٠، ٧١ من فتح الباري) .

(٣) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٧/٧٢) وصله المصنف في الصلح، وفي عمرة

القضاء مطولاً . وهذا ليس من خصائصه كما ادعى بعض الناس، فإنه ﷺ قال

للأشعريين، «هم مني وأنا منهم، وقال لجلبيب : هو مني وأنا منه» .

(٤) أخرجه البخاري برقم : (٣٧) في باب مناقب عثمان .

فيه، فوالله لأن يَهْدِي اللهُ بِكَ رجلاً واحداً خيراً لك من أن يكون لك حُمُرُ النِّعَمِ»<sup>(١)</sup>.

ملاطفة النبي لعلي وتكنيته:

عن سهل بن سعد قال: «دخل عليُّ علي فاطمة ثم خرج فاضطجع في المسجد، فقال النبي ﷺ: أين ابن عمك؟ قالت: في المسجد، فخرج إليه، فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلص التراب إلى ظهره، فجعل يمسح التراب عن ظهره، فيقول: اجلس يا أبا تراب، مرتين»<sup>(٢)</sup>.

ابن عمر يوضح فضائل علي:

عن سعد بن عُبَيْدة قال: «جاء رجلٌ إلى ابن عمر فسأله عن عثمان، فذكر عن محاسن عمله، قال: لعل ذلك يسوؤك؟ قال: نعم قال: فأرغم الله بأنفك. ثم سأله عن علي، فذكر محاسن عمله قال: هو ذاك، بيته أوسط بيوت النبي ﷺ ثم قال: لعل ذلك يسوؤك؟ قال: أجل. قال: فأرغم الله بأنفك، انطلق فأجهد عليَّ جهدك».

منزلته من رسول الله:

عن سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف قال: سمعتُ إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة برقم: (٤٢٠٥) ومن حديث سهل بن سعد برقم: (٢٤٠٦).

(٢) وأخرجه مسلم في صحيحه برقم: (٢٤٠٩).

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة تبوك حديث رقم: (٤٤١٦) باتم مما هنا وفيه قوله: إلا أنه ليس نبي بعدي، وأخرجه مسلم برقم: (٢٤٠٤).

### كراهة علي الاختلاف:

عن عبيدة بن عمرو السلماني عن علي - رضي الله عنه - قال: «اقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الاختلاف، حتى يكون الناس جماعة؛ أو أموت كما مات أصحابي» فكان ابن سيرين يرى أن عامة ما يروى عن علي الكذب<sup>(١)</sup>.

قال القاضي عياض: هذا الحديث مما تعلقت به الروافض والإمامية وسائر فرق الشيعة، في أن الخلافة كانت حقاً لعلي، وأنه وصي له بها، قال: ثم اختلف هؤلاء فكفرت الروافض سائر الصحابة في تقديمهم غيره، وزاد بعضهم فكفر علياً لأنه لم يقم في طلب حقه، بزعمه، وهؤلاء أسخف مذهباً وأفسد عقلاً من أن يرد على قولهم أو يناظروا.

قال القاضي: ولا شك في كفر من قال هذا، لأن من كفر الأمة كلها والصدر الأول فقد أبطل نقل الشريعة وهدم الإسلام، وأما من عدا هؤلاء الغلاة فإنهم لا يسلكون هذا المسلك، فأما الإمامية وبعض المعتزلة فيقولون: هم مخطئون في تقديم غيره لا كفار، وبعض المعتزلة لا يقول بالتخطئة لجواز تقديم المفضل عندهم.

وهذا الحديث لا حجة فيه لأحد منهم، بل فيه إثبات فضيلة لعلي، حينما استخلفه في المدينة في غزوة تبوك، ويؤيد هذا أن هارون، المشبه به، لم يكن خليفة بعد موسى، بل توفي في حياة موسى وقبل وفاة موسى بنحو أربعين سنة. علي ما هو مشهور عند أهل الأخبار والقصص، قالوا: وإنما استخلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة.

قلت: فاستخلاف علي - رضي الله عنه - في المدينة كان خلافة خاصة في أهله للرعاية والحفظ أثناء غياب النبي ﷺ أما الاستخلاف العام في المدينة فكان في هذه الغزوة لمحمد بن مسلمة الأنصاري كما ذكر ذلك علماء السير.

(١) قال ابن حجر في الفتح (٧/٧٣)، المراد بذلك ما ترويه الرافضة عن علي من الأقوال المشتملة على مخالفة الشيخين ولم يرد ما يتعلق بالأحكام الشرعية فقد =

### الوصية بكتاب الله وأهل البيت:

قال الإمام مسلم<sup>(١)</sup> حَدَّثَنِي زهير بن حرب وشجاع بن مخلد جميعاً عن ابن عُلَيَّة، قال زهير: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنِي أَبُو حَيَّان، حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ حَيَّانَ قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَحَصِينُ بْنُ سَبْرَةَ وَعَمْرُ ابْنِ مُسْلِمٍ إِلَى زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ فَلَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ قَالَ لَهُ حَصِينُ: لَقَدْ لَقَيْتَ، يَا زَيْدُ! خَيْرًا كَثِيرًا. رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ وَغَزَوْتَ مَعَهُ، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ لَقَدْ لَقَيْتَ، يَا زَيْدُ! خَيْرًا كَثِيرًا، حَدَّثَنَا يَا زَيْدُ! مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي! وَاللَّهِ! لَقَدْ كَبُرَتْ سِنِّي وَقَدُمَ عَهْدِي وَنَسِيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أَعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَا حَدَّثْتُمْ فَأَقْبَلُوا، وَمَالًا فَلَا تَكْلُفُونِيهِ، ثُمَّ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى حُمًّا<sup>(٢)</sup> بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعظَ وَذَكَرَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَا بَعْدَ أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ! فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولَ رَبِّي فَأَجِيبْ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَيَّ كِتَابَ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي. أَذْكَرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكَرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي أَذْكَرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي» فَقَالَ لَهُ حَصِينُ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ يَا زَيْدُ! أَلَيْسَ نَسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نَسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِّمَ

= روى ابن سعد باسناد صحيح عن ابن عباس قال: إذا حدثنا ثقة عن علي بفتيا لم نتجاوزها.

(١) الصحيح برقم: (٢٤٠٨).

(٢) خم: اسم لغبضة على ثلاثة أميال من الجحفة بها، غدِير مشهور يضاف إلى الغبضة فيقال: غدِير خم، معجم البلدان (٣٨٩/٢).

الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ، آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ. وَآلُ عَبَّاسٍ. قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرْمَ الصَّدَقَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ<sup>(١)</sup>.  
**حب عليّ إيمان وبغضه نفاق:**

عن زر بن حبيش عن علي قال: «والذي فلق الحَبَّةَ وبرأ النَّسْمَةَ إِنَّهُ لِعَهْدِ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ إِلَيَّ أَنَّهُ لَا يُحِبُّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يَبْغُضُنِي إِلَّا مُنَافِقٌ»<sup>(٢)</sup>.  
**ذكر زوجاته وبنيه وبناته:**

أَوَّلُ زَوْجَةٍ تَزَوَّجَهَا عَلِيٌّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَنَى بِهَا بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَوَلَدَتْ لَهُ الْحَسَنَ وَحُسَيْنًا، وَيُقَالُ: وَمُحَسِّنًا، وَمَاتَ وَهُوَ صَغِيرٌ، وَوَلَدَتْ لَهُ زَيْنَبُ الْكُبْرَى، وَأُمُّ كَلْثُومِ الْكُبْرَى، وَهِيَ الَّتِي تَزَوَّجَ بِهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ عَلِيٌّ عَلِيٌّ فَاطِمَةَ حَتَّى تُوَفِّيَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ، فَلَمَّا مَاتَتْ تَزَوَّجَ بِعَدهَا بِزَوْجَاتٍ كَثِيرَةٍ؛ مِنْهُنَّ مَنْ تُوَفِّيَتْ فِي حَيَاتِهِ وَمِنْهُنَّ مَنْ طَلَّقَهَا، وَتُوَفِّيَ عَنْ أَرْبَعٍ.  
**فمن زوجاته:**<sup>(٣)</sup>

- أُمُّ الْبُنَيْنِ بِنْتُ حِزَامٍ وَهُوَ أَبُو الْمُحَلِّ بْنِ خَالِدِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْوَحِيدِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَامِرِ بْنِ كَلَّابٍ، فَوَلَدَتْ لَهُ الْعَبَّاسُ وَجَعْفَرًا وَعَبْدَ اللَّهِ وَعِثْمَانَ، وَقَدْ قُتِلَ هَؤُلَاءِ مَعَ أَخِيهِمُ الْحُسَيْنِ بِكَرْبَلَاءَ؛ وَلَا عَقِبَ لَهُمْ

(١) قلت: هؤؤلاء هم بنوهاشم، وأدخل معهم النبي ﷺ بنوالمطلب بن عبدمناف في سهم ذوي القربى دون بقية بني عبدمناف، لأنهم كانوا حلفاء لبني هاشم ولم يفترقوا في جاهلية ولا إسلام، انظر: تفسير ابن كثير (٣/٦٣، ٦٤).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان برقم: (٧٨) وفضائل الصحابة للنسائي رقم: (٥٠).

(٣) الطبقات الكبرى (٣/١٩، ٢٠)، وتاريخ الطبري (٥/١٥٣، ١٥٥).

سوى العباس .

- و ليلي بنت مسعود بن خالد بن مالك من بني تميم ، فولدت له عبيد الله وأبابكر ، قال هشام بن الكلبي : وقد قتل بكربلاء أيضا ، وزعم الواقدي أن عبيد الله قتله المختار بن أبي عبيد يوم المذار<sup>(١)</sup> .

- وأسماء بنت عُميس الخثعمية ، فولدت له يحيى ومحمدا الأصغر قاله ابن الكلبي .

وقال الواقدي : ولدت له يحيى وعوتا ، فأما محمد الأصغر فمن أم وليد .

- وأم<sup>(٢)</sup> حبيب بنت ربيعة بن بجير بن العبد بن علقمة ، وهي أم وليد من السبي الذين سباهم خالد بن الوليد من بني تغلب حين أغار على عين التمر ، فولدت له عمر - وقد عمر خمسا وثمانين سنة - ورقيقة .  
- وأم سعيد بنت عروة بن مسعود بن مُعْتَب بن مالك الثقفي ، فولدت له أم الحسن ورملة الكبرى .

- وابنة امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن كلب الكلبية ، فولدت له جارية ، فكانت تخرج مع علي إلى المسجد وهي صغيرة فيقال لها : من أخوالك ؟ فتقول : وه وه ، تعني بني كلب .

- وأمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ وهي التي كان رسول الله يحملها وهو في الصلاة ؛ إذا قام حملها ، وإذا سجد وضعها ،

(١) طبقات ابن سعد (٣/١٩) ، والمذار : بلدة بين واسط والبصرة ، معجم البلدان (٤/٤٦٨) .

(٢) اسمها الصهباء كما في الطبقات (٣/٢٠) ونسب قريش للزبير ص (٤٢) .



فولدت له مُحَمَّدًا الأوسط .

- خَوْلَةُ بِنْتُ جَعْفَرِ بْنِ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمَةَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ يَرْبُوعِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، سَبَاهَا خَالِدٌ فِي خِلَافَةِ الصُّدَيْقِ أَيَّامَ الرَّدَّةِ ، مِنْ بَنِي حَنْفِيَةَ ، فَصَارَتْ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَوَلَدَتْ لَهُ مُحَمَّدًا الْأَكْبَرَ (ابن الحنفية) ، وَمِنْ الشَّيْعَةِ مَنْ يَدَّعِي فِيهِ الْإِمَامَةَ وَالْعِصْمَةَ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ سَادَاتِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَكِنْ لَيْسَ بِمَعْصُومٍ وَلَا أَبُوهُ مَعْصُومٌ ، بَلْ وَلَا مِنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْ أَبِيهِ مِنَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ قَبْلَهُ لَيْسُوا بِوَأَجِبِي الْعِصْمَةَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .  
 وَقَدْ كَانَ لِعَلِيِّ أَوْلَادٌ كَثِيرَةٌ آخَرُونَ مِنْ أُمَّهَاتِ أَوْلَادِ شَتَّى ، فَإِنَّهُ مَاتَ عَنْ أَرْبَعِ نِسْوَةٍ وَتِسْعِ عَشْرَةِ سُرِّيَّةً ، - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَمِنْ أَوْلَادِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، مِمَّنْ لَا يُعْرَفُ أَسْمَاءُ أُمَّهَاتِهِمْ :

أُمُّ هَانِيَاءَ ، وَمِيمُونَةَ ، وَزَيْنَبُ الصُّغْرَى ، وَرَمْلَةُ الصُّغْرَى وَأُمُّ كَلْثُومِ الصُّغْرَى ، وَفَاطِمَةُ ، وَأَمَامَةُ ، وَخَدِيجَةُ ، وَأُمُّ الْكِرَامِ ، وَأُمُّ جَعْفَرِ ، وَأُمُّ سَلْمَةَ ، وَجُمَانَةُ ، وَنَفِيسَةَ .

قال ابن جرير: فجميع ولد علي لصلبه أربعة عشر ذكراً، وسبع عشرة أنثى<sup>(١)</sup> .

قال الواقدي: كان النسل من ولد علي لخمسة: الحسن، والحسين، ومحمد بن الحنفية، والعباس بن الكلابية، وعمر بن التغلبية<sup>(٢)</sup> .

(١) عند ابن سعد (٢٠/٣) وتسع عشرة امرأة وهو موافق لما ذكر هنا مفصلاً، وابن كثير نقله عن الطبري في تاريخه (١٥٥/٥)، ولعل قوله: سبع عشرة، تصحيف.

(٢) في الطبقات الكبرى (٢٠/٣) بعده، قال محمد بن سعد: لم يصح لنا من ولد علي - رضي الله عنه - غير هؤلاء.

## ذِكْرُ شَيْءٍ مِنْ سِيرَتِهِ وَمَوَاعِظِهِ وَخَطْبِهِ وَوَصِيَّتِهِ

قال عبدالوارث<sup>(١)</sup> عن أبي عمرو بن العلاء، عن أبيه قال: خطب علي فقال: «أيُّها الناس والله الذي لا إله إلا هو ما رزأتُ من مالكم قليلاً ولا كثيراً إلا هذه، وأخرج قارورة من كمِّ قميصه فيها طيبٌ فقال: أهداها إلى الدهقان.

وعن عبدالله بن زُرير الغافقي قال: دخلنا مع علي يوم الأضحى، فقرب إلينا خزيرة<sup>(٢)</sup>، فقلنا: أصلحك الله، لو قدّمت إلينا هذا البط والإوز، فإنَّ الله قد أكثر الخير. فقال: يا بن زُرير، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحلُّ للخليفة من مال الله إلا قصعتان؛ قصعةٌ يأكلها هو وأهله، وقصعةٌ يطعمُها النَّاسَ»<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو عبيد<sup>(٤)</sup> ثنا عبّاد بن العوام، عن هارون بن عنتره، عن أبيه قال: دخلتُ على علي بن أبي طالب بالخورنقِ وعليه قطيفةٌ وهو يرعدُّ من

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٧٣/١٢، ٣٧٤) مخطوط، من طريق عبدالوارث به.

(٢) الخزيرة: لحم يقطع قطعاً صغاراً ثم يطبخ بماء كثير وملح، فإذا اكتمل نضجه ذُرَّ عليه الدقيق، وعُصِدَ به ثم أدم بإدامٍ ما، وهي أيضاً: الحساء من الدسم والدقيق، انظر: الوسيط (خ زر).

(٣) المسند (٧٨/١) وإسناده صحيح، كما أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٧٤/١٢) مخطوط، من طريق الإمام أحمد به.

(٤) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨٢/١) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٧٤/١٢) مخطوط، كلاهما من طريق أبي عبيد به.

البرد، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، إنَّ الله قد جعل لك ولأهل بيتك نصيبًا في هذا المال، وأنت تفعل بنفسك هذا؟! فقال: إني والله لا أرزأ من مالكم شيئًا، وهذه القطيفةُ هي التي خرجتُ بها من بيتي أو قال: من المدينة.

وقال يعقوب بن سفيان<sup>(١)</sup> ثنا أبو بكر الحميدي ثنا سفيان ثنا أبو حيان، عن مُجمَع بن سمعان التيمي، قال: خرج علي بن أبي طالب بسيفه إلى السوق فقال: من يشتري مني سيفي هذا فلو كان عندي أربعة دراهم اشتري بها إزارًا ما بعته.

وروى الإمام أحمد عن عبَّاد بن العوَّام، عن هلال بن خبَّاب عن مولى لأبي عَصيفير قال: رأيتُ عليًا خرج فأتى رجلاً من أصحاب الكرابيس فقال له: عندك قميصٌ سُنْبُلَانِيٌّ؟ قال: فأخرج إليه قميصًا فلبسه، فإذا هو إلى نصف ساقه، فنظر عن يمينه وعن شماله، فقال: ما أرى إلاَّ قدرًا حسنًا، بكم هو؟ قال: بأربعة دراهم يا أمير المؤمنين، قال: فحلَّها من إزاره فدفعها إليه، ثم انطلق<sup>(٢)</sup>.

وقال محمد بن سعيد<sup>(٣)</sup> أنا الفضل بن دُكَيْنٍ، أنا الحرُّ بن جُرْمُورٍ، عن أبيه قال: رأيتُ عليًا وهو يخرجُ من القصرِ وعليه قَطْرِيَّتَانِ<sup>(٤)</sup> إزارٌ إلى نصف الساق، ورداءٌ مشمَّرٌ قريبٌ منه، ومعه دِرَّةٌ له يمشي بها في الأسواق، ويأمرُ الناسَ بتقوى الله وحسنِ البيعِ، ويقول: أوفوا الكيل والميزان.

(١) المعرفة والتاريخ (٦٨٣/٢) كما أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٧٥/١٢) مخطوط، من طريق يعقوب بن سفيان به.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٧٥/١٢) مخطوط، من طريق الإمام أحمد.

(٣) الطبقات الكبرى (٢٨/٣).

(٤) القطرية: ضرب من البرود حُمْرٌ، تأتي من قبل البحرين، اللسان مادة: «قطر».

ومن كلامه الحسن - رضي الله عنه - :

قال ابن أبي الدنيا<sup>(١)</sup> حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ، أَنَا وَعَمْرُو بْنُ شِمْرِ، حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ السُّدِّيُّ، سَمِعْتُ أَبَا أَرَاكَةَ يَقُولُ: صَلَّيْتُ مَعَ عَلِيٍّ صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَلَمَّا انْفَتَلَ عَنِ يَمِينِهِ مَكَثَ كَأَنَّ عَلَيْهِ كَابَةً، حَتَّى إِذَا كَانَتْ الشَّمْسُ عَلَى حَائِطِ الْمَسْجِدِ قِيدَ رَمَحٍ صَلَّيْتُ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ قَلَّبَ يَدَهُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَمَا أَرَى الْيَوْمَ شَيْئًا يُشْبِهُهُمْ، لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ صُفْرًا شُعْنًا غُبْرًا، بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ كَأَمْثَالِ رُكْبِ الْمِعْزَى قَدْ بَاتُوا لِلَّهِ سَجْدًا وَقِيَامًا، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، يُرَاحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَأَقْدَامِهِمْ، فَإِذَا أَصْبَحُوا فَذَكَرُوا اللَّهَ مَا دُؤُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ فِي يَوْمِ الرِّيحِ، وَهَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ ثِيَابُهُمْ، وَاللَّهِ لَكَأَنَّ الْقَوْمَ بَاتُوا غَافِلِينَ. ثُمَّ نَهَضَ، فَمَا رُئِيَ بَعْدَ ذَلِكَ مُفْتَرًّا يَضْحَكُ، حَتَّى قَتَلَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ عَدُوَّ اللَّهِ الْفَاسِقُ.

وقال وكيع<sup>(٢)</sup> عن عمرو بن مُنْبِهٍ، عن أَوْفَى بْنِ دَلْهِمٍ، عن عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَالَ: تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ تُعْرِفُوا بِهِ، وَاعْمَلُوا بِهِ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ، فَإِنَّهُ يَأْتِي مِنْ بَعْدِكُمْ زَمَانٌ يُنْكَرُ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ تِسْعَةُ أَعْشَارِهِ، وَإِنَّهُ لَا يَنْجُو مِنْهُ إِلَّا كُلُّ نَوْمَةٍ مُنْبِتِ الدَّاءِ<sup>(٣)</sup>، أَوْلَيْتُكُمْ أُنْمَةَ الْهَدْيِ وَمَصَابِيحَ الْعِلْمِ، لَيْسُوا بِالْعُجْلِ الْمَذَابِيحِ الْبُذْرِ<sup>(٤)</sup>. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ ارْتَحَلَتْ مُدْبِرَةً،

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٨٠ / ١٢) مخطوط، من طريق ابن أبي الدنيا به.

(٢) المصدر السابق (٣٨٠ / ١٢، ٣٨١) من طريق وكيع به.

(٣) النومة هنا: الذي يسكت في الفتنة فلا يبدو منه شيء، اللسان (ن و م).

(٤) المذابيح: جمع مذباع؛ من أذاع الشيء إذا أفشاه والبذر: جمع بذور، وهو الذي يذيع الأسرار، ولا يكتم سرًا، اللسان (ب ذر)، (ذي ع).

وإنَّ الآخرة قد أتت مُقبِلَةً، ولكل واحدةٍ منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، ألا وإنَّ الزاهدين في الدنيا اتَّخذوا الأرض بساطًا، والتراب فراشًا، والماء طيبًا، ألا من اشتاق إلى الآخرة سلاً عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن الحرمات، ومن طلب الجنة سارع إلى الطاعات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيباتُ، ألا إنَّ الله عبادًا كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلِّدين، وأهل النار في النار مُعذِّبين، شرورهم مأمونةٌ، وقلوبهم محزونةٌ، وأنفسهم عفيفةٌ، وحوائجهم خفيفة، صبروا أيامًا قليلةً لِعُقْبِي راحةٍ طويلةٍ، أما اللَّيل فصافئون أقدامهم، تجري دموعهم على خدودهم، يجأرون إلى ربِّهم: ربَّنَا ربَّنَا. يطلبون فكاك رقابهم، وأما النهار فعلماءُ حلما، بررةٌ أتقياء، كأنَّهم القداحُ، ينظر إليهم الناظرُ فيقول: مرضى، وما بالقوم من مرضٍ. نصُّ وصيةِ عليٍّ - رضي الله عنه - :

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب؛ أنَّه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبدهُ ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ثم إنَّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربِّ العالمين لا شريك له، وبذلك أمرتُ وأنا من المسلم، أوصيك يا حسنُ وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ربكم ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون، وعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرَّقوا، فإني سمعت أبا القاسم عليه السلام يقول: «إنَّ صلاح ذاتِ البين أفضلُ من عاقبةِ الصلاة والصيام». انظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوهم يُهون الله عليكم الحساب،

الله الله في الأيتام؛ فلا تُعْفُوا<sup>(١)</sup> أفواههم ولا يُضَيِّعَنَّ بحضرتكم، والله الله في جيرانكم؛ فإنهم وصية نبيكم ﷺ، ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم، والله الله في القرآن؛ فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم، والله الله في الصلاة؛ فإنها عمود دينكم، والله الله في بيت ربكم، فلا يخلون منكم ما بقيتم؛ فإنه إن ترك لم تناظروا، والله الله في شهر رمضان؛ فإن صيامه جنّة من النار، والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، والله الله في الزكاة؛ فإنها تطفيء غضب الرب، والله الله في ذمة نبيكم؛ لا تُظلمن بين ظهرائكم، والله الله في أصحاب نبيكم؛ فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم، والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معاشكم، والله الله فيما ملكت أيما نكم، فإن آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أن قال: «أوصيكم بالضعيفين؛ نسائكم وما ملكت أيما نكم». الصلاة الصلاة، لا تخافن في الله لومة لائم يكفكم من أرادكم وبغى عليكم، وقولوا للناس حسنا كما أمركم الله، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيؤلى الأمر شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم، وعليكم بالتواصل والتبادل، وإياكم والتدابير والتقاطع والتفرق، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب، حفظكم الله من أهل بيت، وحفظ فيكم نبيكم، أستودعكم الله، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله<sup>(٢)</sup>

(١) في تاريخ الطبري: «تعنوا» ولا تعفو أفواههم: أي لا تخلو أفواههم من الطعام.

(٢) البداية والنهاية (١١/١٦، ١٧).

## مَقْتَلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

كان أمير المؤمنين - رضي الله عنه - قد انتقضت عليه الأمور، واضطربت عليه الأحوال، وخالفه جيشه من أهل العراق وغيرهم، ونكلوا عن القيام معه، هذا وأميرهم علي بن أبي طالب خير أهل الأرض في ذلك الزمان، فهو أعبدهم وأزهدهم، وأعلمهم وأخشاهم لله، عز وجل، ومع هذا كله خذلوه وتخلوا عنه وقد كان يعطيهم العطاء الكثير والمال الجزيل، فلا زال هذا دأبهم معه حتى كره الحياة وتمنى الموت؛ وذلك لكثرة الفتن وظهور المحن، فكان يُكثر أن يقول: ماذا يحبس أشقاها - أي ما ينتظر - ما له لا يقتل؟ ثم يقول: والله لتخضبنَّ هذه ويشيرنَّ إلى لحيته من هذه ويشيرنَّ إلى هامته<sup>(١)</sup>.

صفة مقتله رضي الله عنه :

ذكر ابن جرير وغير واحد من علماء التاريخ والسير وأيام الناس<sup>(٢)</sup> أن ثلاثة من الخوارج؛ وهم عبدالرحمن بن عمرو، المعروف بـ«ابن ملجم» الحميري ثم الكندي، حليف بني جبلة من كندة، المصري، والبرك بن عبدالله التميمي. وعمرو بن بكر التميمي، اجتمعوا<sup>(٣)</sup>

(١) أخبر رسول الله ﷺ علياً بأنه يموت مقتولاً كما في مسند أحمد (١/١٠٢، ١٣٠-١٣١).

(٢) ودلائل النبوة لليهقي (٤٣٨/٦) وإسناده صحيح كما قال أحمد شاکر.

(٣) انظر: تاريخ الطبري (٥/١٤٣، ١٤٦)، والطبقات لابن سعد (٣/٣٦، ٣٧)،

والمنتظم (٥/١٧٢، ١٧٣)، والكامل (٣/٣٨٨، ٣٨٩)، وتاريخ الإسلام، جزء

الخلفاء الراشدين ص (٦٠٧، ٦٠٨).

(٣) في طبقات ابن سعد، اجتمعوا في مكة.

فتذاكروا قتل عليّ إخوانهم من أهل النُّهروان، فترحموا عليهم وقالوا: ماذا نصنع بالبقاء بعدهم؟! فلو شررنا أنفسنا فأتينا أئمة الضلالة فقتلناهم فأرخصنا منهم البلاد وأخذنا منهم ثأر إخواننا، فقال ابنُ مُلجَم: أنا أكفيكم عليّ بن أبي طالب وقال البركُ بن عبدالله: أنا أكفيكم معاوية بن أبي سفيان وقال عمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص، فتعاهدوا وتواثقوا أن لا ينكص رجل منهم عن صاحبه حتى يقتله أو يموت دونه، فأخذوا أسيافهم فسمّوها، واتَّعدوا لسبع عشرة من رمضان سنة أربعين أن يبيّت كلُّ واحدٍ منهم صاحبه في بلده الذي هو فيه.

فأمّا ابنُ مُلجَم فسار إلى الكوفة فدخلها، وكنتم أمره حتى عن أصحابه من الخوارج الذين هم بها، فبينما هو جالسٌ في قوم من بني تيم الرِّباب وهم يتذاكرون قتلاهم يوم النُّهروان إذ أقبلت امرأةٌ منهم يقال لها: قَطام بنتُ الشُّجنة قد قتل عليّ يوم النُّهروان أباه وأخاه، وكانت فائقة الجمال مشهورة به، وكانت قد انقطعت في المسجد الجامع تتعبَّد فيه، فلما رآها ابنُ مُلجَم سلبت عقله، ونسي حاجته التي جاء لها، وخطبها إلى نفسها، فاشترطت عليه ثلاثة آلاف درهم وخادمًا وقينةً، وأن يقتل لها عليّ بن أبي طالب، قال: فهو لك، ووالله ما جاء بي إلى هذه البلدة إلا قتل عليّ. فتزوجها ودخل بها، ثم شرعت تُحرّضه عليّ ذلك، وندبت له رجلاً من قومها من تيم الرِّباب يقال له: وردان. ليكون معه رداءً واستمال ابنُ مُلجَم رجلاً آخر يقال له: شبيب بن بجرة الأشجعي الحروري. قال له ابنُ مُلجَم: هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ فقال: وما ذاك؟ قال: قتل عليّ فقال: ثكلتك أمك! لقد جئت شيئاً إداً، كيف تقدر عليه؟ قال: أكمُن له في المسجد، فإذا خرج



لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجوتنا شفيننا أنفسنا وأدركنا ثأرنا، وإن قُتلنا فما عند الله خير من الدنيا، فقال: ويحك! لو غير علي لكان أهون علي، قد عرفت سابقته في الإسلام وقرابته من رسول الله ﷺ، فما أجدني أنشرح صدرًا لقتله، فقال: أما تعلم أنه قتل أهل التَّهروان؟ فقال: بلى. قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا. فأجابه إلى ذلك بعد لأي. ودخل شهر رمضان، فواعدهم ابن ملجم ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت، وقال: هذه الليلة التي واعدت أصحابي أن يقتل كل واحد منا فيها صاحبه الذي ذهب إليه، فجاء الثلاثة؛ وهم مشتملون على سيوفهم، فجلسوا مُقابل السُّدة<sup>(١)</sup> التي يخرج منها علي، فلما خرج جعل يُنهضُ الناس من التَّوم إلى الصَّلَاة ويقول: الصَّلَاة الصَّلَاة. فثار إليه شبيب بالسيف فضربه فوق في الطاق، فضربه ابن ملجم بالسيف على قرنيه<sup>(٢)</sup> فسال دمه على لحيته - رضي الله عنه - ولما ضربه ابن ملجم قال: لا حكم إلا لله، ليس لك يا علي ولا لأصحابك. وجعل يتلوا قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] ونادى علي عليكم به. وهرب وردان، فأدركه رجل من حضرموت فقتله، وذهب شبيب فنجا بنفسه وفات الناس، ومُسك ابن ملجم، وقدم علي جعدة بن هبيرة بن أبي وهب<sup>(٣)</sup> فصلَّى بالناس صلاة الفجر، وحمل علي إلى منزله، وحمل إليه ابن

(١) السدة: باب الدار، والظلة بباب الدار، والساحة بين يدي الدار. الوسيط (س د د).

(٢) القرن من الإنسان: الجانب الأعلى من الرأس، انظر: المحيط (ق ر ن).

(٣) ترجمه ابن حجر في الإصابة (١/٤٨٤، ٥٢٧) مختلف في صحبته وأمه هي أم

هانيء بنت أبي طالب فيكون علي خاله.

مُلجِم، فأوقف بين يديه وهو مكتوف - فَبَحَهُ اللهُ - فقال له: ما حَمَلَكَ عليّ هذا؟ قال: شحذتُهُ أربعين صباحًا، وسألتُ اللهُ أن يَقْتَلَ به شرَّ خلقه، فقال له عليٌّ: لا أراك إلا مقتولاً به، ولا أراك إلا من شرِّ خلقه، ثم قال: إن ميتًا فاقتلوه، وإن عشتُ فأنا أعلمُ كيف أصنعُ به.  
دفنه رضي الله عنه:

لَمَّا مات علي - رضي الله عنه - غَسَّله ابناه الحسن والحسين ومعهم عبدالله بن جعفر، وصَلَّى عليه ابنُه الحسنُ، فكَبَّر عليه تسع تكبيرات<sup>(١)</sup>، ودُفِن بدارِ الإمارة بالكوفة؛ خوفًا عليه من الخوارج أن ينبشوا عن جُثته، وهذا هو المشهور، ومن قال: إنَّه حُمِل عليّ راحلته، فذهبت به فلا يُدرى أين ذهبت فقد أخطأ وتكَلَّف ما لا علم له به، ولا يسيغه عقلٌ ولا شرع، وما يعتقده كثيرٌ من جهلة الرِّوافض من أنَّ قبره بمشهد النَّجف، فلا دليل عليّ ذلك ولا أصل له، ويقال: إنَّما ذاك قبرُ المغيرة بن شعبة.

روى الخطيبُ البغدادي<sup>(٢)</sup> عن أبي نعيم الحافظ، عن أبي بكرٍ الطَّلحيّ، عن محمد بن عبدالله الحضرمي الحافظ مطيّن، أنَّه قال: لو علمت الشيعة قبرَ من هذا الذي يُعظَّمونه بالنجف لرجموه بالحجارة، هذا قبرُ المغيرة بن شعبة.

وعن جعفر بن محمد الصادق قال: صَلَّي عليّ عليّ ليلاً، ودفنَ

(١) ورد في روايات أخرى مسندة أربع تكبيرات ولعلها أقرب إلى الصواب، انظر: الطبقات الكبرى (٣/٣٨).

(٢) تاريخ بغداد (١/١٣٨).

بالكوفة، وعُمِّي موضع قبره، ولكنَّه عند قصر الإمارة<sup>(١)</sup>.

### تاريخ مقتله وعمره:

طعن علي - رضي الله عنه - ليلة الجمعة سحرًا، وذلك لسبع عشرة خلت من رمضان من سنة أربعين. فقيل: مات من يومه وقيل: يوم الأحد التاسع عشر منه.

قال الفلاس: وقيل ضرب ليلة إحدى وعشرين، ومات ليلة أربع وعشرين عن تسع أو ثمان وخمسين سنة<sup>(٢)</sup>. وقيل: عن ثلاث وستين سنة<sup>(٣)</sup> وهو المشهور. قاله محمد بن الحنفية، وأبو جعفر الباقر، وأبو إسحاق السبيعي، وأبو بكر بن عيَّاش.

وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر، وقيل: أربع سنين وتسعة أشهر وثلاثة أيام، وقيل: أربع سنين وثمانية أشهر وثلاثة وعشرين يومًا، رضي الله عنه<sup>(٤)</sup>.

(١) تاريخ الإسلام للذهبي، جزء الخلفاء الراشدين ص (٦٥٠).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (١٥١/٥).

(٣) نقل ابن سعد في الطبقات (٣/٣٨١) عن الواقدي أنه قال: وهو الثبت عندنا. قلت: وهذا موافق للقول بأن ولادته كانت قبل البعثة بعشر سنين.

(٤) انظر: تاريخ الطبري (٥/١٥٢، ١٥٣) وكذا تاريخ دمشق (١٢/٤٢٣، ٤٢٨) مخطوط، وهذه الأقوال متقاربة والخلاف بين القولين الأولين والقول الثالث مبني على الخلاف في تاريخ بيعته، وفي تاريخ وفاته بعد طعنه.

## الفصل الثاني

### استخلافه - رضي الله عنه -

بيعته رضي الله عنه بالخلافة:

لما قتل عثمان يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، على المشهور، عدل الناس إلى علي فبايعوه قبل أن يُدفن عثمان، وقيل: بعد دفنه. وقد امتنع علي من مبايعتهم أول الأمر، وفرّ منهم إلى حائط بني عمرو بن مبدول من الأنصار، وأغلق بابه، وامتنع من قبول الإمارة حتى تكرّر قولهم، فجاء الناس فطرقوا الباب وولجوا عليه، وجاءوا معهم بطلحة والزبير، فقالوا له: إن هذا الأمر لا يمكنُ بقاؤه بلا أمير، ولم يزالوا به حتى أجاب.

فيقال: إنَّ أوَّل من بايعه طلحةٌ بيده اليمنى وكانت شلاءً من يوم أُحُدٍ لما وقى بها رسول الله ﷺ، فقال بعضُ القوم: والله إنَّ هذا الأمر لا يَتِمُّ<sup>(١)</sup>. وخرج عليٌّ إلى المسجد فصعد المِثْبَرِ وعليه إزارٌ وعمامةٌ خُرٌّ، ونعلاه في يده، يتوكأ على قوسه، فبايعه عامَّةُ النَّاسِ، وذلك يوم السبت التاسع عشرَ من ذي الحِجَّةِ سنة خمسٍ وثلاثين<sup>(٢)</sup> ويُقال: إنَّ طلحة

(١) لا يجوز التطير ولا التشاؤم، وهذه اليد الشلاء من أسعد الأيدي لأنها إنما شلت في سبيل الله وفي الدفاع عن رسول الله ﷺ، ولا أظن أن يصح هذا القول، ولا يصدر إلا من منافق، أو أعرابي لم يستقر الإيمان في قلبه ولا زالت تنزعه نزعة جاهلية.

(٢) تاريخ الطبري (٤/٤٢٨) والرواية من طريق المدائني، عن أبي بكر الهذلي، وهو اخباري ضعيف.

والزُّبير إنَّما بايعاه بعد أن طلبهما .

وقال الواقدي<sup>(١)</sup> : بايع الناسُ عليًّا بالمدينة ، وتربَّص سبعةُ نفرٍ لم يبايعوا ؛ منهم ابنُ عُمَرَ ، وسعدُ بنُ أبي وقاصٍ ، وصُهَيْبٌ ، وزيدُ بنُ ثابتٍ ، ومُحَمَّدُ بنُ مسلمةٍ ، وسلمةُ بنُ سَلَامَةَ بنِ وَقْشِ ، وأسامةُ بنُ زيدٍ ، ولم يتخلف أحدٌ من الأنصارِ إلَّا بايع فيما نعلم .

### تكملة لموضوع البيعة<sup>(٢)</sup> ؟

هذه النصوص التي نقلها الإمام ابن كثير عن الطبري وغيره من المؤرخين تؤكد صحة بيعة الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب ، وأنَّ بيعته كانت عن اختيار من أهل الحل والعقد في المدينة ، ثم بايعت له بقية الأنصار الإسلامية ما عدا أهل الشام الذين انتظروا ببيعتهم القصاص من قتلة عثمان - رضي الله عنه - ، وقد روى الإمام أحمد بسند صحيح<sup>(٣)</sup> عن مُحَمَّد بن الحنفية قال : كنتُ مع علي - وعثمان محصور - فأتاه رجل فقال : إنَّ أمير المؤمنين مقتول ، ثم جاء آخر فقال : إنَّ أمير المؤمنين مقتول الساعة . قال : فقام علي ، فأخذتُ بوسطه تخوفًا عليه فقال : خلِّ لا أم لك ، قال : فأتى علي الدار وقد قتل الرجل ، فأتى داره فدخلها وأغلق عليه الباب<sup>(٤)</sup> ، فأتاه النَّاس فضربوا عليه الباب فدخلوا

(١) والصواب أنَّ المذكورين بايعوا لكنَّهم اعتزلوا بعد ذلك ولم يشاركوا في الأحداث ، وآخر الخبر ينقص أوله ، فهؤلاء ثلاثة منهم من الأنصار .

(٢) إضافة ليست في الأصل .

(٣) فضائل الصحابة (٢/٥٧٣) وقال محققه : إسناده صحيح .

(٤) يمكن الجمع بينه وبين الرواية السابقة أنه دخل حائطًا للأنصار ، بالحمل على تعدد مرات مجيئهم له .

عليه، فقالوا: إنَّ هذا الرَّجُل قد قُتِل، ولا بد للنَّاس من خليفة، ولا نعلم أحدًا أحقُّ بها منك، فقال لهم علي: لا تريدوني فإنِّي لكم وزير خير مني لكم أمير، فقالوا: لا والله ما نعلم أحدًا أحقُّ بها منك، قال: فإنَّ أبيتُم عليَّ فإنَّ بيعتي لا تكون سرًّا، ولكن أخرجُ إلى المسجد، فمن شاء أن يبايعني بايعني، قال: فخرج إلى المسجد فبايعه النَّاس. وقد احتج أهل السنة والجماعة على إثبات خلافة الخلفاء الأربعة بحديث سفينة: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتى الله الملك من يشاء» رواه أبو داود والترمذي وأحمد<sup>(١)</sup> في مسنده قال سعيد بن جهمان الراوي عن سفينة: ثم قال لي سفينة: امسك، خلافة أبي بكر سنتين، وخلافة عمر عشر سنين، وخلافة عثمان اثني عشرة سنة، وخلافة علي ست سنين.

وأخرج ابن عساکر<sup>(٢)</sup> بإسناده إلى الميموني قال: سمعتُ أحمد بن حنبل، وقيل له: إلام تذهب في الخلافة؟ قال: أبوبكر، وعمر، وعثمان، وعلي، قال: فقيل له: كأنك تذهب إلى حديث سفينة، قال: أذهب إلى حديث سفينة وإلى شيء آخر، رأيتُ عليًّا في زمن أبي بكر وعمر وعثمان لم يتسمَّ أمير المؤمنين، ولم يُقَمَّ الجمعة والحدود، ثم رأيتُه بعد قتل عثمان قد فعل ذلك، فقلتُ: إنَّه وجب له في ذلك الوقت ما لم يكن له قبل ذلك. فانظر - رحمك الله - كيف رتب الإمام أحمد الخلفاء الراشدين بموجب هذا الحديث وبموجب ما حدث في الواقع، كما ردَّ على الذين يقولون بخلافة علي - رضي الله عنه - ابتداءً أي بعد

(١) أبو داود برقم (٤٦٤٦)، والترمذي برقم (٢٢٢٦)، والمسند (٢٢٠/٥)، وقد صححه الشيخ ناصر الدين الألباني في السلسلة الصحيحة حديث رقم (٤٦٠).

(٢) تاريخ دمشق (٣٥٤/١٢).

النبي ﷺ بلا فصل .  
 قال شيخ الإسلام ابن تيمية<sup>(١)</sup> : واعتمد عليّ هذا الحديث الإمام أحمد وغيره في تقرير خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة، وثبته أحمد، واستدلّ به عليّ من توقف في خلافة علي من أجل افتراق الناس عليه، حتى قال أحمد: من لم يربع بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله . ونهى عن مناكحته، وهو متفق عليه بين الفقهاء وعلماء السنة وأهل المعرفة والتصوف وهو مذهب العامة، وإنما يخالفهم في ذلك بعض أهل الأهواء من أهل الكلام ونحوهم، كالرافضة الطاعنين في خلافة الثلاثة، أو الخوارج الطاعنين في خلافة الصهرين عثمان وعلي، أو بعض الناصبة النافين لخلافة علي، أو بعض الجهّال من المتسننه الواقفين في خلافته .

وقال في موطن آخر<sup>(٢)</sup> المنصوص عليه عن أحمد تبديع من توقف في خلافة علي .

ويقول أبوالمعالى الجويني كما في الصواعق المحرقة<sup>(٣)</sup> : ولا اكتراث بقول من قال : لا إجماع عليّ إمامة علي، فإنّ الإمامة لم تجحد له، وإنما هاجت الفتنة لأمر أخرى .

قلتُ : فالذين لم يشاركوا معه في القتال من الصحابة لم يرفضوا إمامته، وإنما تركوا القتال معه لأهل القبلة، لأنّ التّصوُّص دلّت عليّ أنّ القاعد عن الفتنة خير من القائم فيها .

(١) مجموع الفتاوى (١٩١٨/٣٥) .

(٢) مجموع الفتاوى (٤٣٨/٤) .

(٣) ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة ص (١٨٤) .

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن ابن حامد أنه قال: لا يختلف أصحابنا أن قعود علي عن القتال كان أفضل له لو قعد، وهذا ظاهر من حاله في تلومته في القتال، وتبرمه به، ومراجعة ابنه الحسن له في ذلك، وقوله: لله در مقام قامه سعد بن مالك، وعبدالله بن عمر إن كان برًا إن أجره لعظيم، وإن كان إثماً إن خطأه ليسير<sup>(١)</sup>.

ومع هذا لم يسترب أئمة السنة وعلماء الحديث أن عليًا أولى بالحق، وأقرب إليه كما دل عليه النص<sup>(٢)</sup>.

وأختم هذا المبحث بفائدة ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -<sup>(٣)</sup> قال: ومما ينبغي أن يعلم أنه وإن كان المختار الإمساك عما شجر بين الصحابة والاستغفار للطائفتين جميعًا وموالاتهم، فليس من الواجب اعتقاد أن كل واحد من العسكر لم يكن إلا مجتهدًا متأولاً كالعلماء، بل فيهم المذنب والمسيء، وفيهم المقصّر في الاجتهاد لنوع من الهوى، لكن إذا كانت السيئة في حسنات كثيرة كانت مرجوحة مغفورة، وأهل السنة تحسن القول فيهم وترحم عليهم وتستغفر لهم، لكن لا يعتقدون العصمة من الإقرار على الذنوب، وعلى الخطأ في الاجتهاد إلا لرسول الله ﷺ ومن سواه فيجوز عليه الإقرار على الذنب، والخطأ، لكن هم كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ...﴾ [الأحقاق: ١٦].

(١) مجموع الفتاوى (٤/٤٣٩).

(٢) المصدر نفسه (٤/٤٣٩).

(٣) المصدر نفسه (٤/٤٣٤).



### خطبة الخلافة:

وكان أوّل خطبة خطبها أنّه حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنّ الله تعالى أنزل كتاباً هادياً بيّن فيه الخير والشرّ، فخذوا بالخير ودعوا الشرّ، إنّ الله حرّم حُرماً مجملاً، وفضّل حرمة المسلم على الحرّم كلّها وشدّ بالإخلاص والتّوحيد حقوق المسلمين، والمسلم من سلّم المسلمون من لسانه ويده إلاّ بالحق، لا يحلّ أذى مسلم إلاّ بما يجب، بادروا أمر العاقبة، وخاصة أحدكم الموت، فإنّ الناس أمامكم وإنما خلفكم الساعة تحدوكم، فتخفّفوا تلحقوا، فإنّما ينتظرُ الناس أخراهم، اتّقوا الله في عباده وبلاده، إنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشرّ فدعوه: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَنْخَظَفَكُمْ النَّاسُ فَتَأْوِنَكُمْ وَأَيْدِيكُمْ يُنَاصِرُهُ، وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢٦) يتأينها الذين ءَامَنُوا لَا يَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَخَوْنُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ (١) [الأنفال:

. [٢٧، ٢٦]

(١) انظر تاريخ الطبري (٤/٤٣٦)، والكامل لابن الأثير (٣/١٩٤).

## الفصل الثالث

### أعماله والأحداث في عصره

الولاية عند مقتل عثمان - رضي الله عنه :-

كان على الكوفة أبو موسى الأشعري على الصلاة، وعلى الحرب القعقاع بن عمرو، وعلى الخراج جابر بن عمرو المزني، وعلى البصرة عبدالله بن عامر، وعلى مصر عبدالله بن سعد بن أبي سرح، وقد تغلب عليه محمد بن أبي حذيفة، وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان، ونوابه على حمص؛ عبدالرحمن بن خالد بن الوليد، وعلى قنسرين؛ حبيب بن مسلمة، وعلى الأردن؛ أبو الأعور بن سفيان، وعلى فلسطين؛ علقمة ابن حكيم<sup>(١)</sup>. والوالي على أذربيجان؛ الأشعث بن قيس، وعلى قرقيسيا؛ جرير بن عبدالله البجلي، وعلى حلوان؛ عتيبة بن النّھاس، وعلى ماه؛ مالك بن حبيب، وعلى همدان التّسير؛ وعلى الري؛ سعيد ابن قيس، وعلى أصبهان؛ السائب بن الأقرع، وعلى ماسبدان؛ حبّيش. هذا ما ذكره ابن جرير من نواب عثمان الذين توفي وهم نواب الأمصار، وكان على بيت المال في المدينة عقبه بن عمرو، وعلى قضاء المدينة زيد بن ثابت<sup>(٢)</sup>.

#### تعيين عليّ الولاية على الأقاليم:

استهلّت سنة ست وثلاثين وقد تولّى أمير المؤمنين علي بن أبي

(١) في الأصل: حكيم علقمة، والمثبت من تاريخ الطبري (٤/٤٢١)، وانظر

ترجمته في الإصابة: (١٢٦/٥).

(٢) تاريخ الطبري (٤/٤٢١ - ٤٢٢).

طالب الخلافة، وولّى على الأمصار نواباً، فولّى عبيدالله بن عباس على اليمن، وولّى عثمان بن حنيف على البصرة، وعُمارة بن شهاب على الكوفة، وقيس بن سعد بن عبادة على مصر، وعلى الشام سهل بن حنيف بدل معاوية، فسار سهل حتّى بلغ تبوك فتلقته خيل معاوية، فقالوا: من أنت؟ فقال: أميرٌ، قالوا: على أي شيء؟ قال: على الشام، فقالوا: إن كان عثمان بعثك فحي هلاً بك، وإن كان غيره فارجع. فقال: أو ما سمعتم الذي كان؟ قالوا: بلى، فرجع إلى علي.

وأما قيس بن سعد فاختلف عليه أهل مصر فبايع له الجمهور، وقالت طائفة: لا نبايع حتّى نقتل قتلة عثمان، وكذلك أهل البصرة امتنعت منهم طائفة، وأما عُمارة بن شهاب المبعوث أميراً على الكوفة فصدّه عنها طليحة بن خويلد غضباً لعثمان، فرجع إلى عليّ فأخبره، وانتشرت الفتنة وتفاقم الأمر، واختلفت الكلمة، وكتب أبو موسى إلى عليّ بطاعة أهل الكوفة ومبايعتهم إلاّ القليل منهم<sup>(١)</sup>.

وبعث عليّ إلى معاوية كُتُباً كثيرة فلم يرُدّ عليه جوابها، وتكرر ذلك مراراً إلى الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر، ثمّ بعث معاوية طوماً مع رجل فدخل به علىّ فقال له علي: ما وراءك؟ قال جئتك من عند قوم لا يريدون إلاّ القود، كلهم موتور، تركت ستين ألف شيخ

(١) انظر: تاريخ الطبري (٤/٤٤٢) وأورده من طريق سيف بن عمر عن شيوخه، قلت: وذكر طليحة بن خويلد شاذّ حيث ذكر جمع من المؤرخين أنّ طليحة قُتِلَ شهيداً في نهاوند، سنة ٢١هـ (ابن عساكر، تاريخ دمشق ٦٠٣/٨، الذهبى، العبر (١/٢٦)، وابن كثير، البداية والنهاية (٧/١١٩)، وابن حجر، الإصابة (٣/٥٤٣).

يكون تحت قميص عثمان، وهو على منبر دمشق، فقال علي: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ثم خرج رسول معاوية من بين يدي علي فهمم به أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان يريدون قتله، فما أفلت إلا بعد جهدي<sup>(١)</sup>.

### المُطالبة بدم عثمان رضي الله عنه:

لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ - رضي الله عنه - قام في النَّاسِ معاوية بن أبي سفيان وجماعة من الصحابة معه يحرضون النَّاسَ على المطالبة بدم عثمان، ممَّن قتلَه من أولئك الخوارج، منهم عبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، وأبو أمامة، وعمرو بن عَبَّسَةَ<sup>(٢)</sup> وغيرهم من الصحابة.

ومن التَّابعين: شريك بن خباشة<sup>(٣)</sup>، وأبومسلم الخولاني،

(١) هذا ملخص من رواية الطبري من طريق سيف بن عمر عن شيوخه (انظر تاريخ الطبري ٤/٤٤٣ - ٤٤٦).

وفي بعض ما ذكره نظر، ومعاوية - رضي الله عنه - لم يكن منازعاً لعلي في الخلافة وإنما يطالب بإقامة الحدود على قتلة عثمان من غير تأجيل كما يرى الخليفة علي - رضي الله عنه -، فقد أخرج يحيى بن سليمان الجعفي بإسناد جيد كما قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٩٢/١٣) عن أبي مسلم الخولاني أنه قال لمعاوية: أنت تنازع علياً أم أنت مثله؟ فقال: لا والله، إني لأعلم أنه أفضل مني، وأحق بالأمر مني، ولكن أستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً، وأنا ابن عمه، والطالب بدمه، فليدفع إليّ قتلة عثمان وأسلم له، فقال علي: يدخل في البيعة ويحاكمهم إليّ... إلخ.

(٢) عمرو بن عبسة السلمي ترجمته في الطبقات (١٥٧/٤) والإصابة (٦٥٨/٤).

(٣) في الأصل حباشة وهو تصحيف وانظر ترجمته في الإصابة (٣٨٤/٣).

وعبدالرحمن بن غنم، وغيرهم<sup>(١)</sup>.

ولمّا استقرَّ أمر بيعة علي دخل عليه طلحة والزبير ورؤوس الصحابة رضي الله عنهم، وطلبوا منه إقامة الحدود، والأخذ بدم عثمان<sup>(٢)</sup>، فاعتذر إليهم بأن هؤلاء لهم أعوان، ولا يمكنه ذلك الآن.

وقد أشار ابن عبّاس على علي باستمرار نواب عثمان في البلاد، إلى حين يَتِمَّكُنُ الأمرُ، وأن يقر معاوية خصوصاً على الشّام، وقال له: اكتب إلى معاوية فمَنِّه وعِدّه، فقال علي: والله إنَّ هذا ما لا يكون أبداً، فقال ابن عبّاس: يا أمير المؤمنين، الحرب خدعةٌ كما قال رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>، فوالله لئن أطعني لأوردنهم بعد صدرهم، ونهى ابن عبّاس علياً فيما أشار عليه أن يقبل من هؤلاء الذين يحسّنون له الدخول إلى العراق، ومفارقة المدينة، فأبى عليه ذلك كله<sup>(٤)</sup>.

(١) تاريخ الطبري (٤/٣٥٢).

(٢) ذكر المصنّف بعد هذا أنّ المغيرة بن شعبة قد نصح علياً أن يبقي ولاية عثمان ثمّ جاءه يوماً آخر فنصحه بعزلهم. وهي روايةٌ ساقطة. أخرجها الطبري من طريق سيف بن عمر عن شيوخه المجاهيل. تاريخ الطبري (٤/٤٣٨).

قلتُ: طلب الزبير إمرة البصرة، لا يصح، وخروج عائشة والزبير وطلحة إلى البصرة كان للإصلاح والسعي في جمع كلمة المسلمين بعد وقوع الخلاف وانتشار الفتنة، ولم يخرجوا رفضاً لخلافة علي - رضي الله عنه - فقد ثبت من حديث الأحنف بن قيس أنّه استشارهم عندما كان عثمان محصوراً لمن يبايع بعد عثمان، فأشاروا عليه ببيعة علي - رضي الله عنه -، انظر: فتح الباري (٣٨/١٣).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم: (٢٨٦١).

(٤) أخرجه الطبري (٤/٤٣٩) من طريق الواقدي عن ابن أبي سبرة عن عبدالمجيد =

## خروج طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة:

كان أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين قد خرجن إلى الحج في سنة خمس وثلاثين من الهجرة، فلما بلغ الناس أن عثمان قد قُتل، وذلك بعد صدورهن من الحج رجعن إلى مكة وأقمن بها، ينتظرن ما يصنع الناس، فلما بويع لعلي وصار أحظى الناس عنده - بحكم الحال وغلبة الرأي لاعتبار منه لذلك - رؤوس أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان، مع أن عليًا في نفس الأمر يكرههم، ولكنه يتربص بهم الدوائر، ويود لو تمكن منهم ليأخذ حق الله منهم، ولكن لما وقع الأمر هكذا واستحوذوا عليه، وحجبوا عنه عليّة الصحابة فرّ جماعة من بني أمية وغيرهم إلى مكة، واستأذنه طلحة والزبير في الاعتمار، فأذن لهما فخرجا إلى مكة وتبعهم خلق كثير، وقدم إلى مكة يعلى بن أمية من اليمن - وكان عاملاً عليها لعثمان - ومعه ستمائة بعير وستمائة ألف درهم، كما قدمها عبدالله بن عامر من البصرة، وكان نائبها لعثمان، فاجتمع بمكة خلق من سادات الصحابة وأمهات المؤمنين، فاجتمع ملاؤهم على المطالبة بدم عثمان، فقال قائل: نذهب إلى الشام. فقال بعضهم: إن معاوية قد كفاكم أمرها، ولو قدموها لغلّبوا، واجتمع الأمر كله لهم، لأن أكابر الصحابة بها معهم.

وقال آخرون: نذهب إلى المدينة فنطلب من علي أن يسلم إلينا قتلة عثمان فيقتلوا.

وقال آخرون: بل نذهب إلى البصرة فنتقوى من هنالك

بالخيل والرِّجال<sup>(١)</sup>، ونبدأ بمن هناك من قتلة عثمان، فاتفق الرّأي على ذلك.

وسار النَّاس قاصدين البصرة، وكان الذي يصلي بالنَّاس عن أمر عائشة ابن أختها عبدالله بن الزبير<sup>(٢)</sup>، ومروان بن الحكم يؤدِّن للنَّاس في أوقات الصلوات، وقد مروا في مسيرهم ليلاً بماء يُقال له الحَوَّابُ<sup>(٣)</sup>، فنبحتهم كلابٌ عنده، فلمَّا سمعت ذلك عائشة قالت ما اسم هذا الماء؟ قالوا: الحَوَّابُ. فضربت بإحدى يديها على الأخرى وقالت: إنّ الله وإنّا إليه راجعون، ما أظنني إلا راجعة، قالوا: ولم؟ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لنسائه: «ليت شعري أيتكن التي تنبّحها كلابُ الحَوَّابِ»، ثمّ ضربت عضدَ بغيرها فأناخته، وقالت: ردُّوني، ردُّوني، أنا والله صاحبةُ ماءِ الحَوَّابِ، وقد أوردنا هذا الحديث بطرقه وألفاظه في دلائل النبوة<sup>(٤)</sup>. فأناخ النَّاسُ حولها يوماً وليلة، وقال لها عبدالله بن الزبير: إنّ

(١) هذا من الألفاظ المنكرة في النص، لأنهم إنما خرجوا للإصلاح واختاروا البصرة لقربها من مركز الأحداث.

(٢) وفي رواية سيف بن عمر عند الطبري (٤٥٤/٤) أنّ الذي يصلي بهم عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد، والتي ذكرها المصنّف هي رواية عمر بن شبة انظر: تاريخ الطبري (٤٥٥/٤).

(٣) الحوَّاب: معناه الوادي الواسع، وهو من المياه في طريق البصرة في ديار بني عامر ابن كلاب، به حصن لعبدالعزيز بن زرارة الكلبي (معجم البلدان: ٣١٤/٢).

(٤) البداية والنهاية (١٨٦/٩)، وهو في مسند الإمام أحمد (٥٢/٦ و ٩٧). وقال ابن كثير: «هذا إسنادٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ثمّ ذكر له طريقاً أُخرى عند البزار، انظر: كشف الأستار (٩٤/٤). وقال الهيثمي في مجمع =

الذي أخبرك أنَّ هذا الماء ماء الحوَّاب قد كذب<sup>(١)</sup>. فارتحلوا نحو البصرة، فلمَّا اقتربت من البصرة كتبت إلى الأحنف بن قيس وغيره من رؤوس النَّاس، أنَّها قد قدمت. فبعث عثمان بن حنيف؛ عمران بن حصين وأبا الأسود الدُّولي إليها ليعلما ما جاءت له، فلما قدما عليها سلَّما عليها واستعلَّما منها ما جاءت له، فذكرت لهما أنَّ الَّذي جاءت له هو القيام بطلب دم عثمان؛ لأنَّه قُتِلَ مظلومًا في شهر حرام وبلدٍ حرام. وتلت قوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

فخرجنا من عندها فجاءنا إلى طلحة فقالا له: ما أقدمك؟ فقال: الطلب بدم عثمان، فقالا: أما بايعت عليًّا؟ قال: بلى والسيف على عنقي، ولا أستقبله<sup>(٢)</sup> إنَّ هو لم يُخَلِّ بيننا وبين قتلة عثمان. فذهبا إلى الزبير فقال مثل ذلك. قال: فرجع عمران وأبو الأسود إلى عثمان بن حنيف فأخبراه. فقال عثمان بن حنيف: «إنا لله وإنا إليه راجعون، دارت

= الزوائد (٧/ ٢٣٤): رواه البرَّار ورجاله ثقات.

(١) هكذا قال. والذي في تاريخ الطبري (٤/ ٤٥٧)، فجاءها ابن الزبير فقال: النجاء النجاء، فقد أدرككم والله علي. والرَّواية من طريق سيف عن شيوخه، وهذه الألفاظ منكورة والَّذي في المسند: قال لها بعض من كان معها: بل تقدمين فبراك المسلمين، وفي الرَّواية الأخرى في المسند: قال لها الزبير. وهي روايات صحيحة والله الحمد.

(٢) تصحفت في المطبوعة إلى: ولا أستقبله بالياء الموحدة بعد القاف، وهو تحريف، وفي الخبر ألفاظ منكورة وهي الزعم بأنَّ طلحة والزبير بايعا مكرهين، وهذا خلاف الواقع كما سبق بيانه.



رحا الإسلام وربّ الكعبة<sup>(١)</sup>، فانظروا بأي زيفان نزيّف. فقال عمران: إي والله لتعزكنكم عركاً طويلاً. ثم قال عثمان بن حنيف لعمران بن حصين: أشر عليّ، فقال: اعتزل فإني قاعدٌ في منزلي، أو قال قاعدٌ على بعيري<sup>(٢)</sup>.

فقال عثمان: بل أمنعهم حتى يأتي أمير المؤمنين، فنادى في الناس يأمرهم بلبس السلاح والاجتماع في المسجد، فاجتمعوا فأمرهم بالتجهز.

فقام رجلٌ وعثمان بن حنيف على المنبر فقال: يا أيها الناس إن كان هؤلاء القوم جاؤا خائفين فقد جاؤا من بلدٍ يأمن فيها الطير؛ وإن كانوا جاؤا يطلبون بدم عثمان فما نحن بقتلته؛ فأطيعوني وردوهم من حيث جاؤا.

فقام الأسود بن سريّ السّعدي<sup>(٣)</sup> فقال: إنّما جاؤا يستعينون بنا على قتلة عثمان ممّا ومن غيرنا. فحصبه الناس، فعلم عثمان بن حنيف أنّ لقتلة عثمان بالبصرة أنصاراً، فكسره ذلك. وقدمت أم المؤمنين بمن

(١) يشير إلى حديث ابن مسعود مرفوعاً: «تدور رحا الإسلام لخمسين وثلاثين أو ست وثلاثين...» الحديث، أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الفتن والملاحم حديث رقم (٤٢٥٤)، وأحمد في المسند (٣٩٣/١)، والحاكم في المستدرک (٥٢١/٤)، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وقد صحّحه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٩٧٦) وذكر طرقه.

(٢) كناية عن الخروج عن موطن الفتنة.

(٣) انظر ترجمته في الإصابة (٧٤/١).

معها من النَّاسِ، فنزلوا المِرْبَدَ<sup>(١)</sup> من أعلاه قريبًا من البصرة، وخرج إليها من أهل البصرة من أراد أن يكون معها، وخرج عثمان بن حنيف بالجيش فاجتمعوا بالمِرْبَدِ، فتكلم طلحة - وكان على الميمنة - فندب إلى الأخذ بثأر عثمان، والطلبِ بدمه، وتابعه الزبير فتكلم بمثل مقالته فردَّ عليهما ناسٌ من جيش عثمان بن حنيف، فتشاور طوائف من أطراف الجيشين فتراموا بالحجارة، ثمَّ تحاجز النَّاسُ، ورجع كل فريقٍ إلى حوزته، وقد صارت طائفة من جيش عثمان بن حنيف إلى جيش عائشة، فكثروا.

وجاء جارية بن قدامة السعدي<sup>(٢)</sup> فقال: يا أمَّ المؤمنين! والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل عرضة للسلاح، إن كنتِ أتيئتنا طائفة فارجعي من حيث جئت إلى منزلك، وإن كنتِ أتيئتنا مكرهة فاستعيني بالنَّاسِ في الرجوع.

### وقوع القتال بينهم وبين والي عليّ على البصرة

كان حُكَيْمُ بن جَبَلَةَ<sup>(٣)</sup> - على خيل عثمان بن حنيف فأنشب القتال، وجعل أصحابُ أم المؤمنين يكفون أيديهم ويمتنعون من القتال، وجعل حُكَيْمُ يقتحم عليهم، فاقتتلوا على فم السَّكَّةِ، وأمرت

(١) المربرد: محلة عظيمة من محال البصرة، كانت سوقًا للإبل، وبه كانت مناظرات الشعراء ومجالس الخطباء، معجم البلدان (٩٨/٥).

(٢) في الأصل المطبوع حارثة والتصحيح من تاريخ الطبري (٤٦٥/٤)، وانظر ترجمة جارية بن قدامة في الإصابة (٤٤٥/١).

(٣) ترجمه ابن حجر في الإصابة (١٧٨/٢) في القسم الثالث وهو فيمن أدرك النبي ﷺ ولم يره، ونقل عن ابن عبد البر قوله: ولا أعلم له رواية ولا خبرًا يدل على صحبته.

عائشة أصحابها فتيامنوا حتى انتهوا إلى مقبرة بني مازن، وحجز الليل بينهم، فلما كان اليوم الثاني قصدوا للقتال، فاقتتلوا قتالاً شديداً، إلى أن زال النهار، وقُتِل خلق كثير من أصحاب ابن حُنيف، وكثرت الجراح في الفريقين، فلما عضتْهم الحرب تداعوا إلى الصلح، غير أن جماعة ممن شارك في قتل عثمان وأنصارهم، قد ركبوا في جيش قريب من ثلاثمائة، ومقدمهم حُكيم بن جبلة - وهو أحد من باشر قتل عثمان - فبارزوا وقاتلوا، فَضْرَبَ رَجُلٌ رَجُلَ حُكَيْمِ بْنِ جَبَلَةَ فَقَطَعَهَا، فَزَحَفَ حَتَّى أَخَذَهَا وَضَرَبَ بِهَا ضَارِبَهُ فَقَتَلَهُ، وَمَاتَ حُكَيْمٌ قَتِيلًا هُوَ وَنَحْوُ مِنْ سَبْعِينَ مِنْ قَتَلَهُ عِثْمَانَ وَأَنْصَارَهُمْ، وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْوَقْعَةُ لِخَمْسِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ سِتِّ وَثَلَاثِينَ وَتَسْمَى مَوْقِعَةَ الْجَمَلِ الصَّغْرَى<sup>(١)</sup>.

### مَسِيرُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْعِرَاقِ:

كان علي - رضي الله عنه - قد تجهز قاصداً الشام، فلما بلغه قصد طلحة والزبير البصرة، خطب الناس وحثهم على المسير إلى العراق فتناقل عنه أكثر أهل المدينة، واستجاب له بعضهم. وذكر ابن جرير وغيره: أن ممن استجاب له من كبار الصحابة أبو الهيثم بن التيهان، وأبوقتادة الأنصاري، وزياد بن حنظلة، وخزيمة بن ثابت. قالوا: وليس بذي الشهادتين، ذلك مات في زمن عثمان - رضي الله عنه -<sup>(٢)</sup>.

(١) من أوّل الموضوع إلى هنا ملخص لما ذكره الطبري من عدة روايات عن سيف، وعن أبي مخنف، وابن شبة، وغيرهم ٤/٤٦١ - ٤٧٧).

(٢) استدرك الخطيب البغدادي على ذلك في كتابه الموضح لأوهام الجمع والتفريق =

وسار علي من المدينة إلى الرَبذة<sup>(١)</sup> واستخلف على المدينة تَمَام ابن عبَّاس، وعلى مَكَّة قُثم بن عبَّاس، وذلك في آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين، وخرج علي من المدينة في نحو من تسعمائة مقاتل.

وقد لقي عبدالله بن سَلَام - رضي الله عنه - عليًا وهو بالرَبذة، فأخذ بعنان فرسه وقال: يا أمير المؤمنين! لا تخرج منها، فوالله لئن خرجت منها لا ترجع إليها ولا يعود إليها سلطان المسلمین أبدًا، فسبَّه بعض النَّاس، فقال علي: دعوه فنعم الرجل من أصحاب النَّبي ﷺ<sup>(٢)</sup>.

وجاء الحسن بن علي إلى أبيه فقال: لقد نهيتك فعصيتني، تُقْتَلُ غدًا بمضيعة لا ناصر لك. فقال له عَلِيٌّ: إنَّك لا تزال تخن عليَّ خنين الجارية، وما الذي نهيتني عنه فعصيتك؟ فقال: ألم أمرك قبل مقتل عثمان أن تخرج منها لئلا يقتل وأنت بها فيقول قائل أو يتحدث متحدث؟ ألم أمرك ألا تباع النَّاس بعد قتل عثمان حتَّى يبعث إليك أهل

(١/٢٧٥) بقوله: هذا خطأ لا مربة فيه وذلك أنَّ خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين شهد مع علي صفين، أجمع علماء السير على ذلك، وليس سيف بن عمر حجَّة فيما يرويه إذا خالف ذلك قول أهل العلم، ثمَّ ساق الأدلة المثبتة لقوله. وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة (٢/٢٨٠): لا ذنب لسيف، بل الآفة من شيخة، وانظر ترجمة خزيمة في الطبقات الكبرى (٤/٣٧٨).

(١) من منازل طريق الحاج العراقي، وقد سكنها أبوذر الغفاري - رضي الله عنه - ومات بها سنة: ٣٢هـ، وهي تقع إلى شرقي المدينة على مسافة مائة ميل تقريبًا، معجم البلدان (٢/٢٤) وكتاب المناسك ص (٣٣٠).

(٢) ذكره الطبري (٤/٤٥٥) من طريق سيف بن عمر عن شيوخه وله شاهدٌ أخرجه أبويعلى والبزار، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/١٣٨): رجال أبي يعلى رجال الصحيح غير إسحاق بن أبي إسرائيل وهو ثقة مأمون.

كل مضر يبيعتهم؟ وأمرتك حين خَرَجْتَ هذه المرأة وهذان الرجلان أن تجلسن في بيتك حتَّى يصطلحوا فعصيتني في ذلك كلُّه؟  
فقال له علي: أمّا قولك أن أخرج قبل مقتل عثمان فلقد أحيط بنا كما أحيط به.

وأما مبايعتي قبل مجيء بيعة الأمصار فإن الأمر أمر أهل المدينة وكرهت أن يضيع هذا الأمر.

وأما أن أجلس وقد ذهب هؤلاء إلى ما ذهبوا إليه، فتريدني أن أكون كالضبع التي يُحَاط بها، ويُقال: دَبَاب دَبَاب ليست هاهنا، حتَّى يُحَلَّ عرقوبها فتخرج. فإذا لم أنظر فيما يلزمني من هذا الأمر ويعينني، فمن ينظر فيه؟ فَكُفَّ عَنِّي يَا بَنِي<sup>(١)</sup>.

ولمّا انتهى إليه خبر ما صنع القوم بالبصرة كتب إلى أهل الكوفة مع محمّد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر، إنّي قد اخترتكم على أهل الأمصار، وفزعت إليكم لما حدث، فكونوا لدين الله أعوانًا وأنصارًا، وانهضوا إلينا، فالاصلاح نريد لتعود هذه الأمة إخوانًا. فمضيا، وأرسل إلى المدينة فأخذ ما أراد من سلاح ودواب.

خطبة لعلي رضي الله عنه -:

وقام علي - رضي الله عنه - في الناس خطيبًا فقال: إِنَّ الله أَعَزَّنَا بالإسلام ورفعنا به، وجعلنا به إخوانًا، بعد ذلّةٍ وقلّةٍ وتباغضٍ وتباعُدٍ،

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٤/٤٥٦) من طريق سيف بن عمر وذكر طريقًا أخرى (٤/٤٥٨) وله شاهد في طبقات ابن سعد (ترجمة الحسن) من طريق الواقدي (الطبقة الخامسة من الصحابة (١/٢٧٤)).

فجري النَّاس على ذلك ما شاء الله، الإسلام دينهم، والحق قائمٌ بينهم، والكتاب إمامهم، حتَّى أُصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزعهم الشيطان ليتزغ بين هذه الأُمَّة، ألا وإنَّ هذه الأُمَّة لا بد مفترقة كما افترت الأمم قبلها، فنعوذ بالله من شرِّ ما هو كائنٌ، وإنَّه لا بُدَّ ممَّا هو كائن أن يكون ألا وإنَّ هذه الأُمَّة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، شرها فرقة تتحلني ولا تعمل بعلمي، وقد أدركتم ورأيتم، فالزموا دينكم، واهتدوا بهدي نبيكم، واتبعوا سنته، وأعرضوا عمَّا أشكل عليكم، حتَّى تعرضوه على الكتاب، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه، وارضوا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، وبالقرآن حكَمًا وإمامًا<sup>(١)</sup>.

قالوا: فسار علي من الرَبْذة على تعبته وهو راكب ناقة حمراء يقود فرسًا كميًّا، فلمَّا كان بفيئد<sup>(٢)</sup> جاءه جماعةٌ من أسد وطيء، فعرضوا أنفسهم عليه فقال: في من معي كفاية. وجاء رجلٌ من أهل الكوفة يُقال له عامر بن مطر الشيباني، فقال له علي: ما وراءك؟ فأخبره الخبر، فسأله عن أبي موسى فقال: إن أردت الصلح فأبو موسى صاحبه، وإن أردت القتال فليس بصاحبه، فقال علي: والله ما أريد إلا الصلح ممَّن تمرّد علينا.

فلما انتهى إلى ذي قار<sup>(٣)</sup>، أتاه عثمان بن حنيف والي البصرة،

(١) تاريخ الطبري (٤/٤٧٨).

(٢) فيد: من محطات طريق الحاج العراقي، وهي بلدة عامرة اليوم، وتقع إلى جنوب حائل. (البلادي، معجم المعالم الجغرافية)، ص (٢٣٩).

(٣) ذو قار: ماء لبكر بن وائل، وعنده كانت الوقعة المشهورة بين بكر ومن معها =

وشكاه له حاله، فقال: أصبت خيراً وأجرًا.

وأقام علي بن أبي طالب قار ينتظر جواب ما كتب به مع محمد بن أبي بكر وصاحبه محمد بن جعفر - وكانا قد قدما بكتابه على أبي موسى، وقاما في الناس بأمره فلم يجابا إلى شيء، فلما أمسوا دخل ناس من ذوي الحجبا على أبي موسى يعرضون عليه الطاعة لعلي في النفي. فقال: كان الرأي بالأمس وما بقي إنما هما أمران: القعود سبيل الآخرة، والخروج سبيل الدنيا، فاخترأوا، فلم ينفر أحد. فغضب محمد ومحمد، فأرسل علي الحسن وعمار بن ياسر فانطلقا حتى دخلا المسجد، وخرج أبو موسى فلقى الحسن بن علي فضمه، فقال الحسن بن علي لأبي موسى: لم تثبط الناس عنا؟ فوالله ما أردنا إلا الإصلاح، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء، فقال: صدقت بأبي وأمي، ولكن المستشار مؤتمن، سمعت النبي ﷺ يقول: «إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الراكب»<sup>(١)</sup>. وقد جعلنا الله إخوانًا وحرماً علينا دماءنا وأموالنا. وإن الفتنة إذا أقبلت شبهت، وإذا أدبرت تبينت.

فقام القعقاع بن عمرو فقال: إن الحق ما قاله الأمير<sup>(٢)</sup>؛ ولكن لا بد للناس من أمير يردع الظالم ويُعدي المظلوم، وينتظم به شمل

= من العرب وبين الفرس، وقد انتصر فيه العرب، وكان ذلك يوم مولد رسول الله ﷺ، (معجم البلدان ٤/٢٩٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الفتن، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - . انظر: فتح الباري (١٣/٣٠).

(٢) يقصد أبا موسى الأشعري.

النَّاسَ، وأمير المؤمنين عليُّ بُلي بما وُلِّيَ، وقد أنصف بالدعاء، وإنَّما يريد الإصلاح، فانفروا إليه.

ثُمَّ تراسل النَّاسَ في الكلام فقام عمَّار والحسن بن علي علي المنبر. يدعون النَّاسَ إلى النِّفير إلى أمير المؤمنين، فإنَّه إنَّما يريد الإصلاح بين النَّاسِ. وسمع عمَّار رجلاً يسب عائشة، فقال: اسكت مقبوحاً منبوحاً، والله إنَّها لزوجة رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة؛ ولكن الله ابتلاكُم بها ليعلم أتطيعوه أو إياها. رواه البخاري<sup>(١)</sup>. وقام حجر بن عدي فقال: أيها النَّاسُ، سيروا إلى أمير المؤمنين ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

واستجاب النَّاسُ للنِّفير فخرج مع الحسن تسعة آلاف في البر وفي نهر دجلة، ويُقال سار معه اثني عشر ألف رجل، وقدموا على أمير المؤمنين فتلقَّاهم بذي قار إلى أثناء الطريق في جماعة، منهم ابن عبَّاس فرحَّب بهم وقال: يا أهل الكوفة! أنتم لقيتم ملوك العجم ففضضتم جموعهم، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة، فإن يرجعوا فذاك الذي نريده، وإن أبو داويناهم بالرِّفق حتَّى يبدؤنا بالظلم، ولم ندع أمرًا فيه صلاح إلاَّ آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله تعالى. فاجتمعوا عنده بذي قار، وكان من المشهورين من رؤساء من انضاف إلى علي، القعقاع بن عمرو، وسعر<sup>(٢)</sup> بن مالك، وهند بن عمرو،

(١) صحيح البخاري، كتاب الفتن، حديث رقم (٧١٠٠، ٧١٠١)، انظر فتح الباري (٥٣/١٣).

(٢) في الأصل سعد والتصحيح من تاريخ الطبري (٤/٤٨٨).



والهيثم بن شهاب، وزيد بن صُوحان، والأشتر، وعدي بن حاتم، والمسيب بن نَجَبَة، ويزيد بن قيس، وحُجْر بن عدي وأمثالهم، وكانت عبدالقيس بكمالها بين علي وبين البصرة ينتظرونه وهم ألوف.

السفارة بين علي وطلحة والزبير واتفاقهم على الصلح:

بعث علي القعقاع رسولا إلى طلحة والزبير بالبصرة يدعوهما إلى الألفة والجماعة، ويُعظَّم عليهما الفرقة والاختلاف، فذهب القعقاع إلى البصرة فبدأ بعائشة أم المؤمنين، فقال: أي أمّاه! ما أقدمك هذا البلد؟ فقالت: أي بني! الاصلاح بين الناس، فسألها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا عندها، فحضرا، فقال القعقاع: إنني سألت أم المؤمنين ما أقدمها؟ فقالت: إنّما جئت للإصلاح بين الناس، فقالا: ونحن كذلك. قال: فأخبراني ما وجه هذا الاصلاح؟ وعلى أي شيء يكون؟ فوالله لئن عرفناه لنصطلح، ولئن أنكرناه لا نصطلحن. قالوا: قتلة عثمان، فإنّ هذا إنّ ترك كان تركا للقرآن. فقال: قتلتما قتلته من أهل البصرة، وأنتما قبل قتلهم أقرب منكم إلى الاستقامة منكم اليوم، قتلتم ستمائة رجل، فغضب لهم ستة آلاف فاعتزلوكم، وخرجوا من بين أظهركم، وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف، فإن تركتموهم وقعتم فيما تقولون، وإن قاتلتموهم فأديلوا عليكم كان الذي حذرتم وفرقتم من هذا الأمر أعظم ممّا أراكم تدفعون وتجمعون منه - يعني أنّ الذي تريدونه من قتل قتلة عثمان مصلحة؛ ولكنّه يترتب عليه مفسدة هي أربى منها، وكما أنكم عجزتم عن الأخذ بثأر عثمان من حرقوص بن زهير، لقيام ستة آلاف في منعه ممّن يريد قتله، فعلي أعذر في تركه الآن قتل قتلة عثمان، وإنّما آخر قتل قتلة عثمان إلى أن يتمكن منهم، فإنّ

الكلمة في جميع الأمصار مختلفة عليه .

ثم أعلمهم أن خلقاً من ربيعة ومضر قد اجتمعوا لحربهم بسبب هذا الأمر الذي وقع . فقالت له أم المؤمنين : فماذا تقول أنت؟ قال : أقول إن هذا الأمر الذي وقع دواؤه التسكين ، فإذا سكن اختلجوا ، فإن أنتم وافقتمونا فعلامة خير ، وتباشير رحمة ، وإدراك الثأر ، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه ؛ كانت علامة شر وذهاب هذا الملك ، فأثروا العافية ترزقوها ، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولاً ، ولا تعرضونا للبلاء فتعرضوا له ، فيصرعنا الله وإيّاكم ، وإيم الله إنّي لأقول هذا وأدعوكم إليه ، وإنّي لخائف أن لا يتم هذا حتى يأخذ الله حاجته من هذه الأمة التي قلّ متاعها ، ونزل بها ما نزل ، فإن هذا الأمر الذي قد حدث أمرٌ عظيم ، وليس كقتل الرجل الرجل ، ولا النفر الرجل ، ولا القبيلة الرجل ، فقالوا : قد أصبت وأحسنت فارجع ، فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح الأمر .

قال : فرجع إلى علي فأخبره فأعجبه ذلك .

وأرسلت عائشة إلى علي تُعلمه أنّها إنّما جاءت للصلح . ففرح هؤلاء وهؤلاء ، وقام علي في الناس خطيباً فذكر الجاهلية وشقاءها وأعمالها ، وذكر الإسلام وسعادة أهله بالألفة والجماعة ، وأنّ الله جمعهم بعد نبيه ﷺ على الخليفة أبي بكر الصديق ، ثمّ بعده علي عمر بن الخطاب ، ثمّ علي عثمان ، ثمّ حدث هذا الحدث الذي جرى على الأمة ، أقوام طلبوا الدنيا وحسدوا من أنعم الله عليه بها ، وعلى الفضيلة التي منّ الله بها ، وأرادوا ردّ الإسلام والأشياء على أدبارها ، والله بالغ أمره .

ثمّ قال : ألا إنّي مرتحل غداً فارتحلوا ، ولا يرتحل معي أحدٌ أعان

على قتل عثمان بشيء من أمور الناس .

**خوف قتلة عثمان من الصلح والعمل على إفساده:**

لَمَّا اجتمع الصحابة على الصلح، وسمع المشاركون في قتل عثمان خطبة علي - رضي الله عنه - وكلامه، خافوا على أنفسهم فاجتمع من رؤوسهم جماعة كالأشتر النخعي، وشريح بن أوفى، وعبدالله بن سبأ المعروف بـ«ابن السوداء»، وسالم بن ثعلبة، وعلباء بن الهيثم، وغيرهم في ألفين وخمسمائة، وليس فيهم صحابي، فقالوا: ما الرأي؟ وعليُّ والله أبصر بكتاب الله وهو ممن يطلب قتلة عثمان، وأقربُ إلى العمل بذلك، وقد قال ما سمعتم، غدا يَجْمَعُ عليكم النَّاسَ، وإنَّما يريد القومُ كلُّهم أنتم، فكيف بكم وعددكم قليل في كثرتهم؟ فقال الأشتر: قد عرفنا رأي طلحة والزبير فينا، وأمَّا رأي علي فلم نعرفه إلا اليوم، فإن كان قد اصطلح معهم فإنَّما اصطلحوا على دماننا، فإن كان الأمر هكذا ألحقنا عليًا بعثمان، فتعود فتنة ويرضى القوم منا بالسكوت .

فقال ابن السوداء: بئس ما رأيت، لو قتلناه قُتِلْنَا، فإنَّما يا معشر قتلة عثمان في ألفين وخمسمائة وطلحة والزبير وأصحابُهما في خمسة آلاف، ولا طاقة لكم بهم، وهم إنَّما يريدونكم، فقال علباء بن الهيثم: دعوهم وارجعوا بنا حتَّى نتعلَّق ببعض البلاد فنمتنع بها. فقال ابن السوداء: بئس ما قلت، إذا والله كان يتخطفكم النَّاسُ .

ثمَّ قال ابن السوداء - قَبَّحه الله - يا قوم إنَّ عزَّكم في خلطة النَّاسِ فإذا التقى النَّاسُ فانشبوا الحرب والقتال بين النَّاسِ ولا تدعوهم يجتمعون فمن أنتم معه لا يجد بدءًا من أن يمتنع، ويشغل الله طلحة والزبير ومن معهما عمَّا يحبون، ويأتيهم ما يكرهون. فأبصرُوا الرَّأي

وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون، وأصبح علي مرتحلًا ومرًّا بعبد القيس فساروا معه حتى نزلوا بالزاوية، وسار منها يريد البصرة، وسار طلحة والزبير ومن معهما للقائه، فاجتمعوا عند قصر عبيد الله بن زياد<sup>(١)</sup>، ونزل الناس كلٌّ في ناحية. وقد سبق علي جيشه وهم يتلاحقون به، فمكثوا ثلاثة أيام والرسل بينهم، فكان ذلك للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين.

وقد أشار بعض الناس على طلحة والزبير بانتهاز الفرصة من قتلة عثمان. فقالوا: إنَّ عليًا أشار بتسكين هذا الأمر، وقد بعثنا إليه بالمصالحة على ذلك.

وقام علي في الناس خطيبًا، فقام إليه الأعور بن بنان المنقري، فسأله عن إقدامه على أهل البصرة، فقال: الإصلاح وإطفاء النائرة؛ ليجتمع الناس على الخير، ويلتئم شمل هذه الأمة، قال: فإن لم يجيبونا؟ قال: تركناهم ما تركونا. قال: فإن لم يتركونا؟ قال: دفعناهم عن أنفسنا، قال: فهل لهم في هذا الأمر مثل الذي لنا، قال: نعم.

وقام إليه أبو سلامة الدالاني فقال: هل لهؤلاء القوم من حجة فيما طلبوا من هذا الدم، إن كانوا أرادوا الله في ذلك؟ قال: نعم. قال: فهل لك من حجة في تأخيرك ذلك؟ قال: نعم. قال فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غدًا؟ قال: إنني لأرجو أن لا يقتل منا ومنهم أحد نقي قلبه لله إلا أدخله الله الجنة.

وقال علي في خطبته: أيها الناس أمسكوا عن هؤلاء القوم أيديكم

(١) يقصد المكان الذي بُني فيه قصر ابن زياد أيام ولايته البصرة في العصر الأموي.

وَأَلْسَنَتَكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَسْبِقُونَا، فَإِنَّ الْمَخْصُومَ غَدًا<sup>(١)</sup> مِنْ خُصِمِ الْيَوْمِ.  
 وجاء الأحنف بن قيس في جماعة فانضاف إلى علي. وكان قد بايع عليًا بالمدينة، وذلك أنه قدم المدينة وعثمان محصور فسأل عائشة وطلحة والزبير: إِنْ قُتِلَ عَثْمَانُ مِنْ أَبَايَعِ؟ فَقَالُوا: بَايَعِ عَلِيًّا فَلَمَّا قَتَلَ عَثْمَانَ بَايَعِ عَلِيًّا. قَالَ: ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى قَوْمِي فَجَاءَنِي بَعْدَ ذَلِكَ مَا هُوَ أَفْظَعُ، حَتَّى قَالَ النَّاسُ هَذِهِ عَائِشَةُ جَاءَتْ لِتَأْخُذَ بَدَمِ عَثْمَانَ، فَحَرَّتْ فِي أَمْرِي لِمَنْ أَتْبَعُ، فَمَنْعَنِي اللَّهُ بِحَدِيثِ سَمِعْتَهُ مِنْ أَبِي بَكْرَةَ<sup>(٢)</sup>، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّ الْفَرَسَ قَدْ مَلَكَوْا عَلَيْهِمْ ابْنَةَ كَسْرَى فَقَالَ: «لَنْ يَفْلَحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمْرَهُمْ امْرَأَةٌ» وَأَصْلُ هَذَا الْحَدِيثِ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ<sup>(٣)</sup>.  
 والمقصود أن الأحنف لما انحاز إلى علي ومعه ستة آلاف قوس. فقال لعلي: إِنْ شِئْتَ قَاتَلْتُ مَعَكَ. وَإِنْ شِئْتَ كَفَفْتُ عَنْكَ عَشْرَةَ آلَافِ سَيْفٍ، فَقَالَ: أَكْفَفْ عَنَّا عَشْرَةَ آلَافِ سَيْفٍ. ثُمَّ بَعَثَ عَلِيٌّ إِلَى طَلْحَةَ وَالزَّبِيرِ يَقُولُ: إِنْ كُنْتُمْ عَلَيَّ مَا فَارَقْتُمْ عَلَيْهِ الْقَعْقَاعَ بْنَ عَمْرٍو فَكَفُّوْا حَتَّى نَنْزَلَ فَنَنْظُرَ فِي هَذَا الْأَمْرِ، فَأَرْسَلَا إِلَيْهِ فِي جَوَابِ رِسَالَتِهِ: إِنَّا عَلَيُّ مَا فَارَقْنَا عَلَيْهِ الْقَعْقَاعَ بْنَ عَمْرٍو مِنَ الصَّلْحِ بَيْنَ النَّاسِ. فَاطْمَأْنَتِ النَّفُوسُ وَسَكَنَتْ، وَاجْتَمَعَ كُلُّ فَرِيقٍ بِأَصْحَابِهِ مِنَ الْجَيْشِينَ، فَلَمَّا أَمْسَوْا بَعَثَ عَلِيٌّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ إِلَيْهِمْ، وَبَعَثُوا إِلَيْهِ مُحَمَّدَ بْنَ طَلْحَةَ السَّجَادَ، وَبَاتَ النَّاسُ بِخَيْرِ لَيْلَةٍ، وَبَاتَ قَتْلُ عَثْمَانَ بَشْرَ لَيْلَةٍ، وَبَاتُوا يَتَشَاوَرُونَ وَأَجْمَعُوا

(١) أي في اليوم الآخر.

(٢) في الأصل: من أبي بكر التصحيح من البخاري (٩٢/٨) كتاب الفتن، باب إذا التقى المسلمین بسيفيهما.

(٣) انظر: صحيح البخاري (٥٣/١٣) من فتح الباري.

على أن يثيروا الحرب من الغلس، فنهضوا من قبل طلوع الفجر وهم قريب من ألفي رجل فانصرف كل فريق إلى قراباتهم فهجموا عليهم بالسيوف، فثارت كل طائفة إلى قومهم ليمنعوهم، وقام الناس من منامهم إلى السلاح. فقالوا: طرَقنا أهل الكوفة ليلاً، بيَّتونا وغدروا بنا. وظنُّوا أن هذا عن ملاء من أصحاب علي، فبلغ الأمر علياً فقال: ماللناس؟ فقالوا: بيَّتنا أهل البصرة، فثار كل فريق إلى سلاحهم ولبسوا اللأمة وركبوا الخيول، ولا يشعر أحد منهم بما وقع الأمر عليه في نفس الأمر<sup>(١)</sup> وكان أمر الله قدرًا مقدورًا.

### وقوع القتال يوم الجمل:

وقامت الحرب على ساق، وتواقف الفريقان وقد اجتمع مع علي عشرون ألفاً، والتفَّ على عائشة ومن معها نحوًا من ثلاثين ألفاً، والسبائية أصحاب ابن السوداء - قبَّحه الله - لا يفترون عن القتل، ومنادي علي يُنادي: ألا كُفِّوا ألا كُفِّوا، فلا يسمع أحد، وجاء كعب بن

(١) هذا النص يدل على أن وقوع القتال بينهما عن غير اختيار وإنما نتيجة لدسياسة ومؤامرة من السبائية وأهل الزيف، وقد ذكر ذلك جمع من العلماء منهم: الباقلاني في التمهيد ص (٢٣٣) والقاضي عبد الجبار في تثبيت دلائل النبوة (١/٢٩٩)، وإمام الحرمين في الغياثي ص (١١٤)، والقاضي أبو بكر بن العربي في العواصم من القواصم ص (١٥٦) وابن حزم في الفصل والملل (٤/١٥٧) وشارح العقيدة الطحاوية ص (٥٤٦)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٦/٤٦٠)، ثم إن القتلة أحسوا باتفاق الأكابر، فأثاروا الفتنة، وبدأوا بالحملة على عسكر طلحة والزبير وقالوا لعلي: إنهم حملوا قبل ذلك، فقاتل كل من هؤلاء وهؤلاء دفعًا عن نفسه، ولم يكن لعلي ولا طلحة والزبير غرض في القتال أصلاً، وإنما كان الشر من قتلة عثمان.

سُور قاضي البصرة فقال: يا أم المؤمنين أدركي النَّاس لعلَّ الله أن يصلح بك بين النَّاس، فجلست في هودجها فوق بعيرها وستروا الهودج بالدروع، وجاءت فوقفت بحيث تنظر إلى النَّاس في معركتهم.

روى الحافظ أبو يعلى الموصلي قال: حدثنا أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الدورقي، حدثنا أبو عاصم، عن عبدالله بن محمد بن عبدالملك بن مسلم الرقاشي، عن جدّه عبدالملك، عن أبي جرو المازني. قال: شهدت عليًا والزبير حين توافقا- يعني يوم الجمل-، فقال له علي: يا زبير، أنشدك الله أسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّكَ تَقَاتِلُنِي وَأَنْتَ ظَالِمٌ؟» قال: نعم، ولم أذكره إلا في موقفي هذا، ثمَّ انصرف. وقد رواه البيهقي<sup>(١)</sup> عن الحاكم من طريق عبدالله بن محمد بن عبدالملك بن مسلم الرقاشي عن جدّه عن أبي جرو المازني عن علي والزبير به.

فرجع الزبير على دابته يشق الصفوف، فعرض له ابنه عبدالله بن الزبير، فقال: مالك؟ فقال: ذكّرني علي حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ، سمعته يقول: «لتقاتلنه وأنت ظالم له» فقال: أوللقتال جئت؟ إنما جئت لتصلح بين النَّاس ويصلح الله بك هذا الأمر، قال: قد حلفت أن لا أقاتله، وقد قيل إنّه إنَّما رجع عن القتال لمّا رأى عمّارًا مع علي وقد سمع رسول الله ﷺ يقول لعمّار: «تقتلك الفئة الباغية»<sup>(٢)</sup>. فخشي أن يقتل عمار في

(١) دلائل النبوة (٤١٥/٦) وقال العقيلي: الأسانيد في هذا لينة، الضعفاء الكبير (٣٠٠/٢).

(٢) الحديث متواتر، نص على ذلك ابن عبدالبر في الاستيعاب (١١٤٠/٣) وانظر نظم المتناثر من الحديث المتواتر لجعفر الحسني الكتاني، ص (١٢٦) حديث رقم (٢٣٧)، وانظر صحيح البخاري (٥٤١/١) مع فتح الباري وصحيح مسلم رقم =

هذا اليوم .

قال ابن كثير: وعندي أنّ الحديث الذي أوردناه إن كان صحيحًا عنه فما رجّعه سواه<sup>(١)</sup> .

### مقتل الزبير وطلحة:

والمقصود أنّ الزبير لمّا رجع يوم الجمل نزل واديًا يُقال له وادي السّباع، فاتبعه رجلٌ يُقال له عمرو بن جرموز، فجاءه وهو نائم فقتله غيلة، وأمّا طلحة فجاءه في المعركة سهمٌ غرّب. فانتظم رجله مع فرسه فجمحت به الفرس فجعل يقول: إليّ عباد الله، إليّ عباد الله، فاتبعه مولى له فأمسكها، فقال له: ويحك، اعدل بي إلى البيوت، وامتلأ خُفّه دمًا فقال لغلامه: اردّني. وذلك أنّه نزفه الدم وضَعَفَ، فركب الغلام وراءه وجاء به إلى بيت في البصرة فمات فيه، - رضي الله عنه -<sup>(٢)</sup> وقيل مات في ميدان المعركة، وقد وقف عليّ جثته وتوجع لذلك<sup>(٣)</sup> .

= (٢٩١٥ و ٢٩١٦).

(١) الحديث في إسناده كلام، عبد الملك بن مسلم الرقاشي قال عنه البخاري: لم يصح حديثه، تهذيب الكمال (٢/٨٦٣) وقال ابن حجر في التقریب (١/٥٢٣) لين الحديث .

(٢) قال المصنّف: ويُقال رماه به مروان بن الحكم. وقال في ترجمة طلحة: وقد قيل إنّ الذي رماه غيره، وهذا عندي أقرب وإن كان الأوّل مشهورًا.

قلتُ: وقد وردت ثلاث روايات في تاريخ خليفة، ص (١٨٥) تصرّح بأنّ الذي رماه هو مروان بن الحكم ولكنها كلها مرسلة. كما وردت رواية عند ابن أبي شيبة في المصنّف (١٥/٢٥٩). قال: حدّثنا أبو أسامة، قال: حدّثنا إسماعيل بن أبي خالد، قال أخبرنا قيس: قال: رمى مروان يوم الجمل طلحة . . إلخ وهذا إسنادٌ صحيح ورجاله ثقات، والله أعلم.

(٣) انظر: المصنّف لابن أبي شيبة (١٥/٢٦٩) والحاكم في المستدرک (٣/٣٧٢).



## القتال حول الجمل:

وتقدمت عائشة - رضي الله عنه - في هودجها، وناولت كعب بن سور قاضي البصرة مصحفًا وقالت: ادعهم إليه، فلَمَّا تقدَّم كعب بن سور بالمصحف يدعو إليه استقبله مقدمة جيش الكوفيين، وكان عبد الله بن سبأ وأتباعه بين يدي الجيش يقتلون من قدروا عليه من أهل البصرة، لا يتوقفون في أحد، فلَمَّا رأى كعب بن سور رافعًا المصحف رشقوه بنبالهمم رشقة رجل واحد فقتلوه<sup>(١)</sup>، ووصلت النبال إلى هودج أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - فجعلت تنادي: الله، الله، يابني اذكروا يوم الحساب، ورفعت يديها تدعو على أولئك النفر من قتلة عثمان، فضجَّ النَّاسُ معها بالدعاء حتَّى وصلت الضججة إلى علي فقال: ما هذا؟ فقالوا: أمُّ المؤمنين تدعو على قتلة عثمان وأشياعهم. فقال: اللهم العن قتلة عثمان<sup>(٢)</sup>. وجعل أولئك النفر لا يقلعون عن رشق هودجها بالنبال حتَّى بقي مثل القنفذ، وجعلت تحرض النَّاسَ على منعهم وكفهم، فطردوهم حتَّى وصلت الحملة إلى الموضع الذي فيه علي بن أبي طالب، فقال لابنه محمد بن الحنفية: ويحك! تقدم بالرَّاية، فلم يستطع، فأخذها علي من يده فتقدَّم بها، وجعلت الحرب تأخذ وتعطي، فتارة لأهل البصرة، وتارة لأهل الكوفة، وقُتِل خلقٌ كثير، وجمٌّ غفير، ولم تر وقعه أكثر من قطع الأيدي والأرجل فيها من هذه الواقعة، وجعلت عائشة تحرض النَّاسَ على أولئك النفر من قتلة عثمان.

(١) تاريخ خليفة، ص (١٨٥)، وطبقات ابن سعد (٩٢/٧).

(٢) انظر المصنف لابن أبي شيبة (١٥/٢٦٨، ٢٧٧).

وخطام الجمل في يد عميرة بن يثربي، وكان من الشجعان المشهورين، فصمد حتى قتل.

وأحدق أهل النجدات والشجاعة بعائشة، فكان لا يأخذ الرّاية ولا بخطام الجمل إلا شجاع معروف، فَيَقْتُلُ من قصده ثمَّ يُقْتَلُ بعد ذلك، وقد فقا بعضهم عين عدي بن حاتم ذلك اليوم، وقد جرح عبدالله بن الزبير يوم الجمل سبعا وثلاثين جراحة<sup>(١)</sup>، وجرح مروان بن الحكم، ثمَّ جاء رجلٌ فضرب الجمل على قوائمه فعقره وسقط إلى الأرض، ويُقال إنَّ الذي أشار بعقر الجمل علي - رضي الله عنه - وقيل القعقاع بن عمرو، لثلاث تصاب أمُّ المؤمنين، فإنَّها صارت غرضًا للرماة، ولينفصل هذا الموقف الذي قد تفانى فيه النَّاسُ، ولما سقط الجمل إلى الأرض انهزم من حوله، وحُمِلَ هودج عائشة وإنَّه لكالقفذ من السهام، وأمر علي نفرًا أن يحملوا الهودج من بين القتلى، وأمر محمد بن أبي بكر وعمارًا أن يضربا عليها قبة، وجاء إليها أخوها محمد فسألها هل وصل إليك شيء من الجراح، فقالت: لا. وما أنت وذاك يا ابن الخثعمية. وسلمَّ عليها عمار فقال: كيف أنت يا أمِّ؟ فقالت: لست لك بأم. قال: بلى! وإنَّ كرهتِ<sup>(٢)</sup>، وجاء إليها علي بن أبي طالب أمير المؤمنين مُسَلِّمًا فقال: كيف أنت يا أمه؟ قالت: بخير فقال: يغفر الله لك. قالت: ولك.

(١) في ترجمة عبدالله بن الزبير من تاريخ دمشق، ص (٤٢٧) أنه حمل وبه بضع وأربعون طعنة وضربه وقال د/أكرم العمري في عصر الخلافة الراشدة، ص (٤١١) إسناده صحيح.

(٢) من المعلوم أنَّ الإنسان قد يقول في حال الغضب ما لا يقوله بعد ذهاب الغضب فإذا ثبت صدور هذا من أم المؤمنين فهذا وجه تفسيره.

وجاء وجوه النَّاس من الأمراء والأعيان يسلمون على أم المؤمنين - رضي الله عنها - .

فلَمَّا كان الليل دخلت أم المؤمنين البصرة ومعها أخوها محمد بن أبي بكر، فنزلت في دار عبدالله بن خلف الخزاعي وهي أعظم دار بالبصرة .

وقد كان من سنتهم في هذا اليوم أنه لا يُدْفَقُ على جريح، ولا يتبع مُدبر ولا يدخلوا الدور<sup>(١)</sup>، وقد قتل مع هذا خلقٌ كثير، حتَّى جعل علي يقول لابنه الحسن: يا بني ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين سنة<sup>(٢)</sup>. فقال له: يا أبت قد كنتُ أنهاك عن هذا.

قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن قيس بن عبَّاد قال: قال علي يوم الجمل: يا حسن، ليت أباك مات منذ عشرين سنة. فقال له: يا أبة قد كنت أنهاك عن هذا، قال: يا بني إنِّي لم أر أن الأمر يبلغ هذا. وقال مبارك بن فضالة عن الحسن عن أبي بكر: لما اشتدَّ القتال يوم الجمل، ورأى عليُّ الرُّؤوس تندر أخذ علي ابنه الحسن فضمه إلى صدره ثمَّ قال: إنَّا لله يا حسن! أي خير يُرجى بعد هذا؟  
نهاية المعركة:

وأقام علي بظاهر البصرة ثلاثًا وصلَّى على القتلى من الفريقين، ثمَّ جمع ما وجد لأصحاب عائشة في المعسكر وأمر به أن يحمل إلى

(١) أخرج ابن أبي شيبة في المصنف (٢٦٣/١٥) بإسناده عن عبدخير عن علي - رضي الله عنه - أنه قال: يوم الجمل، لا تتبعوا مدبرًا؛ ولا تجهزوا على جريح، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، وانظر: طريقًا أخرى في (٢٦٧/١٥) وثالثه في (٢٨٢/١٥).

(٢) انظر نحوه في: مصنف ابن أبي شيبة (٢٨٨، ٢٨٢/١٥).

مسجد البصرة، فمن عرف شيئاً هو له فليأخذه، إلا سلاحاً كان في الخزائن عليه سمة السلطان، وكان مجموع من قتل يوم الجمل من الفريقين عشرة آلاف<sup>(١)</sup>، خمسة من هؤلاء وخمسة من هؤلاء، رحمهم الله ورضي عن الصحابة منهم. وقد سأل بعض أصحاب علي أن يقسم فيهم أموال أصحاب طلحة والزبير، فأبى عليهم فطعن فيه السبائية وقالوا: كيف تحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا أموالهم؟ فبلغ ذلك علياً. فقال: إياكم يحب أن تصير أم المؤمنين في سهمه؟ فسكت القوم<sup>(٢)</sup>، ولما دخل البصرة فرق في أصحابه أموال بيت المال، فنال كل رجل منهم خمسمائة<sup>(٣)</sup>، وقال: لكم مثلها من الشام في أعطياتكم، فتكلم فيه السبائية أيضاً، ونالوا منه من وراء وراء.

### موقف علي من أهل البصرة:

دخل عليّ البصرة يوم الاثنين الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، فبايعه أهلها على راياتهم، حتى الجرحى والمستأمنة، وجاءه عبدالرحمن بن أبي بكره الثقفي فبايعه فقال له علي: أين المريض؟ - يعني أباه - فقال له: إنه والله مريض يا أمير المؤمنين،

(١) هذا الرقم مبالغ فيه، خاصة إذا علمنا الطبيعة الدفاعية للقتال في هذه المعركة، وتعليمات الخليفة في ترك المدبر وعدم الإجهاز على الجريح، وكذا قصر مدة القتال بعد الظهر إلى غروب الشمس، وقد أورد خليفة بن خياط في تاريخه ص(١٨٧-١٩٠) قائمة بأسماء من قتل يوم الجمل فكانوا قريباً من المائة، ولو فرضنا أن مائة أخرى أو مئتين لم يعرفوا فيكون القتلى في حدود الثلاثمائة. والله أعلم. وانظر: خالد الغيث، استشهاد عثمان وموقعة الجمل ص(٢١٤-٢١٥).

(٢) انظر نحوه في مصنف ابن أبي شيبة (٢٦٣/١٥).

(٣) انظر: المصدر نفسه (٢٦٣/١٥).

وإنه على مسرتك لحريص. فقال: امش أمامي. فمضى إليه فعاده، واعتذر إليه أبوبكرة فعذره، وعرض عليه البصرة فامتنع وقال: ولّ رجلاً من أهلك يَسْكُنُ إليه النَّاسُ، وأشار عليه بابن عبّاس فولّاه علي البصرة، وجعل معه زياد بن أبيه على الخراج وبيت المال، وأمر ابن عبّاس أن يسمع من زياد، وكان زياد معتزلاً فلم يشهد القتال.

ثمّ جاء علي إلى الدّار التي فيها أمّ المؤمنين عائشة، فاستأذن ودخل فسلمّ عليها ورَحَّبَ به، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين إنّ علي الباب رجلين ينالان من عائشة، فأمر القعقاع بن عمرو أن يجلد كل واحد منهما مائة<sup>(١)</sup>، وقد سألت عائشة عمّن قتل معها، ومن قتل من عسكر علي، فجعلت كلما ذكر لها واحد منهم ترَحَّمت عليه ودعت له.

ولمّا أرادت أمّ المؤمنين عائشة الخروج من البصرة بعث إليها علي - رضي الله عنه - بكلّ ما ينبغي من مركب وزادٍ ومتاع وغير ذلك، وأذن لمن نجا ممّن جاء في الجيش معها أن يرجع إلّا أن يحبّ المقام، وسيرّ معها أخاها محمد بن أبي بكر، فلمّا كان اليوم الذي ارتحلت فيه جاء علي فوقف على الباب وحضر النَّاسُ معه، وخرجت من الدّار في الهودج، فودّعت النَّاسَ ودعت لهم، وقالت: يا بنيّ لا يَعْتَبُ بعضنا على بعض، إنّه والله ما كان بيني وبين علي في القِدَمِ إلّا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنّه على معتبتي له لمن الأخيار. فقال علي: صدقت والله ما كان بيني وبينها إلّا ذاك، وإنّها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة.

(١) تاريخ الطبري (٤/٥٤٠) من طريق سيف بن عمر عن شيوخه. وإذا صح هذا فهو من باب التعزير ليردعهما عن ذلك. والله أعلم.

وسار عليٌّ معها مودِّعًا ومشيعًا أميالاً، وكان ذلك يوم السبت مستهل رجب سنة ستٍّ وثلاثين، وقصدت في مسيرها إلى مكة فأقامت بها إلى أن حجَّت في عامها ذلك ثم رجعت إلى المدينة - رضي الله عنها - .  
 هذا ملخَّص ما ذكره أبو جعفر بن جرير<sup>(١)</sup> - رحمه الله - عن أئمة هذا الشأن<sup>(٢)</sup>، وليس فيه ما يذكره أهلُ الأهواءِ من الشيعةِ وغيرهم من الأحاديث المختلقة على الصحابة، والأخبار الموضوعية التي ينقلونها بما فيها، وإذا دعوا إلى الحق الواضح أعرضوا عنه وقالوا: لنا أخبارنا ولكم أخباركم، فنحن حينئذٍ نقول لهم: ﴿سَلِّمُ عَلَيْكُمْ لَا نَبِّغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

(١) تاريخ الطبري (٤/٥٠٦، ٥٤٤).

(٢) قلت: وفي بعض ما ذكره ابن جرير - رحمه الله - نظر، وليس الأمر منه ولكن من الرواة الذين نقل عنهم وأسند إليهم حسب المنهج الذي ارتضاه. وفي بعض ما لخصه المصنّف نظر وألفاظ منكّرة، بعضها نُبّه عليه والبعض الآخر اكتفى بالإشارة إلى إسناده. وقد تركتُ في تهذيبي هذا الألفاظ والأقوال المنكّرة، والحمد لله على توفيقه

## وقعة صفين

### مقدمة:

روى الإمام أحمد عن إسماعيل بن عُلَيَّة عن أيوب عن محمد بن سيرين. أنه قال: «هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشراتُ الألو ف لم يحضرها منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين»<sup>(١)</sup>.  
وقال الإمام أحمد: حدثنا أميَّة بن خالد قال لشعبة: إنَّ أبا شيبة<sup>(٢)</sup> روى عن الحكم، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: شهد صفين من أهل بدر سبعون رجلاً، فقال: كذب أبو شيبة، والله لقد ذاكنا الحكم، في ذلك فما وجدنا شهد صفين من أهل بدر غير خزيمة بن ثابت<sup>(٣)</sup>.

- (١) أخرج عبدالرزاق في المصنف (٣٥٧/١١) نحوه وانظر منهاج السنة (٢٣٦/٦).  
وقال: هذا الإسناد أصح إسناد على وجه الأرض، ومحمد بن سيرين من أروع النَّاس في منطقته، ومراسيله من أصح المراسيل.
- (٢) أبو شيبة: هو إبراهيم بن عثمان العبسي مولا هم الكوفي، أبو شيبة الكبير، قاضي واسط، روى عن خاله الحكم بن عتيبة، وأبي إسحاق السبيعي، وروى عنه شعبة، وجريير بن عبدالحميد، والوليد بن مسلم، قال أحمد ويحيى وأبوداود: ضعيف، وقال البخاري: سكتوا عنه، قال الحافظ في التقریب: متروك الحديث. توفي سنة (١٦٩هـ) تهذيب التهذيب (١/١٤٤)، والتقریب ص (١١٢).
- (٣) منهاج السنة (٢٣٧/٦) وقال: هذا النص يدل على قلَّة من حضرها، وقد قيل إنَّه حضرها سهل بن حنيف، وأبو أيوب، وكلام ابن سيرين مقارب فما يكاد يذكر مائة واحد.
- قلتُ: روى ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٣/١٥) وخليفة بن خياط في التاريخ ص (١٩٦) عن شعبة عن الحكم أنَّ أبا أيوب لم يشهد صفين وإنما شهد مع علي يوم النهروان.

روى ابن بطّة بإسناده عن بكير الأشج أنه قال: أما إن رجلاً من أهل بدرٍ لزموا بيوتهم بعد قتل عثمان فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم<sup>(١)</sup>.  
المراسلة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما:

لما أراد علي - رضي الله عنه - أن يبعث إلى معاوية - رضي الله عنه - يدعوهُ إلى بيعته، قال جرير بن عبدالله: أنا أذهب إليه يأمير المؤمنين. فإنّ بيني وبينه وُدّاً، فأخذ لك منه البيعة فقال الأشر: لا تبعه يأمير المؤمنين فإنّي أخشى أن يكون هواه معه فقال علي: دعه. وبعثه وكتب معه كتاباً إلى معاوية يُعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته، ويخبره بما كان في وقعة الجمل، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه النَّاس، فلمّا انتهى إليه جرير بن عبدالله، أعطاه الكتاب، وطلب معاوية عمرو بن العاص ورؤس أهل الشَّام فاستشارهم، فأبوا أن يبايعوا حتّى يقتل قتلة عثمان، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان، وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه حتّى يقتلهم عن آخرهم فرجع جرير إلى علي فأخبره بما قالوا<sup>(٢)</sup>.

### خروج علي إلى صفين:

وخرج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من الكوفة عازماً على الدخول إلى الشام فعسكر بالبخيلة<sup>(٣)</sup> واستخلف على الكوفة أبا مسعود عقبة بن عمرو البدرى الأنصاري، وكان أشار عليه جماعة بأن يقيم بالكوفة ويبعث الجنود، وأشار عليه آخرون أن يخرج فيهم بنفسه.

(١) انظر: الإبانة لابن بطّة (٥٩٦/٢) تحقيق: د/ رضا نعيان.

(٢) تاريخ الطبري (٥٦١/٤ - ٥٦٢).

(٣) تصغير نخلة، موضع قرب الكوفة على سمت الشَّام. معجم البلدان (٢٧٨/٥).



وبلغ معاوية أن عليًا قد خرج بنفسه فاستشار عمرو بن العاص فقال له: اخرج أنت أيضًا بنفسك، وقام عمرو بن العاص في الناس فقال: إن صناديد أهل الكوفة والبصرة قد تفانوا يوم الجمل، ولم يبق مع علي إلا شردمة قليلة، ممن قتل الخليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، فالله الله في حقكم أن تضيعوه، وفي دم عثمان خليفة الله فلا تطلّوه، وكتب إلى أجناد الشام فحضرُوا، وعقدت الألوية والرايات للأمرء، وتهيا أهل الشام وتأهبوا، وخرجوا إلى نحو الفرات من ناحية صفين. وسار علي - رضي الله عنه - بمن معه من الجنود من النخيلة قاصدًا أرض الشام<sup>(١)</sup>.

وقد بعث علي بين يديه زياد بن النضر الحارثي طليعة في ثمانية آلاف، ومعه شريح بن هانئ، في أربعة آلاف، فساروا في طريق بين يديه غير طريقه، وجاء علي فقطع دجلة من جسر منبج وسارت المقدمتان، فبلغهم أن معاوية قد ركب في أهل الشام ليلقى أمير المؤمنين عليًا، فهموا بلقائه فخافوا من قلة عددهم بالنسبة إليه، فعدلوا عن طريقهم وجاءوا ليعبروا من عانات<sup>(٢)</sup> فمنعهم أهل عانات، فساروا فعبروا من هيت<sup>(٣)</sup> ثم لحقوا عليًا - وقد سبقهم - فقال علي: مقدمتي

- (١) انظر: تاريخ الطبري (٥٦٣/٤) من طريق أبي بكر الهذلي. وهو إخباري ضعيف.  
 (٢) بلد مشهور بين الرقة وهيت وهي مشرفة على الفرات، وبها قلعة حصينة، وتعد من أعمال الجزيرة. معجم البلدان (٧٢/٤).  
 (٣) سُميت بهذا لأنها في هوة من الأرض، والأصل فيها هوت فصارت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، وهي بلدة على الفرات فوق الأنبار، ذات نخيل كثير، وهي مجاورة للبرية. معجم البلدان (٤٢٠/٥).

تأتي من ورائي؟ فاعتذروا إليه بما جرى لهم، فعذرهم ثم قدّمهم أمامه إلى معاوية بعد أن عبر الفرات فتلقّاهم أبو الأعور عمرو بن سفيان السلمي في مقدمة أهل الشام فتواقفوا، ودعاهم زياد بن النضر أميرُ مقدمة أهل العراق إلى البيعة فلم يجيبوه بشيء، فكتب إلى علي بذلك، فبعث إليهم عليُّ الأشترَ النخعي أميرًا، وعلى ميمنته زياد، وعلى ميسرته شريح، وأمره أن لا يتقدّم إليهم بقتال حتّى يبدؤوه بالقتال، ولكن ليدعهم إلى البيعة مرّةً بعد مرّة، فإن امتنعوا فلا يقاتلهم حتّى يقاتلوه، ولا يقربّ منهم قُرب من يريد الحرب، ولا يبعدّ منهم إبعاد من يهاب الرّجال؛ ولكن صابرهم حتّى آتيك فأنا حثيث السير وراءك إن شاء الله. وبعث معه بكتاب الإمارة على المقدمة مع الحارث بن جمهان الجعفي، فلمّا قدم الأشتر على المقدمة امثل ما أمره به علي، فتواقف هو ومقدمة معاوية وعليها أبو الأعور السلمي فلم يزالوا متواقفين يومهم ذلك، فلما كان آخر النهار حمل عليهم أبو الأعور فثبتوا له، واقتتلوا ساعة، ثمّ انصرف أهل الشام عند المساء، فلمّا كان الغد تواقفوا أيضًا وتصابروا فحمل الأشتر، فقتلَ عبدالله بن المنذر التنوخي - وكان من فرسان أهل الشام - قتله رجلٌ من أهل العراق يُقال له ظبيان بن عمارة التميمي، فعند ذلك حمل عليهم أبو الأعور بمن معه، فتقدموا إليهم، وطلب الأشتر من أبي الأعور أن يبارزه فلم يجبه أبو الأعور إلى ذلك، وكأَنه رآه غير كُفء له في ذلك - والله أعلم - ثمّ تحاجز القوم عن القتال عند إقبال الليل من اليوم الثاني. فلمّا كان صباحُ اليوم الثالث أقبل علي - رضي الله عنه - في جيوشه، وجاء معاوية - رضي الله عنه - في جنوده، فتواجه الفريقان وتقابل الجمعان، وذلك بمكان يُقال له: صفين بالقرب

من الفرات شرقي بلاد الشَّام، وذلك في أوائل ذي الحجَّة سنة ست وثلاثين، ثمَّ عدل علي - رضي الله عنه - فارتاد لجيشه منزلاً، وقد كان معاوية سبق بجيشه فنزلوا على مشرعة الماء في أسهل موضع وأفسحه وجاء سرعان أهل العراق ليردوا الماء، فمنعهم أهل الشام، ووقع بينهم مقاتلة بسبب ذلك، وأمد كل طائفة أهلها<sup>(١)</sup>، ثمَّ اصطلحوا على الورود حتَّى صاروا يزدحمون في تلك الشريعة لا يكلم أحدٌ أحدًا، ولا يؤذي إنسانٌ إنسانًا.

وأقام علي يومين لا يكاتب معاوية ولا يكاتبه معاوية، ثمَّ أرسل عليّ وفدًا من قبله إلى معاوية ولم يحصل بينهما اتفاق، وصمَّم معاوية على القيام بطلب دم عثمان الذي قُتل مظلومًا، فعند ذلك نشبت الحرب بينهم، وجعل عليّ يؤمِّر على كلِّ يوم من الحرب أميرًا، وكذلك كان معاوية يبعث على الحرب كل يوم أميرًا، وربما اقتتل النَّاس في اليوم مرَّتين، وذلك في شهر ذي الحجَّة بكماه، فلمَّا انسلخ ذو الحجَّة ودخل المحرم من السنة السابعة والثلاثين تداعى النَّاس للمتاركة، لعلَّ الله أن

(١) لخص ابن كثير فيما يبدو روايات الطبري، وهي من طريق أبي مخنف. ولوقوع القتال على شريعة الماء شاهد عند ابن أبي شيبة في المصنف (٢٩٤/١٥) بإسناد حسن، وهناك رواية أخرى تنفي وقوع القتال أخرجها ابن أبي شيبة (٢٩٢/١٥) ونصها: حدثنا معاوية بن هشام قال حدثنا ابن أبي ذئب عمَّن حدَّته عن علي قال: لمَّا قاتل معاوية سبق إلى الماء فقال: دعوهم، فإنَّ الماء لا يُمنَع، وهذه الرواية فيها من لم يسم. ولكن لها شاهد أخرجها ابن عساكر في ترجمة الأشعث من تاريخ دمشق (٤/٤٥٥ خ) وهي أولى وأقرب إلى الواقع، ويمكن الجمع بينها وبين الرواية المثبتة للقتال، بأنَّ القتال حصل دون علم معاوية ثمَّ لما علم نهاهم عن ذلك.

يصلح بينهم علي أمر يكون فيه حقن دمائهم<sup>(١)</sup>.

ثم لم تزل الرُّسل تتردّد بين علي ومعاوية والنّاس كافّون عن القتال حتّى انسلخ المحرم من هذه السنة ولم يقع بينهم صلح، فأمر علي بن أبي طالب، مرثد بن الحارث الجشمي فنادى أهل الشام عند غروب الشمس: ألا إنّ أمير المؤمنين يقول لكم: إنّي قد استأنتيكم لتراجعوا الحق، وأقمت عليكم الحجّة فلم تجيبوا، وإنّي قد أعذرت إليكم ونبذت إليكم على سواء إنّ الله لا يحب الخائنين. ففزع أهل الشام إلى أمرائهم فأعلموهم بما سمعوا المنادي ينادي به، فنهض عند ذلك معاوية وعمرو فعبّيا الجيش ميمنةً وميسرة، وبات عليّ يعبىء جيشه من ليلته، فجعل علي خيل أهل الكوفة الأشتر النخعي، وعلي رجالتهم عمّار بن ياسر، وعلي خيل أهل البصرة سهل بن حنيف، وعلي رجالتهم قيس بن سعد وهاشم بن عتبة، وعلي قرّائهم مسعر بن فدكي التميمي، وتقدّم علي إلى النّاس أن لا يبدأوا أحدًا بقتال حتّى يبدأهم ويعتدي عليهم، وأنّه لا يُدقّفُ علي جريح، ولا يُتبعُ مُدبّر، ولا يُكشّفُ سترُ امرأة ولا تهان، وإن شتمت أمراء النّاس وصلحاءهم.

وبرز معاوية صبح تلك الليلة وقد جعل علي الميمنة ابن ذي

(١) ذكر المصنّف بعد هذا رواية نقلها عن الطبري من طريق هشام الكلبي عن أبي مخنف، وهي مليئة بالغرائب والمنكرات، ولهذا قال بعد سياقها: وهذا عندي لا يصح عن علي - رضي الله عنه - . البداية والنهاية (١٠/٥٠٢، ٥٠٦)، ثم ذكر رواية أخرى من طريق ابن ديزيل عن عمر بن سعد، وهو شيخ قديم من عتق الشيعة، متروك، كما قال ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (٦/١١٢) وهي مليئة بالغرائب والمبالغات.

الكلاع الحميري، وعلى الميسرة حبيب بن مسلمة الفهري، وعلى المقدمة أبا الأعور السلمي، وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص، وعلى رَجَّالتهم الضحاك بن قيس<sup>(١)</sup>.

قال جابر الجعفي<sup>(٢)</sup> عن أبي جعفر الباقر وزيد بن الحسن وغيرهما قالوا: سار علي إلى الشام في مائة وخمسين ألفاً من أهل العراق، وأقبل معاوية في نحو منهم من أهل الشام. وقال غيرهم: أقبل علي في مائة ألف أو يزيدون، وأقبل معاوية في مائة ألف وثلاثين ألفاً.

وقد تعاقد جماعة من أهل الشام على أن لا يفرّوا فعَقَلُوا أنفسهم بالعمائم، وكان هؤلاء خمسة صفوفٍ ومعهم ستة صفوفٍ آخرين، وكذلك أهل العراق كانوا أحد عشر صفّاً أيضاً فتواقفوا على هذه الصفة أوّل يوم من صفر سنة سبع وثلاثين، وكان ذلك يوم الأربعاء، وكان أمير الحرب على العراقيين الأشتر النخعي، وأمير الحرب يومئذٍ على الشّاميين حبيب بن مسلمة، فاقتتلوا ذلك اليوم قتالاً شديداً ثمّ تراجعوا من آخر يومهم، وقد انتصف بعضهم من بعض وتكافؤوا في القتال.

ثمّ أصبحوا من الغد - يوم الخميس - وأمير حرب أهل العراق هاشم بن عتبة، وأمير الشّاميين يومئذٍ أبو الأعور السلمي، فاقتتلوا قتالاً شديداً، تحمل الخيل على الخيل والرجال على الرجال، ثمّ تراجعوا من آخر يومهم، وقد صبر كل من الفريقين للآخر وتكافؤوا.

(١) انظر: تاريخ الطبري (١١/٥ - ١٢).

(٢) جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي، أبو عبد الله الكوفي، ضعيف، رافضي، مات سنة (١٢٧هـ). انظر التقريب لابن حجر (١/١٢٣)، وانظر الخبر في وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص (١٥٦، ١٥٧).

ثمَّ خرج في اليوم الثالث - وهو يوم الجمعة - عمَّار بن ياسر من ناحية أهل العراق وخرج إليه عمرو بن العاص في الشَّاميين فاقتتل النَّاس قتالاً شديداً وحمل عمَّار على عمرو بن العاص فأزاله عن موقفه، وبارز زيادُ بن النضر الحارثي رجلاً، فلمَّا تواقفا تعارفا، فإذا هما أخوان من أم، فانصرف كل واحدٍ منهما إلى قومه وترك صاحبه، واستمر القتال على هذه الصفة سبعة أيام، وتراجع النَّاس من العشي وقد صبر كل فريقٍ لصاحبه، ولم يغلب أحدٌ أحدًا في هذه الأيام كلها<sup>(١)</sup>.

**مقتل عمَّار بن ياسر رضي الله عنه:**

كان عمار مع علي رضي الله عنه، فقتل في هذه المعركة، قتله أهل الشام وبذلك بان وظهر ما أخبر به الرسول ﷺ من أنه تقتله الفئة الباغية، وبان بذلك أنَّ عليًا مُحقٌّ وأنَّ معاوية باغٍ عليه، وما في ذلك من دلائل النبوة.

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة، عن عمرو بن مرّة، سمعت عبد الله بن سلمة يقول: رأيت عمَّارًا يوم صفين شيخًا كبيرًا آدم طوالًا، أخذ الحربة بيده ويده ترعدُ، فقال: والذي نفسي بيده لقد قاتلت بهذه الرّاية مع رسول الله ﷺ ثلاث مرّات وهذه الرّابعة، والذي نفسي بيده لو ضربونا حتى يبلغوا بنا شعفات هجر، لعرفتُ أنَّ مُصلِحينا على الحق، وأنَّهم على الضّلالة<sup>(٢)</sup>.

(١) ذكر المصنّف تفاصيل أخرى، وخطب منسوبة لعلي من طريق أبي مخنف، ومن طريق عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، وانظر الصفحات (٥١٥ - ٥٢٦ / ١٠).

(٢) المسند (٣١٩ / ٤)، وإسناده صحيح، والقيد الذي ذكره عمَّار «لعرفتُ أنَّ مُصلِحينا على الحق» مهم وهو يُخرج الغوغاء وأصحاب الأهواء. انظر: مرويات أبي =

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة وحجاج، قال حدثني شعبة قال: سمعت قتادة يحدث عن أبي نضرة، قال حجاج: سمعت أبا نضرة، عن قيس بن عباد قال: قلت لعمار بن ياسر: رأيت قتالكم رأيًا رأيتموه، فإن الرأي يخطئ ويصيب، أو عهدًا عهدته إليكم رسول الله ﷺ؟ فقال: ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئًا لم يعهده إلى الناس كافة<sup>(١)</sup>. وقد رواه مسلم<sup>(٢)</sup> من حديث شعبة.

وقال أحمد: حدثنا وكيع، ثنا سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي البختري. قال: قال عمار يوم صفين: ايتوني بشربة لبن، فإن رسول الله ﷺ قال: «آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن»<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن حبيب، عن أبي البختري أن عمارًا أتى بشربة لبن فضحك وقال: إن رسول الله ﷺ قال لي: «إن آخر شراب أشربه لبن حين أموت»<sup>(٤)</sup>.

قال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل: ثنا يحيى، ثنا نصر، ثنا عمرو ابن شمر، عن جابر الجعفي، قال: سمعت الشعبي، عن الأحنف بن قيس قال: ثم حمل عمار بن ياسر عليهم، فحمل عليه ابن جؤن السكوني، وأبو الغادية الفزاري، فأما أبو الغادية فطعنه، وأما ابن جؤن

= مخنف في تاريخ الطبري، ص (٣٦٧).

(١) المصدر السابق (٣١٩/٤).

(٢) صحيح مسلم. كتاب المناقب وصفاتهم، حديث رقم (٢٧٧٩).

(٣) المسند (٣١٩/٤) ودلائل النبوة للبيهقي (٤٢١/٦). وقال الهيثمي في المجمع

(٢٤٣/٧) رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح إلا أنه منقطع.

(٤) المصدر السابق (٣١٩/٤).

فاحتز رأسه<sup>(١)</sup>.

وقال إبراهيم بن الحسين: حدثنا يحيى، ثنا عيسى بن عمر، ثنا هشيم، ثنا العوام بن حوشب، عن الأسود بن مسعود، عن حنظلة بن خويلد قال: بينا أنا عند معاوية إذ جاءه رجلان يختصمان في قتل عمّار، فقال لهما عبدالله بن عمرو: لِيَطْبُ كُلُّ واحدٍ منكما نفسًا لصاحبه بقتل عمّار، فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقتله الفئة الباغية».

فقال معاوية لعمرو: ألا تنهى عنّا مجنونك هذا؟!

ثمّ أقبل معاوية على عبدالله فقال له: فلم تقاتل معنا؟

فقال له: إنّ رسول الله ﷺ أمرني بطاعة والِدِي ما كان حيًّا وأنا معكم ولستُ أُقاتل<sup>(٢)</sup>.

قال ابن ديزيل: حدثنا يحيى، ثنا نصر حدثني حفص بن عمران البرُّجُمِي، حدثني نافع بن عمر الجمحي، عن ابن أبي مليكة، أنّ عبدالله بن عمرو قال لأبيه: لولا أنّ رسول الله ﷺ أمرني بطاعتك ما سرت معك هذا المسير، أما سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمّار بن ياسر:

(١) هذا الخبر ضعيف جدًا، فيه عمرو بن شمر الجعفي أبو عبدالله. قال ابن معين ليس بثقة، وقال أبو حاتم، منكر الحديث جدًا، ضعيف الحديث، لا يشتغل به، تركوه. الجرح والتعديل (٢٣٩/٦). وجابر بن يزيد الجعفي، ضعيف رافضي، كما في التقريب (١٢٣/١). وقد ذكر الطبري (٤١/٥) قتل عمّار ولم يذكر أنّ أحدًا احتز رأسه. وإسناده لا بأس به. وللخبر تكملة ذكرها المصنّف تركتها لما فيها من النكارة الشديدة.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/١٦٤، ٢٠٦) وقال أحمد شاكر إسناده صحيح. انظر طبعة أحمد شاكر، حديث رقم (٦٥٣٨) ورقم (٦٩٢٩).



«تقتلك الفئة الباغية» (١).

قال: وحدثنا يحيى، ثنا عبدالرحمن بن زياد، ثنا هشيم، عن مجالد، عن الشعبي قال: جاء قاتل عمّار يستأذن على معاوية وعنده عمرو فقال: ائذن له وبشره بالنار. فقال الرجل: أو ماتسمع ما يقول عمرو؟ قال معاوية: صدق؟ إنّما قتله الذين جاؤا به (٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية ثنا، الأعمش، عن عبدالرحمن بن زياد، عن عبدالله بن الحارث، قال: إنّني لأسير مع معاوية منصرفه من صفين بينه وبين عمرو بن العاص. فقال عبدالله بن عمرو: يا أبت أما سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمّار: «ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية»؟ قال: فقال عمرو لمعاوية: ألا تسمع ما يقول هذا؟ فقال معاوية: لا يزال يأتينا بهتة بعد هتة، أنحن قتلناه؟ إنّما قتله الذين جاؤا به (٣).

ثمّ رواه أحمد عن أبي نعيم عن سفيان الثوري عن الأعمش به نحوه (٤)، تفرّد به أحمد بهذا السياق من هذا الوجه.

(١) له شاهد في المسند (٨٦/١) سيأتي.

(٢) أخرج أحمد نحوه في مسنده (١٩٩/٤)، بإسناد صحيح.

(٣) المسند (١٦١/٢) و (٢٠٦/٢) من طريق الفضل بن دكين عن سفيان عن الأعمش به وقال أحمد شاكر إسناده صحيح انظر طبعة أحمد شاكر للمسند حديث رقم (٦٤٩٩) و (٦٩٢٦). وأخرجه النسائي في خصائص علي رضي الله عنه. تهذيب خصائص أمير المؤمنين علي ص (٩٢). قال أحمد شاكر في تحقيق المسند (٢١٠/٩): قول النبي ﷺ متواتر لا شك في تواتره عند أهل العلم.

(٤) المصدر السابق (١٦١/٢) وصححه أحمد شاكر حديث رقم (٦٥٠٠).

وهذا التأويل الذي سلكه معاوية رضي الله عنه بعيد، ثم لم ينفرد  
عبدالله بن عمرو بهذا الحديث بل قد روي من وجوهٍ أخرى<sup>(١)</sup>.

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة، عن خالد،  
عن عكرمة، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال لعَمَّار:  
«تقتلك الفئة الباغية»<sup>(٢)</sup>.

وقد روى البخاري في صحيحه من حديث عبدالعزیز بن المختار  
وعبدالوهاب الثقفي عن خالد الحذاء عن عكرمة عن أبي سعيد في قصة  
بناء المسجد أن رسول الله ﷺ قال لعَمَّار: «ياويح عَمَّار يدعوهم<sup>(٣)</sup> إلى  
الجنة ويدعوونه إلى النار». قال يقول عَمَّار: أعوذ بالله من الفتن<sup>(٤)</sup>.

وفي بعض نسخ البخاري: ياويح عَمَّار تقتله الفئة الباغية يدعوهم

(١) انظر: البخاري رقم: (٤٤٧، ٢٨١٢) ومسلم برقم: (٢٩١٥، ٢٩١٦).

(٢) المسند (٢٢/٣، ٢٨).

(٣) قال الحافظ في فتح الباري (١/٥٤٢) أعاد الضمير في قوله: يدعوهم إلى غير  
مذكور، والمراد قتلته كما ثبت من وجه آخر: تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلخ.  
فإن قيل كان قتله بصفين وهو مع علي، والذين قتلوه مع معاوية وكان معه جماعة  
من الصحابة، فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار؟ فالجواب أنهم كانوا ظانين  
أنهم يدعون إلى الجنة، وهم مجتهدون لا لوم عليهم في اتباع ظنونهم، والمراد  
بالدعاء إلى الجنة، الدعاء إلى سبيلها، وهو طاعة الإمام، وكذلك كان عمار  
يدعوهم إلى طاعة علي وهو الإمام الواجب الطاعة إذ ذاك، وكانوا هم يدعون إلى  
خلاف ذلك لكنهم معذورون للتأويل الذي ظهر لهم.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب التعاون على بناء المساجد من طريق

عبدالعزیز بن المختار ومن طريق عبدالوهاب الثقفي في كتاب الجهاد باب مسح  
الغبار عن الرأس في سبيل الله. وانظر المسند (٣/٩٠، ٩١).

إلى الجنة ويدعونه إلى النار»<sup>(١)</sup>.

وقال أحمد: حدّثنا سليمان بن داود، ثنا شعبة عن عمرو بن دينار، عن هشام، عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله ﷺ قال لعَمَّار: «تقتلك الفئة الباغية»<sup>(٢)</sup>.

وروى مسلم من حديث أبي سعيد قال: حدثني من هو خيرٌ مني - يعني أبا قتادة - أنّ رسول الله ﷺ قال لعَمَّار: «تقتلك الفئة الباغية»<sup>(٣)</sup>.

ورواه عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن ابن عليّة، عن ابن عون، عن الحسن، عن أمه، عن أم سلمة، به<sup>(٤)</sup>. وفي رواية: وقاتله في النار<sup>(٥)</sup>.

وروى البيهقي عن الحاكم وغيره، عن الاصم، عن أبي بكر محمد بن إسحاق الصنعاني، عن أبي الجوّاب، عن عمّار بن زريق، عن عمّار الدّهني، عن سالم بن أبي الجعد، عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعَمَّار: «إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع

(١) نبه الحافظ ابن حجر في الفتح (٥٤٢/١) على أنّ قوله: تقتله الفئة الباغية، ليست في أصل الصحيح. وتعمّد البخاري حذفها لنكتة خفية وهي أنّ أبا سعيد الخدري اعترف أنّه لم يسمع هذه الزيادة من النبي ﷺ، فدلّ على أنّها في هذه الرواية مدرجة، والرواية التي بينت ذلك ليست على شرطه. وقد سبقه إلى التنبه على ذلك. المزي في تحفة الأشراف (٤٢٧/٣).

(٢) المسند (٢٨/٣).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفتن، حديث رقم (٢٩١٥).

(٤) المصدر نفسه حديث رقم: (٢٩١٦).

(٥) هذه الرواية ليست في صحيح مسلم بل نبه الحافظ ابن كثير كما سيأتي قريباً أنّ مثل هذه الزيادة لم تثبت.

الحق»<sup>(١)</sup>.

وقال أحمد: ثنا ابن أبي عدي، عن داود، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: أمرنا رسول الله ﷺ ببناء المسجد فجعلنا ننقل لبنة لبنة، وكان عمّار ينقل لبنتين لبنتين، فترّب رأسه قال: فحدثني أصحابي ولم أسمع من رسول الله ﷺ أنه جعل ينفض رأسه ويقول: «ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية»<sup>(٢)</sup> تفرّد به أحمد.

وما زاده بعض الرواة في هذا الحديث بعد قوله الباغية: «لا أنا لله شفاعتي يوم القيامة» كذب وبهت على رسول الله ﷺ، فإنه قد ثبت الأحاديث عنه صلوات الله وسلامه عليه بتسمية الفريقين مسلمين<sup>(٣)</sup>، كما سنورده إن شاء الله.

قال ابن جرير: لما قتل عمّار حَمَل عليّ وحملوا معه حملة رجل واحد، فلم يبق لأهل الشّام صف إلا انتقض وقتلوا كل من انتهوا إليه<sup>(٤)</sup>.

ثمّ قدّم علي ابنه محمداً في عصابة كثيرة من النّاس، فقاتلوا قتالاً شديداً، ثمّ تبعه علي في عصابة أخرى، فحمل بهم فقتل في هذا الموطن خلق كثير من الفريقين لا يعلمهم إلا الله، وطارت أكف

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤٢٢/٦).

(٢) المسند (٥/٣) وإسناده صحيح.

(٣) يقول الإمام النووي: الروايات عن النبي ﷺ صريحة في أنّ عليّاً - رضي الله عنه - كان هو المصيب المحق، والطائفة الأخرى أصحاب معاوية كانوا بغاة متأولين، وفيها التصريح بأنّ أصحاب الطائفتين مؤمنون لا يخرجون بالقتال عن الإيمان ولا يفسقون، شرح صحيح مسلم (١٦٨/٧).

(٤) تاريخ الطبري (٤١/٥).

ومعاصم ورؤوس عن كواهلها، - رحمهم الله - . ثم حانت صلاة المغرب فما صَلَّى النَّاسُ إِلَّا إيماءً صَلَاتِي العشاء، واستمر القتال في هذه الليلة كُلِّهَا .

فذكر غير واحدٍ من علماء السير<sup>(١)</sup> أَنَّهُم اقتتلوا بالرَّماح حَتَّى تَقْصَفَتْ، وبالنُّبال حَتَّى نَفَذَتْ، وبالسيف حَتَّى تَحْطَمَتْ، ثُمَّ صَارُوا إِلَى أَنْ تَقَاتَلُوا بِالْأَيْدِي، والرَّمْيِ بالحجارة، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون .

قال عبدالرحمن بن زياد بن أنعم - وذكر أهل صفين - : كانوا عَرَبًا يعرف بعضهم بعضًا في الجاهلية، فالتقوا في الإسلام، فتصابروا واستحيوا من الفرار، وكانوا إذا تحاجزوا دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء، وهؤلاء في عسكر هؤلاء، فيستخرجون قتلاهم فيدفنوهم .

قال الشعبي : هم أهل الجنة، لقي بعضهم بعضًا فلم يفر أحدٌ من أحد .

#### ارسال أهل الشام بمصحف والدعوة إلى تحكيمه:

قال الإمام أحمد: حدثنا يعلى بن عبيد، عن عبدالعزیز بن سياه، عن حبيب بن أبي ثابت، قال أتيت أبا وائل في مسجد أهله أسأله عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي بالنهروان، فيما استجابوا له وفيما فارقوه، وفيم استحل قتالهم؟ فقال: كنا بصفين فلما استحر القتلُ بأهل الشَّام اعتصموا بتل، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: أرسل إلى عليٍّ بمصحف فادعه إلى كتاب الله فإنه لن يأبى عليك، فجاء به رجل فقال: بيننا وبينكم كتاب الله ﴿ أَلَزَّتْ رِجَالِي إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ

(١) المصدر نفسه (٥/٤٧) والمنتظم (٥/١٢٠).

كَيْتَبِ اللَّهُ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١٣﴾ [آل عمران: ٢٣].  
فقال علي: نعم، أنا أولى بذلك بيننا وبينكم كتاب الله. قال: فجاءته الخوارج - ونحن ندعوهم يومئذ القراء - وسيوفهم على عواتقهم، فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما تنتظر بهؤلاء القوم الذين على التل، ألا نمشي إليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم؟ فتكلم سهل بن حنيف فقال: يا أيها الناس اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية - يعني يوم الصلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين - ولو نرى قتالاً لقاتلنا، فجاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ وذكر تمام الحديث<sup>(١)</sup>. أي قصة الحديبية.

فلما دعا أهل الشام إلى تحكيم كتاب الله، قال أهل العراق: نجيب إلى كتاب الله وننيب إليه<sup>(٢)</sup>.

وكان ممن دعا إلى المصالحة من سادات الشاميين عبدالله بن عمرو بن العاص، قام في أهل العراق فدعاهم إلى المoadعة والكف وترك القتال والإثمار بما في القرآن، وذلك عن أمر معاوية بذلك رضي الله عنهما، وكان ممن أشار على علي بالقبول والدخول في ذلك الأشعث ابن قيس الكندي رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>.

(١) المسند (٤٨٥/٣) وهو في صحيح البخاري بالاسناد نفسه؛ لكنّه اختصره؛ (كتاب

التفسير، باب إذ يبايعونك تحت الشجرة. وانظر فتح الباري (٥٨٧/٨).

(٢) ذكر المصنّف هنا (٥٤٥/١٠) رواية منكرة عن أبي مخنف أعرضت عن ذكرها.

(٣) ذكر المصنّف (٥٤٧/١٠) بعد هذا رواية من طريق أبي مخنف مخالفة لما رواه

الثقات من قبول علي للتحكيم ورضاه به والاستجابة لدعاء أهل الشام عندما طلبوا

ذلك، كما في حديث أحمد المتقدم.

ورغب أكثر النَّاس من العراقيين وأهل الشَّام بكمالهم إلى المصالحة والمسالمة مدَّة، لعلَّه يتفق أمر يكون فيه حقنٌ لدماء المسلمين، فإنَّ النَّاس تَفَانُوا في هذا القتال، ولا سيما في الثلاثة الأيام المتأخرة التي آخر أمرها ليلة الجمعة وهي التي سميت ليلة الهيرير.

وكل من الجيشين فيه من الشجاعة والصبر ما ليس يوجد في الدنيا مثله، ولهذا لم يفر أحدٌ من أحد، بل صبروا حتَّى قُتِل من الفريقين خلق كثير.

هذا كله ملخص من كلام ابن جرير، وابن الجوزي في كتابه المنتظم<sup>(١)</sup>.

وقد روى البيهقي من طريق يعقوب بن سفيان، عن أبي اليمان، عن صفوان بن عمرو قال: كان أهل الشَّام ستِّين ألفًا، فقتل منهم عشرون ألفًا، وكان أهل العراق مائةً وعشرين ألفًا، فقتل منهم أربعون ألفًا<sup>(٢)</sup>.

وحمل البيهقي هذه الواقعة على الحديث الَّذي أخرجاه في الصحيحين من طريق عبدالرزاق، عن معمر، عن همام بن منبّه، عن أبي هريرة<sup>(٣)</sup>، ورواه البخاري من حديث شعيب، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة<sup>(٤)</sup>، ومن حديث شعيب، عن أبي الزناد، عن

(١) تاريخ الطبري (١٠/٥٤٣ - ٥٥٠) والمنتظم (٥/١١٧، ١٢٣).

(٢) دلائل النبوة (٦/٤١٩). وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٦/٦١٦) المراد بهما من كان مع علي ومعاوية لما تحاربا بصفين.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام. انظر فتح الباري (٦/٦١٦) حديث رقم (٣٦٠٩) وصحيح مسلم، كتاب الفتن، حديث رقم (١٥٧).

(٤) صحيح البخاري، الموطن السَّابق، حديث رقم (٣٦٠٨).

الأعرج، عن أبي هريرة<sup>(١)</sup>، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يُقتلُ بينهما مقتلةٌ عظيمةٌ ودعواهما واحدة».

وقد روى الإمام أحمد، عن ابن مهدي وإسحاق، عن سفيان الثوري، عن منصور، عن ربعي بن حراش، عن البراء بن ناجية الكاهلي، عن ابن مسعود. قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ رحى الإسلام ستدور بخمس وثلاثين أو ست وثلاثين، فإن يهلكوا فسبيل من هلك، وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عامًا. فقال: عمر يارسول الله أممًا مضى أم ممًا بقي؟ قال: بل مما بقي»<sup>(٢)</sup>.

#### الاتفاق على التحكيم:

ثم تراوض الفريقان بعد مكاتبات ومراجعات على التحكيم، وهو أن يُحكَّم كلُّ واحدٍ من الأميرين - علي ومعاوية - رجلًا من جهته، ثم يتفق الحكمان على ما فيه مصلحة للمسلمين. فوكلَّ معاوية عمرو بن العاص، وأراد علي أن يوكلَّ عبدالله بن عباس ولكنه منعه القراء، وقالوا: لا نرضى

(١) المصدر السابق، كتاب استتابة المرتدين (٨٨)، باب (٨)، وكتاب الفتن (٩٢) باب (٢٥).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٩٣/١) و (٣٩٥/١) عن حجاج عن سفيان به و (٣٩٠/١) من طريق القاسم بن عبدالرحمن عن أبيه عن جدّه عبدالله بن مسعود به. وصحح العلامة أحمد شاكر كل هذه الطرق. انظر الأحاديث رقم (٣٧٠٧)، (٣٧٣٠)، (٣٧٣١)، (٧٥٨)، والطيالسي في مسنده، ص (٥٠) من طريق شيبان عن منصور عن ربعي حراش به. وأبوداود في سننه، كتاب الفتن (٤/٤٥٣) حديث رقم (٤٢٥٤) من طريق سفيان الثوري. وأخرجه الحاكم في المستدرک (٤/٥٢١) من طريق أبي داود الطيالسي عن شيبان به، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.



إلا بأبي موسى الأشعري<sup>(١)</sup>، وكتبوا بينهم كتاباً هذه صورته: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، قاضى علي على أهل العراق ومن معهم من شيعتهم والمسلمين، وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معه من المؤمنين والمسلمين، إننا ننزل عند حكم الله وكتابه، ونحیی ما أحيا الله، ونمیت ما أمات الله، فما وجد الحكمان في كتاب الله - وهما أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص - عملا به، وما لم يجدا في كتاب الله، فالسنة العادلة الجامعة غير المفارقة».

ثم أخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين العهود والمواثيق أنهما آمان على أنفسهما وأهلهما، والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه ويتفقان، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كليهما عهد الله وميثاقه أنهم على ما في هذه الصحيفة، وأجل - أي وقت - القضاء إلى رمضان، وإن أحببنا أن يؤخرا ذلك أخرناه على تراضٍ منهما، وكتب في يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين، على أن يوافي علي ومعاوية موضع الحكمين بدومة الجندل<sup>(٢)</sup> في رمضان، ومع كل واحدٍ من الحكمين أربعمئة من أصحابه. فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح<sup>(٣)</sup>، وشهد على الكتاب

(١) لم يثبت في ذلك رواية صحيحة، واختيار أبي موسى للتحكيم لمميزات فيه؛ منها: علمه، وممارسته للقضاء، واعتزاله للفتنة ممّا يجعله قادراً على الفصل في القضية. والصواب أنه لم يكن مفروضاً على علي؛ لأنّ القراء كانوا معارضين أصلاً للتحكيم واستمروا في المعارضة بعد ذلك.

(٢) دومة الجندل، بلدة معروفة بمنطقة الجوف شمال المملكة العربية السعودية.

(٣) أذرح: من قرى الأردن اليوم.

عشرة من جيش علي ، وعشرة من جيش معاوية .

اجتماع الحكامين رضي الله عنهما بدومة الجندل:

اجتمع الحكمان في شهر رمضان كما تشارطوا عليه وقت كتابة التحكيم بصفين ، وذلك أن عليًا - رضي الله عنه - لما كان مجيء رمضان بعث أربعمائة فارس مع شريح بن هانئ<sup>(١)</sup> ، ومعهم أبو موسى ، وعبدالله بن عباس ، وإليه الصلاة ، وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة فارس من أهل الشام ، فيهم عبدالله بن عمرو ، فتوافوا بدومة الجندل - وهي نصف المسافة بين الكوفة والشام ، بينها وبين كل من البلدين تسع مراحل - وشهد معهم جماعة من رؤوس الناس ، كعبدالله بن عمر ، وعبدالله بن الزبير ، والمغيرة بن شعبة ، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي<sup>(٢)</sup> ، وعبدالرحمن بن عديغوث الزهري<sup>(٣)</sup> ، وأبي جهم بن حذيفة<sup>(٤)</sup> . وزعم بعض الناس أن سعد بن أبي وقاص شهدهم<sup>(٥)</sup> أيضًا ، وأنكر حضوره آخرون<sup>(٦)</sup> .

(١) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد (١٢٨/٦) .

(٢) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/٥) وهو والد أبي بكر بن عبدالرحمن أحد الفقهاء السبعة في المدينة .

(٣) هو عبدالرحمن بن الأسود بن عبد بغوث الزهري ، مختلف في صحبته . الطبقات الكبرى (٧/٥) والإصابة (٢٨٦/٤) .

(٤) أبوالجهم بن حذيفة بن غانم بن عامر العدوي ، أسلم عند فتح مكة ، وهو من المعمرين ، وقد شهد بناء البيت مرتين . انظر طبقات ابن سعد الطبقة الرابعة من الصحابة (٣٧٤/١) والإصابة (٧١/٧) .

(٥) قاله الواقدي كما في تاريخ الطبري (٦٦/٥) .

(٦) وهو الصحيح . وسيذكر المصنف ما يدل على ذلك .

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو بكر الحنفي عبدالكبير بن عبدالمجيد، ثنا بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد أن أخاه عُمَرَ انطلق إلى سعد في غنم له خارجًا من المدينة فلمَّا رآه سعد قال: أعود بالله من شرِّ هذا الركب، فلمَّا أتاه قال: يا أبة، أرضيت أن تكون أعرابيًا في غنمك والنَّاس يتنازعون في الملك بالمدينة؟ فضرب سعد صدر عمر وقال: اسكت فإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الله يحب العبد التقي الغني الخفي»<sup>(١)</sup>.

وهكذا رواه مسلم في صحيحه<sup>(٢)</sup>.

وقال أحمد أيضًا: حدثنا عبدالمملك بن عمرو، ثنا كثير بن زيد الأسلمي، عن المطلب عن عمر بن سعد، عن أبيه أنه جاءه ابنه عامر فقال: يا أبة، النَّاس يقاتلون على الدنيا وأنت ههنا؟ فقال: يا بني أفي الفتنة تأمرني أن أكون رأسًا؟ لا والله حتَّى أُعْطِيَ سيفًا إن ضربتُ به مؤمنًا نبا عنه، وإن ضربتُ به كافرًا قتله، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الله يحب الغني الخفي التقي»<sup>(٣)</sup> وهذا السياق كأنه عكس الأول، والظاهر أنَّ عمر بن سعد استعان بأخيه عامر على أبيه ليشير عليه أن يحضر أمر التحكيم لعلهم يعدلون عن معاوية وعلي ويولونه، فامتنع سعد من ذلك وأباه أشدَّ الإباء وقنع بما هو فيه من الكفاية والخفاء، كما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا

(١) المسند (١٦٨/١) وقال أحمد شاكر إسناده صحيح (٢٦/٣).

(٢) مسلم، كتاب الزهد والرفائق (٢٢٧٧/٤).

(٣) المسند (١٧٧/١) وقال أحمد شاكر إسناده صحيح (٦٥/٣).

وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ»<sup>(١)</sup>. وكان عمر بن سعد هذا يحب الدنيا والإمارة، فلم يزل ذلك دأبه حتى كان هو أمير السرية التي قتلت الحسين بن علي رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>، ولو قنع بما كان أبوه عليه لم يكن شيء من ذلك.

والمقصود أن سعدًا لم يحضر أمر التحكيم ولا أراد ذلك ولا همَّ به، وإنما حضره من ذكرنا.

فلما اجتمع الحكمان تراوضا على المصلحة للمسلمين، بعلم ونظرٍ في تقدير أمور، ثم اتفقا على أن يعزلا عليًا ومعاوية<sup>(٣)</sup>، ثم يجعلا الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على الأفضل لهم منهما أو من غيرهما، وقد أشار أبو موسى بتولية عبدالله بن عمر بن الخطاب، فقال له عمرو: فوالأبي عبدالله فإنه يقاربه في العلم والعمل والزهد. فقال له أبو موسى: إنك قد غمست ابنك في الفتن معك، وهو مع ذلك رجل صدق<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الكفاف والقناعة (٧٣٠/٢) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص.

(٢) كان ذلك سنة (٦١هـ) بأمر عبيدالله بن زياد.

(٣) من المعلوم أن موضوع النزاع بين علي ومعاوية هو في طريقة القصاص من قتلة عثمان، معاوية يطلب القصاص ناجزًا، وعلي يعتذر بعدم التمكن ويرى التأجيل حتى تستقر الأمور، وليس النزاع في الإمارة والخلافة حتى يقوموا بالعزل كما تذكر الرواية، والصواب في نتيجة التحكيم أنهما لم يتفقا على شيء ولم يهتديا إلى طريقة تحل الإشكال فتركا الأمر.

(٤) ما ذكره المصنف هو رواية أبي مخنف عند الطبري (٦٨/٥) وحاله معلومة من الضعف والتشيع المنحرف. وانظر لنقد هذه الرواية، بحث الدكتور يحيى بن إبراهيم اليحيى مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ص (٤٠١، ٤١٨)، فقد أبطلها من تسعة أوجه، وثبته على ما فيها من المنكرات والغرائب.

## خروج الخوارج:

تفرَّق النَّاسُ إلى بلادهم من صِيفَيْن، وخرج معاوية إلى دمشق بأصحابه، ورجع علي إلى الكوفة فلمَّا دخل علي الكوفة سمع رجلاً يقول: ذهب علي ورجع في غير شيء. فقال علي: لِلَّذِينَ فارقناهم خيراً من هؤلاء<sup>(١)</sup> - يعني أهل الشام - ثم مضى فجعل يذكر الله حتَّى دخل قصر الإمارة من الكوفة ولمَّا قَرَّبَ من دخول الكوفة اعتزل من جيشه قريب من اثني عشر ألفاً<sup>(٢)</sup> وهم الخوارج وأبوا أن يساكنوه في بلده، ونزلوا بمكانٍ يقال له: حروراء. وأنكروا عليه أشياء فيما يزعمون أنَّه ارتكبها، فبعث إليهم عليٌّ - رضي الله عنه - عبد الله بن عباس فناظرهم، فرجع أكثرهم، وبقي بقيتهم.

وهؤلاء الخوارج هم المشار إليهم في الحديث المتفق عليه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «تمرُّقُ مارقة علي حين فرقة من الناس» وفي رواية: «من المسلمين» وفي رواية: «من أمتي» فيقتلها أولى الطائفتين بالحق»<sup>(٣)</sup>.

وهذا الحديث له طرقٌ متعددة وألفاظٌ كثيرة<sup>(٤)</sup>.

(١) وقعة صفين ص (٥٣٢)، وتاريخ الطبري (٦٣/٥).

(٢) وفي رواية ستة عشر ألفاً.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم: (١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٦٤)، والبخاري بمعناه رقم: (٣٦١٠) كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري.

(٤) انظر: المسند (٥/٣، ٣٢، ٤٥، ٧٩، ٩٥) وصحيح مسلم برقم: (١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٦٤) وهذا أحد طرقه:

قال الإمام أحمد حدَّثنا ابنُ أبي عدي، عن سليمان، عن أبي نضرة، عن أبي =

فهذا الحديث من دلائل النبوة؛ لأنه قد وقع الأمر طبقاً ما أخبر به الرسول ﷺ، وفيه الحكمُ بإسلام الطائفتين؛ أهل الشام وأهل العراق، لا كما تزعمه فرقةُ الرافضة، أهلُ الجهل والجور من تكفيرهم أهل الشام، وفيه أن أصحاب علي أدنى الطائفتين إلى الحق، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، أن علياً هو المصيب وإن كان معاوية مجتهداً في قتاله له وقد أخطأ، وهو ماجور إن شاء الله، ولكن علياً هو الإمام المصيب إن شاء الله تعالى، فله أجران كما ثبت في صحيح البخاري<sup>(١)</sup> من حديث عمرو بن العاص، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر».

ويقال: إن علياً - رضي الله عنه - ذهب إليهم فناظرهم فيما نقموا عليه، حتى استرجعهم عمّاً كانوا عليه، ودخلوا معه الكوفة<sup>(٢)</sup>. ثم إنهم عادوا فنكثوا ما عاهدوه عليه، وتعاهدوا وتعاهدوا فيما بينهم على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - زعموا -، والقيام على الناس في ذلك، وتحيزوا مرةً أخرى إلى موضع يقال له: النهروان، وفيه قاتلهم عليٌّ.

قال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup>: حدّثنا إسحاق بن عيسى الطَّبَّاع، حدّثني

سعيد، أن رسول الله ﷺ ذكر قومًا يكونون في أمته يخرجون في فرقةٍ من الناس، سيماهم التحليق، هم شرُّ الخلق، أو من شرِّ الخلق يقتلهم أدنى الطائفتين من الحق، قال أبو سعيد: وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق.

(١) انظر: صحيح البخاري رقم: (٧٣٥٢).

(٢) تاريخ الطبري (٩١/٥).

(٣) المسند (٨٦/١) وإسناده صحيح.

يحيى بن سليم عن عبدالله بن عثمان بن خثيم عن عبدالله بن عياض بن عمرو القاريء قال: جاء عبدالله بن شداد فدخل على عائشة ونحن عندها مرَّجَعَه من العِراق ليالي قُتِل علي، فقالت له: يا عبدالله بن شداد، هل أنت صادقٌ عمَّا أسألك عنه؟ فحدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي، فقال: مالي لا أصدُقُك. قالت: فحدثني عن قصتهم. قال: فإنَّ عليًا لما كاتب معاوية وحكَّم الحكمان، خرج عليه ثمانية آلاف من قراء النَّاس، فنزلوا بأرضٍ يقال لها حروراء من جانب الكوفة، وأنَّهم عتبوا عليه فقالوا: انسلخت من قميصِ ألبسكه الله، واسم سماك به الله، ثمَّ انطلقت فحكَّمت في دين الله، ولا حكم إلاَّ الله، فلمَّا أن بلغ عليًا ما عتبوا عليه وفارقوه عليه، أمر مؤذن فأذن أن لا يدخل على أمير المؤمنين رجل إلاَّ رجلا قد حمل القرآن، فلمَّا أن امتلأت الدَّار من قراء الناس دعا بمصحفٍ إمامٍ عظيم، فوضعه بين يديه، فجعل يَصُكُّه بيده ويقول: أيها المصحف حدِّث الناس! فناداه النَّاس فقالوا: يا أمير المؤمنين ما تسأل عنه؟ إنَّما هو مداد في ورَقٍ، ونحن نتكلَّم بما رُوينا منه، فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله، يقول الله في كتابه في امرأةٍ ورجل ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥]. فامة محمد ﷺ أعظم دماء وحرمةً من امرأةٍ ورجل، ونقموا عليَّ أن كاتبت معاوية: كتب علي بن أبي طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله ﷺ بالحديبية حين صالح قومه قريشًا، فكتب رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: سهيل! لا أكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: كيف تكتب؟ قال: اكتب باسمك اللهم. فقال رسول الله

ﷺ: فاكتب محمد رسول الله، فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك، فكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشا. يقول الله تعالى في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١] فبعث إليهم علي بن عبد الله بن عباس فخرجت معه حتى إذا توسطنا عسكرهم فقام ابن الكواء فخطب الناس، فقال: يا حملة القرآن هذا عبد الله بن عباس فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه من كتاب الله ما يعرفه به، هذا ممن نزل فيه وفي قومه ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِيمُونَ﴾ [الزخرف] فرُدُّوه إلى صاحبه ولا تواضعوه كتاب الله، فقال بعضهم: والله لنواضعنه فإن جاء بحق نعرفه لتبعننه، وإن جاء بباطل لنبكتنه بباطله، فواضعوا عبد الله الكتاب ثلاثة أيام، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب، فيهم ابن الكواء، حتى أدخلهم علي الكوفة، فبعث علي إلى بقيتهم فقال: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم، فقفوا حيث شئتم حتى تجتمع أمة محمد ﷺ. بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دمًا حرامًا أو تقطعوا سبيلاً أو تظلموا ذمة، فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنفال] فقالت له عائشة: يابن شدداد فقتلهم؟ فقال: والله ما بعث إليهم حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدماء واستحلوا أهل الذمة. فقالت: الله، قال: الله الذي لا إله إلا هو لقد كان ذلك. قالت: فما شيء بلغني عن أهل العراق يتحدثونه، يقولون: ذو النُدَيِّ وذو النُدَيَّة؟ قال: قد رأيته وقمت مع علي عليه في القتلى، فدعا الناس فقال: أتعرفون هذا؟ فما أكثر من جاء يقول: قد رأيته في مسجد بني فلان، ورأيته في مسجد بني فلان يصلي ولم يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذلك. قالت: فما قول علي حين قام عليه كما يزعم



أهل العراق؟ قال: سمعته يقول: صدق الله ورسوله، قالت: هل سمعت منه أنه قال غير ذلك؟ قال: اللهم لا. قالت: أجل، صدق الله ورسوله، يرحم الله عليًا إنه كان من كلامه لا يرى شيئًا يعجبه إلا قال: صدق الله ورسوله، فيذهب أهل العراق يكذبون عليه، ويزيدون عليه في الحديث. تفرّد به أحمد وإسناده صحيح واختاره الضياء.

ففي هذا السياق ما يقتضي أنّ عدّتهم كانت ثمانية آلاف، وقد يكون واطأهم على مذهبهم آخرون من غيرهم حتّى بلغوا اثني عشر ألفًا أو ستّة عشر ألفًا.

ولمّا ناظرهم ابن عبّاس رجع منهم أربعة آلاف، وبقي بقيتهم على ما هم عليه.

وقد رواه يعقوب عن سفيان<sup>(١)</sup> عن موسى بن مسعود، عن عكرمة ابن عمّار، عن سماك أبي زُمَيْل، عن ابن عباس فذكر القصة وأنّهم عتبوا عليه في كونه حَكَمَ الرُّجَال، وأنّه محى اسمه من الإمرة، وأنّه غزا يوم الجمل فقتل الأنفس الحرام، ولم يقسم الأموال والسبي، فأجاب عن الأولتين بما تقدّم، وعن الثالثة بأن قال: قد كان في السبي أمّ المؤمنين فإنّ قلتم ليست لكم بأمّ فقد كفرتم، وإنّ استحللتم سبي أمكم فقد كفرتم.

(١) المعرفة والتاريخ (١/٥٢٢، ٥٢٤).

### الأحاديث الواردة في الخوارج:

اعتنى الحافظ ابن كثير بذكر الأحاديث المرفوعة إلى رسول الله ﷺ في شأن الخوارج وصفتهم، وأوردها عن ثلاثة عشر صحابيًّا: وابتدأها بحديث علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وقال: (٦٠٨/١٠)، وقد قدمنا حديث علي بطرقه، لأنه أحد الخلفاء الأربعة، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد أصحاب الشورى، وصاحب القصة، ثم ساق الحديث عن أربعة عشر راويًا عن علي - رضي الله عنه - وهم:

١- زيد بن وهب الجهني وحديثه أخرجه مسلم في الصحيح برقم: (١٥٦، ١٠٦٦)، وأحمد في المسند (٩١/١)، وأبوداود في سننه، حديث رقم: (٤٧٦٨).

٢- سويد بن غفلة الجعفي، أخرجه أحمد في المسند (١٣١/١)، وهو في الصحيحين البخاري رقم: (٥٠٥٧، ٦٩٣٠)، ومسلم برقم: (١٥٤، ١٠٦٦).

٣- طارق بن زياد الكوفي، أخرجه أحمد في المسند (١٠٧/١، ١٤٧).

٤- عبدالله بن شداد الليثي، أخرجه أحمد في المسند (٨٦/١)، قال ابن كثير: (٥٦٨/١٠)، تفرد به أحمد وإسناده صحيح، واختاره الضياء في المختارة من الأحاديث الصحيحة.

٥- عبيدالله بن أبي رافع المدني، أخرجه مسلم في الصحيح برقم: (١٥٧، ١٠٦٦).

٦- عبيدة بن عمرو السلماني، أخرجه أحمد في المسند من عدة طرق عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي (٨٣/١، ٩٥، ١٤٤، ١٥٥)، ومسلم في الصحيح برقم: (١٥٥، ١٠٦٦)، ثم قال ابن

كثير: (٥٩٩/١٠) بعد سياقه لرواية مسلم: وقد ذكرناه من طرق متعددة تفيد القطع عند كثيرين عن محمد بن سيرين وقد حلف أنه سمعه من عبيدة، وحلف عبيدة أنه سمعه من علي، وحلف علي أنه سمعه من رسول الله ﷺ وقد قال علي: لئن أخرج من السماء إلى الأرض أحب إلي من أن أكذب علي رسول الله ﷺ.

٧- كليب بن شهاب الجرمي، أخرجه أحمد في المسند (١٦٠/١)، من طريقين، ثم قال ابن كثير: وإسناده جيد ولم يخرجوه.  
٨- أبو جحيفة وهب بن عبدالله السوائي، أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١٩٩/١).

٩- أبو كثير مولى الأنصار، أخرجه أحمد في المسند (٨٨/١).  
١٠- أبو مريم الثقفي المدائني واسمه قيس، أخرجه أحمد في المسند (١٥١/١) وأبوداود في سننه برقم: (٤٧٧٠).  
١١- أبو موسى أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤٣٣/٦).  
١٢- أبو المؤمن الوابلي الكوفي، أخرجه البزار في مسنده وقال: لا نعلم روى أبو المؤمن عن علي غير هذا الحديث.  
١٣- أبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي، أخرجه البزار في مسنده وقال: لا نعلم روى حبيب بن ثابت عن شقيق عن علي إلا هذا الحديث.  
١٤- أبو الوضيء عباد بن نسيب، أخرجه أحمد في المسند (١٣٩/١)، (١٤٠، ١٤١)، وأبوداود، في سننه برقم: (٤٧٦٩).  
وهذا سياق رواية زيد بن وهب الجهني عن علي من صحيح مسلم.

قال مسلم بن الحجاج في صحيحه: حدثنا عبد بن حميد، ثنا

عبد الرزاق بن همام، ثنا عبد الملك بن أبي سليمان، ثنا سلمة بن كهيل، حدّثني زيد بن وهب الجهني، أنّه كان في الجيش الذين كانوا مع علي - رضي الله عنه - الذين ساروا إلى الخوارج فقال علي - رضي الله عنه - يا أيها الناس، إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يخرج قوم من أمتي يقرءون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرءون القرآن يحسبون أنّه لهم وهو عليهم، لا تجاوزُ صلاتهم تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لو يعلم الجيشُ الذين يصيبونهم ما قُضي لهم على لسانِ نبيهم ﷺ لا تكلوا على العمل، وآيةُ ذلك أنّ فيهم رجلاً له عضدٌ ليس له ذراع، على رأسِ عضده مثلُ حلمةِ الثدي، عليه شعراتٌ بيضٌ. فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم، والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم. فإنّهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرحِ النَّاسِ فسيروا على اسم الله.

قال سلمة فنزلني زيد بن وهب منزلاً منزلاً<sup>(١)</sup> حتى قال: مررنا على قنطرة فلمّا التقينا وعليّ الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي، فقال لهم: ألقوا الرّماح وسلّوا سيوفكم من جفونها فإني أخاف أن

(١) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٧٢/٧) في معظم النسخ مرة واحدة، وفي نادر منها: «منزلاً منزلاً» مرتين، وهو وجه الكلام؛ أي: ذكر لي مراحلهم بالجيش منزلاً منزلاً حتى بلغ القنطرة التي كان القتال عندها وهي قنطرة الدبرجان.

يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء فرجعوا فوَحَّشُوا برماحهم<sup>(١)</sup> ،  
وسلوا السيوف ، فشجرهم الناس برماحهم<sup>(٢)</sup> قال : وَقُتِلَ بعضهم على  
بعض ، وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلاً ، فقال علي - رضي الله  
عنه - التمسوا فيهم المخدج ، فالتمسوه فلم يجدوه ، فقام علي - رضي  
الله عنه - بنفسه حتى أتى ناساً قد قُتِلَ بعضهم على بعض ، فقال :  
أخروهم فوجدوه مما يلي الأرض ، فكَبَّرَ قال : صدق الله وبلغ رسوله ،  
قال : فقام إليه عبيدة السلماني فقال : يا أمير المؤمنين ، الله الذي لا إله  
إلا هو ، لسمعتَ هذا من رسول الله ﷺ فقال : إي والله الذي لا إله إلا  
هو ، فاستحلفه<sup>(٣)</sup> ثلاثاً وهو يحلف له .

ثم قال ابن كثير : (٦٠٧/١٠) والمقصود أن هذه طرق متواترة  
عن علي ، إذ قد رُوي من طرق متعددة عن جماعة متباينة ، لا يمكن  
تواطئهم على الكذب ، فأصل القصة محفوظ وإن كان بعض الألفاظ  
وقع فيها اختلاف بين الرواة ، ولكن معناها وأصلها الذي توأمت  
الروايات عليه صحيح لا يُشك فيه ، عن علي أنه رواه عن رسول الله  
ﷺ ، أنه أخبره عن صفة الخوارج ، وصفة ذي النُدَيَّة الذي هو علامة  
عليهم .

(١) أي : رموا بها عن بعد .

(٢) «فشجرهم الناس برماحهم» أي : مَدَّوْها إليهم وطاعنوهم بها ، والمراد بالناس  
أصحاب علي - رضي الله عنه - انظر : المصدر السابق .

(٣) إنما استحلفه لِيُسمع الحاضرين ويؤكد ذلك عندهم ويُظهِر لهم المعجزة التي  
أخبر بها رسول الله ﷺ ويُظهِر لهم أن علياً وأصحابه أولى الطائفتين بالحق  
وأَنَّهُم محقون في قتالهم ، مسلم بشرح النووي (١٧٣/٧) .

ثم قال: والحديث في الخوارج رواه جماعة من الصحابة غير علي بن أبي طالب، منهم:

١- عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - وحديثه أخرجه أحمد في المسند (٤٠٤/١) والترمذي في سننه برقم: (٢١٨٨) وابن ماجه برقم: (١٦٨)، وضحه الشيخ ناصر الدين الألباني كما في صحيح سنن الترمذي رقم: (١٧٧٩) عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج قوم في آخر الزمان سفهاء الأحلام، أحداث، أو قال: حدثاء الأسنان، يقولون من خير قول الناس يقرءون القرآن بألسنتهم، لا يعدو تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، فمن أدركهم فليقتلهم، فإن في قتلهم أجرًا عظيمًا عند الله لمن قتلهم» هذا لفظ رواية أحمد في المسند.

قال ابن كثير بعد سياق حديث ابن مسعود: وابن مسعود مات قبل ظهور الخوارج بنحو من خمس سنين، فحديثه في ذلك من أقوى الاعتضاد.

٢- أنس بن مالك - رضي الله عنه - وحديثه أخرجه أحمد في المسند (١٨٩/٣، ٢٢٤)، وأبوداود في سننه من طريقين برقم: (٤٧٦٥)، (٤٧٦٦)، وابن ماجه برقم: (١٧٥).

٣- جابر بن عبدالله الأنصاري - رضي الله عنه - وحديثه أخرجه أحمد في المسند من ثلاث طرق (٣/٣٥٤، ٣٥٥) ومسلم في الصحيح برقم: (١٠٦٣) والنسائي في السنن الكبرى برقم: (٨٠٨٧، ٨٠٨٨).

٤- سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - وحديثه أخرجه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ (٣/٤٠٦) ومن طريقه أخرجه البيهقي

- في دلائل النبوة (٤٣٣/٦) كما أخرجه أحمد في المسند (١٧٩/١).
- ٥- أبوسعيد الخدري، سعد بن مالك بن سنان الأنصاري - رضي الله عنه - وله طرق عنه أخرجه أحمد في المسند (٣/١٥، ٣٣، ٣٤، ٤٨، ٥٢، ٥٦، ٦٠، ٦٨، ٧٢، ٧٣، ٨٢)، وكذا في البخاري برقم: (٤٣٥١، ٥٠٥٨، ٧٥٦٢)، وفي مسلم (١٤٤، ١٤٧، ١٤٨، ١٠٦٤).
- ٦- سلمان الفارسي - رضي الله عنه - وحديثه أخرجه الهيثم بن عدي كما ذكر ابن كثير (١٠/٦٢٣).
- ٧- سهل بن حنيف الأنصاري - رضي الله عنه - أخرجه أحمد في المسند (٣/٤٨٦)، وهو في الصحيحين البخاري برقم: (٦٩٣٤) ومسلم (١٥٩، ١٦٠، ١٠٦٨).
- ٨- عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - أخرجه ابن ماجه في سننه برقم: (١٧١) وقد صححه الشيخ ناصر الدين الألباني كما في صحيح سنن ابن ماجه برقم: (١٤١).
- ٩- عبدالله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - أخرجه أحمد في المسند (٢/٨٤).
- ١٠- عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أخرجه أحمد في المسند (٢/١٩٨، ١٩٩).
- ١١- أبوذر الغفاري - رضي الله عنه - أخرجه مسلم في صحيحه (١٥٨، ١٠٦٧).
- ١٢- رافع بن عمرو الغفاري - رضي الله عنه - أخرجه مسلم مع حديث أبي ذر السابق.

### معركة النهروان:

قال أبو محنف عن عبد الملك بن أبي حرّة أن عليًا لما بعث أبا موسى لإنفاذ الحكومة، اجتمع الخوارج في منزل عبدالله بن وهب الراسبي فخطبهم خطبةً بليغة زهّدهم في هذه الدنيا ورغبهم في الآخرة والجنة، وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قال: فاخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها إلى جانب هذا السواد إلى بعض كور الجبال، أو بعض هذه المدائن، منكرين لهذه الأحكام الجائرة. ثم قام حرقوص بن زهير فقال: إن المتاع بهذه الدنيا قليل، وإن الفراق لها وشيك، فلا تدعونكم زينتها وبهجتها إلى المقام بها، ولا تلفتكم عن طلب الحق وإنكار الظلم ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل].

فقال سنان بن حمزة الأسدي: يا قوم إن الرأي ما رأيتم، وإن الحق ما ذكرتم فولّوا أمركم رجلاً منكم، فإنه لا بدّ لكم من عماد وسناد، ومن راية تحفون بها وترجعون إليها.

فبعثوا إلى زيد بن حصين الطائي، وكان من رؤسهم فعرضوا عليه الإمارة عليهم، فأبى، ثم عرضوها على حرقوص بن زهير فأبى، ثم عرضوها على حمزة بن سنان، فأبى، ثم عرضوها على شريح بن أوفى العبسي فأبى، ثم عرضوها على عبدالله بن وهب الراسبي، فقبلها، وقال: أما والله لا أقبلها رغبة في الدنيا ولا أدعها فرقا من الموت. واجتمعوا أيضا في بيت زيد بن حصين الطائي السنبسي فخطبهم وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتلا عليهم آيات من القرآن منها قوله تعالى: ﴿ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا



تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿ص: ٢٦﴾ [ص: ٢٦] وقوله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة] والتي بعدها وبعدها:  
 ﴿الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ ﴿الْفٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة] ثم قال: فأشهد على أهل دعوتنا من أهل قبلتنا أنهم قد اتبعوا الهوى، ونبذوا حكم الكتاب، وجاروا في القول والأعمال، وأنَّ جهادهم حقُّ على المؤمنين، ثم حرَّض أولئك على الخروج على النَّاس، وقال في كلامه: اضربوا وجوههم وجباههم بالسيوف حتى يُطاع الرحمن الرحيم، فإن أنتم ظفرتُم وأطيع الله كما أردتم، آتاكم الله ثواب المطيعين له العاملين بأمره، وإن قُتلتم فأي شيء أفضل من الصبر والمصير إلى الله ورضوانه وجنته؟.

قال ابن كثير: «وهذا الضربُ من الناس من أغرب أشكال بني آدم، فسبحان من نوع خلقه كما أراد، وسبق في قدره ذلك، وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج: إنَّهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ. فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف] والمقصود أنَّ هؤلاء الجهلة الضلال، والأشقياء في الأقوال والأفعال، اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين، وتواطئوا على المسير إلى المدائن؛ ليملكوها ويتحصَّنوا بها ثم يبعثوا إلى إخوانهم وأضرابهم، ممَّن هو على ما هم عليه، من أهل البصرة وغيرها فيوافقهم إليها، ويكون اجتماعهم عليها، فقال لهم زيد بن حصين الطَّائِي: إنَّ المدائن لا تقدرُون عليها، فإنَّ بها جيشًا لا تطيقونه وسيمنعونها منكم، ولكن واعدوا إخوانكم إلى جسر

نهرِ جُوخا<sup>(١)</sup>، ولا تخرجوا من الكوفةِ جماعاتٍ، ولكن اخرجوا  
وُحدانًا لثلاً يشعروا بكم فكتبوا كتابًا عامًّا إلى من هو على مذهبهم  
ومسلكتهم من أهل البصرة وغيرها، وبعثوا به إليهم ليؤاfooهم إلى النَّهرِ،  
ليكونوا يدًا واحدةً على الناس، ثم خرجوا يتسللون وُحدانًا؛ لثلا يعلم  
أحدٌ بهم فيمنعوهم من الخروج فخرجوا من بين الآباء والأمهات،  
والأعمام، والعمَّاتِ وفارقوا سائر القرابات يعتقدون بجهلهم وقلة  
علمهم وعقلهم أنَّ هذا الأمر يُرضي ربَّ الأرضِ والسَّمَاواتِ، ولم  
يعلموا أنَّه من أكبر الكبائر والدُّنوب الموبقات، والعظام الخبيثات،  
وأنَّه مما يُرِيئُهُ لهم إبليسُ وأنفسهم التي هي بالسوء أمَّاراتٌ، وقد تدارك  
جماعةٌ بعضَ أولادهم وقراباتهم وإخوانهم، فردُّوهم ووبَّخوهم، فمنهم  
من استمرَّ على الاستقامة، ومنهم من فرَّ بعد ذلك فلحقَ بالخوارج،  
واجتمع الجميعُ بالنَّهروان، وصارت لهم شوكةٌ ومنعةٌ، وهم جنْدٌ  
مستقلُّون وفيهم شجاعةٌ وثباتٌ وصبرٌ، وعندهم أنَّهم متقرَّبون بذلك إلى  
الله عزَّ وجل، فهم قومٌ لا يُصطلُّ لهم بنارٍ، ولا يطمعُ أحدٌ في أن يأخذَ  
منهم بشار.

وبينما كان عليُّ يتجهَّز لقتال أهل الشام، إذ بلغه أنَّ الخوارج قد  
عاثوا في الأرض فسادًا وسفكوا الدماء وقطعوا السبيل واستحلُّوا  
المحارم، وكان من جملة من قتلوه عبدُ الله بن خبَّاب<sup>(٢)</sup> صاحبِ رسول

(١) جوخا، بالضم والقصر، وقد يفتح: اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد  
بغداد، معجم البلدان (١٤٣/٢).

(٢) عبدالله بن خبَّاب بن الأرت التميمي، صحابي صغير، وأبوه صحابي مشهور،  
انظر: ترجمته في الإصابة (٧٣/٤).

الله ﷺ، أسروهُ وامرأته معه وهي حاملٌ فقالوا له: من أنت؟ فقال: أنا عبدالله بن خبّابٍ صاحب رسول الله ﷺ، وأنتم قد روّعتموني فقالوا: لا بأس عليك، حدّثنا ما سمعتَ من أبيك فقال: سمعتُ أبي يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ستكون فتنةُ القاعدُ فيها خيرٌ من القائم والقائمُ خيرٌ من الماشي، والماشي خيرٌ من الساعي»<sup>(١)</sup> فقادوه بيده، فبينما هو يسيرٌ معهم إذ لقي بعضهم خنزيراً لبعض أهل الذمة، فضربه بعضهم بسيفه فشقَّ جلده، فقال له آخر: لم فعلتَ هذا وهو لذميّ، فذهب إلى ذلك الذمي فاستحلّه وأرضاه، وبينما هو معهم إذ سقطتُ تمرّةٌ من نخلةٍ فأخذها أحدهم فألقاها في فمه، فقال له آخر: بغير إذنٍ ولا ثمنٍ؟ فألقاها ذاك من فمه، ومع هذا قدّموا عبدالله بن خبّابٍ فذبحوه، وجاءوا إلى امرأته، فقالت: إني امرأةٌ حُبلى، ألا تتّقون الله عزّ وجل! فذبحوها وبقروا بطنها عن ولدها، فلمّا بلغ الناسَ هذا من صنيعهم، خافوا إن هم ذهبوا إلى الشام واشتغلوا بالقتال أن يخلفهم هؤلاء في ذراريهم وديارهم ويفعلوا هذا الصنيع، فخافوا غائلتهم، وأشاروا على عليّ بأن يبدأ بهم، ثم إذا فرغ منهم ساروا معه إلى الشام والناسُ آمنون من شرّهم، فاجتمع الرأي على هذا، وفيه خيرةٌ عظيمةٌ لهم ولأهل الشام أيضاً؛ إذ لو قووا هؤلاء لأفسدوا الأرض كُلّها عراقاً وشاماً، ولم يتركوا طفلاً ولا طفلة ولا رجلاً ولا امرأة؛ لأنّ الناسَ عندهم قد فسدوا فساداً لا يُصلحهم إلّا القتل جملةً فأرسل عليّ إليهم الحارث بن مرّة العبديّ وقال له: اخبر لي خبرهم واعلم لي أمرهم

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٦٠١، ٣٦٠٢) ومسلم برقم (٢٨٨٦).

واكتب إليّ به عليّ الجليّة، فلمّا قدم عليهم الحارثُ قتلوه ولم يُنظروه، فلمّا بلغ ذلك عليّاً سار إليهم وترك أهل الشام.

وقد أورد الحافظ ابن كثير هذه الأحداث في سنة سبع وثلاثين نقلاً عن أبي مخنف، واتباعاً للإمام الطبري، لكن نقل عن ابن جرير أنّه قال: وأكثر أهل السير عليّ أنّ ذلك كان سنة ثمانٍ وثلاثين، وصححه، ثم قال ابن كثير: (٦٤٧/١٠) وهو الأشبه، كما سننبه عليه في السنة الآتية إن شاء الله تعالى.

قال: وسلك عليّ ناحية الأنبار، وبعث بين يديه قيس بن سعد، وأمره أن يأتي المدائن وأن يلقاه بنائبها سعد بن مسعود الثقفي، في جيش المدائن، فاجتمع الناس هنالك على عليّ - رضي الله عنه -، وبعث إلى الخوارج أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم لنقتلهم بهم، ثم إنّ تاركوكم وذاهبون عنكم إلى الشام، ثم لعلّ الله أن يقبل بقلوبكم، ويردّكم إلى خير ممّا أنتم عليه، فبعثوا إليه يقولون: كلنا قتل إخوانكم، ونحن مستحلون دماءهم ودماءكم، فتقدّم إليهم قيس بن سعد بن عبادة، فوعظهم فيما هم مرتكبوه من الأمر العظيم، والخطب الجسيم، فلم ينفع ذلك فيهم، وكذلك فعل أبوأيوب الأنصاري؛ أنّبهم ووبّخهم فلم ينجع فيهم، وتقدّم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب إليهم، فوعظهم وخوّفهم وحذّرهم وأنذرهم وتهدّدهم وتوعدّهم فلم يكن لهم جواب إلاّ أنّ تبادزوا وتنادوا فيما بينهم أن لا تخاطبوهم ولا تكلموهم وتهيئوا للقاء الربّ، عزّ وجل، الرواح الرواح إلى الجنة! وتقدّموا فاصطفوا للقتال وتأهبوا للنزال، فجعلو عليّ ميمّتهم زيد بن حصين الطائي السنسيّ، وعليّ الميسرة شريح بن أوفى، وعليّ خيالتهم حمزة بن سنان، وعليّ

الرَّجَالِ حَرْقُوصَ بْنَ زُهَيْرِ السَّعْدِيِّ، ووقفوا مقاتلين لعلِّي وأصحابه .  
وجعل عليُّ عليَّ ميمته حُجْرَ بْنَ عَدِيِّ، وعليُّ الميسرة شيبث بن  
ربيعي، أو معقل بن قيس الرِّياحي، وعليُّ خيَّالته أبا أيوب الأنصاري،  
وعليُّ الرجالة أبا قتادة الأنصاري، وعليُّ أهل المدينة، وكانوا سبعمائة  
قيس بن سعد بن عبادة .

### علي يرفع راية أمان للخوارج:

وأمر عليُّ أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمانٍ للخوارج، ويقول  
لهم: من جاء إلى هذه الراية فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة  
والمدائن فهو آمن، إنَّه لا حاجة لنا في دمائكم إلا في من قتل إخواننا .  
فانصرف منهم طوائفٌ كثيرون، وكانوا في أربعة آلاف، فلم يبق  
منهم إلا ألفٌ أو أقل مع عبد الله بن وهب الراسبي .

### وقوع القتال:

فزحفوا إلى عليٍّ فقدَّم عليٌّ بين يديه الخيل، وقدَّم منهم الرماة،  
وصفَّ الرَّجَالَةَ وراء الخيَّالَةِ، وقال لأصحابه: كفُّوا عنهم حتى يبدءوكم .  
وأقبلت الخوارج وهم يقولون: لا حُكْمَ إلاَّ اللهُ، الرواح الرواح إلى  
الجنة! فحملوا على الخيَّالَةِ الذين قدَّمهم عليٌّ، ففرَّ قوهم حتى أخذت  
طائفة من الخيالة إلى الميمنة، وأخرى إلى الميسرة فاستقبلتهم الرماة  
بالنَّبل، فرموا وجوههم، وعطف عليهم الخيَّالَةُ من الميمنة والميسرة،  
ونفض إليهم الرجال بالرماح والسيوف، فأناموا الخوارج، فصاروا  
صرعى تحت سنانك الخيول، وقُتِلَ أمراؤهم؛ عبد الله بن وهب،  
وحرقوص بن زهير، وشُريح بن أوفى، وعبد الله بن شجرة السلمي ولم  
يقتل من أصحاب عليٍّ إلا سبعة نفر .

وجعل علي يمشي بين القتلى منهم ويقول: بؤسًا لكم، لقد ضرّكم من غرّكم فقالوا: يا أمير المؤمنين، ومن غرّهم؟ قال: الشيطان، وأنفسٌ بالسوء أمّارة، غرّتهم بالأماني، وزيّنت لهم المعاصي، ونبتأتهم أنّهم ظاهرون. ثم أمر بالجرحي من بينهم فإذا هم أربعمائة، فسلمهم إلى قبائلهم ليُداووهم، وقسم ما وجد من سلاح ومتاع لهم.

وقال الهيثم بن عديّ: إنّ عليًا لم يُخمس ما أصاب من الخوارج يوم النهروان، ولكن رده إلى أهلهم كلّهم، حتى كان آخر ذلك مِرْجَلٌ أتى به فردّه<sup>(١)</sup>.

وقال الهيثم بن عديّ: ثنا إسماعيل بن أبي خالد عن حكيم بن جابر قال: سئل علي عن أهل النهروان: أمشركون هم؟ فقال: من الشرك فرّوا. قيل: أفمنافقون هم؟ قال: إنّ المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً. فقيل: فما هم يا أمير المؤمنين؟ قال: إخواننا بغوا علينا

(١) قلت: هذا هو المعروف من سيرة علي - رضي الله عنه - وهو الذي بين بفعله منهج التعامل مع البغاة إذ يختلف عن التعامل مع الكفار، فالبغاة لا يجهز عليّ جريحهم ولا يتبع مدبرهم ولا تسبى نساؤهم وأولادهم ولا تغنم أموالهم، وأقره عليّ ذلك الصحابة في عصره فصار أجماعاً منهم. قال ابن تيمية في منهاج السنة (٢٤١/٥)، ولما تحيزوا بحروراء، وخرجوا عن الطاعة والجماعة، قال لهم عليّ: إنّ لكم علينا أن لا نمنعكم مساجدنا ولا حقكم من الفياء ثم أرسل إليهم ابن عباس فناظرهم فرجع نحو نصفهم ثم قاتل الباقي وغلبهم، ومع ذلك لم يسب لهم ذرية، ولا غنم لهم مالا، ولا سار فيهم سيرة الصحابة في المرتدين كمسيلمة الكذاب وأمثاله، ولم ينكر أحد عليّ علي ذلك.

فقاتلناهم ببغيتهم علينا<sup>(١)</sup>.

شأن الخوارج بعد معركة النهروان:

قال ابن كثير (٦٤٣/١٠) ذكر الهيثم بن عدي أنه خرج على علي رضي الله عنه - بعد قتله الخوارج رجلاً من أهل البصرة من بني ناجية يقال له: الحارث بن راشد<sup>(٢)</sup> واتبعه بشرٌ من قومه بني ناجية وغيرهم، وتحيزوا ناجية، فبعث إليهم عليُّ معقل بن قيس الرياحي في جيش كثيف، فقتلهم قتلاً ذريعاً.

وقال الهيثم كما في البداية والنهاية (٦٤٦/١٠)، ثم خرج رجل آخر من أهل البصرة، فقتل، فأمر أصحابه عليهم الأشرس بن عوف

(١) عند عبد الرزاق في المصنف (١٥٠/١٠) وابن أبي شيبة (٣٣٢/١٥) بسند صحيح نحوه لكن ليس فيه لفظ: إخواننا. قيل له فما هم؟ قال قوم: بغوا علينا فقاتلناهم وفي رواية: قوم بغوا علينا فنصرنا عليهم، وفي أخرى، قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا.

وقال ابن تيمية في منهاج السنة (٢٤٣/٥) وقد اتفق الصحابة والعلماء بعدهم على قتال هؤلاء فإنهم بغاة على جميع المسلمين، سوى من وافقهم على مذهبهم، وهم يبدؤن المسلمين بالقتال ولا يندفع شرهم إلا بالقتال، فكانوا أضروا على المسلمين من قطاع الطريق، فإن أولئك إنما مقصودهم المال، فلو أعطوه لم يقاتلوا، وهؤلاء يقاتلون الناس على الدين حتى يرجعوا عما ثبت بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة إلى ما ابتدعه هؤلاء بتأويلهم الباطل وفهمهم الفاسد للقرآن، ومع هذا فقد صرح علي بأنهم مؤمنون ليسوا كفاراً ولا منافقين.

(٢) في تاريخ الطبري (١١٣/٥)، سماه الخريت بن راشد الناجي، وذكر تفاصيل كثيرة من طريق أبي مخنف.

الشيباني فقتل هو وأصحابه .  
ثم خرج الأشهب بن بشر البجلي ثم العُرني من أهل الكوفة ، فقتل  
هو وأصحابه .

ثم خرج سعيد بن قفل التيمي ؛ تيم ثعلبة ، من أهل الكوفة أيضًا  
فقتل بقنطرة درزيجان قريبًا من المدائن .

قال الشعبي : لما قتل عليُّ أهل النهروان خالفه قوم كثيرون  
وانتقضت أطرافه ، وخالفه بنوناجية وانتقض أهل الجبال ، وطمع أهل  
الخراج في كسره ، وأخرجوا عامل عليّ عليّ فارس سهل بن حنيف ،  
فأشار ابن عباس عليّ علي أن يولي فارسَ زياد بن أبيه فولأه إيّاها فسار  
إليها سنة تسع وثلاثين في جمع كثير ، فوطنهم حتى أدوا الخراج ورجعوا  
إلى الطاعة .



### النزاع على ولاية مصر:

كان على نيابة مصر في أيام عثمان عبدالله بن سعد بن أبي سرح، فلما توجه أولئك الأحزاب من خوارج المصريين إلى عثمان ليقتلوه كان الذي جهّزهم إليه - مع عبدالله بن سبأ، المعروف بابن السوداء - محمد بن أبي حذيفة بن عتبة، وكان لما قتل أبوه باليمامة قد أوصى به إلى عثمان، فكفله وربّاه في حجره ومنزله، وأحسن إليه إحساناً كثيراً، ونشأ في عبادة وزهادة، وسأل عثمان أن يولّيه عملاً، فقال له عثمان: متى ما صرت لذلك أهلاً وليتك، فتعتب في نفسه على عثمان، فسأل من عثمان أن يخرج إلى الغزو فأذن له، فقصد الديار المصرية، وحضر مع أميرها عبدالله بن سعد بن أبي سرح غزوة الصوّاري، وشرع يتنقّص عثمان، - رضي الله عنه -، وساعده على ذلك محمد بن أبي بكر الصديق، فكتب بذلك ابن أبي سرح إلى عثمان يشكوهما إليه، فلم يعبأ بهما عثمان شيئاً، ولم يزل ذلك دأب محمد بن أبي حذيفة حتى استنفر أولئك إلى عثمان، فلما بلغه أنهم قد حصروا عثمان، تغلّب على الديار المصرية وأخرج منها ابن أبي سرح، وصلّى بالناس فيها، فلما كان ابن أبي سرح ببعض الطريق جاءه الخبر بقتل عثمان، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون. وبلغه أنّ علياً قد بعث على إمرة مصر قيس بن سعد بن عبادة، فسميت بمحمد بن أبي حذيفة إذ لم يمتنع بملك الديار المصرية سنة، وسار عبدالله بن سعد بن أبي سرح إلى الشام فأخبر معاوية بما كان من أمره بديار مصر، وأنّ محمد بن أبي حذيفة قد استحوذ عليها، فبعث معاوية عمرو بن العاص إليه ليخرجه منها؛

لأنه من أكبر الأعوانِ عليّ قتلِ عثمان، مع أنه كان قد ربّاه وكفله وأحسن إليه، فحاول عمرو دُخولَ مصرَ فلم يقدر عليه أول الأمر، فلم يزل يكايده حتى خرّج محمد بن أبي حذيفة إلى العريش، وجاءه عمرو بن العاص فنصبَ عليه المنجنيقَ حتّى نزل في ثلاثين من أصحابه فقتلوا. ذكره محمد بن جرير<sup>(١)</sup>.

وفي سنة ست وثلاثين، ولّى علي بن أبي طالب نيابة الديار المصرية لقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري فسار إليها ودخلها في سبعة نفر، فرقى المنبر، وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بولايته على مصر<sup>(٢)</sup>، قال: ثم قام قيسُ بنُ سعد فخطبَ النَّاسَ ودعاهم إلى البيعة لعليّ، فقام النَّاسُ فبايعوه، واستقامت له طاعةُ بلادِ مصرَ سوى قرية منها يقال لها: خَرِبَتَا<sup>(٣)</sup> فيها أناسٌ قد أعظموا قتلَ عثمان، وكانوا سادة النَّاسِ ووُجوههم، وهم في نحوٍ من عشرةِ آلافٍ - منهم بُسرُ بنُ أبي أرطاة، ومسلمةُ بنُ مُخلدٍ، ومعاويةُ بنُ حُديج، وجماعةٌ من الأكابر - وعليهم رجلٌ يقال له: يزيدُ بنُ الحارثِ المُدلجيّ. وبعثوا إلى قيسِ بن سعدٍ فوادعهم<sup>(٤)</sup>.

(١) تاريخ الطبري (٥٤٦/٤).

(٢) ذكر نص كتاب علي، وفيه ألفاظ منكرة لا تصح عنه، والخبر أخرجه الطبري في تاريخه (٥٤٨/٤)، وفي إسناد هشام بن محمد الكلبي، وهو رافضي متروك غير ثقة، وفيه أبو مخنف لوط بن يحيى وهو كسابقه أخباري شيعي غير ثقة. (ميزان الاعتدال ٣٠٤/٤، ٤١٩/٣).

(٣) خربتتا: موضع في مصر قرب الإسكندرية، معجم البلدان (٤١٦/٢).

(٤) تاريخ الطبري (٥٤٩/٤)، من طريق هشام الكلبي عن أبي مخنف.

ثم كتب معاوية بن أبي سفيان بعد أن استوسق له أمر الشام كلها إلى قيس بن سعد يدعو إلى القيام بطلب دم عثمان، وأن يكون مؤازراً له على ما هو بصدد من القيام في ذلك.

فلما بلغه الكتاب - وكان قيس رجلاً حازماً - لم يخالفه ولم يوافقه، بل بعث يلاطف معه الأمر؛ وذلك لبُعده عن علي وقربه من بلاد الشام وما مع معاوية من الجنود، فسالمه قيس وتاركة، فكتب معاوية إليه: إنه لا يسعك معي تسويقك بي، وخديعتك لي، ولا بُد أن أعلم أنك سلم لي أو عدو - وكان معاوية حازماً أيضاً. فكتب إليه قيس - لما صمم عليه: إني مع علي؛ إذ هو أحق بالأمر منك، فلما بلغ ذلك معاوية، يش منه، ثم أشاع بعض أهل الشام أن قيساً يكاتبهم في الباطن ويمالئهم على أهل العراق.

وروى ابن جرير<sup>(١)</sup> أنه جاء إلى علي كتاب بمبايعة قيس معاوية، فلما جاء الكتاب إلى علي أراد أن يختبره ويتحقق من صدق ذلك، فكتب إليه أن يغزو أهل خربتا الذين تخلفوا عن البيعة، فبعث يعتذر إليه بأنهم كثير عددهم، وهم وجوه الناس، وقال في كتابه: إن كنت إنما أمرتني بهذا لتختبرني؛ لأنك اتهمتني في طاعتك فابعث علي عملاً بمصر غيري. فبعث علي الأستر النخعي، فسار إليها، فلما بلغ القلزم شرب شربة من عسل فكان فيها حتفه، فبلغ ذلك أهل الشام، فقالوا: إن لله جنداً من عسل، فلما بلغ علياً مهلك الأستر، بعث محمد بن أبي بكر علي إمرة مصر، فارتحل قيس إلى

(١) تاريخ الطبري (٤/٥٥٣)، والذي يظهر أنه مزور.

المدينة، ثم ركب هو وسهل بن حنيف إلى علي فاعتذر إليه قيس بن سعد، فعذره علي وشهد معه صفين. فلم يزل محمد بن أبي بكر قائم الأمر مهينًا بالديار المصرية، حتى كانت وقعة صفين والاتفاق على التحكيم، فعند ذلك طمع أهل مصر في محمد بن أبي بكر، واجتروا عليه وبارزوه بالعداوة فلما فرغ علي من صفين، وبلغه أن أهل مصر قد استخفوا بمحمد بن أبي بكر - وكان شابًا ابن ست وعشرين سنة أو نحو ذلك - عزم علي على رد قيس بن سعد إليها، وكان علي قد جعله على شرطته، ولكن لم يتهيأ بعثه حيث جدت أمور في مصر والعراق. وعين معاوية نيابتها لعمر بن العاص إذا فتحها، ثم كتب معاوية إلى مسلمة بن مخلد الأنصاري، وإلى معاوية بن حديج السكوني وهما رئيسا العثمانية ببلاد مصر، يُخبرهم بقدوم الجيش إليهم سريعًا، فلمَّا وصل الكتاب إلى مسلمة ومعاوية بن حديج فرحا به وردا جوابه بالاستبشار والمعاونة والمناصرة له ولمن يبعثه من الجيش، فعند ذلك جهَّز معاوية عمرو بن العاص في ستة آلاف، وخرج معه مودعًا وأوصاه بتقوى الله والرفق والمهل والتؤدة، وأن يقتل من قاتل ويعفو عمَّن أدبر، وأن يدعو النَّاس إلى الصلح والجماعة، فإذا أنتَ ظهرتَ فليكن أنصارك أثر النَّاس عندك. فسار عمرو فلمَّا دخل مصر، اجتمعت عليه العثمانية فقادهم، وكتب إلى محمد بن أبي بكر: أما بعد، فتنحَّ عني بدمك، فإنِّي لا أحبُّ أن يُصيبك منِّي ظُفر؛ فإنَّ النَّاسَ قد اجتمعوا بهذه البلاد على خلافك ورفض أمرك، وندموا على أتباعك، فهم مسلموك لو قد

التقت حلقتا<sup>(١)</sup> البطان، فاخرج منها فإني لك لمن الناصحين، والسلام<sup>(٢)</sup>.

وكتب محمد بن أبي بكر إلى علي يعلمه بقدم عمرو إلى مصر في جيش من قبل معاوية؛ فإن كانت لك بأرض مصر حاجة فابعث إليّ بأموال ورجال، والسلام، فكتب إليه عليّ يأمره بالصبر وبمجاهدة العدو، وأنه سيبعث إليه الرجال والأموال، ويمدّه بالجيوش.

وقام محمد بن أبي بكر في الناس فخطبهم وحثهم على الجهاد ومناجزة من قصدهم من أهل الشام.

وتقدم عمرو بن العاص إلى مصر في جيوشه، ومن لحق به من أهل مصر والجميع في قريب من ستة عشر ألفاً، وركب محمد بن أبي بكر في قريب من ألفي فارس، وهم الذين انتدبوا معه من أهل مصر، وقدم بين يدي جيشه كنانة بن بشر، فجعل لا يلقى أحداً من الشاميين إلا قاتلهم، فبعث عمرو بن العاص إليه معاوية بن حديج، فجاءه من ورائه، وأقبل إليه الشاميون حتى أحاطوا به من كل جانب؛ فترجل كنانة وهو يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥] ثم قاتل حتى قُتل، وتفرق أصحاب محمد بن أبي بكر عنه، ورجع يمشي فرأى خربة فأوى إليها، ودخل عمرو بن العاص فسطاط مصر، وذهب معاوية بن

(١) البطان هو الحزام الذي يجعل تحت بطن البعير، وفيه حلقتان، فإذا التقتا بلغ الشد غايته، وهو مثل يضرب في تنامي الشر، مجمع الأمثال (١٠٢/٣).

(٢) تاريخ الطبري (١٠١/٥).

حُدِيجَ فِي طَلَبِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، فَمَرَّ بِعُلُوجٍ فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ لَهُمْ: هَلْ مَرَّ بِكُمْ أَحَدٌ تَسْتَنكِرُونَهُ؟ قَالُوا: لَا. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: إِنِّي رَأَيْتُ رَجُلًا جَالِسًا فِي هَذِهِ الْخَرِيبَةِ. فَقَالَ: هُوَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ فَأَخِذْ ثُمَّ قُدِّمَ فَقُتِلَ فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَائِشَةُ جَزِعَتْ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا، وَضَمَّتْ عِيَالَهُ إِلَيْهَا، وَكَانَ فِيهِمْ ابْنُهُ الْقَاسِمُ.

قال أبو مخنف بإسناده<sup>(١)</sup> ولمَّا بَلَغَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مَقْتَلُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، وَمَا كَانَ مِنَ الْأَمْرِ، وَتَمَلَّكَ عَمْرُو مِصْرَ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَعَلِيُّ مَعَاوِيَةَ، قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا فَحَثَّهِمْ عَلَى الْجِهَادِ وَالصَّبْرِ وَالْمَسِيرِ إِلَى أَعْدَائِهِمْ مِنَ الشَّامِيِّينَ وَالْمِصْرِيِّينَ، وَوَاعَدَهُمُ الْجَرَاعَةَ بَيْنَ الْكُوفَةِ وَالْحِيرَةِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ خَرَجَ يَمْشِي إِلَيْهَا حَتَّى نَزَلَهَا فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِ مِنْهُمْ أَحَدٌ فَلَمَّا كَانَ الْعِشِيُّ بَعَثَ إِلَى أَشْرَافِهِمْ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَهُوَ حَزِينٌ كَثِيبٌ فَعَاتَبَهُمْ فَقَامَ إِلَيْهِ مَالِكُ بْنُ كَعْبٍ الْهَمْدَانِيُّ ثُمَّ الْأَرْحَبِيُّ، فَغَدَبَ النَّاسَ إِلَى امْتِثَالِ أَمْرِ عَلِيٍّ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لَهُ، فَانْتَدَبَ أَلْفَانَ فَأَمَرَ عَلَيْهِمْ مَالِكُ بْنُ كَعْبٍ هَذَا، فَسَارَ بِهِمْ خَمْسًا، ثُمَّ قَدِمَ عَلِيُّ عَلِيٍّ جَمَاعَةً مَمَّنْ كَانَ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بِمِصْرَ فَأَخْبَرُوهُ كَيْفَ وَقَعَ الْأَمْرُ، وَكَيْفَ قُتِلَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَكَيْفَ اسْتَقَرَّ أَمْرُ عَمْرُو بِهَا، فَبَعَثَ إِلَى مَالِكِ بْنِ كَعْبٍ فَرَدَّهُ مِنَ الطَّرِيقِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ خَشِيَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ قَبْلَ وَصُولِهِمْ إِلَى مِصْرٍ.

(١) تاريخ الطبري (١٠٦/٥).

### حال علي مع أهل العراق:

واستقرَّ أمرُ العراقيين على مخالفة عليٍّ فيما يأمرهم به وينهاهم عنه والخروج عليه، وانتقاد أحكامه، ورد أقواله، وحلُّ إبراهيم؛ لجهلهم وقلة عقلهم وجفائهم وغلظتهم وفجور كثير منهم. ثمَّ كتب عليٌّ إلى ابن عبَّاس - وهو نائبه على البصرة - يشكو إليه ما يلقاه من النَّاسِ، من المُخالفةِ ويقول: إنِّي دعوتهم إلى غوثِ إخوانهم؛ فمنهم من أتى كارهاً، ومنهم المعتذرُ كاذباً، أسأل الله أن يجعل لي منهم فرجاً ومخرجاً وأن يُريحني منهم عاجلاً ولولا ما أحاولُ من الشهادة لأحببتُ أن لا أبقى مع هؤلاء يوماً واحداً، عَزَمُ اللهُ لنا ولكم على تقواه وهداه، إنَّه على كلِّ شيءٍ قدير، والسلام، فردَّ عليه ابنُ عبَّاسٍ يُسليهِ عن النَّاسِ، ويُعزِّيه في محمَّد بن أبي بكر، ويحثُّه على ملاطفة النَّاسِ والصبر على مسيئتهم، فإنَّ ثوابَ الله خيرٌ وأبقى، وقال له: إنَّ النَّاسَ رُبَّمَا تَثاقَلُوا ثم نشطوا، فارتفق بهم يا أميرَ المؤمنين. ثمَّ ركب ابنُ عبَّاسٍ من البصرةِ إلى عليٍّ، وهو بالكوفة، واستخلفَ ابنُ عبَّاسٍ على البصرةِ زياداً.

### محاولة معاوية انتزاع البصرة:

وفي هذا العام (٣٨هـ) بعثَ مُعاوية بن أبي سفيان عبدالله بن عمرو الحضرمي إلى أهل البصرة يدعوهم إلى مناصرته فلمَّا قدمها نزل عليُّ بن تميم فأجاروه، فنهض إليه زيادٌ وبعثَ إليه عليُّ بن أبي طالب أعينَ بن ضبيعة في جماعة من النَّاسِ، فثاروا إليهم فاقتتلوا فقتلَ أعينُ ابنُ ضبيعةَ أميرَ السَّرِيَّةِ التي بعثها عليٌّ فكتبَ نائبُ ابنِ عبَّاسٍ زيادٌ إلى عليٍّ يُعلمُه بما وقع بالبصرة من المُخالفةِ بعد خُروجِ

ابن عباسٍ منها، فَبَعَثَ عند ذلك عليّ جاريةً بن قُدّامة التَّمِيمِيّ في خمسين رجلاً إلى قومه بني تميم وكتب معه كتاباً إليهم فرجع أكثرهم عن ابن الحضرمي.

### محاولة انتزاع الحجاز واليمن:

قال ابن جرير<sup>(١)</sup>: فمما كان في هذه السنّة (٤٠هـ) من الأمور الجليلة، توجيه معاوية بسرّ بن أبي أرطاة في ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز، فدخل المدينة ثم مكة ثم مضى بسرّ إلى اليمن، وعليها عبيدالله بن عباس ففرّ إلى الكوفة حتى لحق بعليّ، واستخلف على اليمن عبدالله بن عبدالمدان الحارثي، فلما دخل بسرّ اليمن قتله، وقتل ابنه، ولقي بسرّ ثقل عبيدالله بن عباس وفيه ابنان له صغيران فقتلهما، ويقال: إنّ بسرّا قتل في مسيره هذا خلقاً من شيعة عليّ.

وهذا الخبر مشهور عند أصحاب المغازي والسّير، وفي صحّته عندي نظر<sup>(٢)</sup>.

### الهدنة بين علي ومعاوية:

قال ابن جرير<sup>(٣)</sup>: وفي السنة (٤٠هـ) جرت بين عليّ ومعاوية المهادنة بعد مكاتبات يطول ذكرها، على وضع الحرب بينهما، وأن يكون ملك العراق لعليّ، ولمعاوية ملك الشام، ولا يدخل أحدهما على صاحبه في عمّله بجيش ولا غارة ولا غزوة.

(١) تاريخ الطبري (١٤٠/٥).

(٢) البداية والنهاية (٦٨٣/١٠).

(٣) تاريخ الطبري (١٤٠/٥).



### ولاية الحج والأمصار:

حجَّ بالنَّاسِ في سنة ست وثلاثين عبدالله بن عباس عن أمر علي له بذلك<sup>(١)</sup>.

قال ابن جرير<sup>(٢)</sup> وحجَّ بالنَّاسِ في سنة سبع وثلاثين عبيدالله بن عباس؛ نائب عليَّ عليَّ اليمَنِ ومخاليفها، وكان نائبَ مكة قُثمُ بن العَبَّاسِ، وعليُّ المدينة تَمَّامُ بنُ عَبَّاسٍ، وقيل: سهلُ بن حُنَيْفٍ، وعليُّ البصرة عبدالله بن عَبَّاسٍ، وعليُّ قضائها أبو الأسود الدُّيَلِيُّ، وعليُّ مصر محمدُ بن أبي بكر الصَّدِّيقِ، وأميرُ المؤمنين عليُّ مقيمٌ بالكُوفَةِ، ومعاويةُ بن أبي سفيان بالشَّامِ مُستحوذٌ عليها.

قال ابن جرير وغيره<sup>(٣)</sup>: وَحَجَّ بالنَّاسِ في سَنَةِ ثمان وثلاثين قُثمُ بنُ العَبَّاسِ، نائبُ عليَّ عليَّ مَكَّةَ، وكان أخوه عبيدالله بنُ عَبَّاسِ نائبَ اليمَنِ، وأخوهما عبدالله بن عَبَّاسِ نائبَ البصرة، وأخوهم تَمَّامُ بن عَبَّاسِ نائبَ المدينة، وَعَلِيُّ خُرَّسَانَ خَالِدُ بنُ قَرَّةَ اليرْبُوعِيُّ، وقيل: ابنُ أبزى، واستقرَّتْ مِصرُ بيدِ مُعاويةَ فاستتابَ عليها عمرو بن العاصِ. واللهُ أعلمُ.

قال الواقدي<sup>(٤)</sup>: وفي سنة تسع وثلاثين بعث عليُّ بنُ أبي طالبٍ عبيدالله بنَ عباسٍ عليَّ الموسمِ، وبعثَ معاويةَ يزيدَ بنَ شجرة الرَّهاويِّ ليقيمَ للنَّاسِ الحجَّ، فلمَّا اجتمعا بمكة تنازعا، وأبى كلُّ

(١) تاريخ الطبري (٥٧٦/٤)، والبداية والنهاية (٥٠١/١٠).

(٢) تاريخ الطبري (٩٢/٥).

(٣) تاريخ الطبري (١٣٢/٥).

(٤) تاريخ الطبري (١٣٦/٥).

واحدٍ منهما أن يُسَلِّمَ لصاحبه فاصطلحا على شيبه بن عثمان بن أبي طلحة الحَجَبِيِّ فحجَّ بالنَّاسِ، وصلَّى بهم في أيام الموسم.  
قال أبو الحسن المدائني<sup>(١)</sup> لم يشهد عبدالله بن عباس الموسم في أيام عليٍّ حتَّى قُتِلَ والذي نازعه يزيد بنُ شجرة، إنما هو قُثمُ بن العباسِ حتَّى اصطلحا على شيبه بن عثمان.

(١) تاريخ الطبري (١٣٦/٥).

## الفصل الرابع

### الجهاد والفتوحات في عهده

لقد واجه الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ظروفًا صعبة وأحوالاً متغيرة، فلم تستقر له الأمور، ووقع القتال بين المسلمين، وظهرت الخوارج، فانشغل الخليفة في مواجهة تلك الأحداث الداخلية ومعالجة الفتن التي أعقبت قتل الخليفة الشهيد المظلوم عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وكان من شؤم الفتن وأثارها السيئة توقف حركة الجهاد والفتوحات التي كانت سمة بارزة لعصر من سبقه من الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - ولم تسجل كتب التاريخ فتوحات جديدة في خلافة علي - رضي الله عنه - لكن رغم تلك الأحداث الداخلية المؤلمة فإنه قد تمت المحافظة على ما تم فتحه، وكان ولاية الأطراف متيقظون لمواجهة العدو، وكذا المرابطون في الثغور يقومون بواجب الحراسة والحماية لها.

وقد ذكر الإمام الطبري والحافظ ابن كثير<sup>(١)</sup> أنَّ قسطنطين بن هرقل قصد في سنة خمس وثلاثين بلاد المسلمين في ألف مركب، فأرسل الله عليه قاصفًا من الرياح فغرّقه الله ومن معه، ولم ينج منهم أحد إلا الملك في شردمة قليلة من قومه، فلما دخل صقلية ثاروا

(١) تاريخ الطبري (٤/٤٤١)، والبداية والنهاية (١٠/٤٢٧).

عليه فقتلوه وقالوا: أنت قتلت رجالنا» وقد كفى الله المسلمين شره .  
كما يذكر ابن كثير<sup>(١)</sup> أنه في سنة تسع وثلاثين امتنع أهل فارس  
والجبال من الخراج والطاعة وتمردوا على عاملهم سهل بن حنيف،  
فولى علي - رضي الله عنه - زياد بن أبيه وكان صليب الرأي عالمًا  
بالسياسة على بلادنا فارس وكرمان، فسار إليها في أربعة آلاف فارس  
فأخضعها حتى استقاموا وأدوا الخراج ورجعوا إلى السمع الطاعة،  
وسار فيهم بالعدل والأمانة، وبنى قلعة هناك تعرف بقلعة زياد.

وبعث علي - رضي الله عنه - بعد صفين جعدة بن هبيرة  
المخزومي إلى خراسان، وكان بعض بلدانها قد امتنعوا من الطاعة  
فحاصر أهل نيسابور حتى صالحوه، كما صالحه أهل مرو<sup>(٢)</sup>.

### علي - رضي الله عنه - يوضح أحكام البغاة:

لئن فات علي - رضي الله عنه - التوسع والإضافة في  
الفتوحات الإسلامية كما صنع أصحابه من قبل إلا أنه قد وضَّح  
بسيرته العادلة أحكام البغاة، وأحكام قتال الفتنة الذي يقع بين  
المسلمين، وهو نوع من الجهاد لاستقرار الجبهة الداخلية وتوحيدها  
ومواجهة الانقسام فيها، وبيان الأحكام المتعلقة بذلك.

فقد فرَّق - رضي الله عنه - بين قتال الفتنة، وقتال البغاة  
الخارجين عن الطاعة، وقتال الخوارج الذين خرجوا عن بعض  
شرائع الإسلام بتأويل.

(١) البداية والنهاية (١٠/٦٧٨).

(٢) تاريخ الطبري (٥/٦٤).

فالقتال في معركة الجمل وقع عن غير اختيار وهو قتال فتنة . والقتال في صفين هو لإرغام الخارجين عن الطاعة الممتنعين عن البيعة فقصد - رضي الله عنه - إلى قتالهم بعد الدعاء إلى التسليم والبيعة، وكان مجتهدًا في ذلك، وبعض الصحابة مثل سعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن عمر، وأسامة بن يزيد، لم يشاركوا في هذا القتال ولم يروه، وكان رأيهم أصوب، وقد حمدهم علي - رضي الله عنه - بأخره، وتمنى لو أنه لم يقاتل .

أما الخوارج فقد فرح علي - رضي الله عنه - بتولي قتالهم بعد أن أفسدوا وقطعوا السبيل، وكان قد أقام عليهم الحجة، وناظرهم وأرسل من يناظرهم حتى يُعذر فيهم . وقتاله - رضي الله عنه - للخوارج معه فيه نص من رسول الله ﷺ .

وقد مدح رسول الله ﷺ من يقاتلهم وأمر بقتالهم، ومع هذا فقد كانت سيرته - رضي الله عنه - مع جميع هذه الأصناف أنه لا تسبى ذراريهم ونساءهم، ولا تغنم أموالهم، ولا يتبع مدبرهم، ولا يجهز على جريحهم .

ومن جهوده - رضي الله عنه - أنه قاتل المرتدين والغلاة من السبائية الذين ادَّعوا فيه الألوهية فاستتابهم فلما لم يرجعوا أمر بإحراقهم بالنار<sup>(١)</sup> . وقد خالفه ابن عباس وغيره في وسيلة القتل وهي الاحراق لكنهم موافقون له في وجوب قتلهم ردّة .

كما أنه - رضي الله عنه - قد حارب البدع والظواهر الأول

(١) انظر: ابن حزم، الفصل (٤/١٨٦) .

للغلو عند الشيعة، فقد خطب علي منبر الجامع بالكوفة وبين أن أفضل الأمة بعد رسولها أبي بكر وعمر، وقال: لا أوتي بأحد يفضلني علي أبي بكر وعمر إلا جلدته حدّ المفترى<sup>(١)</sup> ومنع رضي الله عنه من سب الصحابة جميعاً، وتوعد من فعله بالعقوبة.

وقال في خطبة له موضحاً أن رسول الله ﷺ لم يخصصهم بشيء لم يُبينه للناس فقال: من زعم أن عندنا شيئاً نقرؤه ليس في كتاب الله وهذه الصحيفة، ويشير إلى صحيفة معلقة في قراب سيفه فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحة فقد كذب<sup>(٢)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى (٤/٤٢٢).

(٢) البخاري (٦/٢٧٣) من الفتح، ومسلم برقم (١٣٧٠).

## الفصل الخامس

### خلافة الحسن بن علي - رضي الله عنهما -

بيعته بالخلافة:

لما ضرب ابن ملجم عليًا - رضي الله عنه - قالوا له: استخلف يا أمير المؤمنين، فقال: لا، ولكن أدعكم كما ترككم رسول الله ﷺ - يعني بغير استخلاف - فإن يُرد اللهُ بكم خيرًا يجمعكم علي خيركم، كما جمعكم علي خيركم<sup>(١)</sup> بعد رسول الله ﷺ. فلما توفي وصلي عليه ابنة الحسن؛ لأنه أكبر بنيه، - رضي الله عنهم - ودفن، كان أول من تقدّم إلى الحسن بن علي، - رضي الله عنه - قيس بن سعد بن عبادة، فقال له: ابسط يدك أبايعك علي كتاب الله وسنة نبيه، فسكت الحسن، فبايعه ثم بايعه الناس بعده، وكان ذلك يوم مات علي في شهر رمضان سنة أربعين.

وكان قيس بن سعد علي إمرة أذربيجان، تحت يده أربعون ألف مقاتل قد بايعوا عليًا على الموت، فلما مات علي ألح قيس بن سعد علي الحسن في التّفير لِقِتال أهل الشّام، فعزل قيسًا عن إمرة أذربيجان، وولّى عبّيدالله بن عبّاس عليها، ولم يكن في نية الحسن أن يُقاتل أحدًا، ولكن غلبوه علي رأيه، فاجتمعوا اجتماعًا عظيمًا لم يُسمع بمثله، فأمر الحسن بن علي قيس بن سعد بن عبادة علي المقدّمة في اثني عشر ألفًا بين يديه، وسار هو بالجيوش في إثره

(١) هذه شهادة من علي - رضي الله عنه - باجتماع الأمة على خيرها - أبي بكر الصديق - بعد وفاة النبي ﷺ.

قاصداً بلاد الشام ليُقاتل مُعاوية وأهل الشام، فلما اجتاز بالمدائن نزلها وقدم المقدمة بين يديه، فبينما هو في المدائن مُعسكرٌ بظاهرها، إذ صرخ في الناس صارخٌ: ألا إن قيس بن سعد بن عبادة قد قُتل. فثار النَّاسُ فانتَهَب بعضهم بعضاً، حتَّى انتهبوا سُرادق الحسن، حتَّى نازعوه بساطاً كان جالساً عليه، وطعنه بعضهم حين ركب طعنة أشوته<sup>(١)</sup>، فكرههم الحسن كراهيةً شديدةً، ثم ركب فدخل القصرَ الأبيض من المدائن، فنزله وهو جريحٌ، وكان عامله على المدائن سعد بن مسعود الثقفي، أخو أبي عبيد صاحب يوم الجسر، فلما استقرَّ الحسن بالقصر قال المُختار بن أبي عبيد، قَبَّحه اللهُ، لعمَّه سعد بن مسعود: هل لك في الشرفِ والغنى؟ قال: وما ذا؟ قال: تأخذ الحسن بن علي فتقيده وتبعثُ به إلى مُعاوية. فقال له عمُّه: قَبَّحك اللهُ وقَبَّح ما جئتُ به! أأغدرُ بابن بنتِ رسول الله ﷺ؟!<sup>(٢)</sup>.

#### الصلح بين الحسن ومعاوية:

ولمَّا رأى الحسن بن عليّ تفرَّق جيشه عليه مقتهم، وكتب عند ذلك إلى مُعاوية - وكان قد ركب في أهل الشام، فنزل مسكن<sup>(٣)</sup> يُراوضه على الصلح بينهما، فبعث إليه مُعاوية عبدالله بن عامر وعبدالرحمن بن سمرة، فقديما عليه الكوفة فبدلاً له ما أراد من الأموال، فاشترط أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف درهم، وأن يكون خراج دارابجرَد له، وأن لا يُسبَّ عليّ وهو

(١) أشوته: لم تُصب مقتله، انظر: النهاية (٥١١/٢).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقة الخامسة من الصحابة (٢٨٦/١)، بإسناد ضعيف.

(٣) مسكن: موضع بالعراق على نهر دجيل. معجم البلدان (١٢٧/٥).



يسمع، فإذا فعل ذلك نزل عن الإمرة لمعاوية، ويحقن الدماء بين المسلمين، فاصطلحوا على ذلك واجتمعت الكلمة على معاوية، وقد لأم الحسين أخاه الحسن على هذا الرأي، فلم يقبل منه، والصواب مع الحسن - رضي الله عنه -.

ثم بعث الحسن بن علي إلى أمير المقدّمة قيس بن سعد أن يسمع ويطيع لمعاوية.

والمشهور أن مبايعة الحسن لمعاوية كانت في سنة أربعين، ولهذا يقال له: عام الجماعة. لاجتماع الكلمة فيه على معاوية. والمشهور عند ابن جرير وغيره من علماء السير أن ذلك كان في أوائل سنة إحدى وأربعين<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير: والحسن هو سيد المسلمين، وأحد علماء الصحابة وحلمائهم وذوي آرائهم، والدليل على أنه أحد الخلفاء الراشدين الحديث الذي أوردناه<sup>(٢)</sup> في دلائل النبوة من طرق عن سفينة مولى رسول الله ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون ملكاً»، وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي، - رضي الله عنه - فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ؛ فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من أكبر دلائل النبوة، وقد مدحه رسول الله ﷺ على

(١) تاريخ الطبري (١٦٢/٥).

(٢) البداية والنهاية (٩/١٥٣، ١٦٩، ٢١٠).

صنيعه هذا، وهو تركه الدنيا الفانية، ورغبته في الآخرة الباقية، وحقنه دماء هذه الأمة، فنزل عن الخلافة وجعل الملك بيد معاوية، حتى تجتمع الكلمة على أمير واحد، كما في حديث أبي بكره الثَّقفي، أن رسول الله ﷺ صعد المنبر يوماً، وجلس الحسن بن علي إلى جانبه، فجعل ينظر إلى الناس مرةً وإليه أخرى، ثم قال: «أيُّها النَّاسُ إنَّ ابني هذا سيِّدٌ، وسيُصلِّحُ اللهُ بهِ بينَ فِئتينِ عَظيمَتينِ مِنَ المُسلمينَ»<sup>(١)</sup>، وكان الحسنُ لما بايعَ أهلَ العِراقِ يشترطُ عليهم: إنَّكم سامِعُونَ مُطيعُونَ، مسالمون من سالمَت، مُحارِبُونَ مَنْ حَارَبْتُ<sup>(٢)</sup> فازتاب به أهلُ العِراقِ وقالوا: ما هذا لكم بصاحب، فما كان عن قريب حتَّى طعنوه فأشووهُ، فازدادَ لهم بُغضًا، وازداد منهم دُعرًا، فعند ذلك عرفَ تفرُّقهم واختلافهم عليه، وكتب إلى معاوية يُسألهُ ويراسلهُ في الصُّلحِ بينه وبينه علي ما يختاران.

وقال البخاري في كتاب الصُّلحِ<sup>(٣)</sup> حدَّثنا عبد الله بن مُحَمَّدٍ، ثنا سفيان، عن أبي موسى قال: سمعتُ الحَسَنَ يقول: استَقْبَلَ اللهُ الحَسَنُ بنُ عليٍّ مُعاويةَ بن أبي سُفيان بكتائبِ أمثالِ الجبالِ، فقال عمرو بن العاص: إنِّي لأرى كِتابَ لا تُؤلِّي حتَّى تقتلَ أقرانها، فقال معاوية - وكان والله خيرَ الرَّجلينِ -: أي عمرو، إن قتلَ هؤلاءِ هؤلاءِ، وهؤلاءِ هؤلاءِ، من لي بأمور النَّاسِ؟ من لي بضيعَتهم؟ من لي ينسائهم؟ فبعثَ إليه رجلينِ من قريشٍ من بني عبدشمس؛ عبد الرحمن بن سُمرة،

(١) رواه البخاري وغيره كما سيأتي.

(٢) انظر: الطبقة الخامسة من الصحابة لابن سعد (٣١٧/١) بإسناد حسن.

(٣) صحيح البخاري برقم: (٢٧٠٤).

وعبدالله بن عامر، فقال: اذهبا إليّ هذا الرجل فاعرضا عليه، وقولا له، واطلبا إليه. فأتياه فدخلا عليه فتكلّما، وقالا له، وطلبا إليه، فقال لهما الحسن بن عليّ: إنا بنو عبدالمطلب قد أصبنا من هذا المال، وإنّ هذه الأُمَّة قد عاثت في دمائها. قالا: فإنّه يعرضُ عليك كذا وكذا، ويطلبُ إليك ويسألك. قال: فمن لي بهنّذا؟ قالا: نحن لك به. فما سألهما شيئاً إلاّ قالا: نحن لك به. فصالحه. قال الحسن البصري: ولقد سمعتُ أبا بكره يقول: رأيتُ رسولَ الله ﷺ على المنبر والحسن بن عليّ إلى جنبه، وهو يُقبل عليّ النَّاسَ مرّةً وعليه أخرى، ويقول: «إنّ ابني هذا سيدٌ، ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين». قال البخاري: قال لي عليّ بن المديني: إنّما ثبت عندنا سماعُ الحسنِ من أبي بكره بهنّذا الحديث.

قلت: وقد روى هذا الحديث البخاري في كتاب الفتن<sup>(١)</sup>، عن عليّ بن عبدالله، وهو ابن المديني، وفي فضائل الحسن<sup>(٢)</sup>، عن صدقة بن الفضل، ثلاثتهم عن سفيان. ورواه أحمد عن سفيان، وهو ابن عيينة، عن إسرائيل بن موسى البصريّ به<sup>(٣)</sup>، ورواه البخاري في دلائل النبوة عن عبدالله بن محمّد، وهو ابن أبي شيبّة، ويحيى بن آدم، كلاهما عن حسين بن عليّ الجعفي، عن إسرائيل، عن الحسن، وهو البصريّ، به<sup>(٤)</sup>، وأخرجه أحمد وأبوداود والنسائي من حديث

(١) صحيح البخاري برقم: (٧١٠٩).

(٢) صحيح البخاري برقم: (٣٧٤٦).

(٣) المسند (٣٧/٥، ٣٨).

(٤) صحيح البخاري برقم: (٣٦٢٩).

حماد بن زيد، عن علي بن زيد، عن الحسن البصري به<sup>(١)</sup>.

وقال أبو الحسن علي بن محمد المدائني<sup>(٢)</sup>: كان تسليم الحسن الأمر لمعاوية في الخامس من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين، وقال غيره: في ربيع الآخر.

ولما تسلّم معاوية البلاد ودخل الكوفة وخطب بها واجتمعت عليه الكلمة في سائر الأقاليم والآفاق، وحصل على بيعة معاوية عامئذ الإجماع والاتفاق، ترحل الحسن بن علي، ومعه أخوه الحسين وبقية إخوانهم وابن عمهم عبدالله بن جعفر من أرض العراق إلى أرض المدينة النبوية، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وهو في ذلك مصيب بار راشد ممدوح، وليس يجد في صدره حرجاً ولا تلوثاً ولا ندماً، بل هو راض بذلك مستبشر به<sup>(٣)</sup> وإن كان قد ساء هذا خلقاً من ذويه وأهله وشيعته، ولا سيما بعد ذلك بمدد، وهلمّ جرّاً إلى يومنا هذا. والحق في ذلك أتباع السنة ومدحه فيما حقن به دماء الأمة، كما مدحه على ذلك رسول الله ﷺ، كما تقدّم في الحديث الصحيح، والله الحمد والمئة.

(١) المسند (٤٩/٥)، وأبوداود برقم: (٤٦٦٢)، والسنن الكبرى للنسائي برقم: (١٠٠٨٠).

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه (١٦٣/٥).

(٣) أخرج ابن سعد بإسناد صحيح في ترجمة الحسن في الطبقة الخامسة من الصحابة (٣١٧/١): أن الحسن خطب أصحابه بعد وفاة علي فقال: إن كل ما هو آت قريب وإن أمر الله واقع وإن كره الناس وإني والله ما أحببت أن ألي من أمر أمة محمد ما يزن حبة خردل يهراق فيه محجمة من دم، قد علمت ما يضرني مما ينفعني فألحقوا بطينكم. الطية: الحاجة والعمل.

## ترجمة الحسن بن علي بن أبي طالب<sup>(١)</sup>

هو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، سبط رسول الله ﷺ، ابن ابنته فاطمة الزهراء، وريحانته، وأشبهه خلق الله به في وجهه، ولد للنصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة، فحنكه رسول الله ﷺ بريقه، وسماه حسناً، وهو أكبر ولد أبيه، وقد كان رسول الله ﷺ يحبه حباً شديداً، وربما مصّ لسانه وهو صغير، واعتنقه وداعبه، وربما جاء ورسول الله ﷺ ساجداً في الصلاة فيركب على ظهره، فيقرؤه على ذلك ويطلب السجود من أجله، وربما صعد معه إلى المنبر.

وقد ثبت في الحديث<sup>(٢)</sup> أنه، عليه الصلاة والسلام، بينما هو يخطب إذ رأى الحسن والحسين مقبلين، فنزل إليهما فاحتضنهما، وأخذهما معه إلى المنبر، وقال: «صدق الله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ إني رأيت هذين يمشيان ويعثران، فلم أملك أن نزلت إليهما» ثم قال: «إنكم لمن روح الله، وإنكم لتبخلون وتجبنون»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر ترجمته: الطبقات الكبرى، الطبقة الخامسة من الصحابة (٢٢٥/١)، والاستيعاب (٣٨٣/١)، وأسد الغابة (٩/٢)، والإصابة (٦٨/٢)، وتاريخ الإسلام، حوادث ووفيات (٤١، ٦٠ ص ٣٣) وسير أعلام النبلاء (٢٤٥/٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٥٤/٥)، وأبوداود (١١٠٩)، والترمذي (٣٧٧٤)، وابن ماجه (٣٦٠٠)، والنسائي (١٥٨٤)، كلهم من حديث بريدة، صحيح (صحيح سنن أبي داود ٩٨١).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٤٠٩/٦)، والخطيب في تاريخ بغداد (٣٠٠/٥) =

وقد ثبت في «صحيح البخاري»<sup>(١)</sup> أَنَّ أَبَا بَكْرٍ صَلَّى بِهِمُ الْعَصْرَ - بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَلِيَالٍ - ثُمَّ خَرَجَ هُوَ وَعَلِيٌّ يَمْشِيَانِ، فَرَأَى الْحَسَنَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ فَاحْتَمَلَهُ عَلَى عُنُقِهِ، وَجَعَلَ يَقُولُ: بِأَبِي شِبْهِ النَّبِيِّ، لَيْسَ شَبِيهَا بِعَلِيٍّ. قَالَ: وَعَلِيٌّ يَضْحَكُ.

وعن أبي جحيفة قال: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يُشَبِّهُهُ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ<sup>(٢)</sup>.

وقال أحمد<sup>(٣)</sup>، ثنا أبو داود الطيالسي، ثنا زمعة، عن ابن أبي مليكة قال: كَانَتْ فَاطِمَةُ تُنْفِرُ الْحَسَنَ<sup>(٤)</sup> بِنِ عَلِيٍّ؛ وَتَقُولُ:

يَا بِأَبِي شِبْهِ النَّبِيِّ لَيْسَ شَبِيهَا بِعَلِيٍّ

وقال عبدالرزاق وغيره<sup>(٥)</sup>، وعن معمر، عن الزُّهْرِيِّ، عن أنس قال: كَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ أَشْبَهَهُمْ وَجْهًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وقال أحمد<sup>(٦)</sup> ثنا حجاج، ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن هانئ، عن علي قال: الْحَسَنُ أَشْبَهُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا بَيْنَ الصَّدْرِ

= كلاهما من حديث خولة بنت حكيم بنحوه.

(١) حديث رقم: (٣٧٥٠).

(٢) البخاري (٣٥٤٣، ٣٥٤٤)، ومسلم (٣٣٤٣).

(٣) المسند (٢٨٣/٦).

(٤) «تنفر الحسن» أي تقفزه وتؤثبه. انظر: النهاية (١٠٥/٥).

(٥) المصنف (٢٠٩٨٤) كما أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٧٨/١٣)،

(١٧٩)، من طريق عبدالرزاق وعبدالأعلى بن عبدالأعلى وعبدالله بن المبارك،

ثلاثتهم عن معمر به، والإمام أحمد في المسند (١٩٩/٣)، من طريق

عبدالأعلى عن معمر به.

(٦) المسند (٩٩/١) «إسناده صحيح».

إلى الرأس، والحُسينُ أشبهُ برسول الله ﷺ ما أسفلَ من ذلك .  
وقال أبو داود الطيالسي<sup>(١)</sup> ثنا قيسٌ، عن أبي إسحاق، عن  
هانيء بن هانيء، عن عليٍّ قال: كان الحسنُ بنُ عليٍّ أشبهَ النَّاسِ  
برسولِ الله ﷺ من وجهِهِ إلى سُرَّتِهِ، وكانَ الحُسينُ أشبهَ النَّاسِ بهِ ما  
أسفلَ مِنْ ذَلِكَ. وقد رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ الْحَسْنَ بْنَ  
عَلِيٍّ كَانَ يُشْبَهُ النَّبِيَّ ﷺ<sup>(٢)</sup>.

من فضائله:

عن البراء بن عازبٍ قال: رأيتُ النَّبِيَّ ﷺ والحَسْنَ بْنَ عَلِيٍّ  
على عَاتِقِهِ، وهو يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ» أخرجاه من حديث  
شُعْبَةَ<sup>(٣)</sup>.

وروى أحمد<sup>(٤)</sup> عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله ﷺ إلى  
سوق بني قينقاع مُتَكِنًا على يدي، فطاف فيها، ثم رجعَ فاحتَبَى في  
المسجدِ، وقال: «أين لكاع؟ ادعُوا لي لكاع» فجاء الحسنُ فاشتدَّ  
حتَّى وثبَ في حُبُوتِهِ، فأدخلَ فَمَهُ في فَمِهِ، ثمَّ قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ  
فأحِبَّهُ، وأحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ» ثلاثًا قال أبو هريرة: ما رأيتُ الحسنَ إلا  
فاضتُ عيني، أو قال: دمعتُ عيني، أو: بكيتُ. وهذا على شرطِ  
مسلم، ولم يخرجوه.

(١) مسند الطيالسي (١٣٠).

(٢) أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣/١٨٣، ١٨٤) أثر ابن عباس، وأخرج  
في (١٣/١٧٧، ١٧٨)، أثر ابن الزبير.

(٣) البخاري (٣٧٤٩)، ومسلم (٢٤٢٢).

(٤) المسند (٢/٥٣٢).

وجاء من حديث عليّ، وأبي سعيد، وبريدة<sup>(١)</sup>، وحذيفة، أنّ رسول الله ﷺ قال: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خيرٌ منهما».

وفي حديث عبدالله بن شدّاد<sup>(٢)</sup>، عن أبيه، أنّ رسول الله ﷺ صلّى بهم إحدى صلاتي العشيّ، فسجد سجدةً أطال فيها السجود، فلما سلّم قال النَّاسُ له في ذلك، قال: «إنّ ابني - يعني الحسن - ارتحلني فكرهت أنّ أعجله حتّى يقضي حاجته».

وقال أحمد<sup>(٣)</sup>: ثنا هاشم بن القاسم، عن جرير، عن عبدالرحمن بن أبي عوف الجرشّي، عن معاوية قال: رأيت رسول الله ﷺ يمضّ لسانه، أو قال: شفّته. يعني الحسن بن عليّ، وإنّه لن يُعذب لساناً أو شفّتان مصّهما رسول الله ﷺ. تفرّد به أحمد.

### إكرام الخلفاء والصحابة له:

وقد كان الصّدّيق يُجلّه ويُعظّمه ويُكرّمه ويُحبّه ويتفدّاه، وكذلك عمرُ ابنُ الخطّاب؛ فروى الواقدي<sup>(٤)</sup> عن موسى بن

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣/٢٠٨، ٢١٢)، من طرق عن عليّ وأبي سعيد وبريدة وحذيفة. «السلسلة الصحيحة ٣٩٦».

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/٤٩٣، ٤٩٤)، والنسائي في المجتبى (١١٤٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/٢٦٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣/٢١٥، ٢١٦).

(٣) المسند (٤/٩٣).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/٢٩٦)، و(١/٢٨٤) من الطبقة الخامسة، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣/٢٣٨)، من طريق الواقدي به.



مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمِ بْنِ الْحَارِثِ التَّمِيمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عَمْرَ لَمَّا عَمِلَ الدِّيوانَ فَرَضَ لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ مَعَ أَهْلِ بَدْرٍ فِي خَمْسَةِ آلَافٍ. وَكَذَلِكَ كَانَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ يُكْرِمُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيُحِبُّهُمَا، وَقَدْ كَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَوْمَ الدَّارِ - وَعَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ مُحْصُورًا - عِنْدَهُ وَمَعَهُ السِّيفُ مُتَقَلِّدًا بِهِ يُجَاحِفُ<sup>(١)</sup> عَنْ عَثْمَانَ، فَخَشِيَ عَثْمَانُ عَلَيْهِ، فَأَقْسَمَ عَلَيْهِ لِيَرْجِعَنَّ إِلَىٰ مَنْزِلِهِمْ تَطْيِيبًا لِقَلْبِ عَلِيٍّ، وَخَوْفًا عَلَيْهِ، - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -.

وقد كان ابن عباس يأخذ الركاب للحسن والحسين إذا ركباً، ويرى هذا من نعم الله عليه. وكانا إذا طافا بالبيت يكاد الناس يخطمونهما مما يزدحمون عليهما للسلام عليهما، - رضي الله عنهما - وأرضاها -.

وكان معاوية يكرمه ويجله ويبعث له جائزة كل سنة مائة ألف درهم، وقد وفد الحسن عليه فأجازه بأربعمائة ألف<sup>(٢)</sup>. وكان ابن الزبير يقول: <sup>(٣)</sup> والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن علي.

**عبادته وكرمه:**

روى ابن سعد قال: <sup>(٤)</sup> كان الحسن إذا صلى الغداة في مسجد رسول الله ﷺ يجلس في مُصَلَّاهُ يذكُرُ اللهَ حَتَّى تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ،

(١) يجاحف: يدافع. اللسان (ج ح ف).

(٢) تاريخ دمشق (١٣/١٦٦).

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣/٢٣٩، ٢٤٠).

(٤) الطبقة الخامسة من الصحابة (١/٢٩٧)، والمصدر السابق (١٣/٢٤١).

ويجلس إليه مَنْ يَجْلِسُ مِنْ ساداتِ النَّاسِ يتحدَّثون عنده، ثم يقومُ فيدخلُ على أمَّهاتِ المؤمنينَ فيُسلِّمُ عليهنَّ، وربَّما أتخفَّنه، ثمَّ ينصرفُ إلى منزله.

وقاسمَ اللهُ ماله ثلاثَ مراتٍ، وخرجَ مِنْ مالهِ مرَّتينِ، وحجَّ خمسًا وعشرينَ مرَّةً ماشيًا وإنَّ الجنائبَ لتُقَادُ بين يديه، روى ذلك البيهقيُّ<sup>(١)</sup>، وقد علقَ البخاريُّ في «صحيحه»<sup>(٢)</sup>، أنه حج ماشيًا.

وقد كان من الكرمِ على جانبٍ عظيمٍ، قال محمَّدُ بنُ سيرينَ: ربَّما أجازَ الحسنُ بنُ عليِّ الرَّجُلَ الواحدَ بِمائةِ ألفٍ<sup>(٣)</sup>.

قالوا: <sup>(٤)</sup> وكان كثيرَ التَّزويجِ، وكان لا يُفارقُه أربعُ حرائرٍ، وكان مطلقًا مصداقًا.

وقد كان عليٌّ يقول لأهل الكوفة<sup>(٥)</sup>: لا تزوجوه فإنَّه مطلقٌ. فيقولون: والله يا أمير المؤمنين لو خطبَ إلينا كل يوم لزوجناه منَّا من شاء؛ ابتغاءً في صهرِ رسول الله ﷺ. وذكروا<sup>(٦)</sup> أنَّه نام مع امرأته خولة بنتِ منظورِ الفزاربيِّ - وقيل: هند بنتِ سهيل - فوق سطح ليس له جدار، فعمدت المرأةُ فربطت رجله بخمارها إلى خلخالها، فلما استيقظ قال لها: ما هذا؟ فقالت: خفتُ أن تقومَ من وِسنٍ

(١) السنن الكبرى (٣٣١/٤)، وانظر: الطبقة الخامسة (٣٠٠/١).

(٢) لم نجده في صحيح البخاري، ولم يذكره الحافظ ابن حجر في تعليق التعليق.

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٤٥/١٣)، بإسناده عن ابن سيرين.

(٤) انظر: تاريخ دمشق (٢٤٩/١٣)، وانظر الطبقة الخامسة (٣٠٠/١).

(٥) المصدر السابق، وانظر: الطبقة الخامسة (٣٠٢/١).

(٦) المصدر السابق (٢٤٨/١٣، ٢٤٩)، وانظر الطبقة الخامسة (٣٠٧/١).

النَّوْمُ<sup>(١)</sup> فَتَسْقُطَ، فَأَكُونُ أَشَامَ سَخْلَةَ عَلَى الْعَرَبِ، فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ مِنْهَا، وَاسْتَمَرَ بِهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الْبَاقِرُ:<sup>(٢)</sup> جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، فَاسْتَعَانَ بِهِ فِي حَاجَةٍ، فَوَجَدَهُ مُعْتَكِفًا، فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ، فَذَهَبَ إِلَى الْحَسَنِ فَاسْتَعَانَ بِهِ، فَقَضَى حَاجَتَهُ وَقَالَ: لَقَضَاءُ حَاجَةٍ أَخِي لِي فِي اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ اعْتِكَافِ شَهْرٍ.

من أقواله ومواقفه:

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُطَلَّبُ بْنُ زِيَادٍ أَبُو مُحَمَّدٍ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي نَضْرَةَ قَالَ: قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ لِبَنِيهِ وَبَنِي أَخِيهِ: تَعَلَّمُوا فَإِنَّكُمْ صِغَارُ قَوْمِ الْيَوْمِ، وَتَكُونُونَ كِبَارَهُمْ غَدًا، فَمَنْ لَمْ يَحْفَظْ مِنْكُمْ فَلْيَكْتَبْ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنِ الْحَاكِمِ، عَنِ الْأَصَمِّ، عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ، عَنِ أَبِيهِ<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ<sup>(٤)</sup> ثنا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى وَأَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ قَالَا: ثنا زُهَيْرُ بْنُ مَعَاوِيَةَ، ثنا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنِ عَمْرِو بْنِ الْأَصَمِّ قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: إِنَّ هَذِهِ الشَّيْخَةَ تَزْعُمُ أَنَّ عَلِيًّا مَبْعُوثٌ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

(١) وسن النوم: أوله.

(٢) تاريخ دمشق (٢٤٧/١٣).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقة الخامسة (٢٩٢/١) بإسناد حسن، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٥٩/١٣)، من طريق البيهقي به.

(٤) الطبقة الخامسة من الصحابة (٣١٦/١)، وابن عساكر (٢٦٠/١٣)، من طريق محمد بن سعد به.

قال: كذبوا والله، ما هؤلاء بالشيعة، لو علمنا أنه مبعوث ما زوّجنا نساءه ولا اقتسمنا ماله.

وقال صالح بن أحمد<sup>(١)</sup>: سمعتُ أبي يقول: بايع الحسن تسعون ألفاً، فزهد في الخلافة وصالح معاوية، ولم يسفك في أيامه محجمة من دم. وقال محمد بن سعيد<sup>(٢)</sup>: ثنا أبو داود الطيالسي، ثنا شعبة، عن يزيد بن خمير قال: سمعتُ عبدالرحمن بن جبير بن نفيير الحضرمي يحدث عن أبيه، قال: قلتُ للحسن بن علي: إنَّ النَّاسَ يزعمون أنَّك تريدُ الخلافة. فقال: كانت جماجمُ العرب بيدي، يُسالمون من سالمتُ ويحاربون من حاربتُ، فتركها ابتغاءَ وجه الله، ثم أثيرها بأتياس<sup>(٣)</sup> أهلِ الحجازِ!؟

وفاته - رضي الله عنه - :

قال سفيان بن عيينة<sup>(٤)</sup>، عن رقية بن مصقلة قال: لما حضر الحسن بن علي قال: أخرجوني إلى الصحن حتى أنظر في ملكوت السماوات. فأخرجوا فراشه، ورفع رأسه، فنظر فقال: اللهم إني أحسبُ نفسي عندك، فإنها أعزُّ الأنفس عليّ. قال: فكان مما صنع الله له أنه احتسبَ نفسه عنده.

(١) تاريخ دمشق (٢٧٣/١٣)، من طريق صالح بن أحمد به.

(٢) الطبقة الخامسة من الصحابة (٣١٨/١)، بإسناد حسن، والحاكم في المستدرک (١٧٠/٣).

(٣) الأتياس: جمع تيس. وفي بعض النسخ «باتئاس» من اليأس.

(٤) أخرجه ابن عساکر في تاريخ دمشق (٢٨٥/١٣)، من طريق سفيان بن عيينة به.

وقال الواقدي<sup>(١)</sup>: ثنا إبراهيم بن الفضل، عن أبي عتيق قال: سمعتُ جابرَ بن عبد الله يقول: شهدنا حسن بن عليَّ يوم مات، فكادت الفتنة تقع بين الحسين بن علي، ومروان بن الحكم، وكان الحسنُ قد عهدَ إلى أخيه أن يُدفن مع رسول الله ﷺ، حيث استأذن عائشة في ذلك، فأذنت له، فلمَّا مات لِس الحسينُ السلاحَ وتسَلَّحَ بنو أمية، وقالوا: لا ندعه يُدفنُ مع رسول الله ﷺ، أيُدفنُ عثمانُ بالبقيع، ويُدفنُ الحسنُ بنُ عليٍّ في الحُجرة؟ فلمَّا خاف الناسُ وُقُوعَ الفِتنَةِ أشار سعدُ بن أبي وقاص وأبوهريرة وجابرُ وابن عمر عليَّ الحسين أن لا يقاتل، فامثل ودفن أخاه قريبًا من قبر أمه بالبقيع - رضي الله عنه - .<sup>(٢)</sup>

وقال سفيان ابن عيينة<sup>(٣)</sup>، عن سالم بن أبي حفصة، عن أبي حازم قال: رأيتُ الحسينَ بن عليٍّ قدَّم يومئذٍ سعيدَ بن العاصِ (أمير المدينة) فصلَّى عليَّ الحسن وقال: لولا أنَّها سُنَّةٌ ما قدَّمته.

وقال محمَّد بن إسحاق<sup>(٤)</sup> حدَّثني مُساوِرُ مولى بنى سعد بن بكرٍ قال: رأيتُ أباهريرة قائمًا عليَّ مسجدِ رسول الله ﷺ يوم مات

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقة الخامسة (٣٤٦/١)، بإسناد ضعيف، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٤٠/٤) من طريق ابن سعد به.

(٢) تاريخ دمشق (٢٨٩/١٣، ٢٩٣).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقة الخامسة (٣٤٨/١)، بإسناد حسن والبيهقي في السنن الكبرى (٢٨/٤)، وانظر المصنف لعبدالرزاق (٤٧١/٣)، كتاب الجنائز، باب من أحق بالصلاة على الميت.

(٤) تاريخ دمشق (٢٩٥/١٣)، من طريق ابن إسحاق به.

الحسنُ بنُ عليٍّ وهو يُنادي بأعلى صوتِه: يا أيُّها النَّاسُ، مات اليوم حُبُّ رسول الله ﷺ فابكُوا.

وقد اجتمع النَّاسُ لجنائزته، حتَّى ما كان البقيعُ يسعُ أحدًا من الزَّحامِ، وقد بكاه الرِّجالُ والنِّساءُ والصِّبيان.

وقال ابنُ عُلَيَّةَ<sup>(١)</sup>، عن جعفرِ بنِ مُحَمَّدٍ، عن أبيه قال: تُوُفِّيَ الحسنُ وهو ابنُ سبعٍ وأربعين، وكذا قال غيرُ واحدٍ، وهو أصحُّ.

والمشهورُ أنَّه ماتَ سنَّةَ تسعٍ وأربعين وقال آخرون: مات سنة

خمسین.

(١) تاريخ دمشق (١٣/٢٩٩، ٣٠٢).

## فهرس الموضوعات

٣	..... المقدمة
٥	..... منهج الترتيب
١٢	..... الإمام ابن كثير وكتابه «البداية والنهاية»
١٥	..... منهجه ومصادره
١٩	..... الباب الأول: خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه
٢١	..... الفصل الأول: ترجمته
٢٤	..... بعض فضائله ومناقبه
٣١	..... أعماله
٣٤	..... قضاياه وكتابه وعماله على الصدقات
٣٦	..... وفاته وعمره
٣٩	..... الفصل الثاني: استخلافه
٤١	..... خطبة رسول الله ﷺ قبل وفاته
٤٣	..... أمر رسول الله ﷺ الصديق بالصلاة بالناس
٤٨	..... شبهة وردها
٥١	..... وفاة رسول الله وأثر ذلك على المؤمنين
٥٤	..... أمور مهمة وقعت بعد وفاة النبي ﷺ
٥٥	..... مسألة مهمة
٥٦	..... قصة سقيفة بني ساعدة
٦٢	..... خطبة الصديق

- ٦٣ ..... بيعة الزبير وعلي
- ٦٦ ..... إجماع الصحابة على اختيار الصديق
- ٧٠ ..... استرضاء أبي بكر لفاطمة
- ٧٣ ..... **الفصل الثالث: حركة الردة والقضاء عليها**
- ٧٥ ..... خطبة للصديق وبعث جيش أسامة
- ٧٨ ..... تصدي الصديق لقتال أهل الردة
- ٨٦ ..... خروج الصديق إلى ذي القصة وعقد الألوية
- ٩٠ ..... خروج الأسود العنسي
- ٩٧ ..... مسير خالد لقتال المرتدين
- ١٠٧ ..... بعث خالد إلى اليمامة
- ١١٢ ..... ردة أهل البحرين
- ١١٧ ..... ردة أهل عمان
- ١٢٠ ..... ملخص حروب الردة
- ١٢١ ..... **الفصل الرابع: الفتوحات في عهده**
- ١٢٣ ..... الفتوحات في بلاد العراق
- ١٤٥ ..... الفتوحات في بلاد الشام
- ١٥٠ ..... وقعة اليرموك
- ١٧١ ..... **الباب الثاني: خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه**
- ١٧٣ ..... **الفصل الأول: ترجمته**
- ١٧٧ ..... من فضائله
- ١٨٢ ..... من أقوال وأحواله
- ١٨٧ ..... مقتل عمر رضي الله عنه



- ١٩٠ ..... رواية البخاري لمقتل عمر
- ١٩٥ ..... **الفصل الثاني: استخلافه وموجز أعماله**
- ٢١٢ ..... مواقف من حياة عمر
- ٢١٧ ..... **الفصل الثالث: الفتوحات في عهده**
- ٢١٧ ..... الفتوحات في الشام
- ٢٣٥ ..... فتح بيت المقدس
- ٢٤٤ ..... فتح مصر
- ٢٥١ ..... الفتوحات في العراق والمشرق (المرحلة الثانية)
- ٢٥٩ ..... الفتوحات في العراق والمشرق (المرحلة الثالثة)
- ٢٧٨ ..... التمهيد لفتح المدائن
- ٢٨١ ..... فتح المدائن
- ٢٩٨ ..... غزو بلاد فارس من ناحية البحرين
- ٣٠٧ ..... وقعة نهاوند
- ٣٢٠ ..... الانسياح في بلاد الأعاجم
- ٣٢٥ ..... أول غزو الترك
- ٣٣٤ ..... غزوة الأكراد
- ٣٣٧ ..... **الباب الثالث: خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه**
- ٣٣٩ ..... **الفصل الأول: ترجمة عثمان رضي الله عنه**
- ٣٤٣ ..... فضائله رضي الله عنه
- ٣٥٤ ..... مدة خلافته وعمره
- ٣٥٥ ..... **الفصل الثاني: استخلافه رضي الله عنه**
- ٣٦٤ ..... **الفصل الثالث: أعماله والأحداث في عصره**

- ٣٧٨ ..... الفصل الرابع: الفتوحات في عصره
- ٣٧٨ ..... الفتوحات في المشرق
- ٣٨٥ ..... الفتوحات في الشام والمغرب
- ٣٩٢ ..... الفصل الخامس: الفتنة ومقتل عثمان رضي الله عنه
- ٣٩٢ ..... سبب تألب الثائرين على عثمان وولاته
- ٣٩٧ ..... طريقة مواجهة عثمان للفتنة
- ٤٠٢ ..... مجيء الأحزاب من مصر وغيرها
- ٤٠٨ ..... نصوص في بيان دفاع عثمان عن نفسه بالحجة والبيان
- ٤١٧ ..... صفة قتله رضي الله عنه
- ٤٢٨ ..... تفسير موقف الصحابة في ترك قتال الثائرين
- ٤٣٣ ..... الملحق الأول: من كتاب الشريعة للأجري
- ٤٣٩ ..... الملحق الثاني: من كتاب فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه
- ٤٤٣ ..... الباب الرابع: خلافة علي بن أبي طالب
- ٤٤٥ ..... الفصل الأول: ترجمته
- ٤٥٠ ..... فضائله
- ٤٥٩ ..... ذكر شيء من سيرته ومواعظه
- ٤٦٤ ..... مقتله رضي الله عنه
- ٤٦٩ ..... الفصل الثاني: استخلافه رضي الله عنه
- ٤٧٥ ..... الفصل الثالث: أعماله والأحداث في عصره
- ٤٧٧ ..... المطالبة بدم عثمان
- ٤٨٤ ..... سير علي من المدينة إلى العراق
- ٤٩٠ ..... اتفاق علي وطلحة والزبير على الصلح

- ٤٩٢ ..... خوف قتلة عثمان من الصلح والعمل على إفساده
- ٤٩٥ ..... موقعة الجمل
- ٥٠٤ ..... وقعة صفين
- ٥٢١ ..... الاتفاق على التحكيم
- ٥٢٦ ..... خروج الخوارج
- ٥٣١ ..... الأحاديث الواردة في الخوارج
- ٥٣٧ ..... معركة النهروان
- ٥٤٤ ..... شأن الخوارج بعد النهراون
- ٥٤٦ ..... النزاع على ولاية مصر
- ٥٥٢ ..... حال علي مع أهل العراق
- ٥٥٦ ..... الفصل الرابع: الجهاد والفتوحات في عهده
- ٥٦٠ ..... الفصل الخامس: خلافة الحسن بن علي رضي الله عنه
- ٥٦١ ..... الصلح بين الحسن ومعاوية
- ٥٦٦ ..... ترجمة الحسن بن علي رضي الله عنه
- ٥٧٦ ..... الفهرس

madar alwatan



186223

SR 0